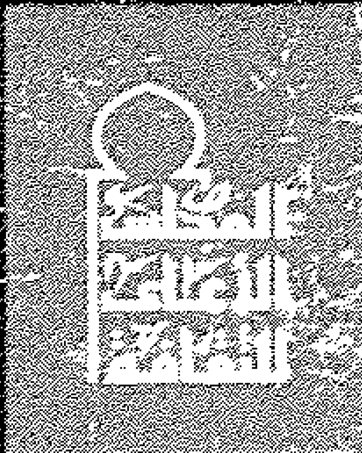
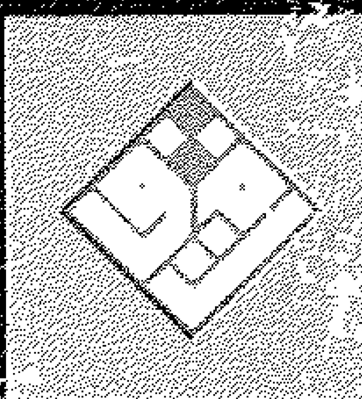




المشروع القومى للترجمة

جوهر الترجمة

عبور الحدود الثقافية

858

تحرير: ثيو هرمانز

ترجمة: بيومى قنديل

المشروع القومى للترجمة

جوهر الترجمة :
عبور الحدود الثقافية

تحرير : ثيو هرمانز

ترجمة : بيومى قنديل



٢٠٠٥

المشروع القومى للترجمة
إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٨٥٨
- جوهر الترجمة (عبور الحدود الثقافية)
- ثيو هرمانز
- بيومى قنديل
- الطبعة الأولى ٢٠٠٥

هذه ترجمة كتاب :
Crosscultural Transgressions
Research Models in Translation Studies II
Historical and Ideological Issues
Edited by : Prof. Theo Hermans

" First published by St. Jerome Publishing Ltd.
Manchester, United Kingdom. "

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo
Tel. : 7352396 Fax : 7358084

المحتويات

مقدمة المترجم

مفاجأة بالمعلوم:

فاجأنى هذا الكتاب الجاد، وهو من الوزن الثقيل فى موضوعه، كما يستطيع القارئ الكريم أن يلمس بنفسه، بما لم أكن أجهله. فلقد كنت أدرك جيدًا أن الباحثين فى ميدان الدراسات الترجمية قطعوا أشواطًا واسعة فى سبيل محاولاتهم نقل هذا النشاط الثقافى من مرحلة الفن الذى يخضع للذوق الخاص عند الانتاج (= الترجيم) والاستقبال (= القراءة). وأن هذه الأشواط ما كان الباحثون ليقطعونها قبل الانجازات الكبرى التى حققها اللغويات كأرقى علم إنسانى، فى تصورى، إذ حدد موضوعه بشكلٍ حاسمٍ ورسم نهجه ومنهجه وأدواته وعبر الفرضيات والنظريات إلى مرحلة صوغ القوانين التى تنطبق على كافة الحالات الداخلة فى نطاق موضوع العلم، أى أصبح أو كاد يقف رأساً برأس إلى جوار أىّ علم من العلوم الطبيعية ذاتها كالفيزياء والكيمياء العضوية وغير العضوية. ولم أكن أجهل أن القومية لا تزال ولسوف تستمر متأججة فى سائر أرجاء العالم شرقيه وغربيه شماليه وجنوبيه. ولم استبعد فى يوم من الأيام السابقة ولا أظن أننى سأستبعد فى أى وقتٍ لاحق أن يقاوم المثقفون أى استبداد فى الحكم أو احتكار للصواب، مهما ارتدى هذا الاستبداد وذلك الاحتكار من شعارات خلابة أو استند إلى سلطات مدعاة سواء أكانت سلطة السماء أو الأرض وبعبارة أخرى "الدين" (الشيعية الاثنى عشرية والسنية الوهابية نموذجان) أو العلم(الشيوعية نموذجاً). ولم أغفل عن أن الأدباء الكبار الذين يحصلون على اعتراف عالمى لسبب أو آخر، مثل فوزهم بجائزة مرموقة أو كانت مرموقة إلى وقت قريب مثل جائز نوبل، سوف تدفعهم روحهم القومية ونزعتهم الانسانية معًا إلى تخديم هذا الاعتراف فى خدمة

النضال الذى تخوضه شعوبهم ضد العسف والقمع، مثلما فعل ويفعل النيجيرى "وول سونيكا" الحائز على جائزة "نوبل" فى الأدب لسنة ١٩٨٦، وهو الرجل الذى يمتد نشاطه الذى يشمل إلقاء المحاضرات والمشاركة فى المظاهرات وكتابة المقالات واجراء الحوارات وصوغ المسرحيات إلى أربعة أركان العالم المتحضر ضد الحكومات العسكرية التى تقفز من المجهول كى تقبض، دون شرعية، على زمام الحكم فى وطنه نيجيريا، ويظل يكيل لها الضربات الجريئة والصريحة وينزل بها شتى الأوصاف عنيفها وبذيئها معًا حتى تسقط سقوطًا مدويًا، مع أحكام الاعدام التى تكون قد أصدرتها ضد المثقف دون أى تحفظ، الذى وضع نفسه حيثما يجب للمثقفين أن يكونوا: على رأس الزحف الذى تسير فيه شعوبهم من الغابة إلى المجتمع الانسانى. وليس الأمر بطبيعة الحال مقصوراً على الحائزين على جوائز "نوبل". فلقد لمس الحر الفقير موقف المثقفين اليونانيين ضد الحكم العسكرى الذى اغتصب الحكم فى "أثينا" فى أواخر الستينات، بل وتشرَّف (أو شرُف) بالمشاركة فى الاحتجاج الذى نظَّمه اليونانيون بمساندة من مختلف الأحرار فى أوروبا والعالم المتحضر، وهو الاحتجاج الذى قاده فى أحد أكبر مدرجات جامعة السوربون بالعاصمة الفرنسية فى صيف سنة ١٩٧٤ الموسيقار اليونانى الكبير "ميكوس ثيودراكيس" ضد الحكم العسكرى فى بلاده تحت عنوان "الحرية لليونان"، وخلال الاحتجاج ضد الحكم العسكرى غير المشروع هتف الحاضرون أيضًا ضد الحكومات العسكرية فى أمريكا اللاتينية وخصوصاً حكم الجنرال "فيديلا" بالأرجنتين، إن لم تخوننى الذاكرة وأيضًا ضد حكومة "الشاه" و"سافاك"ـه فى "طهران" دون أن يدرى أحد وقتها أن الأيام تخبئ للإيرانيين "خومينى" و"حرسه الثورى". كل ذلك لم يكن غائبًا عن بالى، لكن ما فاجأنى كان المدى الذى بلغه كل ذلك.

عن المثقفين الترك:

فأن يكون بين المثقفين الترك من يصف اللغة التركية التى تبنَّت القلم العربى خلال إمبراطورية بنى عثمان بأنها "لغة عثمانية" نازعًا عنها تركيتها وأن يمضى

فى هذا الشوط فيرميها بأنها "كانت ملوثة باللغتين العربية والفارسية" (راجع المقال الثالث الذى خطته "شهناز طاهر-جورتشاغلار) وأن يجاهد هؤلاء المثقفون الترك الجهادين الأصغر والأكبر فى سبيل "تطهير" لغتهم التركية من الكلمات العربية والفارسية التى تدفقت إلى لغتهم خلال سيادة ما عرف وقت ذاك باسم "الثقافة الاسلامية" وفى هذا الصدد ينحتون كلمة تركية خالصة على سبيل المثال كى تؤدى لهم مدلول كلمة "تركومى" (tercüme) أو "تركيمى" (terceme) التى انحدرت إليهم من العربية، وأظنهم لم يكونوا ليجهلوا أن الكلمة منحدرة، بدورها من السريانية: "ترجوم" إلى العربية، و لكن يبدو لى أنهم ساووا بين مختلف اللهجات السامية السائدة فى غرب آسيا سواء أكانت عربية أو إحدى شقيقاتها فى الفرع السامى من العائلة الحامية-السامية والأولى الأفريقية-الأسيوية. وفى سائر الأحوال اشتقوا فعلًا تركيًا جديداً دخل الاستعمال فى الثلاثينات واستطاع أن يسود فى اللسان التركى على الكلمة العربية التى سادت فيما يسميه الترك باللغة العثمانية ومشتقاتها والفعل الجديد هو (çeviren)، وتتأكد هذه السيادة فى زحزحة الفعل "العثمانى"، إذا كان لنا أن نستعمل هذه الصفة التى لا يجد الترك أى غضاضة فى استعمالها، حتى يصبح ليس مهجوراً وفقط، بل ويشير إلى الترجمة التجارية التى يعزف عنها المثقفون ذوى الجباة العالية، فهذا ما لم يستطع أن يصل إليه خيالى.

وأن تفتتح حكومة تركية مكتبًا للترجمة كى يترجم الأعمال الكلاسيكية من الآداب الغربية إلى اللغة التركية أى اللغة الأم بالنسبة للترك أمرٌ قد يجد نظائر له فى هذا البلد أو ذاك أما أن يتملك المسئولون عنه وبينهم رأس الدولة التركية ووزير تعليمها الشجاعة الكافية حتى يفصحوا عن أن "المكتب يأتى فى إطار إستراتيجة الحكومة الجمهورية فى "تغريب" المجتمع التركى فأعلى من سقف خيالى الذى تشكّل فى ظل نبذ وبغض واشمئزاز "المتعلمين المصريين"، وعلى رأسهم أكاديميوهم لـ "تغريب" لأن هذا التغريب سوف يؤدى، لا محالة إلى محو هويتنا. أى هوية؟ "العربية - الإسلامية" بطبيعة الحال. ومعنى القول أن السياسيين الترك أنفسهم يدركون ما لا تدركه "صفوتنا" ذاتها من أن "المجتمع المتقدم يطرح على المجتمع الأقل تقدماً الصورة التى

سيكون عليها عندما يرتقى إلى مستواه". ولكن ذلك مشروط بالنقل إلى اللغة القومية أى لغة الأم والأم هنا بمعناها الأشمل أى الوطن والصلة بين هذه وتلك صلة وطيدة. ونجد فى اللغة الأمازيغية، على سبيل المثال، أن هناك كلمة واحدة للدلالة على المعنيين اللغة والأم هى كلمة: Tamazight ، حسب صديقى الأمازيغى الباحث الجاد "سعيد بركنان".

عندما يتكلم ماركيز:

وكان طبيعيًا أن يتخذ الروائى الكلومبيانى المشهور "جابرييل جارسيا ماركيز" الحائز على جائزة نوبل فى الأدب لسنة ١٩٨٢ ، موقفًا، ليس جديداً عليه، بإعلان انحيازه، دون أى تحفظ إلى ما يراه صحيحًا فى قضية شغلت وسائل الاعلام وشدت الانتباه على نطاقٍ عالمى فى سنة ١٩٩٩ وهى قضية الصبى "إليان جونزاليز" الذى نجا، بأعجوبة من الموت غرقًا فى انقلاب "العبَّارة" التى كانت أمه تستقلها مع رفيقها - وآخرين - فى عرض البحر الكاريبى قبال ساحل "فلوريدا". ووصل الأمر إلى طريق مسدود بين أقارب الصبى فى "فلوريدا" وبين والد الصبى فى كوبا. هؤلاء يصرون على بقائه معهم فى الولايات المتحدة والوالد يصر على عودته إلى أحضانه فى كوبا. وتعقدت الأمور بانحياز السلطات الكوبية، صراحة، إلى جانب الوالد وانحياز السلطات الأمريكية ضمنًا إلى جانب أقارب الصبى. وهنا لم يدخر "ماركيز" بما يتمتع به من وزن دولى واقليمى وقتًا قبل أن يتكلم كى ينصت الجميع على الضفتين المتخاصمتين. كل ذلك كان متوقعًا من جانبى من روائى بحجم "ماركيز" يثق من أن جائزة "نوبل" ليست أكبر منه وأنه استحقها عن جدارة لفنه وحده وليس لمواقف إتخذها سواء بالصمت عن/ أو تأييد جرائم غربية علنية أو مستترة وليس لمواضعات وملاءمات وادعاءات عدالة، إقليمية أو دولية، و لكن الذى فاجأنى - وإننى لأعترف بذلك - كان الموقف الذى يفتقر إلى "النزاهة" من جانب المترجمين والمحررين والناشرين فى كل من انجلترا والولايات المتحدة عندما ترجموا نص المقال/الموقف الذى تبناه "ماركيز" فى القضية

ونشرته بلغتـه الأصليــة أى الأسبانية بعنوان (Náufrago en tierra firma) أى "غريق فى اليابسة" كبريات الصحف والدوريات فى "كوبا" خصوصًا وأمريكا اللاتينية عمومًا. إذ كنت أميل إلى أن أولئك "المدنيين" يلتزمون درجة معقولة من الموضوعية بحكم طبيعة عملهم، فى ظل ديموقراطيتهم وتعدديتهم واستنارتهم. ولكن أذهلنى ما أدخله هؤلاء "الوكلاء" من تغيير تلو التغيير على النص الأسبانى عند نقله من الأسبانية لنشره سواء فى "الجارديـان" اللندنيـة أو الـ"نيويورك تايمز" الأمريكية مرة بحـذف ما لا يروق لهم أو ما يصفـونـه بـ "الترجمــة – صفـر" أو بتحـويـل صيغـة مــن "المبنـى المعلـوم" إلى "المبنى للمجهول" أو العكس بهدف التستر على دور هذا أو ذاك أو مسئولية "زيد" أو "عبيد" (= "زيد أو عمرو") ٠عن هذا العمل أو ذاك. (الورقة الخامسة)

مفاجآت مماثلة:

وهذه مفـاجـآت من نـــوع المفـاجـآت التى دهمتنى عندما قابلت كلمة "تلجلج" التى يعافها "المتعلمون المصريون" كى يفضِّلوا عليها والأولى كى يحلوا محلها كلمة "تلعثم"، فى أشعار "عنترة بن شداد" وعندما صادفت كلمة "مزيلة" التى يرفض "المتعلمون المصريون" بإباءٍ وشممٍ أن ينزلوا إلى مستواها مفضلين عليها كلمة "قمامة" عند "الجاحظ" (كتاب البخلاء ص ٨٧ "لادين" ١٩٠٠) وعندما وجدت ثبات كلمة "أى" فى حالة الذكر والأدق الـ"اللاعلامة" unmarked، حسب مدرسة "براغ"، مع المؤنث فى الآية التى تقول "فى أى صورة ما شاء ركَّبك" (سورة الإنفطار.آية رقم ٨) بعد أن صححها لى عشرات المصححيين عشرات المرات بثقة واعتداد إلى "أية"!. ومعنى القول أن هؤلاء "السادة" من "المتعلمين المصريين" يطرحون أنفسهم كأفصح وأعرب من "ابن شداد" أحد شعراء المعلقات السبع و"الجاحظ" أفصح ناثر فى العصر العباسى وأحد أفصح الناثرين العرب فى كل العصور بل ومن "القرآن" ذاته! ولم يكن هناك أى سبب آخر لنبذ "المتعلمين المصريين" وعلى رأسهم أكاديميوهم، بطبيعة الحال، لهذه الكلمات وتبنيهم لتلك سوى قبول لغتهم الأم التى يصمونها بالعامية ولأسبابٍ وجيهة فيما أظن

للكلمات التى حازت منهم إلى جانبها أى إلى جانب لغتهم "الحطان من الشأن"، على حد تعبير "نيلوفر حائرى" أستاذ الأنثروبولوجيا بجامعة "جون هوبكنز" فى الولايات المتحدة. (Sacred Language, Common People p.38) .

مقاومة الطغيان:

وكان منتظراً من جانبى أن يقاوم المثقفون الصينيون "الطغيان الماوى" الذى تمثل فى تسييد وجهة نظر أحادية تجاه الفكر والأدب والفن والنقد، وأن تتخذ مقاومتهم تلك أشكالًا متعددة معظمها مستتر، فى ظل السلطات الواسعة التى تملكها الحكومات المطلقة التى تربعت فى دست الحكم فى "بكين" منذ سنة ١٩٤٩ . ولكننى لم أكن أقدر أن بوسع الترجمة أن تقوم بدور بارز فى مؤازرة هذه المقاومة أو أن يكون لترجمات أسفار الديانة البوذية أو "السوترات" البوذية إلى اللغة الصينية دور فى مقاومة السلطة الحاكمة وبعبارة "مارثا تشوينج" نفسها "كان لكثير من النصوص البوذية التى تغتنى بعناصر وأوصاف فوق - طبيعية Supernatural بعد "لضمها" معًا على عجلة الخيال الطليقة "تأثير محرر حقًا" على العقل الصينى" (الورقة التاسعة).

ولقد فوجئت كذلك بأن أحد أكبر المترجمين الصينيين كان أحادى اللغة أى أنه لم يكن يعرف سوى لغته القومية أى الصينية وهو "لين شو" (١٨٥٢-١٩٢٤)، وهو ما يكاد يوازى عندنا "مصطفى لطفى المنفلوطى" الذى لم يكن يعرف الفرنسية ولا أظن أى لغة غربية أخرى، ومع ذلك كان له فضل إثراء جيل كامل بروائع الأدب الفرنسى. ولاتزال أصداء روايات مثل "فى سبيل التاج" و"مجدولين" و"تحت ظلال الزيزفون" ترن فى وجدانى بعد أن أغنت خيالى فى سنوات عمرى الأولى. ولا يزال الأديب الكبير بحاجة إلى دراسة لعمله الجاد يسيِّقه أى يضعه فى سياقه الصحيح فى مجال التترجيم فى مصر. ولعله من باب الصدف أن "المترجمين" الرائدين الصينى والمصرى عملا كلاهما فى ميدان الأدب والروائى منه بشكلٍ خاص.

أما الورقة التى أسرتنى حقًا، وإن لم تخرج عن الإطار العام للكتاب فيما يتعلق بمفاجأتى بما كنت أعـرف عـلـى سـبيـل الحـدس، فكانت الورقة الأخيرة، فخـلافـاً لـ "المتعلمين المصريين" الذين ينخرطون من فورهم فى ترديد النظريات والمصطلحات والأدوات والمناهج التى تسكها "المراكز" الغربية واتخاذها كمنطلقات لكتاباتهم وبحوثهم ومقالاتهم ويظلون يرددونها حتى بعد أن يهجرها أصحابها بوقت طويل ولا يتحولون عنها إلا إلى سلعة "غربية" جديدة ، من "التكنولوجيا" إلى "البنيوية" إلى "ما – بعد – البنيوية" إلخ. وهانحن نعيش عصر "العولمة" التى تحظى من "شيبنيم سوزام سرايبيفا"، صاحبة الورقة بنقد علمي جرئ، أستطيع تلخيصه فى قولها:

"وفى الغالب يبدأ الجيل الجديد من الباحثين (فى ميدان الترجمة) الذين ينتمون إلى الطـرف مسيرتهم المهنيـة باستيعاب كل ما كتبـه المركز عن الترجمـة. وإذا كانت هناك مساهمة أصيلة متوقعة منهم، فليس بوسعها أن تزيد عن "السير فى أعقاب" عمليـة "التعـوليم" للنظـريـات الترجمية التى أنتجهـا المركز بصفته المورِّد المتصوَّر والمشـروع الوحـيـد للنمـاذج فى الدراسـات الترجـمـيـة المعاصـرة. وبالتالى فإن أى نقل للأمشاق السائدة لا تستطيع أن يأتى إلا من الداخل، من التطبيق "بتاع" النماذج الخاصة "على" التقاليد الطرفية. وهكذا تتحوَّل الأدوات والنماذج والنظريات التى كان المـراد منهـا أن تكون فى خـدمــة هـؤلاء الباحثين إلى وضــع النظــار المستبدين." (الورقة الثانية عشرة)

ولقـد لفت نظرى أيضًـا أن البـاحـثين جـميـعًـا لم يلجـأوا إلى الإعتمـاد على المصطلحات والتقسيمات التى يروج لها كثير من السياسيين الغربيين وأتباعهم من نوع "العـالم الثـالث" أو "الشرق الأوسط" أو "الشرق الأوسط الأكبـر" أو "أفريقـيـا السوداء" ولا حتى العالم العربى أو الإسلامى، فمثل هذه المصطلحات التى سكتها المراكز الغربية ليست خالية، عند الكثيرين، من غرض أو آخر، وعوضاً عن ذلك نرى أولئك الباحثين يمضون إلى إستخدام مصطلح غير وارد على بالنا هو البلدان أو الأوضاع "الما – بعد – إستعمارية".

غير أن السؤال الذى لم أجد له جوابًا شافيًا فى الكتاب فهو:

إلى أى حد نجحت هذه البحـوث فى الاقتراب بالترجمـة التى لا تـزال "فـنـًا"، فى رأيى، (راجع "الترجمة فن" للحر الفقير) أى نشاطًا ثقافيًا يخضع للذوق الخاص منذ البدء حتى النهاية أى منذ عملية الانتاج حتى عملية الاستهلاك، إلى نسق "العلم"، على غـزارة ما استعارتـه هذه البحـوث من مناهج ونهوج ومن مفاهيم ومصطلحات ومن أدواتٍ وآليات من العلوم الطبيعية والانسانية على حدٍ سواء؟

مقدمة المؤلف

مسكين "هولمز"! عندما خلب لبه ما أهمله الآخرون، جمع أدلته فى كلٍ متماسك وإن استند إلى الحدس أو التخمين، وقل رؤية تتميَّز بالجراءة والإشراق صاغها فى فقراتٍ موجزة ومنظَّمة، وسارت كل الأمور فى خدمة البناء الذى شيَّده الرجل: هدفٌ من وراء البحث نفسه وكوكبة ناقدة من الباحثين المتعطشين يتلهفون شوقًا فى سبيل التصدى لحمل مسئولية هذا الهدف، وكل ما احتاجه المشروع هو إحساسٌ بصميم القصد ومنهجية سليمة . على هذا النحو تجسَّدت الرؤية، وكان "هولمز" قد تطرَّق للأمر فى سنة ١٩٧٢ فى مقالٍ رشيق أصبح الباحثون يرون فيه بمرور الوقت إحدى الوثائق المؤسِّسة للنسق الناشئ فى الدراسات الترجمية، فلقد وضع الرجل الخطوط العريضة فى مقاله المعنون "اسم وطبيعة الدراسات الترجمية" لفرعٍ من العلوم الإنسانية يضفر كلاً من الملاحظة والتفسير والتوصيف والتنبؤ، والعمل الميدانى والتنظير، وكان لهذا النسق أن ينحت بصورة منهجية و"يُكتلج" (من "كتالوج") أو يضع فى فهارس مبوبة وأن يوفِّق وأن يشرح ظاهرة الترجمة.

وقد ينقص النسق تنسيقًا، ولربما يُثبت أنه أغنى بكثير بما يزيد عن حاجته أم أن المناخ تغيَّر، على أى حال فى الوقت التى لقيت فيه الدراسة الترجمية تعزيزًا بالغًا من "الطبعة الزرقاء" الرائدة التى أصدرها "هولمز"، فهى لم تسر على امتداد الخطوط المفصلة للتراكم والتطور التى تنبَّأ بها، فلقد جلب النمو الذى تفجَّر للاهتمام بالترجمة خلال العقود الأخيرة فى أعقابه انتشارًا لأنواع ومناطق بحثية كثيرة، وتبدو اليوم الدراسات الترجمية أكثر تنوُّعًا مما كان ليخطر بالمرة على بال "هولمز"، بل وحتى عنوان النسق أصبح الآن أقل وثوقًا مما بدا عليه يومًا ما، نظرًا لأن الميدان يضم فى أحد طرفيه الترحال ولغة العلامات والبراجماتية الثقافية المتبادلة، بينما أصبحت "الترجمة"

فى طرفه الآخر تشمل كل أشكال التجاوز سواء الثقافى - الداخلى Intracultural أو العبر - ثقافى crosscultural .

ومثل رفيقها المجلّد (Intercultural Faultlines.Reseach Models in Translation Studies 1: Textual and Cognitive Aspects) تحرير "ميفى أولوهان" Maeve Olohan تضع هذه المجموعة من البحوث على خريطة الترجمة أرضًا قديمة وجديدة، فالمجموعة تتناول البحث فى ميدان الترجمة وطبيعتها وأهدافها ونطاقها وإجراءاتها وسياقاتها وأشكالها، لكن تركيز المجموعة ينصب - وبوجهٍ خاص - على القضايا التاريخية والأيدولوجية أكثر من المسائل المعرفية أو الإبستمولوجية إلى تلك التاريخو-جرافية إلى السياسات اللغوية وأشكالها - وفى الغالب - بالتضافر مع بعضها البعض الآخر. وهدفَ "هولمز" من وراء ذلك أن يقدم عيِّنة من النهوج ودراسات الحالة التى تعكس مجتمعة إتجاهاتٍ تجديدية فى البحث الترجمى وتطرح أسئلة فى صميم موضوع هذا البحث.

ينقسم هذا الكتاب، بصفة عامة إلى جزءين: الجزء الأول يشمل الفصول من الأول حتى السابع، ويهتم بصفة أولية ببلورة وتحديث صندوق العدة الخاصة بكلٍ من توصيف الترجمة وتاريخها، وفى الجزء الثانى الذى يضم الفصول من الثامن حتى الثانى عشر تبرز قضايا الأيدولوجيا أكثر إلى صدر الصورة، ولكن ليس هناك خط تقسيم حاد يفصل بين هذين النصفين. فكلاهما لا يعالجان مجرَّد مسألة كيفية عمل بحثٍ فى الترجمة بل وأيضًا بعض القضايا التى تنطوى عليها تلك المسألة: ما هو السبب فى رفع بعض الأسئلة ؟ ومن الذى يسألها ؟ وبأى هدف وبأى لغة وما هو أهمية ذلك ؟

يتمثَّل ما تشترك فيه كل المساهمات هنا فى عنصر قوى من التفكير الذاتى فالتنقيب فى قلب المرء واختبار الذات يضعان نصب عينيهما كلاً من التأملات فى المنهجية والتدقيق الأكثر تسيُّسًا policitized للوضع المؤسسى للبحث والدرس، ويمتدان إلى معرفية (=إبستمولوجيا) "التصوير"، وهى تشمل هنا "التصويرات التى ينتجها المترجمون وأولئك الذين يكتبون عن الترجمة".

وكل المقالات هنا حريصة أيضاً على العمل على قنص ما يعز على "التصوير"، من الافتراضات والدوافع والعلاقات والوسائط والقوى الذهنية التى تروغ من الملاحظة المباشرة ويتعيّن استنتاجها. ولقد أولت هذه المقالات إهتماماً عميقًا لهذه العملية من التنظير الثلاثى وتقييدها بشروطٍ واضحة، ولصوغ النتائج والتفاسير، وللطبيعة المركبة للصرح الناجم. وفى نفس الوقت لم يكونوا غافلين عن حدود نماذج وأطر البحث. أضف إلى ذلك أن الأمشاق تنطوى على نقط ضعفها، وتحجب وتطمس قدر ما تكشف.

ماريا تيموكسيكو:

ينجح الربط الذى تقدم عليه بين المستوى - الميكرو(الأصغر) والمستوى - الماكرو (الأكبر) فى تذكيرنا، ليس بمجرَّد المشكلة المزمنة التى تخص "تزويج" النصوص بالسياقات - وهو الذى يسهُل كثيراً على المستوى النظرى ويصعب بنفس الدرجة على المستوى العملى - ولكن أيضاً بتوسيع منظور البحث الترجمى، الذى أخذ المستوى الميكرو (الأصغر) يصبح بالنسبة له منمنم miniaturized أما المستوى الماكرو (الأكبر) فغدا مسألة جيو - سياسية. وفى سبيل تجريب القواعد التأسيسية للبحث العلمى تُنحِّى "تيموكسيكو" جانباً التعاريف المعجمية أو القاموسية لكلمة "فرضية" و"نظرية" مع القارئ، وتركز على أشياء من نوع وضوح التركيز البؤرى وقابلية الإجراء للتكرار وتعيد إلى الأذهان أن البحث يُجرى داخل نطاق أمشاقٍ معينة. لكنها تمضى شوطًا أبعد، فتعترف بالوضعية الاجتماعية للباحثين والقيود المؤسسية التى يجرى فى ظلها البحث الترجمى. وفى هذا الصدد تنتبه "تيموكسيكو" إلى تلك الأنساق العبر - ثقافية الأخرى البارزة، مثل الأنثروبولوجيا والاثنوجرافيا وأزمة "التصوير" التى مرت بهما فى العقود الأخيرة - وهناك حدث رئيسى فى مساهمة "ميخائيلا وولف"(الفصل الثانى عشر).

قادت تلك الأزمة - كيفية تقديم "تصوير" لممارسة ثقافية دون استعمال العنف معها - إلى أنماط من الكتابة الأكاديمية التى تدعو للسخرية. والسخرية تنبع هنا من الوعى بعبور الحدود ومن معرفة أن أى "تصوير" هو حلٌ وسط وبالتالى إشكالى،

بل إننا لا نستطيع أن نستغنى عن "التصوير" وهى سخرية لا تتخلل مجرَّد الاثنوجرافيا وحـــدها بل أيضًا أنساقًا مثل التاريخو - جرافيا Historiography والسوسيولوجيا (علم الاجتماع) واللغويات النقدية. وفى ميدان عبر - ثقافى كالدراسات الترجمية تتكوَّن المواد التى نشتغل عليها من نصوص مدوَّنة بشفرات أخرى كاللغات والأقلام والتقاليد وعوالم - الفكر، وبدورها فإن دراساتنا توفِّر "تصويرات لهذه "التصويرات". ويغذى تقييم الطبيعة الإشكالية لموقف التأمل - الذاتى والقرين النقدى للباحث الترجمى.

إدواردو كريسافوللى:

يشهد النقاش الما - وراء - المستوى meta-level ، وتحييد النظرية والمنهجية على السعى المستمر وراء إطار قابل للتطبيق للبحث التاريخى. ويهدف "كريستافللى" فى ضوء تشككه فى التعميمات المتسرعة وفكرة الملاحظة غير المنحازة الأثيرة عند الشغل الوصفى، إلى إعادة تقييم للدراسات الوصفية وينتصر لصالح ما يسمِّيه بـ"التجريبية التاريخية"، التى تسعى إلى ضفر الوصفية مع النزعة نحو التعليم - الذاتى، والكمى والكيفى والتاريخى والسياسى والتجريبى والأيدولوجى. ويرى "كريستافللى" أن مثل هذا الشكل من الانتقائية سوف يكون بوسعه أن يوفى الحدث الفريد حقه أى الحالة الخاصة التى تنطوى على أهمية تاريخية ولكنها لا تقع داخل أى نمط - حالة متفردة وخلاقة - ولكن ليس على حساب ما هو عابر الفرد بل ما يُشكِّل تكميلاً له. وعلى نحو ما يريد "جيريمى مونداى" (الفصل الخامس) يريد "كريستافللى" أن يرى مقترحاته وقد وُضعت موضع الاختبار وينهى مقاله بقائمة تمحيص checklist واقعية.

شهناز طاهر - جورتشاغلار:

على نفس النول أو المنوال تنشغل بقضايا المنهجية والتاريخو - جرافيا -histori ography ، ولقد أدى بحثها فى أعراف الترجمة، كما تجلَّت فى الترجمات التركية التى

عرفها القرن العشرون من اللغات الأوروبية إلى نشوء اهتمام خاص فى النصوص الموازية للترجمة. ويستحضر المقال مصطلحات "جيرار جينيت" Gérard Genette كى تساهم فى إضاءة ما غمض من الموضوع، ولكن ليس قبل خلاف نقدى تختلف فيه مع توصيف "جينيت" للترجمات كنصوص موازية وبالتالى تابعة – وهذا رأى ترى فيه تقييداً لا ضرورة له.

تصوِّر دراسة "طاهر – جورتشاجلار" الامكانيات التى تستطيع النصوص الموازية أن تقدمها للبحث. فتأكيداتها وأحكامها ومناظراتها المستترة والظاهرة وحتى مفرداتها تُعد مؤشرات للطريقة التى نستطيع خلالها تصوُّر طبيعة ووظيفة وحدود الترجمة، وبالتالى تبيح للباحث أن يبنى المفاهيم التى تنطوى عليها الترجمة. وفى نفس الوقت، تسلِّط النصوص الموازية الضوء على العالم الاجتماعى – الثقافى الذى تُنتج فيه النصوص.

وإلى الحد الذى تعيش فيه التعليقات البحثية أيضًا كنصوص موازية على جانب النصوص الأصلية والمترجمة، تنتبه "طاهر – جورتشاغلار " إلى المعانى الضمنية للمصطلحات الوصفية التى يستخدمها الباحث. فـ "جينيت" يميِّز، على سبيل المثال، بين المقدمات التى يكتبها مؤلف الكتاب رهن الحديث وتلك "الألوجرافية" أى تلك التى يكتبها أى طرف آخر. وتلاحظ، عن فطنة متوقدة، أن وصف مقدمة المترجم بأنها من النوع الثانى يُضعف من شأن المترجم بصفته الصوت المؤلِّف للنص المترجم. فمصطلحات توصيفنا تعنى أكثر من مجرد توصيفات.

إلزى تشان:

يأخذ مقال "إلزى تشان" عن المترجم الصينى "يان فو" مفتاحه من نظرية "إيفين – زوهر" المتعددة النسق، لكنه يعتمد أيضًا، وبنفس الدرجة، على شغل "أندريه لوفيفر" André Lefevere عن الرعاية والأيدولوجيا والمؤسسات. ولكن هدفها ليس تأكيد

أو نقض صحة أى جهازٍ نظرى بل استعمال عناصر منه كى تفض مغاليق البيئة الثقافية والسياسية والاجتماعية لمصطلحات "يان فو" الثلاثة المشهورة التى تحدد مواصفات الترجمة الجيدة، وتركز الدراسة على فاعلية الوسائط، فى شكل تفاعل مركب بين "أجندة"(=جدول أعمال) المترجم والقوى التى تحيط به. ولكن حيثما يكون نطاق معانى مصطلحات "يان فو" وأصداءها التاريخية وعلاقاتها المتبادلة محل نزاع، تبدى "تشان" حرصًا ملحوظًا على أن الكتابة حول الموضوع باللغة الإنجليزية يجلب معه مشاكله التى تعود إلى الترجمة و"التصوير".

جيريمى مونداى:

يُعد المقال الذى كتبه "مونداى" الذى يستأنف تأكيد "ماريا تيموكسيكو" على الدراسات المنهجية والقابلة للتكرار مقالاً فى المنهجية بصورة كاملة، ويعمل "مونداى" بالقرب من رؤية "جديون تورى" Gideon Toury للدراسات الوصفية باعتبارها اتباعًا لـ"كدْية" من الإجراءات التحليلية الصريحة غير الملتبسة، وفى هذا الصدد يواصل "مونداى" تقاليد "كيتى فان ليفين – تسفارت" Kitty Van Leuven-Zwart، ضافراً نموذجًا لغويًا واضح التعريف مع خطواتٍ أكثر قدرة على التفسير. ومثل "فان ليفن– تسفارت"، يشتق "مونداى" ترسانته اللغوية من النحو الوظيفى الشامل الذى وضعه "هالداى" Halliday، ولكن أداته ليست مقيدة بالنصوص السردية، كما هو الحال مع "هالداى"، وهى تتجنب كلاً من التحديد الشكلى لوحدات المقارنة والتصنيف فى خانات ضيقة للتحولات الترجمية التى جعلت من نموذج "فان ليفين – تسفارت" إشكاليًا كمفهوم إلى جانب كونه مرهق عند التطبيق، وهناك تطوير آخر أدخله "مونداى" وهو التخديم deployment المرن لتكنولوجيا الكمبيوتر واللغويات الجسمورية Corpus Lin-guistics فى سبيل طحن الأرقام واقتراح الكيفيات التى قد توفر تمحيصًا أعمق. وتمضى أداة "مونداى" شوطًا أبعد عن النماذج السابقة فى محاولتها لربط الوصف بالتفسير، وتعتمد على السياقات الاجتماعية – الثقافية والسياسية فى توفير بواعث

وأسبابٍ للأنماط التى تخضع للملاحظة، والأمر لا يتعلق بالنموذج الذى لقى تصويراً كاملاً بتحليل نصٍ كتبه "جابرييل جارسيا ماركيز" Gabriel García Márquez بالأسبانية فى ثلاث ترجمات للنص إلى اللغة الإنجليزية وحدها، ولكن "مونداى"، مثل "كريسافوللى" يوفر قوائم تمحيص لتسهيل المزيد من التطبيقات والاختبارات.

جان – مارك جوانفيتش:

ويصادف السياق الاجتماعى – الثقافى الذى يدمجه "مونداى" فى نموذجه، ولكنه لا يحظى منه بالتبلوير أو البلورة اهتمامًا تفصيليًا فى نهج "جان – مارك جوانفيتش" Jean-Marc Gouanvic ، ويؤسس "جوانفيتش" على "السوسيولوجيا الثقافية" التى قال بها "بيير بورديو" Pierre Bourdieu ، وحقيقة الأمر أن كتابه Sociologie de La Traduction (1999) يُعد مثالاً بارزًا لصنفٍ من الدراسات الترجمية التى تتخذ من "بورديو" ملهمًا حتى تاريخه، ويقوم المقال الذى تضمه مجموعة المقالات فى هذا الكتاب مقام مقدمة إلى المفاهيم الرئيسية التى توصل إليها "بورديو" كالبيئة Habitus والميدان Field والسيرورة Trajectory وأدوات التعليم الذاتى، تلك التى يُصوِّرها الكاتب هنا بدراسة حالة لمترجمين فرنسيين من القرن العشرين للرواية الأمريكية، ويُعد من الملامح غير العادية لتحليلات "جوانفيتش" التاريخية أن هذه التحليلات توجهها العملية وبتحديد أكثر موجِّهة – إنتاجيًا. وتركز هذه التحليلات على تشكيل الترجمات المحددة والنصوص التى تنبثق بشكلٍ معيَّن عند لحظة معينة فى سياقٍ معين، كنتيجة لسيرورة فريدة، ويعود السؤال الذى يدور حول فاعلية الوسائط للطفو على السطح هنا، نظرًا لأن مفاهيم البيئة والسيرورة تربط أداء المترجم الفرد بالقوى الاجتماعية التى تخلق الميدان الذى يشتغل فيه. وقد يختلف الاثنان طويلاً، لكن "جوانفيتش" يملك كثيرًا مما يشترك فيه مع "كريستافللى"، فى بحثهما معًا عن نماذج تفسيرية لربط الفرد بالجماعة والفريد بالسياق التاريخى والاجتماعى.

ديريك بووثمان:

أما بالنسبة لـ "ديريك بووثمان" فالترجمة تنهض ليس بين اللغات الطبيعية وحدها ولكن أيضًا داخل اللغة الواحدة، بين الأطر المفهومية أو النظرية، أى بين الأنساق. وتتمثَّل الحالة التى ينطبق عليها ما قلناه فى تترجيم "جرامشى" لمصطلحات ومفاهيم معينة من الفلسفة المثالية لمواطنه "بنديتو كروتشى" Benedetto Croce إلى إطاره الفكرى الذى يعتمد الماركسية، وحتى المصطلحات التى تدل على "اللغتيْن" المنخرطتين مائعة وغير محددة المعالم: "جرامشى" يتحدَّث أيضًا عن التترجيم من اللغة الحدسية إلى لغة "تتريخية" historicist أو "تتريخية واقعية". والشائق أننا نستطيع أن نرى العملية تجرى فى الاتجاهين، مثلما يرى "جرامشى" بدرجة مساوية فلسفة "كروتشى" كـ"إعادة ترجمة" لـ "التتريخية الواقعية" التى يقوم عليها مفهوم الواقع التاريخى Praxis فى فلسفته الماركسية.

وخلال تمحيصه الصبور لكيفية دمج مفهوم "كروتشى" للتاريخ السياسى – الروحى (=الأخلاقى) ethico-political فى مفهوم "جرامشى" للكتلة التاريخية وكيفية جعل جدليات "كروتشى" عن "الفروق" قابلة للتطبيق على خطاب "جرامشى" حول مستويات البنية – الفوقية، يوضح "بووثمان" أن ما نشاهده ليس مسألة مضاهاة مصطلح بآخر ومفهومٍ بمفهوم، بل تجاوز أيدولوجى وفلسفى معقَّد، لا يجرى بموجبه مجرَّد إعادة تسمية مصطلحات الآخر ومفاهيمه بل فحصها وإعادة تفسيرها وإخضاعها للنقد وإعادة ترتيبها وإعادة تسكينها relocate فى تعابير وتقاليد مختلفة. وعلى نحو ما يجهد "بووثمان" فى سبيل التأكيد، فالمصطلحات متجذِّرة فى البنى المفهومية، التى تُعد بحد ذاتها كينونات تاريخية. ويثير "جرامشى" نفسه قضية "الهومولوجيا" Homology (تماثل يرجع فى الغالب إلى وحدة الأصل. المترجم) فى هذا الصدد، فبينما الترجمة بين البنيات أو الأنساق المتماثلة ممكنة، فالبنيات غير المتماثلة تطرح مشاكل جادة فى القابلية للقياس وبالتالى فى القابلية للتترجيم. وعلى حاشية مختلفة يعيد "بووثمان" إلى الأذهان أن الترجمة بالنسبة لـ "جرامشى" تشتمل على

جانبٍ تجريبى، والترجمة عبارة عن عمل من أعمال الالتزام. فتأويلات الفهم تتطلب ما هو أكثر من مجرد روتينٍ ذهنيٍ بارد، إذ أنها تدعو إلى الالتزام والاحترام و – فى عبارة "جرامشى" – إلى الحساسية كذلك.

صالحة بيكر:

بوسع المعالجة المستفيضة التى يقوم بها "جرامشى" أن تقف كنموذج أصلى للترجمة المتبادلة – الأمشاق العبر – زمنية لمفاهيم ومفردات الترجمة والدراسات الترجمية، وهذا ما يتضح على وجه خاص فى مقال "صالحة بيكر". وهذه الدراسة التى تعد داخلة عند أحد مستوياتها فى نطاق علم الدلالات التاريخية، تولى إهتمامها، كما هى عليه، بمعانى المصطلحات العثمانية المتعددة التى تعبِّر عن ممارساتٍ يبدو أنها تتناظر مع "الترجمة" و"المحاكاة"، ولكنها تمضى إلى أبعد من ذلك، ففى إطار بحث الدراسة عن الأسباب التى جعلت بعض مظاهر التاريخ الثقافى العثمانى تلقى مثل ذلك الانتباه الهزيل من جانب الدارسين، تنقب الدراسة فى المحددات المؤسَّسية وبالتالى الأيدولوجية والسياسية للدرس والبحث التاريخى الحديث. وعند مستوى معرفى أو إبستمولوجى تعترف بأن الدراسة الأكاديمية الحديثة، بصفتها نتاجًا للعالم المعاصر ولتقاليد ثقافية معينة، تعمل بالضرورة مع مفاهيم للترجمة مرتبطة بالثقافة وخصوصية، وهى مفاهيم لا تؤهلنا بصورة تلقائية أو أتوماتيكية، مع ذلك، لتناول مدى الممارسات الماضية والما – بعد – لغات metalanguages التى نجمت عنها. وتلك الممارسات قد تكشف عن تشابهات "عائلية" من المفاهيم الأحدث عهداً للترجمة والتعبير الموازى والمحاكاة، لكننا لا نستطيع اختزالها فيها، فضلاً عن أنها تتعنقد (أى تتحول إلى عناقيد) بصورة مختلفة فى الما – بعد – خطابات المعاصرة.

على قمة ذلك يأتى موضوع لغة التقرير و"بيكر"، مثل معظم المساهمين فى هذا الكتاب، على بيِّنة من مفارقات الإفصاح أى الكتابة عن التقاليد الثقافية التى تشعر أنها جزء منها باللغة الإنجليزية. فلقد صار عليها أن تترجم إلى اللغة الإنجليزية

المصطلحات التاريخية التى تسلمتها خلال المواد الأولية بالإضافة إلى الفروق الدقيقة والتميُّزات النحيلة التى تخص تلك المصطلحات وكذلك المفردات التى يستعملها الدارسون الأتراك المعاصرون فى نقلها. بأى لغة نستطيع أن نفهم "الترجمة" وما الذى تترجمه أى الترجمة؟ للقضية هنا وجهُ سياسى وكذلك وجهُ معرفى أو إبستمولوجى. تدرك "بيكر" الحاجة لـ"التحميل - الجبهوى" frontloading - وهو المصطلح الذى يرجع إلى "تيموكسيكو"، وتتابعه "شيبنيم سوزان - سرايبفا" Sebnem Susam-Sarajeva فى الفصل الثانى عشر: الكتابة باللغة الإنجليزية عن اللغة أو الثقافة التركية يفرض توفير خلفية من المعلومات الأساسية إلى درجة لا شأن بها لبعض الثقافات غير الغربية الأكثر بروزًا، تلك التى يرى فيها الدارسون، الناطقون/ الكاتبون باللغة الإنجليزية أنها ميدان عملياتهم "النموذجى"، وهكذا يكشف اختيار أداة معينة للبحث عن علاقات قوى لامتوازنة بين اللغات.

تقود الغارة أو المناوشة التى تقوم بها "بيكر" فى عالم الثقافة العثمانية المتعددة اللغات أيضًا خطاها إلى الطعن فى المعادلة المريحة التى تقول ثقافة واحدة وأمة واحدة ولغة واحدة - وهو الأمر الذى يعد أساسًا للثنائية التى تُستخدم فى السيطرة على الدراسات الترجمية، والتفكير الذى دأب على اللجوء إلى مصطلحاتٍ متميِّزة الواحد عن الآخر من لغات مصادر هنا، ولغاتٍ مستهدفة هناك وترجماتٍ تنطلق من إحداها إلى الأخرى، وعوضًا عن ذلك تحاول القبض على موادها عن طريق المفهوم الأكثر غموضًا لمنطقة اتصال ثقافية متبادلة مهجَّنة حيث تتمازج لغاتٌ متعددة وتنويعة من الأشكال الأدبية التى ترجع إلى أصولٍ مختلفة وتدين بولاءاتٍ متباينة.

مارثا تشوينج:

مثل "صالحة بيكر" تهتم "مارثا تشوينج" بالقوى التى تؤثر على البحث الترجمى إلى نفس الحد الذى تؤثر عنده على عملية الترجيم ذاتها. وتقتبس "تشوينج" شبه - نص subtext سياسى من ثلاث لحظاتٍ مركزية فى التاريخ المؤسسى للنسق فى

الصين. ومنحاها سياسى فى أكثر من جانبٍ واحد. وبصرف النظر عن تفريغ الحمل الأيدولوجى من الشغل العلمى، فهى ترفع السياق المباشر عاليًا – عودة "هونج كونج" إلى السيادة الصينية فى سنة ١٩٩٧ – وهو الأمر الذى يجعل من المحتم عليها أن تدفع السياسة إلى قمة أجندتها.

هذا الموضع الذى تختاره لنفسها عن وعيٍ كامل يعزز المجهود التفسيرى. والنصوص الثلاثة التى تخضعها "تشوينج" للاختبار لا ترفرف عاليًا برسالتها السياسية، إذ أنها تضطر إلى استخلاصها عصراً عن طريق قراءة متمعّنة وإدراجٍ فى سياقات أو تسييقٍ contextualization مطابق لمقتضى الحال. ومتى نصبت الزاوية، أصبح فى وسعها أن ترى بوضوح دور الوسائط فى البحث الترجمى، وهو الأمر الذى يشتمل على فهم الأعمال التى تبدو رصينة للدارسين وفقهاء اللغة، باعتبارها تدخلاتٍ مشحونة أيدولوجيًا فى التشكيلات الاجتماعية – الثقافية والمؤسسية، التى تنبثق منها وإليها تعود.

جوردون برذرستون:

يوجه هذا المقال حدقة العين على نسقٍ مختلف. فخلال الإشارة إلى مثالين محددين وسابقين على وصول الفاتح/الغازى الإسبانى "كورتيس" إلى "المكسيك"، يوضّح "برذرستون" التحدى الذى تمثله أقلام الأمريكيين الأصليين حتى بالنسبة للمترجم المتخصص، فهذه الأقلام تسخر من القراءة التى تسير حسب السطور، فهى مشفَّرة وتتصل بعالمها بطرائق غير مألوفة – بالمرة – بالنسبة لمعظم القراء المحدثين. كم يصل حجم ما نستطيع أخذه كبديهيات بشأن أشكال تخزين ونقل المعلومات، حول أنماط توليد المعانى ؟ لم يعد حقيقة واقعة – على ما يبدو – معظم ما يُقال وما يُكتب اليوم عن الترجمة استناداً إلى حفنة من اللغات الهندو – أوروبية والأقلام الأبجدية أو الألفبائية، ولكن تعقيدات التدوين والتعبير التى تتجلى فى هذه النصوص الأمريكية الأصلية تنبِّهنا إلى أبعادٍ تقع بعيداً تماماً عن الافتراضات التى تدعِّم القيود العريضة التى تكتنف البحث الترجمى فى الوقت الراهن.

هناك دروس أخرى تتطلب منا الاستيعاب، فحل شفرة النصوص المرئية ومحاولة ترجمة ما تقوله بلغتها الخاصة إلى - دعنا نقول - اللغة الإنجليزية، كان يبدو، واضحاً للعيان، شكلاً من أشكال الترجمة. وإذا كان الأمر كذلك، فإن الدعاوى حول ما يُسمَّى بالعموميات وقوانين الترجمة - قوانين التوضيح والتبسيط والتقييس standardization - بدأت تبدو هزيلة بصورة تدعو للحيرة والارتباك، وتشى باعتمادها المفرط على نطاقٍ محدود بشكلٍ محزن من أنماط النصوص والأطر - الزمنية والأقلام. وفى هذا الصدد أيضًا يُعد مقال "برزرستون" ناجحًا. فالمعانى الضمنية للاشتباك مع وثائق مثل هذه - مرة أخرى - معانى سياسية إلى جانب كونها لغوية وثقافية وفلسفية، ويصعب أن نستمر على عمانا تجاه الأسباب التى أدّت إلى تقليص الوثائق من هذه الطبيعة التى ظلت على قيد البقاء كى تصل إلينا بمثل هذا العدد المحدود، والأسباب التى تقف وراء ضآلة ما نعرفه عن التقاليد التى أنتجتها.

ميخائيلا وولف:

تشتبك "ميخائيلا وولف" مع التداخل بين الإثنوجرافيا ethnography والترجمة فى سياق النظرية البعد - استعمارية والتفكيكية والدراسات الثقافية. وخلال العودة إلى الجدال حول "ثقافة التدوين" الذى دار بين الأنثروبولوجيين فى ثمانينات القرن العشرين تولى "وولف" كل اهتمامها بـ "تصوير" فكرة "الآخر" عن طريق كلٍ من الإثنوجرافيين والمترجمين، وبفلاتر اللغة والخطاب والقوة التى تشركها مثل هذه "التصويرات" فى الشغل. ويسعى الإطار النظرى الذى تمعن "وولف" النظر خلاله إلى هذه الأسئلة، إلى الإفلات من "حمْل السكون" (تعبير مجازى مشتق من الهندسة الإنشائية ويعنى كل ما يجعل التغيير أو التقدم عسيراً بصورة تدعو للاستغراب. المترجم) للتفريقات الثنائية والعمل - عوضاً عن ذلك - وفق مقولاتٍ دينامية ولا - ماهوية non-essentialist وأكثرمرونة: الذات تتشكّل بصفة مستمرة خلال عملية توفيقية من التناصية intertextuality والتغيير، ومن خلال الثقافة التى يُنظر إليها باعتبارها متعددة المركز ونتاجًا لتجاوزٍ دائم - وفى حقيقة الأمر

للترجمة – وفى هذا السياق يكون خط سير الرحلة التى ارتحلها المرء أى الدرب نحو "التصوير" هو الذى يكتسب الأهمية الأكبر ويصبح بمثابة مطرح التأمل والاهتمام، تمامًا مثل مفاهيم غائمة غير ثابتة ومؤقتة مثل مفهوم "البين – بين" أو مفهوم "هومى بهابها" المعروف باسم "الفضاء الثالث" التى أصبحت مواقع للإفصاح اللغوى. ويحتاج درس الترجمة حسب هذه النماذج إلى أكثر من مجرد الانتباه إلى السياق والقوة. فمثل هذا الدرس يضع عبءًا على الباحثين هو الاعتراف بالطبيعة المركبة لـ"تصويراتهم" المسهبة ذاتها، ولموقع بحثهم والمعانى الضمنية لاختيارهم ومعالجتهم للنصوص والمواضيع.

يصاحب شحذ – الوعى النقدى من هذا النوع كمًا هائلاً من البحث والتقرير العلميين المعاصرين فى أعقاب الدراسات الجنوسية والبعد – استعمارية. كما يُلهم أيضًا مقال "شيبنيم سوزام – سرابيفا" Sebnem Susam-Sarajeva التى تركز على السياسات فى الخطاب الثقافى فى ساحة السوق العالمى. فعلاقات القوى اللامتوازنة بين اللغات العالمية المستخدمة فى البحث تحابى "المراكز" أكثر مما تفعل مع "الأطراف". وعلى نحو ما هو الأمر فى المجال الاقتصادى تورِّد "الأطراف" المواد الخام – موضوعات لحب الاستطلاع الثقافى – وعلى غرار مصطلحات التجارة – تُقرر المستويات الأكاديمية والدرجات الرفيعة والنماذج التى يُزعم أنها عمومية – فى "المركز". وكما توضِّح "سوزام – سرابيفا" فاللغة تعد أحد مظاهر هذا اللاتوازن، كما تميل النظريات والمنهجيات والأمشاق إلى التصدير من "المركز" وتُستورد من جانب "الطرف": هى تعزز نطاقها وصحتها بالمرور بالفحص فى ظل شروطٍ "مألوفة" ثم شروطٍ "غريبة" ومع ذلك فالعالم البعد – استعمارى يُعد عالمًا لم يعُد تفوق النماذج وأنماط الفكر الغربية يمر فيه دون تحدٍ – حتى ولو احتاجت – ويالها من مفارقة – لغة مثل الإنجليزية لضمان أصداءٍ عالمية.

ولسوف تقاوم دراساتٌ ترجمية تكون فى حقيقة الأمر عالمية ومتعددة اللغات سيطرة لغة مفردة للبحث العلمى، ونتيجة لذلك تكسب على مستوى العمق والتنوع. وبالتالى فى القوة الذهنية. ولسوف تشكِّل نسقًا ملتزمًا، ليس بالترجمة وحدها بل وكذلك بعملية التترجيم ذاتها، ولسوف تترجم نفسها بنفسها، عن عمدٍ وعن شغفٍ.

ثيو هرمانز

الفصل الأول عقد أواصر الصلة بين نسقين لانهائيين.

مناهج البحث فى الدراسات الترجمية.

ماريا تيموكسكو Maria Tymoczko

خلاصة:

تسوق هذه الورقة حججًا أراها قوية، على نشوء أزمة على صعيد المعرفة ذاتها، نتيجة للفتوحات الذهنية التى تحققت خلال القرن العشرين، تماثل تلك الأزمة المعرفية التى نجمت عن اختراع التليسكوب والميكرسكوب – وذلك على سبيل القياس وحده – فى القرن السابع عشر. فلقد فض نسقان جديدان لانهائيان مغاليقهما: الإمكانيات التى لا تكاد تعرف نضوبًا التى وفرها تقطيع النصوص إلى وحدات أصغر فأصغر، والإمكانيات الموازية، تلك التى لا تعرف نضوبًا هى الأخرى التى وفرتها علاقة النصوص بالطبقات المتراكبة طبقة على أخرى للسياق. وتعكس الدراسات فى ميدان الترجمة ذلك التغير الجديد الذى دخل على الجدل الذى كان دائرًا بين أولئك الذين يؤكدون على ارتفاع شأن النهوج (=جمع نهج) اللغوية عند التطرق لموضوع الترجمة، وأولئك الذين يتصدرون للنهوج الثقافية، بالدرجة الأولى عند تناول نفس الموضوع. وهذا المقال يحبِّذ مناهج البحث التى تضفر النهجين معًا، ويسوق أمثلة على أن مثل هذا البحث ينبغى أن يمضى قدمًا – دون عوائق – فى الدراسات التى تنصب على موضوع الترجمة.

يعد تاريخ علم البصريات وهندسة العدسات واحداً من التواريخ الطويلة والمركبة فى آنٍ واحد. ولقد رأى القدماء فى الرؤية ومبادئ تكوين الصورة أشياء غامضة، وذلك فى ظل النقاش الذى انخرطوا فيه حول ما إذا كان شيء ما ينتقل مما نراه إلى العين

أو ما إذا كانت العين هى التى ترسل شيئًا ما كى نرى ما تقع عليه.(١) وبحلول مطلع العصور الوسيطة، كانت النزعة البراجماتية (=العملية) قد حققت تقدمًا واسعًا، وبدأ استعمال عدسات بسيطة بهدف التكبير، وبعد ذلك بعدة قرون، وبتحديد أكبر بحلول القرن الرابع عشر، كان الخبراء قد توصَّلوا إلى صنع النظارات. ومع ذلك فلقد استغرق الأمر أكثر من ألف سنة، من استعمال العدسات البسيطة فى التكبير حتى اختراع صانعى المنظار، "زكرياس يانسين" Zacharias Janssen ، وهو صبى هولندى ووالده، لأول ميكرسكوب مركَّب فى سنة ١٥٩٠ على وجه التقريب. ومع أن هذا المنظار لم يوفر سوى درجة محدودة من التكبير، إلا أن هذا الاختراع مهَّد الطريق أمام كافة البحوث اللاحقة التى اعتمدت على البصريات، من تقصِّياتنا للأنشطة الدقيقة التى تحدث فى المادة الحية وتلك غير الحية إلى معرفتنا بالكون الواسع.

فى مدينة "ميدلبورج" Middleburg فى سنة ١٦٠٨ صنع أيضًا، "زكرياس يانسن" بالاشتراك مع "هانز ليبرشكى" أول تيلسكوب. وبعد سنة واحدة، أى فى سنة ١٦٠٩ علِم "جاليليو" بأمر الاختراع الجديد، وقام بنفسه بصنع تيلسكوب يكبِّر ثلاثة أضعاف، وسرعان ما رفع قوة التكبير إلى ٣٢ ضعفًا، وكان "جاليليو" عالم رياضيات تمكن وقت ذاك من التوصل إلى اكتشافات كبرى تتعلق بقوانين الحركة، ومع أنه كان قد أصبح مقتنعًا – منذ الأيام الأولى لاشتغاله فى مجال العلم – بالنموذج الذى توصل إليه "كوبرنيكوس" للكون (ذاك الذى يقول بدوران الكواكب حول الشمس) إلاَّ أنه أحجم عن الجهر علنًا بهذا الاقتناع فى ظل الافتقار إلى دليل قاطع فى هذا الشأن من ناحية وخشية التعرُّض للاستهزاء من ناحية أخرى. وفى سنة ١٦٠٩ حوَّل "جاليليو" تيلسكوبه إلى السماوات كى يرصد الأجرام الفلكية، فكان بذلك أول من يقوم بهذه الخطوة، ورجع ذلك جزئيًا إلى ابتكاره طريقة للتحكم فى إنحناءة العدسات التى يستعملها، وهو الأمر الذى وفر درجة كافية من الدقة والتحديد عند رصد الأفلاك. وبحلول نهاية ١٦٠٩ بدأ فى إعلان سلسلة من الاكتشافات الكبرى، من بينها الجبال التى توجد على سطح القمر والأقمار التى تدور حول كوكب "المشترى" ووجوه كوكب "الزهرة" وحلقات كوكب "زحل" والبقع الشمسية (تلك التى أوضح

أنها تقع على الشمس التى تدور حول محورٍ خاص) وكل هذه الاكتشافات أكدت صحة نظرية "كوبرنيكوس".

وفى سنة ١٦١٠ اكتشف "جاليليو" طريقة لتكييف تيلسكوبه لفحص الأشياء الصغرى، إلاَّ أن عينيه لم تقعا على ميكروسكوب مركب إلاَّ فى "روما" وكان ذلك فى سنة ١٦٢٤ . ولقد أدخل تحسينات عديدة، بما جُبل عليه من عبقرية ميَّزته عن سائر معاصريه، فى بناء التليسكوب. وكان أول من أكد على قيمة القياسات فى هذا العلم، وبذلك استبدل النظرية وأعمال الحدس بالدقة (إلحاقًا من جانبى للباء بالمأخوذ دون المتروك.المترجم) وحقيقة الأمر قد تتمثَّل أهم الإنجازات التى خرجت من يد "جاليليو" وأبلغها أثرًا، فى إعادة تأسيس النزعة العقلانية الرياضية بالتعارض مع نهج "أرسطو" الذى قام على الشكلية – المنطقية، وهو الأمر الذى أرسى الأساس للمنهج التجريبى الحديث.(٢) ولقد أسفر هذا التأكيد على القياسات فى كافة مناحى الملاحظة العلمية عن محو الفرق الذى كان مرسومًا بين المناهج التى تلائم المجالات الكونية وتلك الدنيوية التى تخص بنى الإنسان.

ولقد استعمل "جاليليو" التليسكوب" فى تفنيد النظريات السائدة حول النظام الكونى، وهو الأمر الذى قوَّض المعتقدات اللاهوتية التى كانت محل قبول عريض، وفى نهاية المطاف استدعت محاكم التفتيش هذا العالم النابه إلى "روما" كى يمثل أمامها للمحاكمة، وقضت بضرورة عدوله عن آرائه وفرضت عليه قضاء السنوات الثمانى الأخيرة من عمره رهن الإقامة الجبرية. ولقد أدرك "الجزويت" الخطر الذى تنطوى عليه مناهجه العلمية واكتشافاته، وألحوا على بابا "روما" بأن آراء "جاليليو" يمكن أن تنطوى على نتائج أسوأ على النظام المعترف به رسميًا من آراء "لوثر" و"كالفن" معًا".(٣) وعلى هذا النحو، حفَّز اختراع الميكرسكوب والتليسكوب فى القرن السابع عشر نشوء أزمة معرفية ضربت أبعد كثيرًا من مجال علم البصريات فى حد ذاته، فلقد انفجر كل من المجال العلمى والدينى عند كل مسعى لدمج المجالات التى فتحت الأدوات العلمية الجديدة مغاليقها فى أبنية الفكر التى كانت قائمة من قبل.

إلاَّ أن المدى الذى بلغته هذه الأزمة - لم يكن - بمعنى من المعانى مستغربًا تمامًا. فلقد ارتبطت المعرفة - بصفة دائمة - فى اللغات الهندو - أوروبية بالبصر والرؤية، ولقد اشتُقت من نفس الجذور اللغوية كلمات عديدة فى المجالين: المجال المعرفى، وذاك البصرى - أن ترى يعنى أن تعرف - وفى النصف الأول من القرن السابع عشر كتب "باسكال" Pascal (1623-1662) عن الدلالات المفجعة لهذين المجالين الجديدين من مجالات الرؤية، مشيرًا لهما كـ "اللانهائيين" Les deux infinis فى كتابه "أفكار" Pen-sées فى سنة ١٦٧٠ ، ويرهن فى كتابه "بؤس الإنسان دون إله" Misère de l'homme sans Dieu (١٦٩٠) على أن الإنسان دون إله لا يستطيع إلا أن يصير بائسًا فى أحسن الأحوال، وضائعًا بين هاتين اللانهائيتين للوجود، وأقصد بهما المعرفة والرؤية. ولعل كتاب "جوناثان سويفت" Jonathan Swift المعنون بـ "رحلات جاليفر" Gulliver's Travels مدينٌ بشىء ما للاكتشافات العلمية فى المجال البصرى التى عرفها القرن السابع عشر، فلقد أبرزت وجود الإنسان فى مملكتين، إحداهما غاية فى الضخامة والأخرى غاية فى الضآلة، وفى سنة ١٧٥٢ لعب "فولتير" على هاتين اللانهائيتين فى قصته Micromégas مع بطله القادم من نجم "الشعرى" Sirius كى يخوض المغامرة تلو الأخرى فى أنساقٍ أصغر فأصغر، وكان نسقنا على هذه الأرض، هو أصغر ما كان فى طوعه أن يستوعب من أنساق. ومع مثل هذه الاستكشافات التى جرت فى هذه القضايا على مستوى الخيال خلال عصر التنوير، فإن المرء لا يفوته أن يرى آثارًا للأزمة الدينية والإحساس بالقلق، نتيجة لهاتين اللانهائيتين فى أعماق القرن التاسع عشر. وعلى هذا النحو فإن الأزمة الذهنية التى ترتبت على التطورات التى جدَّت فى مجال علم البصريات دامت لآمادٍ طويلة، واستغرقت ثلاثة قرون كى تجد لنفسها حلاً أو حلولاً، ولقد أرست هذه الحلول شروط بحثنا العلمى الحالى وأطرنا الدينية المعاصرة.

ولقد استمددت عنوان هذا المقال من هذه الأزمة الثقافية التى أحدثها علم البصريات - وهى الأزمة التى أنكب على تقصى أبعادها - بقدر من التفصيل هنا، وذلك لأننى أعتقد أن شيئًا مشابهًا تمامًا حدث خلال القرن الأخير أو نحو ذلك فى مجال الإنسانيات humanities والعلوم الاجتماعية، وأرى أن القياس على ما حدث فى

التطورات السابقة فى ميدان المعرفة صالح لعدة أسباب. يتمثل الأول - بطبيعة الحال - فى أن الثورة التى جرت فى عصرنا الراهن وجدت نموذجها فى الثورة العلمية الأقدم عهداً، فالأوضاع والمناهج العلمية التى نستطيع اقتفاء آثارها إلى أواخر القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر، وأوجزها "جاليليو" فيما ذهب إليه من أن سفر(=كتاب) الطبيعة مكتوب بحروف رياضية، أصبحت تشكل سمة تميز العلوم الاجتماعية - وعلى نحو متزايد - الإنسانيات بشكل عام أيضاً، من علم اللغويات إلى الدراسات الأدبية. فالإنسانيات والعلوم الاجتماعية أيضاً تعيش على "مجازات" مستقاة من علم البصريات، كالاستعارة التى تقول: فضاء (=كون) البحث، تلك التى تُستخدم فى "تصوير" التفاعلات الاجتماعية أو السابقتين micro و macro ، التى يستخدمها الجميع باستمرار، من الاقتصاديين إلى الذين ينصب عملهم على تحليل قصائد الشعر.

ولما ينطوى على أهمية أكبر أننا درجنا منذ الثورة الأقدم عهداً، على أن نرى - وبالتالى نعرف - بصورة مختلفة فى كل الميادين، ولكى نتحول بصورة أكثر تركيزاً إلى موضوعنا الراهن، فمع تفجر المعرفة فى كل من علم اللغويات والنظرية الاجتماعية - على سبيل المثال - لم يعد من الممكن أن نعرض لأى نص بطريقة بسيطة أو بطريقة تخلو من إشكاليات معينة، وعلى وجه أخص الترجمات التى تربط - بحكم الأمر الواقع - بين لغتين وبالتالى بين ثقافتين. وهكذا نجد أن نسقين جديدين لانهائيين قد انفتحا، بمعنى من المعانى: الإمكانيات غير القابلة للنضوب على وجه التقريب، التى يطرحها "تقطيع" النصوص إلى وحدات لغوية أصغر فأصغر، والإمكانيات غير القابلة للنضوب بنفس الدرجة، التى تطرحها علاقة النصوص بالطبقات المتراكبة الواحدة على الأخرى للنص، بما فى ذلك سياق النصوص الأخرى. وعلاوة على ذلك - وعلى نحو ما حدث فى الأزمة المعرفية التى خبرها القرن السابع عشر، أصبحنا نعترف بأن هناك أكثر من طريقة تتمتع جميعها بصحة متساوية لرؤية ووصف نفس الظاهرة، اعتماداً على السياق الثقافى.

وأستطيع أن أسوق هذا المثال الذى أستمده من العلوم الطبيعية كى أصور المعنى المراد هنا. تتكامل التوصيفات البيولوجية والكيميائية التى يقوم بها العلماء للأنشطة

لكائن حي ما، الواحد مع الآخر - حتى تصبح بصورة متزايدة كلاً لا يتجزأً في واقع الأمر - كما أنها تتكامل بدورها مع التوصيفات التي يقوم بها علماء تصنيف الأحياء وعلماء الطبيعيات. وبناء عليه، ففي ميدان البيولوجيا، نستطيع أن نجد تحت أيدينا أوصافًا كثيرة مختلفة، وإن كانت تحتفظ بصحة متساوية للكائن المعروف باسم "الذئب"، بما ذلك ما يلي - هناك "ذئب" من وجهة نظر الوصف الفسيولوجي، وهو التوصيف الذي يرى في هذا الحيوان نظامًا بيولوجيًا، وهناك "ذئب" من وجهة نظر التوصيفين الكيميائي والبيو - كيميائي، الأمر الذي يوفر تحليلاً كيمائيًا لجسمه المركب أو وصفًا لأجهزته الفسيولوجية في ضوء العمليات البيو - كيميائية، وهناك "ذئب" من وجهة نظر توصيفات علم تصنيف الأحياء ، وهو الأمر الذي يضع سياقه الصحيح بين ذوي الأنياب، وآكلي اللحوم وهكذا، وهناك "ذئب" - كما يحق لعلماء الطبيعيات والبيئيات أن يوصِّفوه - سالكين إياه في سياق البيئة التي يتخذها موطنًا. وعلى نفس المنوال نستطيع أن نعرض للميادين الاجتماعية والإنسانية، مع الاعتراف بأن المعطيات يمكن النظر إليها وتوصيفها بطرق صحيحة من منظورات غاية في الاختلاف، وبأدوات بالغة التنوع. إذ توفِّر لنا ميادين مختلفة وتوصيفات متنوعة وطرقًا مختلفة لرؤية الظواهر وتصوُّرها ومعرفتها، تلك الظواهر التي تجهل التنافس فيما بينها، ولا تعرف سوى التآزر وإلقاء الضوء كل على الأخرى.

وإذا نظرنا إلى المجالات التي رفعت مغاليقها ووجهنا ميكرسكوبيًا على اللغة - إذا جاز التعبير - لوجدنا لزامًا علينا أن نضمِّن أيضًا ميادين مثل ما يلي. ينبغي أن نضمِّن "الصوتيات" Phonics والفونيتيكا Phonetics، بما قدمه كل منهما من نظرات عميقة إلى "الفونيم" Phoneme (= وحدة صوتية تؤثر على المعنى في إطار كل لغة على حدة، فالـ P و b فونيمان في معظم اللغات الأوروبية ولكنهما يفقدان الفرق الفونيمي بينهما في لغتنا، وكذلك الأمر بالنسبة لـ "س" و"ز" اللذين يفقدان ذلك الفرق بينهما في الأسبانية والفرق بين الـ "ت" والـ "ط" طفيف إلى الحد الذي لا تلحظه ثقافات عديدة ولكنه ملحوظ عندنا، والسبب في ذلك أن "تاب" في لغتنا تفيد معنى خلاف "طاب" وهكذا. المترجم) و"الألوفون" Allophone (= صورة واضحة فونيتيكيًا لـ "فونيم" ما،

لكنها لا تؤثر على المعنى فى نطاق اللغة المعنية، مثل الفرق عند الإنجليز بين الـ L فى feel و Leaf أى بين الـ L الغامقة وصورتها الفاتحة، والفرق بين P و b - عندنا - مع أننا ننطق الحرف الأول، هو أيضاً - نطقاً كامل الصحة فى بيئة صوتية معينة مثال: ابتدى. المترجم) وسائر مظاهر علم الفونولوجيا Phonology . ولقد لاحت فى الأفق احتمالات جديدة فى نطاق علم الصرفيات (=العلم الذى يدرس بناء الكلمات. المترجم) والنحويات Syntax (= العلم الذى ينصب تركيزه على درس بناء الجُمل، والأولى المنطوقات. المترجم) بما فى ذلك النظرات الثاقبة التى وفرتها نظريات النحو التحويلى حول البنية السطحية وتلك العميقة للغات الإنسانية. أما ميدان الدلالات Semantics فلقد تفتحت براعمه فى أكمامها، إذ خلَّق مفاهيم وأدوات أصبح لا غنى عنها، ليس أقلها تلك التى تتصل بميادين علم الدلالات وعلاقات المعانى فى اللغات المختلفة، وتعمَّق الوعى بتحليل مختلف اللغات، الأمر الذى فتح أعيننا على ملامح لا تنتمى وحسب إلى اللهجات التى تستند إلى الاختلافات الاجتماعية - الاقتصادية والجغرافية، بل وتلك الملامح التى تخص السجلات اللغوية واللغات المتخصصة كذلك. كما نما فهم أكبر لصون والحفاظ على الأعراف اللغوية، وبنفس الدرجة لصون والحفاظ على التنويعات التى تظهر لهذه الأعراف أو التطورات التى تدخل عليها. ووجدت هذه الميادين المختلفة بدورها تعبيراً عنها فى اللغويات المقارنة، وهو الأمر الذى حفَّز البحث عن الطرق التى تختلف بها اللغات الواحدة عن الأخرى فى تلك المناحى المتعددة. ولعله من الواضح أننى لا أقدم هنا سوى عرض خاطف للغاية وانتقائى تماماً للمجالات التى فتحت ذراعيها أمام التحليل اللغوى الميكروسكوبى للنصوص، وواثقٌ من أننى تغاضيت عن بعض أهم المجالات القريبة والعزيزة على قلب كل قارئ من قرائى الكرام. ومع ذلك فالمجالات التى وقع عليها اختيارى، تصوِّر الكيفية التى نزعَت بها هذه التحليلات الميكروسكوبية للنصوص مغاليق فهمنا على مثل هذا النشاط الأكثر إنسانية من وجهة نظر الأمشاق (=جمع مشق. المترجم) وذلك بطرق ليست أكثر عمقاً وحسب، لكنها أيضاً تتميَّز بدرجات متنامية بصورة أكبر فأكبر من الرهافة.

وعندما نستدير نحو الفحص الميكروسكوبى للغة والنص – مما نستطيع أن نرصده بتسليط تيلسكوب على سياقات أكبر فأكبر فى نص ما، أو فى الجانب الإنسانى – إذا جاز التعبير – فإننا نرى أن التفجُّر المعرفى كان مبهراً بنفس الدرجة. وأصبح بمقدورنا أن نرى – بصورة متزايدة – الخصائص التى تخص كل لغة على حدة، فى إطار سياقات دائمة الإتساع بما فى ذلك ما يلى، فكل من "مبحث العلامات" Semiotics و"علم العلامات" Semiology تناول اللغة الإنسانية بصفتها نسقًا من العلامات التى نستطيع أن نضعها داخل نطاق أنساق أخرى من العلامات، وداخل نطاق سياقات أكبر من الاتصال والإدراك كذلك. ولقد قام اللغويون الاجتماعيون Sociolinguistics باستكشاف السمات الوظيفية للغة، بما فى ذلك أنواع الأداء اللغوى الذى يتصل بالجنوسة (=الانتماء الذكرى أو الأنثوى. المترجم) أو الطبقة الاجتماعية. كما أضاءت دراسة السلطة الما – بعد – لغوية للعبارات المنطوقة أو المنطوقات (أو السلوكيات التى تتخلل للحديث) والمسائل التى تتعلق بالصورية (=الشكلية) والعلاقة بين اللغة وعدد آخر من الممارسات الاجتماعية. وألقت دراسة الأداءات التى تصدر عن الذين يعرفون القراءة والكتابة، وكذلك تلك التى تصدر عن أولئك الأميين والأدب الشفاهى الضوء على أوجه عديدة من العلاقة بين اللغة المنطوقة وتلك المكتوبة، وكذلك الأمر بين الثقافتين الشفاهية وتلك المكتوبة. كما فض استكشاف الخطابات المختلفة مغاليق العلاقة بين اللغة والأبنية المعرفية والتنظيم الاجتماعى، بما فى ذلك العلاقات الهرمية hierarchies (=التراتبية) وعلاقات القوى. واستكشفت الأبحاث التى انصبت على التناص intertextuality العلاقة بين النصوص والنصوص وأوضحت تلك الأبحاث كيف أن سياق النص ذاته يحدد شكل كلٍ من إنتاج النصوص واستقبالها فى آنٍ واحد، كما كشفت التحليلات التى تناولت الأنساق المختلفة عن علاقة هذا النص أو ذاك بسياقات اجتماعية متعددة (بما فى ذلك الشروط المادية والاقتصاد والحكومات والأيديولوجيات وهكذا) وهو الأمر الذى كشف عن علاقة الأداءات النصوصية المختلفة والأنساق النصوصية بالعديد من السياقات الاجتماعية والثقافية الأخرى. وهذا لا يزيد – عوداً على بدء – عن عرض خاطف لعدد محدود من المنظورات والأدوات الجديدة التى جدّت خلال القرن الأخير (=العشرين) ولعلها تمثّل الإمكانيات التى وفرتها الدراسات الميكروسكوبية للنصوص.

كما ظهرت أيضاً مناطق بحثية جديدة وتنطوى على أهمية خاصة تضفر كلاً من المنظورين الميكرو - والماكرو - وهى مناطق أوحى بها نسقا التحليل. وبناء عليه، فعلى سبيل المثال، تأثر فهمنا لجوهر اللغة والنصوص بمثل تلك المجالات، مثل ميدان اكتساب اللغة - وهو ميدان يحمل أبعاداً ميكروسكوبية وأخرى ماكروسكوبية فى نفس الوقت - تلك التى انصب بحثها على آليات اكتساب اللغة، وكذلك الأمر بالسمات الاجتماعية - اللغوية لهذه العملية. على أن التغيرات الجذرية التى عرفتها الطرق التى يجرى خلالها صوغ المعانى ليس سوى مجال آخر من تلك المجالات التى تضفر النهجين الميكر - والماكرو - كليهما، انطلاقاً من الفرضية التى وضعها "هورفيان" Whorfian وقادت إلى فهم الكيفية التى تؤثر خلالها الجماعة اللغوية التى ينتمى إليها الفرد على أبنيته ذاتها التى تختص بالإدراك، وهو الأمر الذى يترتب عليه أن يشكِّل المعنى إحدى الخصائص التى تختص بها اللغة البشرية، مما أدى إلى ثورة فلسفية فى صوغ المعنى، على نحو مختلف عن تلك العلاقة التى ارتآها "أفلاطون" بين الاسم والمسمى أو الكلمة والشىء، وانتصاراً لنظريات الدال والمدلول وقيمة الصدق والحيل اللغوية وهكذا. ولا ينبغى أن ننسى هنا أن علمى الإنسانيات (= الأنثروبولوجيا) والفولكلور قد استلهما النهوج (= جمع نهج) الميكروسكوبية والماكروسكوبية، فى درس اللغات والنصوص، وأثرا بدورهما كلٍ فى الآخر.

وينبغى علينا أن نذكر هنا أن هناك اختلافات بقدر ما هناك تشابهات بين هاتين الثورتين المعرفيتين اللتين أعرض لهما الآن بالنقاش، يتمثَّل أحد تلك الاختلافات فى أن ثورة القرن الماضى لم تولِّد سوى قدر أقل كثيراً من القلق بالمقارنة مع الثورة التى بدأت فى القرن السابع عشر. وذلك راجع إلى حد كبير إلى أن الثورة الثانية التى أرست بناءها على ما حققته الثورة العلمية الأسبق، التى دامت لثلاثة قرون متصلة، جاءت بصفتها حقًا مكتسباً بالولادة، أكثر من كونها تهديداً. وعلاوة على ذلك، لم تمتلك الثورة الأولى فى مجال علم البصريات سوى أداتين اثنتين بصفة أساسية - الميكروسكوب والتيلسكوب - إحداهما للبحث الميكرو - والآخر للبحث الماكرو - . واستغرق الأمر عدة قرون لتوسيع مدى هاتين الأداتين الأوليتين - الميكروسكوب

الإلكترونى والتيلسكوب الإشعاعى على سبيل المثال. ولكننا نجد فى هذه الثورة الأحدث عهداً التى حدثت فى المعرفة الإنسانية والعلوم الاجتماعية، فصائل كاملة من الأدوات قد تولَّدت للبحث فى أصغر وأكبر الظواهر، على نحو ما تشير القوائم المذكورة أعلاه. فلقد نشأت أدوات ذهنية متعددة، فى وقت قصير للغاية لرصد وفهم الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، وهى أدوات كانت تبدو، فى بعض الأحيان، ويا لها من مفارقة، وكأنها تتنافس بل وتتداخل فى مجالاتها الأصلية.

كما تختلف الثورة التى دخلت على علم البصريات فى القرن السابع عشر، إلى جانب ذلك فى منحى آخر عما هو قائم عندنا حاليًا. ولعلنا نستطيع أن نرى مفهومًا للنسقين اللانهائيين القديمين خلال بعض معالجات الموضوع: الاعتقاد بأن نفس التنظيم للعالم سوف يتكرر - على وجه الترجيح - فى كل نسق أكبر. وبناء على ذلك قد نقابل فى قطرة الماء منظومة شمسية أو حتى مجرة، مثل هذه التى ننتمى إليها، بسكانها المتناهين فى الصغر، الذين يواجهون نفس أنواع القضايا التى نواجهها نحن - وعلى العكس من ذلك - نستطيع أن نتصوَّر مجرتنا فى بعض الأحيان بصفتها قريبة الشبه بقطرة الماء فى كونٍ أكبر، حيث تعود التنظيمات الاجتماعية للعب دورها على نطاقٍ أكبر هذه المرة - ونقيضًا لذلك - كنا قد تعلمنا فيما مضى ألا وجود هناك، بشكل عام، لمثل هذا التكرار عندما نغيِّر نسق الحجم من متناهى الكبر (الماكرو-) إلى متناهى الصغر (الميكرو-). وعوضًا عن ذلك تولِّد الظواهر عندما ننظر إليها من زاوية أنساق مختلفة من الحجم، توصيفاتٍ متعددة ومعطيات متغيِّرة، وبالتالى، فإن فحص الأشياء من منظورات مختلفة ليس مفيداً فقط، بل وعملاً أساسيًا، متوخين فى ذلك هدفًا معيَّنًا يتمثل فى توحيد الميدان الذى يستطيع الربط بين أنساق الحجم المختلفة هذه، والمواد الوصفية التى تولِّدها.

ومن الواضح أن دراسات الترجمة تعكس هذه الثورة الأخيرة فى المعرفة الاجتماعية والإنسانية، وفى طوع التوسع فى الدراسات التى تنصب على الترجمة أن يتآزر مع تطور هذه الميادين الجديدة المتعددة ونهوجها(جمع نهج) تجاه اللغة البشرية

والنصوص والثقافة وتمديد استبصاراتها كي تشمل عمليات الترجمة ومنتجاتها (=الأعمال المترجمة) وحقيقة الأمر أن لكل تطور يدخل على ميدان اللغة أو النص تأثيراً من نوع ما على دراسات الترجمة - أضف إلى ذلك - أنه بالنظر إلى أن الدراسات التي تتخذ الترجمة موضوعًا لها لا تشمل النظرية وحدها بل والنشاط العملى أيضًا، فلقد أصبحت الترجمة أرضًا خصبة للتطبيقات العملية لكل من النهجين اللغوى والسياقى لدرس النصوص، وليس من المستغرب أن تظهر المعالجات التطبيقية لمعظم المنظورات المتوسعة المختلفة فى المجال اللغوى داخل نطاق دراسة الترجمة، وبالتالى أصبح الباحثون داخل نطاق الدراسات الترجمية أو خارجه يسلِّمون بأن الترجمة فى وسعها أن تطرح معطيات مهمة نستطيع أن نستخدمها فى اختبار الأبنية النظرية التى تتوالد فى كثير من المجالات التى تمسُّها هذه الثورة المعرفية الجديدة، ويتراوح هؤلاء الباحثون والمنظرون من "دبليو. فى. كين" W.V. Quine إلى "هومى بهابها" Homi: Bhabha .

تتغلغل هذه الثورة المعرفية الأحدث عهداً بنسقيها اللانهائيين الجديدين، أيضًا فى قلب النقاش الدائر فى الدراسات الترجمية حول مدى مشروعية النهوج اللغوية فى مقابل نهوج الدراسات الثقافية تجاه موضوع الترجمة. ومن باب السخرية أننا نستطيع أن نقول إن أولئك الذين يعملون فى ميدان الدراسات الترجمية، ممن يؤكدون المشروعية الكلية لأيٍ من النهجين - دون الآخر - يقفون موقف علماء القرن السابع عشر، الذين كانوا ليؤكدون المشروعية الكلية للمنظور الذى وفره الميكروسكوب وحده أو التيلسكوب وحده، رافضين بذلك الاكتشافات التى فض مغاليقها الاختراع الآخر. والسخرية التى ينطوى عليها مثل هذا الموقف واضحة أمام هذه الأزمة، ومع ذلك يصعب على كثير من زملائنا أن يقبلوا بهذين النسقين اللانهائيين اللذين وفرهما زمننا الحالى، ويواصلون إصرارهم على إنكار مشروعية وفائدة أحدهما.

فى الجزء المتبقى من هذا المقال، أود أن أسبر غور السبب المنطقى للبحث، ذاك الذى يربط هذين النسقين اللانهائيين من ناحية وأن أقترح الأخذ ببعض المناهج

العملية التى ستمكننا من القيام بذلك الربط. وإذا كانت مؤثرات عميقة فى ميدان الترجمة مما بحثتها نهوج الدراسات الثقافية تجاه الترجمة قد نجمت عن قرارات دقيقة إتخذها المترجمون، كلمة - كلمة وجملة - جملة ونصًا - نصًا، وهى قرارات نستطيع تحليلها باستخدام الأدوات اللغوية المعاصرة، فإن مناهج البحث فى الدراسات الترجمية سوف تستفيد بشكلٍ عام، من الربط بين هذين المجالين. ولن يكون نادراً أن يغدو من المفيد، بل ولعله من الضرورى فعليًا كذلك أن نتعرف على الخصائص اللغوية لبنية النص وأن نقتفى آثارها - مرة بعد أخرى - فى البنية النصية، حتى نتفهَّم آثار الترجمة بصفتها منتجات لبناء النص وإنتاجه. ولو ظن المرء أن المعطيات المستمدة من نسق آخر من الأجرام سوف يكرر تلك المعطيات التى تولدت عن المستوى الذى يشتغل عليه الباحث، فإن ذلك وحده سوف يجعل هذا الباحث يرفض الأدوات الأخرى فى رؤية موضوع البحث بالإضافة إلى المنظورات الأخرى، إلاّ أن البحث الذى انصب على النصوص خلال نصف القرن الأخير أوضح أن مثل ذلك التكرار - إذا ما حدث - فهو لا يشكل سوى حالة نادرة.

وأعتزم، فيما يلى أن أؤسس الأمثلة التى سأسوقها على مناهج البحث التى يستخدمها الباحثون فى دراساتهم الوصفية للترجمات بصفتها منتجات، عوضًا عن النظر إلى الترجمة باعتبارها عملية، إلاّ أن المبادئ التى سأفصح عنها هنا قابلة للنقل إلى أنواع أخرى من البحث فى الدراسات الترجمية. ولسوف أتخذ من الدراسات الوصفية مجالاً لى، نظراً لأن هذا المجال كان موضوع البحث الذى شرعت فيه، ومن هنا فهو المجال الذى أعرف عنه أكثر مما أعرف عن أى مجالٍ آخر، وأستطيع أن أخوض فيه بدرجة ما من الوثوق.

عند الشروع فى إجراء بحث حول الترجمة (٤)، كما هو الحال فى الدراسات النصوصية، نجد من البديهى أن المرء لن يستطيع فحص معظم النصوص إلى حد الاستنفاد. ومعنى أى نص (سواء أكان شفاهيًا أو مدونًا فى الأصل) بصفته مشغولة يدوية منظمة ومفردة فى سياقٍ اجتماعى، أمر مقرر بشكلٍ مسبق ومفرط، فى عديد

وعديد من النواحي. وبناء عليه فأي نص موسع إنما يُقدم معلومات إلى الباحث أكبر من أن تخضع للتكثيف في "وحدة" أكاديمية عادية - سواء أكانت هذه الوحدة محاضرة تُلقى في فصل دراسي أو ورقة تُقدم إلى مؤتمر، أو مقالة تُنشر في إحدى الدوريات أو فصل يضمَّن في كتاب. ولذلك يتعيَّن على الباحث أن يختار النص الذي سيخضعه للفحص، كما يتعيَّن عليه أيضاً أن يركز بحثه. ويتمثَّل أول وأهم منهج للتركيز أو الاختيار في خطة البحث، كما تقضي المعايير المقبولة في البحوث والدراسات الأكاديمية في معظم الميادين. ومع أن هذا الباحث أو ذاك قد يكرر - في بعض الأحيان - خطة البحث التي سارت على هداها دراسة أخرى أو يلجأ إلى استخدام القواعد المستقرة في ميدان البحث لهدفٍ معين، إلاَّ أنَّ كل مشروع يحتاج - في المعتاد - خطة بحثية خاصة.(٥)

يتمثل أحد الملامح النموذجية لخطة البحث في أن يعرف الباحث ماذا يريد أن يتوصل إليه من وراء بحثه أو ما الذي يتوقع أن يتوصل إليه - أي وجوب أن يبدأ البحث بفرضية ما وأن يتأسس بحثه على فرضية ما.(٦) ومما ينطوي على أهمية كبيرة أن نفرِّق بين ما ندعوه فرضية (٧) وما نسميه نظرية (٨) فالنظرية توفِّر المشق (قارن كوون (Kuhn 1962) الذي تجري في نطاقه برامج بحثية كاملة، وداخل نطاق مثل هذه النظرية أو المشق، تنهض الفرضية كتوسيع محدد للمعرفة التي سيقوم الباحث باختبار مدى صحتها. وإذا لم يكن الباحث على وعيٍ بهذا الفرق وغير مدركٍ لمعنى النظرية - ويقصر تركيزه على الفرضيات - عند بناء خطته البحثية، فهذا لا يعني بالضرورة أن الباحث لا يملك نظرية ما - وعوضًا عن ذلك - يعني أن الباحث يجري بحثه داخل نطاق إطار نظري مسيطر أو مشق متحكِّم قد لا يكون الباحث على وعيٍ كامل به (٩) .

يود المرء - في نطاق الدراسات الوصفية، أن يجيب على أسئلة من نوع ما يلي : ما هي العلاقة القائمة بين ثقافتين عند لحظة زمنية محددة؟ ما هو موقف المترجمين في الثقافة - المصدر و/أو الثقافة المستقبِلة؟ ما هو الأثر الذي تحدثه ترجمة معينة على ثقافتها المستقبِلة؟ ما هو الأثر الذي تحدثه الثقافة - المصدر و/أو السياق الثقافي

المستقبِل (بكسر الباء) على مناهج الترجمة والأعمال المنتَجة (=المترجمات) كيف تحوّر الترجمة وتغيِّر الثقافة – المصدر و/أو الثقافة المستقبِلة (بكسر الباء) وكيف تغيِّر الثقافة المستقبِلة و/أو الثقافة – المصدر؟ ما هى أنماط الخيارات عند الترجمة التى يستطيع المرء أن يفطن إليها، وبعبارة أخرى ما هى النماذج المعيارية التى تبناها خلال سيرورة عملية الترجمة؟ كيف تتقاطع هذه النماذج المعيارية مع الأثر الثقافى للترجمة ومع التوقعات الثقافية التى يجرى فى نطاقها إنتاج المترجمات؟

توفِّر أسئلة من هذا النوع أبنية واسعة، تأخذ فى نطاقها الفرضية المحددة لدراسة حالة إطارَها، وبالتالى تقوم الفرضية بدور المرشد الذى يقود إلى النقطة التى يجب البدء منها والنصوص التى يتعيَّن التركيز عليها. وينبغى علينا أن نلاحظ هنا أن الدراسات الترجمية، مثلها فى ذلك مثل الدراسات النصوصية بصفة عامة، لا تعرف فى المعتاد، فرضية واحدة بذاتها، بل ولعلها تعرف عوضاً عن ذلك عنقوداً من الفرضيات. فخلال البحوث التى قمت بها حول ترجمة الحكايات البطولية (=الملحمية) الأيرلندية القديمة إلى اللغة الإنجليزية، وضعت فرضية تذهب إلى احتمال وجود بعض المناطق العويصة التى تصادف المترجم، فى ضوء سياق التسييس، إلى درجة عالية للترجمة، والاختلافات الملحوظة بين الثقافتين المصدر أى الأيرلندية والمستقبِلة أى الإنجليزية. ولقد شملت هذه المناطق العويصة، فى بدايات فرضيتى، نوع البطولة التى يعرض لها هذا النص أو ذاك والمضمون الجنسى **sexual** والدنسى **scatological** للنصوص والشكل المميِّز للحكاية البطولية الأيرلندية، تلك التى تمزج بين الشعر والنثر و"التشوش" النصوصى الناجم عن الروايات الشفاهية المتعددة التى جرى تسجيلها فى الوثائق المدونَّة (إلى جانب التدهور الناتج عن التاريخ المركب للنصوص وعمر المخطوطات) والروح المرحة التى تميِّز الأدب الأيرلندى القديم. وكان فى وسعى أن أبنى هذه الفرضية المركَّبة على أساس معرفتى بأدب وثقافة الأيرلنديين، فى سياق الاستقبال، بما فى ذلك أعراف الثقافة "الفيكتورية" العميقة التديُّن فى أيرلندا عند إنحناءة القرن العشرين، تلك الأعراف التى قوَّض فى إطارها مناخ الاستعمار الموغل فى عدائه فكرة وجود أدب أيرلندى فى حد ذاتها، وفى إطارها كذلك تبنَّى الأيرلنديون أنفسهم – دون وعىٍ – القيم الاستعمارية.

فى طوع الباحث، فى مسعاه نحو التوصل إلى الإجابة على مثل هذه الأسئلة وفى فحصه تلك الفرضيات، أن يتناول البحث من زاويتين: من الزاوية الماكروسكوبية، أى عن طريق التطلع إلى الصورة الكبيرة، وذلك بتسليط تليسكوب على الثقافة، إذا جاز التعبير، أو من الزاوية الميكروسكوبية، أى عن طريق إمعان النظر فى خصوصيات لغة هذه الترجمة أو تلك، خلال ميكروسكوب، كما هو الحال عليه. وفى نهاية المطاف – مع ذلك – وفى رأيى الخاص نجد أن العمل الأفضل سوف يكشف عن التقاء الطرفين – سواء أكنا نقترب نحو ما هو ماكروسكوبى من زاوية ميكروسكوبية أو العكس – حتى أن المعطَيات التى يتحصَّل عليها المرء من المستوى الماكروسكوبى تجد ما يكمِّلها فى المعطيات القادمة من المستوى الميكروسكوبى.

ولنفترض أن المرء بدأ من زاوية إطار ماكروسكوبى طارحًا بعض الأسئلة الكبيرة، والتى تنطوى على أهمية مثالية مما قد تعد نموذجيًا فى أى نهجٍ يُستخدم فى الدراسات الثقافية.(١٠) فالفرضية هى التى ستحدد خطة البحث، بما فى ذلك نقطة البدء وما هو التعريف الفعَّال الذى يتعيَّن تبنِّيه.(١١) وعندئذٍ ففى أى دراسة وصفية – ولعل طرح الفرضية بحد ذاتها ليس مقصوراً على ترجمة محددة دون سواها – تتبدى المهمة الأولى بكل وضوح، فى تعيين الترجمة أو الترجمات الأكثر اتصالاً بالموضوع والأكثر كشفًا لإخضاعها للبحث. وهنا يجدر بالباحث أن يختار الترجمات استنادًا إلى مدى قدرتها على إبراز القضايا الثقافية والإيدولوجية التى تتصل بالمنطقة الثقافية البينية (=المتداخلة) التى يعرض لها الباحث. وبالتالى فنظراً لأن من المستحيل (وربما مما لا يتصل بالموضوع فى الغالب) أن ندرس إلى حد الاستنفاد النص الكامل؛ لترجمة ما أو أكثر من ترجمة واحدة، فإن المهمة الثانية سوف تتمثَّل فى التقاط الفقرات اليسيرة الفهم التى ستوفِّر للمرء إمكانية فحص فرضيته أو فرضياته.

وبناء عليه، ولكى أعطى نماذج من بحثى الخاص وبحوث طلابى، ففى الدراسة التى أجرتها "مهاسفيتا سينجوبتا" Mahasweta Sengupta حول الترجمات التى قام بها الشاعر الهندى الذى كتب باللغة البنغالية "رابندرنات طاغور" (١٨٦١–١٩٤١)

لشعره بنفسه، ركّزت على تحويل النوع الشعرى فى القصيدة الشعائرية المكشوفة (=المثيرة للشهوة الجنسية) لأنها ارتأت أن مثل هذه القصائد قد تطرح مشاكل متعددة خاصة بالمنطقة الثقافية البينيّة (=المتداخلة) فى السياق الاستعمارى للهند فى مطلع القرن العشرين.(١٢) ولقد اختبرت فى بحثى الخاص فرضياتى عن طريق إدراج فقرة فى حكاية بطولية أيرلندية تحتوى مادة بطولية، ولكن تلك الفقرة كانت تتمتع – هى الأخرى، بالدنس والروح المرحة – وهو الأمر الذى طرح مشاكل نوعية أيضاً فى شكل قصيدة عويصة على الفهم لكنها قوية التعبير.

ومتى حددنا مثل هذه النصوص والفقرات صارت المهمة تتمثّل فى إمعان النظر فى الغرائب والتشوشات اللغوية التى تعكس القضايا الثقافية رهن البحث. وهذه هى النقطة الحقيقية التى يكون المرء عندها قد بدأ فى جمع معطياته، وهنا يتعيّن على المرء أن يصطنع الوسائل التى تمكّنه من تسجيل هذه المعطيات بشكلٍ منظّم. وفى سبيل السعى وراء الأدلة النصوصية، ينبغى على المرء أن يحوز مفكّرة ذهنية أو فعلية للمستويات اللغوية المتعددة التى تحتاج منه إلى المتابعة: الفونولوجيا (=العلم الذى يدرس "فونيمات" اللغة البشرية. المترجم) كما (ينعكس فى الأسماء أو الكلمات المستعارة، على سبيل المثال) المعجم وعلم الدلالات وعلم الصرفيات والنحو grammar وعلم النحويات Syntax والكا – تعابير idioms (= التعابير الخاصة) والمجازات والتدوين واللهجة وهكذا. كما ينبغى على المرء أن يضع فى الحسبان السمات الفيزيائية للترجمة كهدف مرجو فى هذه المرحلة، بما فى ذلك شكل النشر والناشر والسلسلة وسياق النشر، والتكاليف والتجليد والعنوان والصور الايضاحية وطراز حروف الطبع. وأرى – من واقع تجربتى – أن خطة البحث إذا وُضعت بصورة جيدة ووقع اختيار المرء على فقرات خصبة من ترجمات ذات مغزى، فإن المرء يولّد كمية ضخمة من المواد الخام بسرعة نسبية. وعلى سبيل المثال، فى غضون ما يصل إلى أسبوعين أو ثلاثة أسابيع من تحليل الترجمات فى سنة ١٩٧٩، تكوّنت عندى المواد الخام الكافية لرسم مناطق الاختصاص لمعظم المقالات التى نشرتها فى بحر السنوات العشر التالية، وتتصل بترجمة الأدب الأيرلندى إلى اللغة الإنجليزية، وهى المواد التى قامت كأساس لكتابى "الترجمة فى سياق ما – بعد – الاستعمار" (١٩٩٩).

ولعل من المهم أن نكون مستعدِّين لمواجهة مفاجآت فى هذه المرحلة من البحث. فقد يكتشف المرء تأثيرات للترجمة مختلفة عما كان ينتظر من واقع فرضياته أو كان يسعى وراء التوصُّل إليها فى خطة بحثه، وقد يرصد بعضها على المستوى الماكروسكوبى. وعلى سبيل المثال قد يكتشف أن هناك مدلولاً زمنيًا فى نمط عمليات النشر، أو أن هناك تحويرات جسيمة لم تكن غير متوقعة بشكلٍ كامل (لنقل مثلاً الترجمة – صفر) وبالتبادل قد يكتشف المرء عدم وجود تاريخ يدعم فرضيات المرء، وهو الأمر الذى يتطلب إدخال تدقيق على خطة البحث (لنقل مثلاً اختيار نصوص أو فقرات مختلفة داخل النصوص المختارة) أو التخلى عن الفرضية التى بدأ منها المرء جملة وتفصيلاً. وفى نفس الوقت، وكما هو الحال فى معظم البحوث التى تُجرى فى العلوم الطبيعية، فإن غياب النتائج ينطوى عادة، فى حد ذاته على معناه. ويستحق من الباحث فى الغالب الأعم وصفًا مفصَّلاً. ومعنى ذلك أن الدليل السلبى يظل دليلاً، مع أنه قد يكون دليلاً على فرضية مختلفة عن تلك التى حفَّزت البحث فى بداياته الأولى.

وهناك ما هو أكثر نموذجية من غيبة المعطيات فى خطة بحثية محكمة، ألا وهو الوفرة المفرطة من هذه المعطيات التى يتعيَّن عندئذٍ تنظيمها وتحليلها. وفى الغالب يجد المرء أيضًا عناصر نصوصية تعزز فرضيته، دون أن تكون جزءًا من البرنامج الصريح لخطة البحث. فخلال إنشغالى بالعمل فى حكايات "الساجا" Saga (حكاية بطولية طويلة.المترجم) فى الأدب الأيرلندى، على سبيل المثال – لم أشرع بإمعان النظر فى التأثيرات التى تحدثها الترجمة فى ساحة الثقافة المادية أو الاجتماعية، كما لم أخطط لجمع أدلة على تناول الأسماء ، ولكن خلال البحث عن المعطيات التى تتصل بخطة البحث التى كنت ماضية فيه قدمًا ، لاحظت خلال مرورى العابر تفاوتًا غير متوقَّع بين ترجمات تلك العناصر، فبدأت فى جمع معطيات إضافية كذلك، وإن كان بطريقة أقل تنظيمًا وتمثَّلت النتيجة فى نهاية المطاف فى إضافة فصلين آخرين إلى كتابى، ولكن هذين الفصلين لم يكن من الممكن أن أتولى أمرهما إلاَّ بعد مراجعة المواد التى جُمعت خلالها المعطيات الجديدة بصورة منظَّمة. وفى إطار جمع وتقييم الأدلة، يكون من المهم أن نتذكَّر أن الترجمة – صفر للنصوص أو المقتطفات من هذه النصوص تكون فى الغالب على جانب عالٍ من الأهمية، ويلزم ملاحظتها بدقة كافية وتسجيلها.

يتمثّل الطريق البديل إلى بحث من هذا النوع في البدء على مستويات نصوصية ميكروسكوبية، إذ يستطيع المرء أن يفترض على سبيل المثال، أن لغتين تحوزان قاعدتين مختلفتين إلى حدٍ شاسع من المواد، الأمر الذى يجعله يصطنع خطة بحث تهدف إلى تقصّي تلك الاختلافات كما تتضح فى الترجمة، ويكون فى طوع الباحث عندئذٍ أن يفحص بدقة كافية ترجمات محددة فى سبيل استقصاء الغرائب والتشوشات التى تتصل بهذه المناطق اللغوية ويستنطق النمط الناتج فى ظل شروط المغزى الثقافى الميكروسكوبى. وفى وسع المرء أن يسأل، على سبيل المثال: ما الذى تعنيه العناصر النصوصية الضئيلة الشأن فى ظل شروط الوضعية الأيدولوجية والثقافية الكبيرة الشأن؟ وهذا هو الاتجاه الذى أخذته عندما اكتشفت الأنماط البالغة الخصوصية لرسم الأسماء الأيرلندية فى كتاب "إستاندش أوجرادى" Standish O'Grady المعنون بـ "تاريخ إيرلندا: الفترة البطولية" وتحققت من أن الاختلافات الفونولوجية الواسعة بين اللغتين الأيرلندية القديمة والإنجليزية الحديثة هى التى دفعت "أوجرادى" إلى رسمه لتلك الأسماء على ذلك النحو. وفى طوع المرء فى غالب الأحيان أن ينتزع إيماءات ثقافية من مواد، كان المرء ميالاً فى البداية إلى إهمالها بصفتها غرائب عشوائية سقطت من هذا المترجم الفرد أو ذاك، وخلال الانخراط فى بحث يسير فى هذا الاتجاه، يكون من المفيد فى غالب الأحيان أن يحتفظ الباحث بالنقاش الذى يتصل بنظريات التقديم حياً فى ذهنه. وينبغى أن يسأل المرء، على سبيل المثال ما هى صورة النص – المصدر التى يطرحها هذا التقديم النصى للجمهور المتلقى وما هو المغزى الضمنى سواء الثقافى أو الأيدولوجى لتلك الصورة؟ وعندما يسير الباحث بعمله فى هذا الاتجاه، من مستوى الكلمة إلى مستوى المغزى الثقافى، يصير لزاماً عليه أيضاً أن يتذكّر ضرورة الحذر من رمى المترجم بالقصدية: فى وسع المرء أن ينتصر للمعنى وللمغزى اللذين يرجعان إلى عناصر نصوصية معينة، إلاّ أن مثل هذا المغزى لا يشير، بالضرورة إلى قصدٍ إبداعىٍ واعٍ عند الترجمة أكثر مما يفعل فى أى نص آخر. وبالتالى فإن اختيارات الترجمة قد تكون وظيفة من وظائف الأعراف الثقافية وقد تكون الاختيارات النصوصية مسوقة بدوافع غير واعية من جانب المترجم، على نحو ما هو الحال مع أى مؤلف.

تميل الترجمات – مثلها فى ذلك مثل النصوص الأخرى المنظَّمة – إلى أن تكون ذاتية المرجعية، وبذلك تؤسس هى لأعرافها وتقاليدها اللغوية. وبصفتنا قراء، نميل إلى الإحاطة بمثل هذه التقاليد، وهو الأمر الذى يشمل تبنِّيها والتصديق عليها بسهولة نسبية. وهكذا فإن مراننا، كقراء – يعمل ضد قدرتنا على إجراء بحثنا على مايكرو – مستويات (=المستويات الصغرى) للترجمات: يتعيَّن علينا أن نعمل فى الواقع العملى فى سبيل الاستمرار فى نبذ التآلف مع تقاليد ترجمية معينة حتى نستطيع أن نتصور أعراف المترجم واختياراته. ونظراً للميل نحو الخضوع لمرجعيتنا الذاتية بشأن النصوص، فإننا نجد من أشق الأمور علينا – فى الغالب الأعم – أن نحلل أى ترجمة بحد ذاتها بصورة حاذقة، بالرجوع إلى النص – المصدر (=المترجم عنه). على أن المقارنة بين ترجمتين أو أكثر لنفس النص – المصدر أو عدد من الترجمات لأنواعٍ متشابهة من نص محدد قد يجعل أعراف أى ترجمة معينة أدنى منالاً، وبعبارة أخرى أقرب إلى الإدراك.(١٣)

ومتى استكمل الباحث هذه الخطوات، فإن المعطيات التمهيدية تكون قد حُشدت ويكون من باب الحكمة عند هذه النقطة أن نتعرَّف على الأنماط الناشئة التى سيركز الباحث عليها، ثم يرجع إلى النصوص التى ينصب بحثه عليها كى يراجع أو "يشيِّك على" معطياته بشكل منظَّم، حتى يتأكَّد من أنه قيَّد (=دوَّن) بصورة صائبة كل الحالات التى يرتديها هذا النمط أو ذاك، وأنه لم يغفل عن الأدلة المتناقضة، وهكذا، قبل المضى قدمًا فى تحليل المعطيات والنتائج، وعند هذه النقطة يقوم المرء أيضًا بملء الفجوات بصورة منظَّمة فى المعطيات، تلك التى عجزت الفرضية الأصلية عن التنبؤ بها، لكنه اكتشف غيابها خلال عملية جمع المعطيات، مثلما كان الحال فيما يتعلق بترجمة الأسماء فى البحث الذى قمت بإجرائه، كما سبق لى أن نوَّهت.

تعد القابلية للتكرار إحدى أهم مقتضيات البحث العميق فى أى ميدان، ويسرى هذا المبدأ بنفس الدرجة على ميدان الدراسات الترجمية، وهنا يقع على عاتق الباحث الحصيف أن يفحص النتائج التى توصَّل إليها بأن يسعى بصفة شخصية إلى تكرارها فى الواقع العملى – وذلك عن طريق اختبار الفقرات الأخرى التى تتصل بالموضوع من

الترجمات رهن البحث، وإمعان النظر فى ترجمات لنصوص أخرى، تحمل مواصفات ثقافية مشابهة، وهكذا. كما يستطيع المرء أيضًا أن يسعى فى سبيل التحقق من صحة النتائج التى توصل إليها خلال بحثه، عن طريق فحص الوثائق شبه النصوصية كالمقدمات التى يكتبها المترجمون أو التصريحات بشأن الترجمة انطلاقًا من السياق الثقافى والعروض التى تنشرها الصحافة المعاصرة للترجمات المنشورة. ومتى جاء تصديق على صحة النتائج من هذه الإستراتيجيات البحثية المختلفة، فإن مثل هذا التصديق يمد – فى المعتاد – نطاق البحث الأولى كذلك، وهو الأمر الذى يشير إلى وجود دروب أخرى تحتاج إلى الاستكشاف فى النصوص، وتحوز برامج البحث التى تبدأ بخطط جيدة التصميم أسلوبًا مشجعًا فى بناء دوائر إيجابية من التغذية المرتدة، إضافة إلى أنها أخذت تصبح ذاتية التعضيد.

هناك ملاحظة تحذير يحسُن إضافتها فى هذا الصدد حول نوع التصديق الذى يتوقعه الباحث على نتائجه. فلقد أخذ الباحثون يفطنون – بصورة متزايدة – فى الدراسات الترجمية إلى أن استراتيجيات الترجمة ليست متسقة أو خالية من التناقض. وفى ضوء السمات المتونيمية metonymy (استعمال اسم للدلالة على اسم آخر يرتبط به بعض الارتباط كالكأس للدلالة على الخمر. المترجم) لعملية الترجمة – يحبِّذ المترجمون بعض سمات النص–المصدر على حساب غيرها من السمات، تمامًا مثلما يلجأون إلى مناطق معينة من المقاومة فى ترجماتهم فى الوقت الذى يمتثلون فيه للأعراف السائدة فى نواحٍ أخرى. (أنظر تيموكسكو ١٩٩٩ . فى الفصلين الأول والعاشر) وينبغى على الباحثين الذى تنصب بحوثهم على الدراسات الترجمية أن ينتبهوا إلى مثل هذا التضارب، وأن يأملوا فى حسمه خلال عملية البحث، وعوضًا عن نبذ فرضية ما متى ظهر مثل هذا التضارب، ينبغى على الباحث أن يحلل وأن يعلل الطبيعة الشظوية (نعت صناعى من شظايا) لاستراتيجية الترجمة مع تتبع الفرضية.

هناك سمتان مهمتان أخريان يتعيَّن أخذهما فى الحسبان عند وضع خطة البحث فى الدراسات الترجمية، مثلما يتعيَّن ذلك أيضًا فى كافة الميادين الأخرى. تتصل

السمة الأولى بالضرورة بحجم العينة: يتعيَّن أن تُأسس النتائج العامة على عينة كبيرة بصورة كافية كي تبرر أي تمديد للنتائج التي يتم التوصل لها إلى حالات أخرى. على أن إحراز حجم مناسب من العينات ليس عملاً يسيراً بصفة مستمرة في الدراسات الترجمية، وخصوصاً عندما يكون البحث منصبًا على ترجمة فريدة لنص - مصدر، أو ترجمات متعددة لعمل مؤلف واْحد، أو نتاج مترجم واحد وهكذا. ويتمثل أحد الأسباب التي حدتني إلى الاستفادة، في بحثي من مثال Táin Bó Cúilnge، في وجود عشر ترجمات للنص جرت على امتداد الشطر الأكبر من قرن من الزمن، بالإضافة إلى اقتباسات عديدة وتحويرات وإعادة صياغات. وتقدم هذه الترجمات عينة من حجم يكفي للخلوص إلى نتائج جديرة بالاعتماد عليها، وليس هناك سوى قلة من النصوص الأخرى باللغة الأيرلندية التي حظيت بالترجمة بشكل مثابر، على مثل هذا النطاق الواسع . وليس هناك رواية بطولية أيرلندية مطوَّلة أخرى كانت لتصلح على هذا النحو كأساس للبحث.

مبدأ ثانٍ ينبغي وضعه في الحسبان عند رسم خطة البحث في الدراسات الترجمية، مثلما هو الحال في سائر الميادين الأخرى، ويتمثَّل في ضرورة وجود مجموعة تحكُّم. وهذا معيار للبحث يصعب على الباحث في الغالب أن يضمِّنه في خطة بحثه في الدراسات الترجمية، والسبب في ذلك راجع إلى أن مجموعات الترجمات أو المترجمين القابلة للمقارنة مع تلك التي يخضعها المرء لبحثه ، قد تكون قليلة. وفي بعض الظروف (ولنقل مثلاً عندما يكون المرء منخرطًا في البحث في ترجمة واحدة بعينها) لا يعتزم الانشغال بترجمة ثانية لنفس النص سوى تقديم عينة تحكُّم محدودة - بل وعينة تكون أكثر عونًا من استخدام النص - المصدر كنقطة تحكُّم ومرجعية، في ضوء قضية ذاتية - المرجعية التي تحوزها الترجمات على نحو ما أشرت في وقت سابق خلال هذا المقال. وفي بعض الظروف تؤدي مجموعة مختلفة من الفقرات داخل النص -المصدر من تلك التي يخضعها المرء لبحثه - دور مجموعة التوجيه: يستطيع المرء أن ينتقي فقرات محايدة إزاء القضايا الخاضعة للبحث. وفي بعض الحالات يمكن استخدام مجموعة مراقبة من نصوص موازية، سواء داخل نفس الثقافة - المصدر

أو فى أى ثقافة – مصدر بديلة. وفى حالة ترجمات الحكايات البطولية الأيرلندية القديمة – على سبيل المثال – قد يتخذ المرء كـ"مجموعة تحكم" ملحمة "بيوولف" Beowulf (=ملحمة إنجليزية مجهولة المؤلف ترجع إلى سنة ١٠٠٠ من عصرنا المألوف، وتعد بذلك أقدم قصيدة بطولية طويلة بلغة قومية شعبية: الإنجليزية القديمة، فى أوروبا. المترجم) أو"أغنية رولان" La chanson de Roland (= ملحمة فرنسية ترجع إلى سنة ١١٠٠ من عصرنا المألوف. ويسود الاعتقاد بأنها أقدم ملحمة باللغة الفرنسية القديمة. والملحمة مجهولة المؤلف. المترجم) أو حتى حكايات "الساجا" الأيسلندية. وفى ظروف معينة قد نجد مجموعة التوجيه لمثل تلك الدراسة فى نوع أدبى آخر فى نفس الأدب-المصدر. إلاَّ أننى وجدت فى الغالب بالنسبة لذلك النوع من البحث غير الخاضع للقياس الكمى، وهو النوع الأكثر شيوعًا فى الدراسات الترجمية أن من الكافى أن نستخدم نوعًا من شبه مجموعة توجيه، كى نرسم المقارنات مع حالات الترجمة الموازية التى سبق واستقرت فيما أسفرت عنه الدراسات الترجمية، ومثل هذه المقارنات منظومة والأوْلى "ملضومة" على امتداد بحوثى المنشورة حول موضوع الترجمة، وهى البحوث التى جاءت فى جانب منها كى تعوِّض عينة التوجيه التجريبية الأكثر صرامة. ويعد تناول قضايا حجم العينة ومجموعة التوجيه عملاً مهمًا بشكلٍ خاص فى حالات تكون فيها المواد المترجمة على قدرٍ من التشظى والتفرُّق والنقص.(١٤)

لعل من الواضح أن كل ما تطرقت إليه هنا بصورة إجمالية أى دون تفصيل، لا يخرج عن مجرد برنامج تجريبى للبحث. ولكن أن تكون **تجريبيا** لا يعنى أن تكون **موضوعيا**(١٥) وحقيقة الأمر أن كل البحث، بما فى ذلك البحث العلمى ليس سوى بحث ذاتى، متأثِّر بالأفكار والمعتقدات التى تتصل بالمواقف من الموضوع وأطر المرجعيات والتأويلات والمفاهيم الذهنية والمعانى المستقرة، وهذا هو التصوُّر الذى قوَّض المذهب الفلسفى المعروف باسم "الوضعية" فى العقود (عقد = عشر سنوات) الأولى من القرن العشرين. وفى العلوم الطبيعية ارتبط – بصورة خاصة – الانصراف عن الموضوعية بصعود مبدأ اللايقينية الذى نادى به "هايزنبيرج" Heisenberg ، وهو المبدأ الذى يتصل بتأثير الملاحظ وعملية الملاحظة ذاتها على المعطيات الخاضعة للملاحظة

الدراسـات التى تناولت الجـسـيـمـات دون – الذرية sub-atomic ونظرية "جـودل" Gödel "اللااكتمالية" التى تتصل بأطر المرجعية فى الرياضيات. وعلاوة على ذلك فمنذ الحرب العالمية الثانية أفصح علماء الطبيعيات عن آرائهم فى قضايا تتصل بالذاتية، حيث طالبوا بإلحاح – على سبيل المثال – بضرورة الوعى بالوضعية الاجتماعية للبحث العلمى والنتائج العلمية، وشددوا على أهمية مراعاة المسئولية الاجتماعية فى البحث. وقادت آراء علمية مشابهة إلى نشوء أزمة التمثيل فى كل من علمىْ الإنسانيات (=الأنثروبولوجيا) والعرقيات (=الإثنوجرافيا) فى القرن العشرين، إلى جانب إعادة النظر فى البحث الأساسى فى العلوم الاجتماعية والتاريخ إلخ.(١٦) ولم تكن الدراسات الترجمية بعيدة عن مثل هذه القضايا، وقد ينطوى الأمر على مفارقة زمنية بل وذهنية خطيرة، عندما يصبو المرء إلى أن يكون "موضوعيا" فى نطاق بحثه. ومع ذلك فبوسع المرء بل وينبغى عليه أن يصبو إلى اكتساب وعىٍ ذاتىٍ بشأن موقع موضوعه ومدى تأثيره على برنامج البحث(١٧)، فضلاً عن استنطاق افتراضاته المسبقة. وفى طوع المرء بل وينبغى عليه أن يحاول أن يكون عضواً مسئولاً فى المجتمع الإنسانى ككل، فضلاً عن امتلاك قيمٍ نبيلة داخل نطاق إطار المرجعية الأكبر الذى أتقنه. وحتى فى ظل هذه الأمور فلا مناص من إجراء البحث داخل أطرٍ ثقافية واجتماعية – بما فى ذلك الأدوات الثقافية القياسية للنماذج والنظريات والأمشاق – وهو الأمر الذى يقوِّض "الموضوعية" البحتة (قارن "كوون" ١٩٦٢). وفى هذا الصدد، وفى حقيقة الأمر قد تكون الدراسات الترجمية على قدر من التميُّز بالمقارنة مع كثير من الميادين، بما فى ذلك معظم العلوم الطبيعية. فالدراسات الترجمية تشمل بصورة نمطية ليس البحث وحده بل وما – وراء – البحث فى سيرورته كذلك. ومن هنا فإن الميدان يشجِّع بحد ذاته على استنطاق أطر المرجعية، بما فى ذلك أطر الباحث، وهو الأمر الذى يجعل – على سبيل الاحتمال – تحيُّزات المرء ملموسة بصورة أكبر كما يجعل إمكانية توسيع إطار مرجعية المرء أكبر.

هناك علاقة تبادلية بين النظرية والبحث، جرت الإشارة إليها بصورة إجمالية دون تفصيل فى منهج البحث رهن النظر. فالنظرية توحى بالفرضيات التى تقود خطى البحث، ولكن النتائج التى يتوصل إليها البحث تعود بدورها كى تستنطقها أى النظرية

(= تقلبها على وجوهها المختلفة) وترفع شأنها بل وتنقِّحها. وفى طوعنا أن نعبِّر عن هذه العلاقة التبادلية فى عبارة "تشالز بيرس" Charles Peirce حول الأشكال الثلاثة للتسبيب (= التعليل) المنطقى: الاستدلال والقياس abduction والاستقراء.[١٨] فخلال عملية الاستدلال يقود - بمعنى من المعانى - إطار نظرى للبحث إلى المسلمات الأولية التى يؤسس البحث عليها، فى سبيل تخليق النظرية التى توجِّه عملية بناء خطة البحث إنطلاقًا من هذه المسلمات.[١٩] وبالتالى يقوم الباحث بجمع المعطيات التى تتصل بالفرضية وخلال استقراء المعطيات - يختبر الباحث عندئذٍ الفرضية - وفى نهاية المطاف النظرية التى تقف وراء هذه الفرضية كذلك. وهكذا يغدو برنامج البحث الصارم ذاتى الانعكاس بصورة متضمنة فى أصل البحث نفسه، وهو الأمر الذى ينشد التوافق بين النظرية والمعطيات خلال العرض على الأشكال الثلاثة للتسبيب (= التعليل) كما فصَّلها "بيرس".[٢٠] ولسوف تكتسب عملية الانعكاس الذاتى هذه مزيداً من القوة إذا ضفَّر الباحث كلاً من الاهتمامين الميكرو - والماكرو - مع النهجين عند كل مرحلة من مراحل البحث وعند كل مستوى من مستويات التسبيب (= التعليل) المنطقى.

فى طوعنا تعميم معظم ما قلت هنا، مع أننى استقيت أمثلتى من الدراسات الوصفية فى موضوع الترجمة، إلى أنواع أخرى من البحث فى الدراسات الترجمية كذلك، بما فى ذلك البحث التجريبى حول عمليات الترجمة. وأعتقد أن ما ذكرته ينطوى على مغزى أو آخر بالنسبة لعلم التربية كذلك. وبكل تأكيد عندما يفتح نسقان لانهائيان جديدان مغاليقهما أمامنا، يكون من باب فساد الرأى أن نقصر تعليمنا لطلابنا على أدوات واحد وحسب منهما دون الآخر. فعندما يعلم المدرس كيفية البحث فى ميدان الترجمة، فإنه يحقق لطلابه أكبر فائدة عندما يدربهم على التطرق لنطاق واسع من القضايا واصطناع نماذج لكيفية ربط الفحوصات الميكروسكوبية بتلك الماكروسكوبية، مستخدمًا فى ذلك نسقى الحجم، بصفتهما مجالين يعزز كل منهما الآخر فى سبيل ضمان نتائج صلبة قادرة على الصمود أمام كل تحدٍ تصادفه. وعلى نفس المنوال يكون مفيداً عند تعليم الطلبة كيف يترجمون أن ندرِّبهم ليس على استخدام التكنيكات الميكرسكوبية وحسب بل وأن نفتح عقولهم على تقييم النسق اللانهائى الآخر أى

الماكروسكوبى، حتى يستطيعوا أن يُسلِكوا بأفضل ما فى طاقتهم عمليات ومنتجات الترجمة التى ينكبُّون عليها هم أنفسهم فى سياقاتها الصحيحة، ونرشدهم حتى يستوعبوا المضامين الثقافية لما يقع عليه اختيارهم لترجمته وحتى يختاروا اختيارات حسنة. وهذا لن يسمح لهم بمجرد توفير خدمة أفضل لجمهور المتلقين الذين يستهدفون الوصول إليهم بل وأن يكتسبوا وعياً ذاتياً بالتزاماتهم وانتماءاتهم الأيدولوجية كذلك.

أود أن أختتم مقالى بأن رفض استخدام كلا النسقين اللانهائيين اللذين فتحا مغاليقهما فى عصرنا الحاضر فى فحص وتحليل النصوص والثقافات يعد مدعاة للسخرية، وتعد الخطوة الخطيرة التى يخطوها أولئك الذين يعملون فى ميدان الدراسات الترجمية، ممن يسعون إلى فصل الدراسات الثقافية بوجه عام عن علم اللغويات – أو العكس بالعكس – نوعًا من أنواع ذلك الرفض. فهذه الخطوة ترقى إلى حد إرتداء المرء "غُما" يحجب النور عن عينيه طوعًا لا كرهًا، وهو الأمر الذى يوازى رفض كل رؤية وكل منظور توفره الأدوات البصرية البديلة. وبذلك يشبه الأمر أحد معاصرى "جاليليو" ممن استعملوا التليسكوب أو الميكروسكوب لكنه ينكر مشروعية الظواهر التى تكشفها الأداة الأخرى. وإذا كانت فرضية المرء صحيحة، فإن المنظورات المختلفة التى ترتبط بأنساق الحجم المختلفة ينبغى أن "تتعازز" أى تعزز كل منها الأخرى بصورة متبادلة، وبذلك تعمل فى تأكيد وتثبيت النتائج التى خلص إليها المرء. وليس هناك سوى أقل القليل مما يُخشى فى هذا الصدد، اللهم – ربما – سوى جهل المرء نفسه بنطاق ومدى قوة الأدوات والتكنيكات التى جدَّت فى النسقين اللانهائيين اللذين فضَّا مغاليقهما فى إطار الثورة المعرفية التى عرفها عصرنا.

وأعتقد أن اتخاذ خطوة الرفض عمل مؤسس على الحقيقة التى تقول بأننا لم نحكم سيطرتنا بعد على الأنساق والمناهج الجديدة التى ابتدعها الرواد فى النصف الأخير من القرن العشرين على وجه الخصوص، وفى بعض الحالات تعوزنا حتى أسماء محددة للنهوج المختلفة إلى النصوص، ودع عنك مبادئ التصنيف العلمى للأنساق التى ستسمح للطلبة والمدرسين على حد سواء أن يجروا مسحًا لميدان المناهج

والأدوات التى يتعين عليهم إتقانها وإحكام سيطرتهم عليها، وكل هذا يتعقد خلال التكنولوجيات التى تتغيَّر بصورة متسارعة وتتقاطع فى الغالب مع اتساع المنظورات الذهنية. وقد يستغرق الأمر منا بعض الوقت كى نفرز كل ذلك، إلاَّ أن الوعى بموقعنا بين النسقين اللانهائيين هو الخطوة الأولى فى حسم القضايا التي تواجهنا وفى اختبار قدرتنا على القيام ببحث فى ميدان الدراسات الترجمية مستخدمين فى ذلك أقوى ما نملك من وسائل متاحة.

الهوامش

(١) لمزيد من الاطلاع حول الإشارات إلى علم البصريات و"جاليليو" التى وردت فى هذا المقال، أنظر: Drake (1980) and Encycloedja Britannica (15th ed.) entries on "Gale-lio","Medicine.History of".Optical Engineering",and "Optics.Principles of".

(٢) قارن: Encyclopedia Britannica 7.851; Drake: 70

(٣) Encyclopedia Britannica 7: 852.

(٤) استخدم لأهداف تخص هذه الورقة، التعريف البالغ الاتساع للترجمة الذى قال به "جديون تورى" Gide-on Toury : "الترجمة سوف تكون أى نص فى أى لغة مستهدفة، يُقدّم أو يُعامل على هذا الأساس داخل نطاق النسق المستهدف ذاته على أى أسس من أى نوع كان" (Toury 1982:27;cf.Toury 1980:14,37.43-45) فمثل هذا التعريف الواسع الضفاف هو الذى يستطيع أن يشمل البحث فى الدراسات الترجمية ككل، وهو البحث الذى يشكل موضوع هذه الورقة. وكان صوغ "تورى" لهذا التعريف (و هو بصفة جزئية عبارة عن توليفة لأعمال السابقين عليه فى هذا المجال) أحد الإختراقات الكبرى التى أدت إلى تفجر البحث فى الدراسات الترجمية خلال السنوات العشرين الأخيرة. وعلى نحو ما أشار "بايم" (Pym (1998:ch.4 – مع ذلك – ففى معظم الحالات يجرى تضمين تعريف الترجمة أشد إحكاماً فى خطة البحث، كى يحدد المرء ميدان الدراسة ويعيّنه، وهذا موضوع سوف أعود لمناقشته بتفصيل أكبر فى وقت لاحق. وللاطلاع على مناقشة أخرى حديثة العهد حول مسألة التعريف، أنظر "هيرمانز"Hermans .

(٥) أود أن أكد على انتقادات "هيرمانز" (١٩٩٩ : ch.5) حول البرامج الشمولية والمستبدة للبحث التى بوشرت فى الدراسات الترجمية. فمثل هذه البرامج قد تخلّق كمّا هائلاً من المعلومات، إلاّ أن كثيراً مما يُخلّق قد لا ينطوى على فائدة كبيرة فى معالجة المسائل التى تتصل بنصوص وسياقات معينة. ونادراً ما تكون مناهج ميكانيكية وشمولية من هذا النوع بناءة فى البحث فى مجال الإنسانيات، أكثر مما هى عليه فى مجال العلوم الطبيعية والاجتماعية، ونادراً ما تستحق النتائج التى يقود إليها ذلك المجهود الذى تتطلبه. وكما لاحظ "بايم" (١٩٩٨:٤٩–٥٠)لا يحتاج المرء إلى أكثر من معلومات تكفى بالكاد لتأكيد أو نفى الفرضيات التى تتصل بصميم الموضوع وتحكم البحث الذى يجريه. ومع أن الخطط التى تعتمد على برامج دقيقة قد توفّر تذكرة جيدة لما ينبغى للمرء ألاّ يغفل عنه، إلاّ أنها لا تستطيع أن تقوم مقام تخليق خطط بحثية محددة تتصل اتصالاً وثيقًا بكل مشروع معين على حدة.

(٦) في طوعنا أن ننخرط في مناقشة المنهج العلمي طالما وصلنا إلى هذه النقطة، بهدف تسويغ هذه العبارة، إلاّ أنني أفترض أن قراء هذا الكتاب يدركون أن البحث ليس نزهة في الهواء الطلق، يتصادف خلالها أن يعثر المرء، بصورة عرضية، على وجهات نظر شيقة.

(٧) ورد لها في "قاموس التراث الأمريكي": American Heritage Dictionary هذا التعريف: "قول قابل للتحقيق أو البرهنة على صحته" بما في ذلك "تخمينٌ يفسِّر داخل نظرية ما أو أي إطار نظري آخر، مجموعة من الحقائق، ويمكن استخدامه كأساس لمزيد من الفحص والتحقيق".

(٨) جاء لها في "قاموس التراث الأمريكي": American Heritage Dictionary هذا التعريف: "نسق من الافتراضات والمبادئ المقبولة والقواعد الإجرائية التي تُصطنع للتحليل والتنبؤ، وعلى نحو آخر شرح طبيعة أو سلوك مجموعة معينة من الظواهر" وأولئك الذين يشيرون إلى الحاجة الماسة لـ "نظرية متماسكة" تخص كل مشروع بحثي يعجزون عن رؤية الفرق بين النظرية والفرضية: أنظر "هيرمانز" (٧١:١٩٩٩) للاطلاع على انتقادات أخرى لمفهوم "النظرية المتماسكة".

(٩) يلاحظ "هيرمانز" (٣٤:١٩٩٩) أن الباحث لا يستطيع أن يجري ملاحظة مركزة دون نظرية تخبره بما يبحث عنه وكيف يقيِّم مغزى ما يخضعه للملاحظة.

(١٠) أود أن أفصح عن تأييدي لإصرار "بايم" (١٩٩٨: ch.2) على ضرورة إجراء البحوث استناداً إلى مدى الأهمية، وأن تكون الأهمية معياراً قائداً لتقرير مسألة الاشتغال بالبحث العلمي من الأصل.

(١١) يميل الباحث إلى تبني التعريفات الفعالة على مستوى خطة البحث، سواء أكان البحث الذي يقوم به المرء ينطوي على عدد كبير أو صغير من الترجمات. هنا يثبت "بايم" أنه كان مصيباً (١٩٩٨: ch.4) عندما قال بضرورة التعريفات الفعالة لتحديد نطاق البحث، ولكن الصواب لم يحالفه في الهجوم على التعريف النظري الذي نادى به "توري" للترجمة، وهو التعريف الذي صاغه "توري" في أعماله الأولى) على أن الأهمية التي أعلقها على التعريف الأول للترجمة تتمثل في أنه تعريف نظري: يرسم حدود الوضع اللازم لقبول نطاق عريض من الترجمات في الدراسات الترجمية، وهو الأمر الذي يسمح لمعاملة أي تعريف للترجمة في أي ثقافة بصفته صحيحاً ومشروعاً بنفس الدرجة. وهذا التعريف يصلح للعمل على مستوى النظرية، وعلى مستوى الفرضية التي ينطلق منها البحث، ومع ذلك فأي باحث قد/و ربما يتعيَّن عليه في الغالب أن يحدد نطاق بحثه لأسباب عملية. وفي نفس الوقت، يجب على الباحث أن يجعل حدود بحثه واضحة دون أدنى التباس أمام نظر القارئ ومتلقي البحث.

(١٢) See Sengupta (1990,1995)

(١٣) قارن "بايم" (١٩٩٨ :١٠٦ff) الذي يرى أن مقارنة الترجمات أكثر فائدة من مقارنة النص – المصدر والنص – المستهدف.

(١٤) هناك استثناء يؤكد القاعدة: إذا كانت بنية الفرضية التي يتتبّعها الباحث تسعى نحو إقامة مثال مضاد للوضع الذي اتخذه كأمر بديهي سواء نظريا أو تجريبيا في الدراسات الترجمية، إذن يكون من الواضح أن دراسة حالة واحدة أو عينة غاية في الضآلة أمر كاف. ومثل هذه الفرضيات تتوازى مع بعض أشكال البرهان الرياضي أو المنطقي، حيث يستطيع مثال واحد مضاد إما أن يهدم أو يقيم نظرية مفترضة (إذا كان للحجة نفسها أن تمضي قدماً بتخيُّل الحالة العكسية).

(١٥) يحدد "قاموس التراث الأمريكى" American Heritage Dictionary "التجريبى" على هذا النحو: "ذاك الذى يعتمد على أو يجرى اشتقاقه من "الملاحظة أو التجربة" بينما "الموضوعى" هو المنسوب لـ أو الذى يتصل بشىء مادى متميِّز عن كل مفهوم ذهنى أو فكرة أو معتقد".

(١٦) انظر النقاش الذى دار فى أعمال "هيرمانز" (١٩٩٩: ٥٠-١٤٤) حول سمات البحث فى الدراسات الترجمية والميادين الأخرى، تلك التى تجعل منها جزئية وبالتالى ذاتية. ويحتج "هيرمانز" بأن غياب خط تقسيم واضح بين المستوى - الشىء object-level والمستوى - الماورائى meta-level يعد ملمحًا خاصا بالدراسات الترجمية، وهو الأمر الذى ينتقص من موضوعيتها، إلاَّ أن خبرتى تشير إلى أن أصناف الحجج نفسها فى طوعها أن تمتد إلى معظم الميادين الأخرى بما فى ذلك العلوم الطبيعية، بل وحتى إلى الرياضيات نفسها، فى بعض الحالات. وينبغى النظر إلى الحجة التى ساقها "لوومان" Luh-mann وناقشها "هيرمانز" - بمعنى من المعانى - بصفتها نوعًا من أنواع التكرار المكثَّف لنظرية "جودل" المعروفة باسم "اللاإكتمالية" التى طبَّقها على الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، ولهذا السبب، كنوع من أنواع التعبير عن مسألة رفيعة بلغة غير المتخصصين، تلك التى نجحت فى تحديدها بصورة أكثر صرامة فى ميادين مثل الرياضيات والفيزياء.

(١٧) يحتج "بايم" (1998: 27 ff.,123-24 and passim) بأن ذاتية الباحث مهمة نظرًا لأنها هى التى توحى له بالقرار الذى يتخذه بشأن العمل فى موضوعات معينة وباختياره للموضوعات التى تعد مهمة بالنسبة للحاضر.

(١٨) للاطلاع على ملخَّص مناسب لهذه السمات التى يتسم بها فكر "بيرس"، انظر "جورليه" Gorlée (1998:42ff).

(١٩) أحد الأسباب التى تجعل بعض الأبحاث المبرمجة التى تجرى فى ميدان الدراسات الترجمية تبدو وكأنها تخرج بنتائج "مسطحة" قد يكون غياب القياس - وبالتالى روح الإبداع - مما يرتبط بصياغة الفرضية المحددة التى ستخضع للاختبار.

(٢٠) يعد المجال الذى سيغطيه البحث، هو الآخر عاملاً جوهريا فى بناء نظرية صلبة قابلة للتطبيق على الحالة العامة أو الجزافية، عوضًا عن قصرها على التقاليد الاجتماعية السائدة لسياق الباحث، وفى سبيل الاطلاع على طرح أكثر تفصيلاً لهذه النقطة، انظر: Tymoczko(1999:32ff) .

الفصل الثانى سعيًا وراء منهجية انتقائية لتوصيف الترجمة

إدواردو كريسافوللى Edoardo Crisafulli

خلاصة :

أنتصر فى هذا المقال لصالح اللجوء إلى منهجية انتقائية فى الدراسات الترجمية، تقوم على التوفيق بين النهجين التجريبى - الوصفى والتفسيرى - النقدى، مع أن النهج الأول يركز على المناهج شبه - العلمية أما النهج الآخر فيسعى فى سبيل فهم تاريخى - تفسيرى للترجمة، ويحتج البعض بأن الدراسات الترجمية الوصفية ينبغى أن تقدم تنازلاً حاسمًا وتقر بدور عملية التقييم فى مجال الترجمة والرؤية المحددة للتجريبية التى تعزز النهوج الوصفية المتَّبعة فى الوقت الحاضر - التجريبية المنطقية - رؤية خاطئة طالما تشجِّع نهوض مفهوم وضعى خالى - القيمة للبحث. من جانب أخر تقر التجريبية التاريخية - من جانبها - بدور التقييم فى البحث، ومع ذلك فالمنهجية الانتقائية تتطلب منا أيضًا أن نتجاوز التفكير الذى يهتدى بالأنساق وبحثه عن تناسقات منمَّطة (أو سلوك تحكمه الأعراف السائدة) . ويرى البعض - على وجه خاص - أنه ينبغى على الدارسين فى مجال الترجمة أن يوفقوا بين التحليل الكمى (الذى يركز على التناسقات المنمَّطة) وبين التحليل الكيفى (الذى يتناول الاختيارات الشخصية - الأيدولوجية) وإذا كان لنا أن نتوصَّل إلى هذه المنهجية الانتقائية، صار لزامًا علينا أن نعزز الدراية المصقولة أو القدرة التفسيرية للدراسات الترجمية، ولكن هذا يتطلب من الدارسين الذين يتبعون المنهج التجريبى - الوصفى أن يبرزوا إلى صدر الصورة المترجم بصفته إنسانًا والقضايا التفسيرية التى تتصل بعملية الترجمة.

(١) تعارض مزيَّف: نهوج تجريبية – وصفية مقابل أخرى تفسيرية – نقدية

تكمن الأزمة الآخذة بخناق الدراسات الترجمية فى الوقت الحاضر فى الافتقار إلى أطر منهجية انتقائية تكون قادرة على التوفيق بين نطاق واسع من البواعث التى تحرك الباحثين، على أن الإعلان عن قصد المرء فى الأدب النقدى إنما يؤكد الحاجة إلى تجاوز كل منظور مفرد وأى نسق واحد بحد ذاته، ولكن لا يزال أمامنا شوط آخر ينبغى علينا أن نقطعه قبل أن يستقر عندنا وجود نهجٍ انتقائيٍ كاملِ النمو. وفى نفس الوقت لا يستطيع أى تفكير رصين فى الانتقائية أن يمضى قدمًا مع تجاهل التحفظ الذى أفصحت عنه "منى بيكر" Mona Baker "على هذا النحو يتعين على الدارسين فى موضوع الترجمة أن يعترفوا بعدم وجود أى نهج يستطيع بحد ذاته، ومهما كان بارعًا أن يقدم إجابة شافية على كافة الأسئلة التى تُثار داخل إطار النسق أو الأدوات، والمنهجية التى يتطلبها إجراء البحث فى كافة مناحى الدراسات الترجمية (١٩٩٨: ٢٨٠).

ويذهب رأيى إلى إمكانية تخليق نهج انتقائى يستطيع التوفيق بين النظرات الثاقبة التى أفصح عنها كل من "جديون تورى" Gideon Toury(1995) و"منى بيكر" (١٩٩٣، ١٩٩٦) و"أندريه لوفيفر" André Lefevere(1992) و"أنتونى بايم"(١٩٩٨) و"سوزان باسنيت" Susan Bassnett (1991) و"لورنس فينوتى" Lawrence Venuti (1998، ١٩٩٥) و"ثيو هيرمانز" (١٩٨٥، ١٩٩٥، ١٩٩٩) ومع ذلك فيبدو أن أولئك الباحثين يملكون نهوجًا منهجية مختلفة بصورة كاملة.[1] فمنهجا كلٍ من "تورى" و"بيكر" الاستقرائيان شبه العلميين (اللذان يتطلبهما البحث عن الاتساقات المنمَّطة) يتعارضان مع تركيز "بايم" على المترجم الإنسان والبحث التاريخى بصفة عامة، أما الاحتفالات الأيدولوجية من جانب كلٍ من "لوفيفر" و"فينوتى" و"هيرمانز" بـ "المعالجة" أو دور الوساطة الذى يتكفل به المترجم فيحتاجان *إلى* نهجٍ تفسيرى – نقدى عوضًا عن نهجٍ علمى بحت.

فى هذا المقال أريد أن أحتج بأن التعارض المزيَّف، فى رأيى الخاص، بين النهجين التجريبى – الوصفى والتفسيرى – النقدى ليس سوى عقبة على الدرب الذى

يقود إلى المنهجية الانتقائية فى الدراسات الترجمية. والواقع أن الاختلاف بين التجريبيين - الوصفيين ("تورى" و"بيكر") ومؤرخى الترجمة ("بايم" و"لوفيفر" و"باسنيت" و"فينوتى" و"هيرمانز") يتصل بالقضايا المنهجية بصورة أكبر من الأسس الفلسفية، ومن بين الأسئلة وثيقة الصلة بعمل كل الباحثين فى مجال الترجمة ما يلى: ما هو الدليل الذى نعده كافيًا فى نطاق البحث فى موضوع الترجمة؟ هل هو نص مستهدف وحيد؟ أو جسمور (= مجموعة) من النصوص "الممثِّلة"؟ هل فى طوعنا أن نصمم جسمورًا من النصوص بحيث يغدو جيِّد "التمثيل"؟ عندما نصل إلى اتفاق ما حول طبيعة الدليل عن طريق وضع جسمور مناسب، فأى ملامح للأداء فى مجال الترجمة فى طوعنا أن نعزلها كملامح وطيدة الصلة بالموضوع أو مفيدة لمعنى ما؟ هل نبحث عن اتساقات الأداء أو حالات الإبداع من جانب الترجمة؟ هذه هى الأسئلة التى سأحاول الإجابة عليها فى هذا المقال.

قد يكون فى وسعنا أن نوفِّق بين النهوج المنهجية المختلفة فى الدراسات الترجمية فى سياق مبدأ إبستمولوجى موحَّد - التجريبية - طالما وسَّعت الدراسات الترجمية الوصفية من نطاقها وأخذت فى اعتبارها الملاحظات التى يبديها مؤرخو الترجمة. ولقد ساق "جيوليو بريتى" Giulio Preti قبل ربع قرن، حججًا مقنعة بأننا نستطيع التوفيق بين النهوج التجريبية وتلك التاريخية: للبحث التاريخى سمة فلسفية (مثال: تفسير الفاعلية والسببية أو العلِّية أى الربط بين الأسباب والنتائج فى سياق معين) وهو الأمر الذى يحتاج إلى التيقُّن تجريبيًا من صحته، بينما لا يستطيع البحث التجريبى تجاهل الأحكام التقييمية التى تميِّز الدراسات التاريخية - وقد تمثِّل "الوقائع التى يمكن رصدها خلال الملاحظة" نقطة الانطلاق بالنسبة للتجريبيين، ولكن تفسير الباحث هو الذى يفرض نسقًا مفهوميًا (من مفهوم) على الوقائع، وهو الذى يقيِّم مغزى المعطيات التجريبية فى المقام الأول ("بريتى"١٩٧٥: ١٥٥) (Preti 1975:155) .

وبناء عليه فإننى لا أعتقد أن "الانحياز التجريبى للنهج الوصفى" يعد بحد ذاته per se شائبة أو خللاً، كما يبدو أن "هيرمانز" (١٩٩٩:٤٤) يريد أن يقنعنا، وعوضًا عن

ذلك تتمثّل إحدى المشاكل الكبرى التى تكتنف النهوج التجريبية - الوصفية فى الوقت الحاضر، فى رؤيتها الاختزالية (العلمية - الوضعية) للبحث التجريبى (ولسوف أناقش فى وقت لاحق المشكلة الأخرى التى تأخذ بخناق الدراسات الترجمية، وأقصد بها: اعتمادها على تفكير موجّه من جانب نسق أو آخر) مما يميِّز "التجريبية المنطقية" (نوريس ١٩٩٧ :٦٧) (Norris1997:67) بدلاً من التجريبية دون زيادة tout court . وتفترض التجريبية المنطقية انفصالاً حاسمًا بين الذات والموضوع والتقييم، وترى أن هناك تناظرًا بين العبارات والفرضيات التنبؤية إلخ من جانب ومن جانب آخر "حالة معنوية (قابلة للملاحظة) من شأنها أن تُسند إليها قيمة صدق محددة ("نوريس" ١٩٩٧ : ٧٢) وكان أن قوبلت هذه الرؤية التجريبية بالهجوم فى دوائر فلسفية عديدة لأنها"عجزت عن تفسير الكيفية التى يمكن للملاحظة أن تجرى خلالها أصلاً - أو ترتدى شكلاً واضحًا - فى ظل غياب "خطة أونطولوجية" (=حقيقية الوجود) أى نظرية ما تكون سابقة الوجود لما ينبغى إعتباره تقريرًا مناسبًا (أى مقبول علميًا) فى الملاحظة العلمية. (المرجع السابق) .

لا تتطلب منا الرؤية الرصينة المصقولة للتجريبية، تلك التى تأخذ فى اعتبارها البعد التفسيرى - أقترح لها مصطلح "التجريبية التاريخية" - أن نعتقد بأن الوقائع قابلة للملاحظة بصورة مباشرة وموضوعية، كما لو أن لا وجود هناك لأى نظريات سابقة الوجود أو توقعات تقود اختيار هذه الوقائع مثلما تقود تصنيفها. غير أن رفض التجريبية المنطقية لا ينطوى على أننا مجبورون على اعتناق شكلٍ راديكالى من أشكال الشكية الإبستمولوجية epistemological skepticism (=المعرفية) ولعلى أتفق مع موقف "كريستوفر نوريس" المناهض للنسبية، وكان قد رفض تبنى رؤية ضيقة للبحث التجريبى، إلاَّ أنه أوضح بما لا مزيد عليه أن النزعة الما - بعد - بنيوية -poststructual ism مخطئة فى رفضها "قضايا الصدق والمشروعية والمنهجية" بصفتها من "مخلفات مشقٍ "وضعى" عفا عليه الدهر، مع "أجندته" (= جدول أعماله) "الأيدولوجية المقنّعة" . (Norriss 1997:7)

تقف القضايا المنهجية فى طليعة القضايا التى تتعلق بالدراسات الترجمية. ولكننى سوف أركز هنا على النهوج التجريبية - الوصفية، وذلك لأننى أرى أن نعزز قدراتها التفسيرية ومصقوليتها النظرية داخل نطاق رؤية انتقائية للدراسات الترجمية. وفى هذا الصدد تقف النهوج التاريخية على أرضٍ أشد صلابة: يقع التقييم والتفسير فى قلب الدراسات التاريخية. ولعلى أهدف من وراء اقتراحى اعتماد الانتقائية أن أرمى ماء الاستحمام (الإنحراف الوضعى للدراسات الترجمية الوصفية) دون رمى الطفل المستحم معه (الصرامة المنهجية والتجريبية وفكرة البحث العقلانى والمُمَنْهج). وتهدف خطة المنهجية الانتقائية إلى عبور الفجوة بين النهجين التجريبى - الوصفى والتفسيرى - النقدى (أو التاريخى) إذا تأتّى لها أن تسلِّط أسطع الأضواء على ظاهرة الترجمة.

(٢) التوصيف والتقييم فى البحث فى ميدان الترجمة

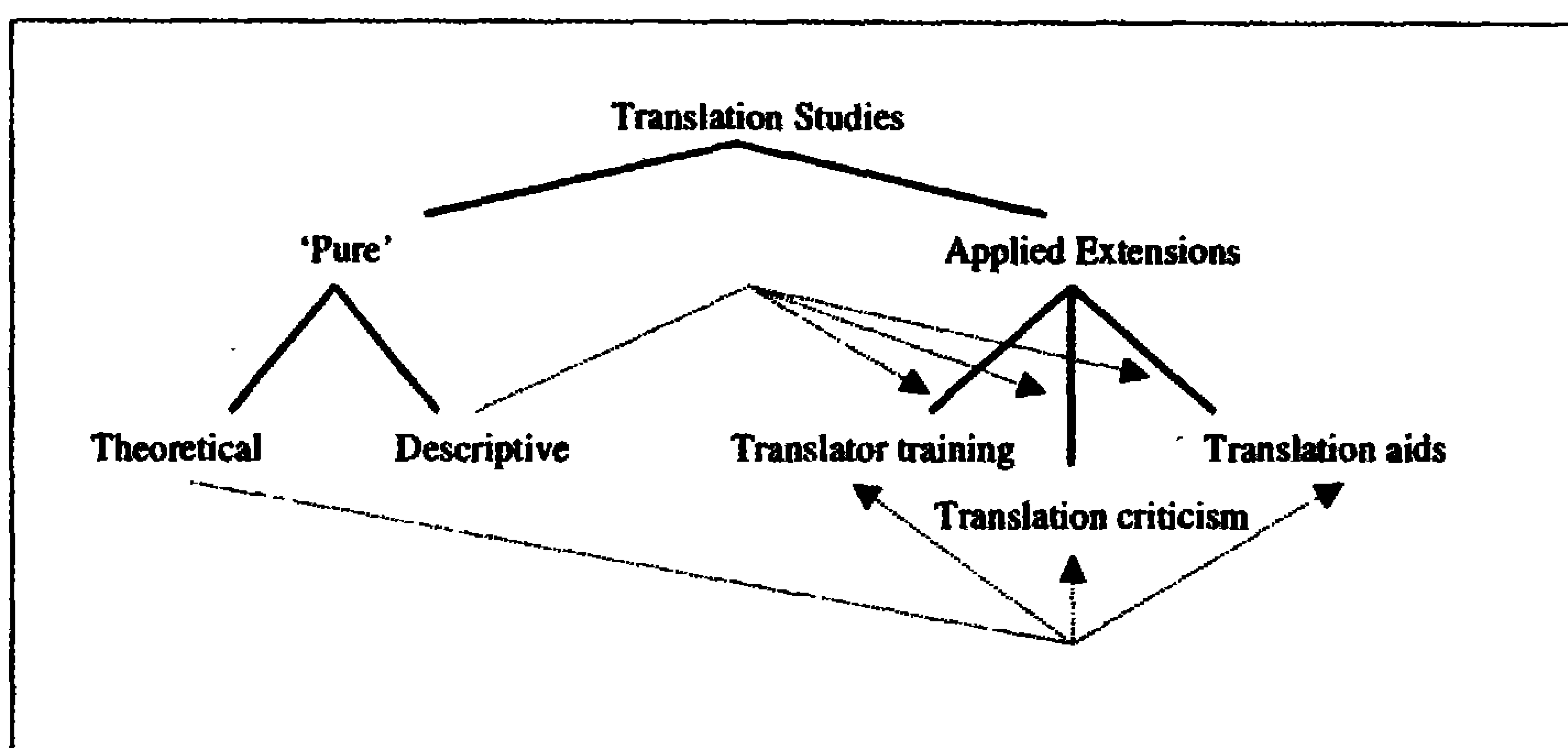
ولكن ما هو السبب فى وقوع التجريبيين الوصفيين أسرى التجريبية المنطقية (وبالتالى يقللون من أهمية دور التقييم فى البحث فى ميدان الترجمة) ؟ لنتوقف قليلاً أمام أفكار أحد أبرز الوصفيين: "جديون تورى".

وضع "تورى" صورة تخطيطية (= رسمًا كروكيًا) للوصف المُجْمل الذى صاغه "جيمس هولمز" للدراسات الترجمية، وهى الصورة التى تشير إلى أن النسق يضم فرعين: البحث والتطبيقى. وينقسم الفرع الأول إلى الدراسات الترجمية الوصفية ونظرية الترجمة.

تؤسس نظرية الترجمة مبادئ عامة بهدف شرح ظاهرة الترجمة والتنبؤ بأسرارها. ("هولمز ١٩٨٨: ٧١) وتستخدم هذه النظرية النتائج التى انتهت إليها الدراسات الترجمية الوصفية إلى جانب النظرات الثاقبة القادمة من أنساق معرفية أخرى (اللغويات والأدب المقارن وعلم الاجتماعيات (= السوسيولوجيا) فى بناء نظريات

ونماذج تملك قدرة تفسيرية وتنبُّؤية. وينصب احتفال الدراسات الترجمية التطبيقية (توسعات تطبيقية للدراسات الترجمية فى خريطة "تورى" المنقحة (أنظر شكل رقم ١) بالتطبيقات العملية مثل تدريب المترجم.

الدراسات الترجمية



بحث

توسعات تطبيقية

نظرية

وصفية

تدريب المترجم

أدوات مساعدة للترجم

نقد الترجمة

شكل رقم (١) رسم بيانى يعطى صورة خريطية لـ "العلاقات بين الدراسات الترجمية وتوسعاتها التطبيقية"(١٩٩٥ : ١٨)

أجد نفسى على اتفاق تام مع كلٍ من "هولمز" (١٩٨٨ : ٧١) و"تورى" (١٩٩٥ : ١) فى أن دراسة الترجمة، سواء أكانت دراسة نظرية أو وصفية تعد نسقًا تجريبيًا يهتم بوصف ما هى عليه الترجمة وليس ما ينبغى أن تكون عليه، ويبدو أن "تورى" فى الواقع الفعلى يفترض وجود فجوة بين الدراسات النظرية وتلك الوصفية من جانب، وتوسعاتها من جانب آخر (حتى ولو تصوُّر وجود نوع ما من الاتصال بين هذين الفرعين من النسق) أما الدراسات الأخيرة فتهتم بوضع الأعراف أو القواعد العامة بدلاً من تفسير الوقائع والتنبؤ بها فى الحياة المعاشة. والوصفيون ("تورى" ١٩٩٥: ٢) (يرفضون استخلاص أى نتائج على شكل توصيات بشأن السلوك "السليم") وأرى أن المؤرخين ينبغى عليهم أن يحذو حذوهم فى هذا التفكير المنطقى . فحتى "هيرمانز" الذى ينتقد القيود التى تضعها النهوج التجريبية – الوصفية يحاججنا بأن "المهمة النقدية لنظرية الترجمة لا تكمن فى تحبيذ هذه الطريقة أو تلك سواء المقاومة أو المعارضة أو المُمْتثلة أو السلسة أو أى طريقة أخرى من طرق الترجمة".

كل الأمور تسير على مايرام حتى الآن، تعد النقطة التى ينطلق منها "تورى" التجريبية سليمة، إلاَّ أن المؤسف حقًا أن طريقة التفكير التى يسير وفقها "تورى" تقف عقبة فى بعض الأحيان على الطريق نحو الانتقائية، ويكمن الخطأ هنا فى إيمانه بأن الموقف المناهض للنزعة التوجيهية (= الإرشادية) يقتضى منه نفى التقييم. ولنتوقف أمام عبارته ذاتها، تلك التى تقول بأن الدراسات الترجمية الوصفية لا تؤسس لمناهج ملائمة فى ميدان الترجمة، أكثر مما يقرر علم اللغويات "طرقًا مناسبة للاستعمال اللغوى" ("تورى" ١٩٩٥ : ١٧) ولعلى أقبل الجزء الأول من هذه العبارة دون الجزء الثانى، إذ يعد القياس الذى تتطابق بموجبه أهداف الدراسات الترجمية الوصفية مع تلك الأهداف التى يتوخَّاها المفهوم الاختزالى للغويات قياسًا مضللاً، ويمضى "تورى" فى محاججته كى يقول إنه ينبغى على الوصفيين أن "يحجموا عن إطلاق الأحكام القيمية سواء عند اختيار موضوع البحث أو عرض النتائج التى يتوصلون إليها" (١٩٩٥: ٢) ويقوده هذا الإيمان المثير للاشكالات – لأعلى حد – إلى تبنى موقف علمى يركز على الحيدة والموضوعية، أضف إلى ذلك أن مفهوم "تورى" الخالى من أى حكم قيمى

للغويات، وهو المفهوم الذى يطبِّقه على البحث فى ميدان الترجمة، يعد مصدراً من مصادر سوء الفهم بين الباحثين فى موضوع الترجمة. فينتقد "لورنس فينوتى" – على سبيل المثال – النهوج التى يوجهها اللغويات، وهى النهوج التى تدرس الترجمة، حسبما يزعم "بصفتها مجموعة من العمليات المنظَّمة، والمستقلة عن التشكيلات الثقافية الاجتماعية التى تجرى أى تلك العمليات فى إطارها". (١٩٨٨: ٢٥) وقد يحتج أحدهم هنا بأن النقد الذى يوجهه "فينوتى" إنما ينطبق على البحث عن العموميات أو القوانين العامة للترجمة، دون أن يسير بالضرورة على دراسة أعراف الترجمة، تلك التى تضرب بجذورها فى مجتمع وثقافة معينين، وبالتالى يكونان تاريخيين. ومع أننى لا أعتزم التصديق على التأكيد الجازم الذى ذهب إليه "فينوتى"بـ "أن الميل الأشد مدعاة للقلق فى النهوج التى يوجهها اللغويات يتمثَّل فى رفعها لشأن النماذج"(١٩٩٥: ٢٥) وهو الأمر الذى قد يكون "تورى" نفسه مسئولاً عنه، فـ "تورى" يُعلى من شأن مفهوم علمى يُوجهه اللغويات للترجمة، وهو مفهوم يميِّز التجريبية المنطقية. ولكن كافة فروع اللغويات لا تستلزم بأى حال من الأحوال مفهوماً يكون هدف الباحث خلاله أن يفصل "الواقعة عن القيمة" ("فينوتى" ١٩٩٨: ٢٩)[٢] .

ولنمضِ قُدمًا قليلاً مع القياس بين الدراسات الترجمية الوصفية واللغويات. على أن هدفى هنا ليس تحديد طبيعة البحث اللغوى، بل مجرد تسليط ضوء على مفهوم "تورى" عن البحث التجريبى.[٣] وعلى نحو ما أشارت "دبورة كاميرون" **Deborah Cameron (1995: 4)** فإن اللغويات يساوى فى الغالب بين الوصف والبحث عن الحقائق الموضوعية، وبين التوجيه **prescription** والاحتفال بإصدار أحكامٍ قيمية ذاتية. غير أن الفرق بين التقرير (=التعبير) الملاحِظ للأعراف وذلك الفارض لها لهو فرق لا يزال مثار جدل واسع فى نطاق اللغويات. ويرى لغويون مثل "كاميرون"(١٩٩٥) و"تالبوت تايلور" **Talbot Taylor(1990)** أن المعيارية أى مجمل القواعد التى تستند إلى الأعراف (=المواضعات) كامنة فى العملية الوصفية ذاتها. غير أن "تايلور" يثير شكوكًا حول الثنائية بين العبارات الوصفية، تلك التى نتصوَّر أنها موضوعية بحتة والعبارات المعيارية التى تعتمد على النفوذ والهيمنة. (١٩٩٠: ٢١) فالعبارات التى ترد فى

القواميس التى تملك نفـوذاً عريضـاً على القـراء - هكذا يمضى "تايلور" كى يقول فى محاججتـه - ليست وصفـاً لحقائـق ولكنهـا عوضاً عن ذلك تعد إستدعاء لأعراف (= مواضعات) متفقٍ عليها" (١٩٩٠: ٢٤) وبصرف النظر عما يراه فيها الوصفيون من حيْدة، إلاَّ أن قوتـها المعيارية التى لا تخطئها عين سوف تترك أثرهـا لا محالة على الاختيارات اللغوية التى يقع عليها المتحدثون الأفراد. ولو أن "كاميرون" ترى أن الهدف الذى يتوخاه النحو الوصفى يتمثَّل على وجه محدد فى ترسيخ ما تستقر عليه الأعراف (=المواضعات) "حتى يمكن حث مستعملى اللغة باطمئنان على تحبيذه"(١٩٩٥: ١٠)

إلاَّ أن الملاحظات التى أبداها "ميلروى" Milroy تتصل بالدراسات الترجمية الوصفية، بصورة أكثر مباشرة، إذ أن الباحث الذى يركِّز على العلاقة بين اللغة والمجتمع يرى أن توصيفات اللغة معيارية، وذلك "لأنها لكى تتمتع بالدقة يتعيَّن عليها أن تتطابق بصورة أشد ما تكون قربًا من الأعراف التى تحظى بإجماع المجتمع المعنى فى دراستنا" (١٩٩٢: ٨-٩). ومع ذلك فهو لا يساوى بين ما هو معيارى وما هو توجيهى أو إجبارى، إذ يصر "ميلروى" على النقيض من كلٍ من "كاميرون" و"تايلور" على أن اللغويين قد يميِّزون بين "ملاحظة" عُرف أو قاعدة عامة من الأعراف أو القواعد العامة لأغراض وصفية و"فرض" هذا العرف بصورة إجبارية (المرجع السابق) (٤) ولكنه مقتنعُ أيضًا بأن ملاحظة الأعراف (=القواعد العامة) عملٌ غير منفصل عن الأحكام القيمية للباحث. ولعلى أيضًا أرى هذا الرأى.

أعتقد أن العقبة الكؤود (=المستعصية) إلى تبنى الانتقائية فى الدراسات الترجمية تتمثل فى الفرق الثنائى binary بين العبارات الوصفية والأحكام القيمية، ويبدو أن "تورى" حريص - من وجهة نظرى - على نبذ الأحكام القيمية، وذلك لمساواته بين الدراسات الترجمية الوصفية والمفهوم الاختزالى للغويين (ربما النظريين) وهو المفهوم الذى يترتَّب على التقييم، بموجبه، وبالضرورة - إتخاذ موقف توجيهى أى إرشادى. غير أن الأحكام القيمية ليست باستمرار مترادفة مع العبارات التوجيهية، حتى لو تأسست - بصورة واضحة لا لبس فيها - التوصيات التى يوصى بها باحث أو آخر فى سبيل

ترجمة سليمة على أحكام قيمية قوية. ولقد لاحظ كل من "كاميرون"(١٩٩٥: ٤) و"تايلور" ١٩٩٠: ٢٥) أن علم لغويات محايد تجاه الأيدولوجيا لا وجود له، وهذه ملاحظة تنطبق أيضًا على الدراسات الترجمية الوصفية.

إلاَّ أن "تورى" يبدو عليه الإحجام عن قبول المعانى الضمنية التى ينطوى عليها تفكيره. فالتجريبية لا تنطوى – بالضرورة – على أن الإطار الوصفى يمكن تصوُّره فى الفراغ، بمعنى دون إعمال التفسير. وفى الواقع يشير "تورى" – بصورة محددة – إلى الدراسات "التفسيرية – الوصفية" داخل نطاق الدراسات الترجمية الوصفية (١٩٩٥: ١٥). وليس فى طوع أى دراسة تفسيرية إغفال الأحكام القيمية. ويصير لزامًا على المرء أن يقر بعدم وجود أى إطار وصفى للتحليل يكون محصنًّا ضد الانحياز التفسيرى أو التأويلى، ومع وجود درجات من الانحياز (البحث عن عموميات الترجمة قد يكون أقل اعتمادًا على الأحكام القيمية من البحوث التاريخية) إلا أن الحقيقة تظل قائمة دون خدش بأن الأحكام القيمية تؤثِّر على اختيار المعطيات بالإضافة إلى التصانيف الوصفية للتحليل والنظريات التفسيرية التى يجرى فى إطارها تنظيم هذه التصانيف. ووجهة النظر هذه تلقى قبولاً عريضًا حتى من جانب أولئك الإبستمولوجيين الذين يعارضون ما – بعد – البنيوية. وترى "سوزان هاك" Suzan Haak أن "الإبستمولوجى لا يستطيع أن يقف تمامًا موقف المراقب المعزول، لأن الانخراط فى أى عمل إبستمولوجى (أو لكى يجرى أى نوع من أنواع البحث) يفرض على المرء أن يستخدم بعض مقاييس الأدلة، أو ما يُعد سببًا لـ أو نقضًا لأى اعتقاد – وهذه مقاييس يأخذها المرء على اعتبار أنها مؤشرات على الصدق"(١٩٩٣: ١٣) .

ليس مستغرب أن نجد العديد من الباحثين المرموقين فى ميدان الترجمة يختلفون مع النهج العلمى الذى ينتهجه "تورى"، إلاَّ أن المعارضة الأقوى لآراء "تورى" بشأن الموضوعية والحيْدة إنما تأتى من بين مؤرخى الترجمة، فيلاحظ "هيرمانز" أن "ادعاء الحيْدة والموضوعية ليس سوى عبارة أيدولوجية بالفعل فى حد ذاتها" (١٩٩٩: ٣٦) ويحتج "هيرمانز" بأن الباحثين فى ميدان الترجمة إنما يحتاجون إلى نظرية نقدية

"تهمس للملاحظ بما ينبغي عليه أن يبحث عنه وكيف يقيِّم مغزى ما يخضعه للملاحظة"(١٩٩١: ٣٤) ولقد أثار "خوزيه لامبرت" José Lambert شكوكًا بشأن الفرق ذاته بين التقييم والتوصيف (١٩٩١: ٣١). ويؤكد "أنتوني بايم" – هو الآخر – أن وجود وصف محايد بشكلٍ كامل هو خرافة (١٩٩٨: ٩) أما "ديرك ديلاباستيتا" Dirk Delabastita فمقتنعٌ بأن اختيار الوقائع التاريخية ووصفها "سوف توجههما باستمرار افتراضات أولية a priori (1991: 140) ويتفق معه "فينوتي" في هذا الشأن "فحتى عند مستوى صوغ وتنفيذ مشروع البحث، سوف يظل التفسير العلمي مثقلاً بقيم موقفه الثقافي" (١٩٩٨: ٢٨-٩) .

ولنتوقف الآن أمام تلك الفكرة الأساسية بشأن أعراف الترجمة: ننظر فنجد أن هذه الأعراف أو القواعد العامة تحددها الشروط التاريخية، وذلك خلافًا للعموميات أو قوانين الترجمة (التي سأعرض لها في الجزء التالي من المقال) وتملك (قدرًا من) القوة التوجيهية (=الإرشادية) داخل نطاق تقاليد معيَّنة مستهدفة، ويعد شرح الأساس المنطقي الكامن وراء مفهوم أعراف الترجمة – بعمق كافٍ – يقع خارج حيِّز هذا المقال (هناك شرح سردي متوفِّر عند "هيرمانز" ١٩٩٩) ولكن يكفي – في رأيي – هنا أن أقول إن أعراف الترجمة تكشف – حسبما يزعم البعض – عن مفهوم الترجمة في مجتمعٍ معيَّن عند لحظة معينة في الزمن، أي أنها تمثِّل السلوك الترجمي من منظور تاريخي. فالأعراف "تأتي نتاجًا لتقاليد للترجمة بطرقٍ محددة لا يمكن ملاحظتها وبلورتها إلاَّ خلال تحليل جسمور ممثِّلٍ (= مجموعة نصوص تمثِّل كمًا أكبر منها) من النصوص المترجمة في لغة أو ثقافة معينة"("بيكر" ١٩٩٣ : ٢٤٠) .

ومع ذلك، فالافتراض الذي يقول بأن جسمورًا ما قد يكون ممثِّلاً للسلوك الترجمي لهو قول يثير إشكالات عميقة (=غير محسومة) فكيف نحدد معيارًا للنصوص التي يتعيَّن إدخالها ضمن هذا الجسمور من النصوص المترجمة في لغة أو ثقافة ما؟ لا مناص (=مهرب) هناك من الحقيقة التي تقول إن تصميم الجسمور ذاته ينبع من سلوك ما يعتمد على التفسير – فعلى سبيل المثال – اعتَمد اختياري لمعظم المترجمين

الأنجلو - أمريكيين "الممثلين" الذين نقلوا عن اللغة الإيطالية ملحمة "الكوميديا الإلهية" لـ "دانتى أليجيرى" (١٢٦٥-١٣٢١ يعد أعظم الشعراء الإيطاليين فى عصر النهضة الأوروبية، وقد اختار أن يكتب ملحمته الخالدة باللغة الموصومة بالعامية وقت ذاك أى الإيطالية دون اللاتينية. المترجم) (راجع مناقشة الموضوع عند "كريسافوللى" Crisalfulli 2000) على افتراضات نظرية ضمنية، وهى افتراضات تحظى منى بالقبول كبديهيات. فعلى أى أساس أدرجت ترجمات معينة دون ترجمات أخرى، وارتأيت أنها تمثِّل تقاليد معينة من "إعادة تأليف" ملحمة "الكوميديا الإلهية"؟ ولقد حدانى بصفة جزئية فى اختياراتى دافعٌ خاص تمثَّل فى اعتبارات التميُّز الأدبى(اخترت ما رأيت فيه أحسن الترجمات الشعرية، التى تنطوى على مفهوم يرفع الأدب إلى مرتبة الكمال) وبصفة جزئية أخرى فكرة متصورة بشكلٍ مسبق لما يعتبر ترجمة وافية لـ "كوميديا دانتى" فى المقام الأول. (استبعدت الترجمات النثرية وأدرجت عدة ترجمات شعرية مختارة، تفترض مفهوماً يرفع الأدب إلى مرتبة الكمال) وبذلك تثير الطبيعة المنحازة - أيديولوجياً لأى جسمور، وبالتالى أعراف الترجمة شكوكاً عميقة تجاه أى ثنائية صارمة بين التوصيف والتقييم.

وهذا ليس معناه أن الجسمور الذى وقع عليه اختيارى لم يطرح حقائق شيقة حول أداء مجموعة (ممثِّلة إلى هذا الحد أو ذاك) من المترجمين الأنجلو - أمريكيين. ولكن هل نستطيع أن نفرز حقائق تجريبية موضوعية - فيما يُزعم - مثل أعراف الترجمة أو اتجاهات الأداء فى ميدان الترجمة، من مثل ذلك الجسمور؟ أعتقد أن فى طوعنا أن نقوم بمثل هذه الخطوة من التعميم ولكن على أسسٍ تجريبية مؤقتة: لا وجود هناك لحقائق تجريبية بشكلٍ مستقلٍ عن وجهة نظر الباحث، فالحقيقة أن الباحث هو الذى يخلق الحقائق التجريبية انطلاقاً من التحليل عن طريق جعل المعطيات (الخام) التى تتصل بمنظوره قابلة للملاحظة - وعلى سبيل المثال - قد يكون المفهوم المثالى للمرء هو الذى يقوده إلى التركيز - فى الغالب الأعم - على مترجمى الاتجاه السائد أو المحافظين. وإذا كانت هذه هى الحالة، فإن الأنماط التى توفَّرت خلال التحليل سوف تعكس مثل ذلك المفهوم الأولى a priori أو المثالى وتكشف أن الترجمة نشاط يتسم بالمحافظة بشكلٍ أساسى.

وليس تصميم الجسمور وحده هو الذى يتّسم بالانحياز الأيديولوجى، ويعطينا "فينوتى" مثالاً رائعًا على الكيفية التى يمكن بها لصوغ القواعد الترجمية ذاتها أن يكون مشحونًا بأيدولوجيا معيّنة. ويصوغ "تورى" عُرفًا (= قاعدةً) بموجبه فرض المترجم العبرى لـ"سوناتات" شكسبير" رقابة خاصة على النصوص التى تحت يده عن طريق تغيير جنوسة (gender=) المخاطب من المذكر إلى المؤنث، فمثل هذا العُرف أو القاعدة العامة تضْمن قبولاً للترجمة فى مجتمعه العبرى فى القرن العشرين، ذلك المجتمع الذى يرفض الجنسية المثلية. ويقول "فينوتى":

"تعد مقالة "تورى" – حتى ولو أنه لا يصِم فيها الترجمة (العبرية) بأنها تعانى من رهاب الجنسية – بعيدة هى الأخرى عن رهاب الجنسية المثلية (=كراهية الجنسيين المثليين. المترجم) homophobia ... إذ يبدو واضحًا أن صياغته للعرف (=القاعدة) ميالة نحو الليبرالية، ولو كان "تورى" مشاركًا للمترجم فى محافظته، لكان قد وصف الترجمة بأنها تعبير تطوعى عن اللياقة الأخلاقية" ("فينوتى" ١٩٩٨: ٢٩) .

ليس فى وسع تصانيف الباحث عند تحليله أن تكون توصيفات محايدة؛ إذ أن هذه التصانيف تنطوى على افتراضات سياسية وأيدولوجية معينة، ومن وجهة النظر هذه يكون من الصحيح أن نقول إن معتقدات الباحث تحكم كافة أنواع الدرْس التاريخى، إلاّ أن السعى نحو الانتقائية المنهجية تتطلّب منا أن نمضى قدمًا وأن نلقى بنظرة نقدية على فكرة "الاتساق المنمّط" وهى الفكرة التى تعزز هذا التفكير الوصفى أو ذاك الذى يوجهه نسق أو آخر.

(٣) اتساقات منمّطة فى مقابل تميُّز وإبداع

تتمثّل مشكلة البحث فى ميدان الترجمة فى كيفية تحقيق توازن بين الامتثال والاتساق من ناحية والتغيير والإبداع من ناحية أخرى، بين الأداء المحكوم – عرفيًا (سواء عند بُعده المتجاوز للفرد أو بعده الجماعى الذى يشارف حدود السوسيولوجيا)

وبين الأداء المتميِّز (البعد الفردى الذى يبرز العامل الإنسانى) بين الاتجاهات العمومية (اللاتاريخية) وبين الاختيارات الشخصية أو النصوصية المحددة.

يمضى النهج الانتقائى الذى يدمج بين نوعى التحليل الكمى والكيفى شوطًا ما نحو التوفيق بين هذين الفرعين الجوهريين لتشعُّبٍ ظاهر، ومن الواضح أن هذا التوفيق لن يصيب نجاحًا ما لم يكتسب الباحثون فى ميدان الترجمة من كافة المشارب الوعى بأن التوصيف والتقييم لا يمكن فصمهما الواحد عن الآخر، إلاَّ أن هذا ليس كافيًا بحد ذاته، إذ يتعيَّن علينا أيضًا أن نكشف التلميحات التى ينطوى عليها التفكير الموجَّه – نسقيًا (=الذى يوجهه هذا النسق أو ذاك) وهى التلميحات التى ترتبط بصورة وطيدة بالنهوج التجريبية – الوصفية.

ولنعد إلى التوقف قليلاً – مرة أخرى – أمام الأفكار التى أفصح عنها "تورى": يعالج "تورى" (١٩٩٥: ١١) سيرًا فى أعقاب "هولمز" (١٩٨٨: ٧٨) كافة فروع الدراسات الترجمية بصفتها متبادلة الاعتماد، أى يعتمد كل منها على الآخر، إلا أنه يرى أن العلاقة بين الفرعين النظرى والوصفى تمثِّل جوهر النسق، وكانت الاكتشافات التى توصلَّت إليها الدراسات الترجمية قد أدت إلى "اتساقات الأداء" تلك التى ستمكِّن المنظرين "من وضع سلسلة من القوانين المترابطة" ("تورى" ١٩٩٥: ١٦) .

تتشابه قوانين "تورى" مع قوانين "بيكر" (١٩٩٣، ١٩٩٦) بشأن عموميات الترجمة وأنماط الأداء، تلك الكامنة فى الترجمة – وعلى سبيل المثال – يقول قانون "تورى" حول التقييس المتنامى إن المترجمين يميلون إلى تحبيذ الاختيارات المستقرة أو المعتادة أو "البدائل التى توفِّرها الذخيرة المستهدفة" (١٩٩٥: ٢٦٨) وبعبارة أخرى يميل المترجمون إلى تبنى نزعة محافظة، كما تلاحظ "بيكر" هى الأخرى، إن الملاحظة أثبتت أن المترجمين عبر لغات متنوعة ينزعون نحو التبسيط ونبذ الغموض وجعل رسالة النص المستهدف واضحة دون أدنى التباس.("بيكر"١٩٩٣: ٢٤٣ ، ٢٤٦، ١٩٩٦: ١٧٦) .

تتمثَّل العقدة الأولى أمام مؤرخى الترجمة فى أن البحث عن عموميات أو قوانين يعزل ملامح معينة فى مجال مجَّرد حيث لا يوجد دور أو لا يوجد دور ذو أهمية تذكر

للمشاكل التاريخية، وبعبارة "فينوتى" (١٩٩٨: ٢٥) فى هذا الشأن يفترض البحث عن قوانين وعموميات هنا وجود مفهوم ينبغى على المرء، بموجبه "أن يطهِّر الممارسات والحالات الترجمية من متغيراتها التاريخية والاجتماعية". حقًّا هذا لا يمثِّل سوى إحدى سمات البحث الوصفى فى ميدان الترجمة (دراسة الأعراف الترجمية ليست لاتاريخية بل متجاوزة للفرد) أما العقدة الثانية والأشد خطرًا فتتمثَّل فى أن الباحثين الذين ينتمون لمذهبٍ تجريبى - وصفى يميلون إلى إدراج كافة تدخلات المترجم - حتى تلك التى تحدث فى نصوصٍ مستهدفة مفردة - تحت مفهوم الأداء المحكوم - عرفيًا أو الأداء المنمَّط.

يزعم "تورى" أن اختيارات المترجم ليست نتاجًا لا يمكن تفسيره للقرارات المتميِّزة من جانبه، فاختيارات المترجم تكشف عن اتساق داخلى، ويؤكد "تورى"(١٩٩٥: ١٤٧) فى حقيقة الأمر أن "القرارات التى يتخذها المترجم خلال ترجمته لنص مفرد ليست قرارات شاردة أو ضالة بحال من الأحوال - وعوضًا عن ذلك - وحتى لو لم تكن بأى حالٍ من الأحوال شاملة جامعة، فإنها - أى تلك القرارات - تميل إلى أن تكون **منمَّطة** بدرجة عالية. وهذا يتضمَّن أن المرء يتعيَّن عليه أن يبحث عن الاتساقات التى تفيد معنى، فى المعطيات التى تنتج عن التحليل. ويزعم "لوفيفر" الذى يسير فى تعليله وفق نفس المبادئ أن "خطأ معزولاً" - قد لا يكون - على وجه الاحتمال - أزيد من ذلك - أى أزيد من خطأ معزول، بينما سلسلة متكررة من الأخطاء قد تشير على وجه الترجيح إلى نمط، أى إلى تعبير عن "إستراتيجية" (١٩٩٢: ٩٧) والاستراتيجيات قد تشير - كما ينبغى علىَّ أن أضيف - إلى اتجاهات الأداء فى ميدان الترجمة، سواء داخل سياقٍ تاريخى معيَّن (أعراف) أو عبر ثقافات ولغات متعددة (عموميات).

ومع أن النقطة التى ينطلق منها "تورى" مشروعة بشكلٍ كامل، إلاَّ أن تفكيره الموجَّه - نسقيًا يهمل شأن المترجم الفرد، وقد يكون فى طوع المرء أن يحاجج بأن ذلك هو ثمن يتعيَّن دفعه: ليس فى طوعنا أن نجرِّد الأعراف أو الاتجاهات إلاَّ من عدد ضخم من النصوص المستهدفة، خلال إمعان النظر فى الملامح التى تشترك فى

حيازتها. وعلاوة على ذلك كيف يتأتّى للمرء أن يوثق الاستثناءات، أو يستوعب الاختيارات المتميِّزة التى يُقْدم عليها المترجم الفرد، ما لم يؤسس - بادئ ذى بدء - الأعراف (= القواعد) فى النسق المستهدف والاتجاهات الكامنة فى الأداء الترجمى؟

هناك عنصر صادق فى هذه الملاحظة، ولكن الحقيقة تستمر دون خدش بأن النهوج التجريبية - الوصفية الراهنة تبالغ فى تأكيدها على دور الأداء المحكوم - نسقيًا أو الأداء المنمَّط. ونتيجة لذلك، فلا نكران لتوثيقها (أى تلك النهوج) لـ "الامتثال دون ما يقع فى دائرة الاستثناء" ("جينتزلر"(Gentzler 1993: 133)، وذلك على وجه التحديد لأنها مهتمة بالاتساقات المنمَّطة و"اكتشاف القوانين المجرَّدة" ("بايم" ١٩٩٨: ١٢٣) وقد يكون الأمر - إذا أمعنَّا النظر - أن المترجمين فى سائر مناطق العالم يميلون إلى المحافظة، ولكن قانون المحافظة ذاك يظل مجردًا بصورة خالصة، ما لم نطبِّقه بشكلٍ دائم على عدد ضخم - يتمتعون أحيانًا بدرجة عالية من القدرة على الإبداع - من المترجمين - البشر ممن يعيشون فى ظروفٍ مشروطة تاريخيًا.

لا تعد الرغبة اللاتاريخية فى التوصل إلى قوانين وعموميات فى ميدان الترجمة، بمثابة عقبة وحيدة على الدرب الذى يقود إلى الانتقائية المنهجية. فواقع الأمر أن التجريبيين - الوصفيين مشغولون، هم أيضًا بالوظائف الثقافية للترجمة ويميلون إلى الربط بين الملامح النصوصية وتلك الإضافية (= التى تقع على هامش النص) مما يستتبع بصورة واضحة منظورًا تاريخيًا ("هيرمانز"١٩٩٩: ٣٩) ومع ذلك فعندما يأتى الأمر إلى رسم دراسات تاريخية، فإن التجريبيين- الوصفيين يركزون على البعد الاجتماعى (قوة المؤسسات، القوى الجماعية أو الاجتماعية وراء الأعراف) وهو بعدٌ يضر بفهم الفرد (أو النص المحدد) للبحث التاريخى - وعلى سبيل المثال - يدافع "ديلاباستيتا" الذى يؤيِّد الدراسات الترجمية الوصفية عن "مفهومٍ تاريخىٍ" محكوم - عُرفيًا (أى يحكمه هذا العرف أو ذاك) (١٩٩٤: ٢٤١) للترجمة - حيث يبدو ارتباط النعتين (التاريخى والمحكوم - عرفيًا) هنا ارتباطًا لا فكاك له - وبالتالى يركِّز على دراسة الأداء المنمَّط فى جسمور النصوص المستهدفة بدلاً من الاختيارات المميِّزة فى نص أو أكثر من نص مستهدف.

ينبغي على التجريبيين - الوصفيين أن يعززوا القوة التفسيرية لبحثهم التاريخي. حقًا يعد المترجمون الأفراد حاملين لدلالات اجتماعية، ولكن بعض تدخلاتهم قد تكون شخصية بصورة خالصة أو متجذِّرة في أعماق سمات محددة للتقاليد المستهدفة. والمترجمون ليسوا واقعين في قبضة أعرافٍ ترجمية وشعرية قوية، فقد يحوزون "أجندات" (= جداول أعمال) أيدولوجية خاصة بهم، وفي هذا الصدد فإن الملاحظة التي أبداها "بايم" بأن نهج "توري" الذي يركِّز على "الاستقرار أكثر من التغيُّر" يتغاضى عن الصراع والتوتر في الترجمة، تظل وثيقة الاتصال بالموضوع (١٩٩٨: ١١٥) ولا شك في وجود إجماع وصراع (في نفس الوقت) في التقاليد المستهدفة. كما ينبغي للبحث في الترجمة أن يضع في حسبانه التغيُّر، الذي يميل إلى كسر الأعراف وتغيير علاقات القوى، بما في ذلك مسألة "من الذي يؤسس الأعراف ويحفظ عليها استمرارها" (المرجع السابق) ومن الشيِّق أن القياس مع اللغويين - مرة أخرى - يعد أمرًا كاشفًا. وتعتقد "كاميرون" (١٩٩٥: ١٧) هي الأخرى، أن الصراع ينبغي أن يكون موضع نظرٍ جاد فـ"الصراع يجعل عملية خلق - الأعراف وكسر - الأعراف واضحة للعيان، عندما يدفع بالمحاججة التي تدور حول القواعد إلى العلن.

ولقد ركَّزت خلال بحثي على مترجم موفَّق للغاية هو: إتش. إف. كاري H.F.Cary (١٧٩٢ - ١٨٤٤) الذي استجاب للأعراف المعاصرة ("كريسافوللي" ١٩٩٦، ١٩٩٧، ١٩٩٩) وليس مستغرب أن أميل إلى تأييد وجهة نظر محكومة - بالقواعد بصورة غالبة إلى الترجمة: لقد التزم "كاري" بقواعد الأداء السائدة في ميدان الترجمة، إلا أنني بت أعتقد الآن أن المرء ينبغي عليه أن يضع في الحسبان أيضًا المترجمين الذين يحطِّمون القواعد والمجددين، ولكن حتى لو ركَّز على المترجمين الملتزمين بالإتجاه السائد، فمن الممكن أن يفلت من وجهة نظرٍ إلى الترجمة تقول بالامتثال للقواعد المحكومة - عرفيًا دون سواها وإذا انتوينا اعتماد الانتقائية المنهجية فإن الحل يكمن ليس في مراعاة الصراع والتغيُّر وحدهما، بل أيضًا في التركيز على أنواعٍ من الأداء الترجمي "تدخلاتٍ استراتيجية"، وهي أنواع ليست محكومة - عُرفيًا أو منمَّطة، إلاَّ أنها ليست بأي حال غير مسئولة أو ضالة - وبعبارة أخرى ينبغي علينا أن نضع في الحسبان البعد الشخصي/الأيدولوجي للمترجم.

(٤) العلامات النسقية Systematic Semiotics

لا تستطيع فكـرة الأداء المنمَّط، المحكـوم – عُرفيـاً، على ما هى عليه من أهمية، أن تسلِّط أكبر حزمة من الضوء على ملامح نص مستهدف، ولذلك فإننى أقترح أن نستخدم مصطلح "العلامات النسقية" الذى يوفِّق بين الأداء المنسَّق (الاستراتيجيات الترجمية ما هى إلاَّ اتساقات منمَّطة) وبين الطابع العلاماتى (= السميوطيقى) لاختيارت المترجم. ولعل الخطوة نحو استخدام إطارٍ وصفى بحد ذاتها تنطوى على أن هناك ملامح لغوية نستطيع التعرف عليها فى النص المصدر، وهى ملامح قد نتمكَّن أو لا نتمكَّن من نقلها إلى النص المستهدف، وقد تكون هذه الملامح خاضعة لعلاماتية (عقلية) نسقية، بمعنى أن الملامح الشكلية قد أُدرجت فى تصانيف وصفية "استراتيجيات". ولنمعن النظر – على سَبيل المثال – فى تصانيف مثل "الترجمة – صفر" والتبدلير bowdlerization (نسبة لأديب وطبيب إنجليزى يدعى توماس بودلر ١٧٥٤– ١٨٢٥ نقَّح عدداً كبيراً من المسرحيات الشكسبيرية بحذف ما رآه منافياً للذوق العام. المترجم) تلك التى تتلخَّص فى استبعاد ملامح ملموسة من النص المصدر، ومن الواضح أن تحليل اختيارات المترجم الأيدلوجية – الشخصية يتطلَّب نهجًا تفسيرياً مصقولاً لا يحفل وحسب بالأنماط والاتساقات.

بينما يميل اللغويات إلى الاهتمام بالمجتمعات عوضًا عن المتحدثين الأفراد بهذه اللغة أو تلك، ينبغى على الدراسات الترجمية الوصفية أن تولى اهتمامها بكلٍ من الاتجاهات الجماعية للأداء، وكذلك بالمترجم – الإنسان. والواقع أن الدراسات الترجمية الوصفية تتداخل مع اللغويات والنقد الأدبى والدراسات التاريخية، ولكن اللغويات قد يهمل – فى الحقيقة – الوقائع غير النمطِّية باعتبارها شاذة، بمعنى أنها لا تتصل بتشييد نماذج الاستعمال اللغوى، إلا أن الباحثين فى ميدان الترجمة لا يستطيعون تجنب النظر بإمعان فى الاختيارات غير النمطية (أى الفردية) إذا كانوا حريصين على فهم المترجم – الانسان، فلربما يكشف تحليل دقيق للاستثناءات – بما فى ذلك حالات "سوء الترجمة" المزعومة – أنها فى حقيقة الأمر تدخلات استراتيجية تكشف عن سمات معينة

(غير منتظرة) لمعنى النص المستهدف. فمع أن الاختيارات غير النمطيَّة، التى تحدث فقط فى مواضع معينة من النص المستهدف، ليست محكومة - عرفيًا، إلاَّ أنها تنطوى على مغزى عميق، بل وحتى لو كانت حالة واحدة فإنها قد تسلِّط حزمة من الضوء على وجهة نظر المترجم.

غير أن هذا لا يقلل من أهمية فكرة النمطية، التى تعزز أسس الأعراف والعموميات، ولقد أوضحت البحوث التجريبية التى اعتمدت على جسمور من الترجمات، أن الأداء فى ميدان الترجمة **غاية فى التنميط** ، وبكل تأكيد لا يأتى على سبيل الصُّدف (= خبْط عشواء) إلاَّ أن النهج الانتقائى قد يوفِّق بين ملاحظات التجريبين - الوصفيين وبين مؤرخى الترجمة. ويؤكد "لوفيفر" الذى كان حريصًا على درس الأنماط-الاتساقات فى النص المستهدف "أهمية <العامل الانسانى> فى الترجمة" (١٩٩٢: ٩٦-٩٧) وربما لم يحقق "لوفيفر" نجاحًا كاملاً فى التوصُّل إلى حلٍ وسط بين ما هو جماعى وما هو فردى، ولكنه فى أقل القليل وضع المترجم - الإنسان على رأس اهتماماته (= جدول أعماله).

(٥) نحو منهجية انتقائية لتوصيف الترجمة.

ينبغى لنهجٍ انتقائى نحو التحليل النصوصى أن يوصِّف العلاقات المتبادلة بين العامل العابر للفرد trans-individual (الاجتماعى - الثقافى، والتاريخى والعمومى) وعامل الفرد ذاته (العنصر الإنسانى) فى ميدان الترجمة. وهذا يتطلَّب وجود باحثين فى الترجمة يتسق على أيديهم نوعان من البحوث، الكمية والكيفية. فالبحث الكمى الذى يعتمد على جسمور من الترجمات، وهو نوع البحث الذى يميِّز النهوج التجريبية - الوصفية، تنتج عنه اتجاهات أو اتساقات للأداء الترجمى (سواء أكان محددًا تاريخيًا أو عموميًا). وهذه الاتجاهات قد تسلِّط ضوءًا على عدد من الإستراتيجيات التى يلجأ إليها المترجمون: مكِّننى الأداء العمومى أى "التوضيح - نزع الالتباس" من تفسير (بدلاً من انتقاد) الاقحامات التفسيرية (= الشارحة) المتلاحقة التى لجأ إليها "إتش. إف. كارى"

عند ترجمته أو إعادة كتابته لـ "الكوميديا الإلهية" (أنظر "كريسافوللى"١٩٩٦) (لا يزال هناك باحثون يحاسبون المترجمين على ما يضيفونه إلى النص المستهدف) أما التحليل الكيفى فيعتمد، من جانب آخر على النهج التفسيرى - النقدى إلى الدليل النصوصى. ويحاول ربط تدخلات المترجم بالسياق التاريخى المعاصر، ويهدف إلى الكشف عن وجهة النظر الأيدولوجية - السياسية للمترجم.

وهنا أقترح نموذجًا للتحليل النصوصى يضع فى اعتباره النص المستهدف من ثلاثة منظورات: "النزعة الشعرية" والعوامل الخصوصية للترجمة والأيدولوجية. وهذا النموذج المقترح - وهو يناسب على وجه الخصوص تحليل الترجمات التى أُنجزت قبل القرن العشرين - متأثر لدرجة عميقة بمفهوم "لوفيفر" (١٩٩٢) حول دور الأيدولوجيا و"النزعة الشعرية" فى الترجمة الأدبية، وكذلك بالدراسات التى أجراها "فينوتى" (١٩٩٥) على مبدأ الطلاقة اللغوية فى التقاليد الأنجلو - أمريكية، وبتنظيرات كلٍ من "بيكر" (١٩٩٣) و"تورى" (١٩٩٥) حول قوانين وعموميات الترجمة.

نحو سيميوطيقا (=علامات) نسقية للنص (الأدبى) المستهدف

(أ) بعض تصانيف التحليل النصوصى الكاشفة عن الأداء المَحكوم - عُرفيًا/ المنمّط

* **استراتيجيات شعرية:**

(١) **التبدلير bowdlerization** (هل هناك حالات للغة خشنة فى النص المصدر قام المترجم بفرض "رقابة" عليها؟

(٢) **التلطيف euphemism** (هل هناك ميل نحو تخفيض نبرة أسلوب النص المصدر؟)

(٣) **التشعير poeticizing** (مثال: هل يستخدم المترجم بصفة مستمرة سماتٍ شعرية/شعريات؟ ما هو نوع الذخيرة الشعرية التى يغترف منها المترجم؟)

(٤) **التعتيق** archaizing (هل النص المستهدف مكْسُو بجنزار (=زنجار) القدم أى الاستعمال المعيارى العتيق و/أو الصياغات الشعرية العتيقة؟).

(٥) **الترجمة – صفر** (هل هناك ملامح/أجزاء من النص المصدر جرى حذفها فى النص المستهدف؟).

نستطيع أن نفسِّر معظم الاستراتيجيات الشعرية فى ضوء الأعراف الترجمية والقيم الأدبية (مثال: العُرف الذى يقول بأن ترجمة ملحمة شعرية مثل "الكوميديا الإلهية" تحتاج إلى أسلوب أدبى رفيع) و/أو فى ظل مبدأ مشروطٍ تاريخيًا ومحددٍ ثقافيًا (مثل استراتيجيات الشفافية والطلاقة فى التقاليد الأنجلو – أمريكية).

استراتيجيات الترجمة:

(١) **المقروئية** Readability (بأى وسيلة يحقق المترجم درجة عالية من الطلاقة؟) تعد هذه الاستراتيجية قابلة للتفسير فى ضوء مبدأٍ مشروطٍ تاريخيًا للشفافية – الطلاقة وقانون "تورى" العابر للفرد فى الترجمة، وهو القانون الذى يميل المترجمون بموجبه، إلى تبسيط الصياغة النصوصية للأصل.

(٢) **التوضيح والتفهيم** Clarification and explicitation (هل هناك أى اقحامات شارحة، زيادات إلخ فى النص المستهدف ؟): يبدو أن هذا ملمح عمومى للترجمة (العابرة للفرد trans-indivdual، اللاتاريخية) ولكن هناك بكل تأكيد بعض الاختلاف من مترجمٍ لآخر عندما يتعلق الأمر بقدرة هذه الاستراتيجيات على التوغل والشيوع.

(٣) **التعويض المعمم** Generalized compensation وهذا شكل من الأداء المنمَّط فى النص المستهدف (هل يدخل المترجم بصفة منتظمة إضافات معجمية مكثفة على امتداد النص المستهدف، كى يعوِّض مثلاً عن فقدان الأصل للقوة البلاغية؟)

(ب) بعض تصانيف التحليل التى تكشف وجهة نظر المترجم: التدخلات (السياسية، الأيدولوجية) من جانب المترجم فى النص المستهدف.

(١) نقد النص (هل يتدخل المترجم فى النصوص الموازية (= شبه النصوص) ويناقش الفروق النصوصية البديلة؟) وهذا التصنيف يوصِّف أحد الأنواع الممكنة للتدخُّلات الشخصية التى تعكس الروح التفسيرية للمترجم أو نظرية الترجمة (وعلى سبيل المثال قد يسعى المترجم إلى تبيان الطبيعة المراوغة للترجمة وبالتالى يأخذ على عاتقه مهمة نقد النص) .

(٢) سوء الترجمة (هل هناك أى حالات لسوء الترجمة، نستطيع تفسيرها فى ضوء وجهة نظر المترجم أو "أجندته"(جدول أعماله) السياسية ؟) .

(٣) التحويرات (هل يحوِّر المترجم أجزاء معينة من النص المصدرلأسباب أيدولوجية – سياسية؟) .

(٤) التدخلات الشخصية – الأيدولوجية (هل يطرح المترجم قراءة سياسية – أيدولوجية غير محوَّرة، وهى القراءة التى تعد، مع ذلك، مشروعة وفى نفس الوقت تكشف عن وجهة نظره المتميِّزة ؟) .

(ج) أنواع التحليل (أنظر الجدول رقم ١)

التحليل **الكمى** لإتساقات الأداء – الإستراتيجيات الترجمية التى تعكس أعرافًا ومبادئ وعموميات بالاضافة إلى الرغبة فى التعويض بشكلٍ منتظم على امتداد النص المستهدف، التحليل **الكيفى** للتدخلات الأيدولوجية–السياسية، وخطوات نقد النص وحالات التعويض، بخلاف تلك المعممة، وجدير بالذكر أن التعويض المعمم هو عبارة عن استراتيجية تسعى إلى التعويض عن فقدان ملمحٍ أسلوبى متكرر للنص المصدر، وعلى النقيض من ذلك نجد أنواع التعويض المعزولة والمجاورة التى تقع فى أجزاء معينة من

النص المستهدف، إنما ترتبط بهذا الفقدان أو ذاك (مثال: فقد التورية فى النص المصدر) وقد تكون متسقة مع التدخلات التى سوَّغتها شعرية المترجم و/أو أيدولوجيته (أنظر "هارفى" ١٩٩٥ و"كريسافوللى" ١٩٩٦).

يحالف الصواب "هيرمانز" عندما يذهب إلى أن نماذج الترجمة القائمة حاليًا لا توفِّر "توجيهًا كافيًا فيما يتعلَّق بأى الفقرات التى يتعيَّن اختيارها لإخضاعها للدراسة التفصيلية" (١٩٩٩: ٧٠) ومن الواضح أن المرء عندما يتناول التحليل الكيفى، يكون "التفسير والحكم"(المرجع السابق) على جانب أقصى من الأهمية.

اتساقات منمَّطة	تدخلات استراتيجية
تتحقق فى الاستراتيجيات النصوصية للنص المستهدف، التى نستطيع مقارنتها مع الاتجاهات الملاحظة فى جسمور النصوص المترجمة	تتحقق فى أجزاء حساسة من النص المستهدف. تدخلات استراتيجية تكشف عن وجهة نظر المترجم.
نوع التحليل: كمى	نوع التحليل: كيفى
نوع النهج: علمى – استقرائى	نوع النهج: تفسيرى – نقدى
تركيز على العوامل العابرة للفرد والملامح النصوصية المعممة	تركيز على المترجم الفرد وملامح النص – المحددة
أعراف الترجمة	تدخلات أيدولوجية: تحويرات
مبدأ/مبادئ الترجمة	خطوات نحو نقد النص
عموميات/قوانين الأداء الترجمى	إختيارات ذات طبيعة شخصية: "سوء ترجمات"
الملامح العامة للنص المستهدف (مثال : التعويض المعمم)	تدخلات واقعة فى أجزاء محددة من النص المستهدف(مثال:التعويض المُبْعد والملاصق)

الجدول رقم ١: أنواع البحث والتحليلات التى تميِّز – على التوالى – البحث عن الاتساقات المنمَّطة فى النص المستهدف ودراسة التدخلات الشخصية – الأيدولوجية من جانب المترجم.

وعندما نختار الفقرات بغرض التحليل النصوصى، فإننا نعمل عندئذٍ على أساس الافتراض بأنــهــا ســوف تقدِّم ملاحظاتٍ مدهشة. على أن عملية اختيار المعطيات ذاتها - مثل التحليل النصوصى اللاحق ذاته - ليست سوى خطوة تفسيرية معقدة. وبالتــالـــى، فليس من الســهل - ببساطــة - أن نضع قواعد صلبة - و - راسخة لتحليلٍ كيفى سليم يصلح لكافة النصوص المستهدفة. وليس فى طوعنا سوى السير بعض الشوط نحو تخليق منهجية تيسِّر مهمة الباحث - وعلى سبيل المثال - ينبغى على الباحث فــى ميــدان الترجمــة أن يأخـــذ فى الحسبان ســيرة المتــرجـم، وإعــلان نــوايـــاه وكل ما من شأنه تسليط الضوء على خلفيته، وعندئذٍ ينبغى أن ينطلق من الافتراض القائــل بأن وجهــة نظــر المترجم ســوف تبــرز فى نقط معينة تحوز حســاسيــة خاصــة من النص المستــهدف (بما فى ذلك النصــوص الموازية أو شبه النصوص) ويتلخَّص السؤال الحاسم بالنسبة للتحليل الكيفى فى: هل هناك أجزاء ذات حساسية خاصة فى النص المصدر الذى يرجح المترجم أن يحوِّره ويغيِّره أو يفسِّره بطريقة خاصة تحمل وجهة نظره ؟

لا يمكن للفرق بين الاستراتيجيات الشعرية وتلك الترجمية أن يكون مطلقًا. وليس فى طوعنا إلاَّ أن نصنِّف المعطيات بصورة مؤقتة وفقًا لوظيفة سائدة فيما يُزعم - وعلاوة على ذلك - فالفرق بين العوامل العابرة للفرد (مثل الأعراف) وتلك التى تتعلق بـ"المترجم - الإنسان" يكون نسبيًا فى بعض الأحيان. فحتى الاستراتيجيات الشعرية تكشف شيئًا أو آخر، يتعلَّق بالمترجم الفرد: مدى استجابته لضغوط الأعراف، واختياره لعباراته وألفاظه فى نطاق ما هو متاح، بمعنى تلك الاختيارات المسموح بها (التى قد تتيح للمترجم أن "يعتِّق" أو "يحدِّث" النص المستهدف. فالمترجمون ليسوا واقعين - ببساطة - فى أسْر أعرافٍ ومبادئ ساحقة إلخ، كى تنعكس فى النصوص المستهدفة. إذ أنهم مشــاركون فى وسط milieu فكرى - ثقافى معيَّن، ولا مناص من أن تقع اختياراتهم فى سياق أو آخر، ولكنهم يملكون شخصياتهم المتميِّزة، وقد تكون تدخلات بعينها فى النص المستهدف، إبداعًا إلى حدٍ عالٍ بل وحتى فذة لا نظير لها، والأهم من ذلك أن الاختيارات المتفرِّدة قد تحمل مغزى عميقًا من وجهة نظرٍ أيديولوجية - سياسية.

ومن الواضح أننا لا نستطيع أن ننبذ فكرة الأنماط المفيدة لمعنى عندما يأتى الأمر إلى تصنيف كل الملامح التى يحملها النص المستهدف، إلاَّ أننى أحبِّذ مصطلح "الاتساق" عندما يأتى الأمر إلى تدخلات ذات طابع أيدولوجى أو شخصى، تلك التى تقع فى مواضع معينة تتميَّز بحساسية خاصة من النص المستهدف. وإذا كانت بعض الاختيارات على المحور الأيدولوجى متسقة مع فرضية معينة (مثال: مترجم بروتستانتى يمكن أن ينتج لنا قراءة بروتستانتية - الروح لـ "كوميديا "دانتى") فإن بوسعنا أن نستخدم مفهومًا مثل "الأجندة الأيدولوجية" (= جدول الأعمال الأيدولوجى) حتى نعممها. غير أن التحليل الكيفى للتدخلات الأيدولوجية على وجه الخصوص سوف يظل دومًا مشحونًا بمعتقدات الباحث الأيدولوجية - السياسية.

(٦) نتائج: المهمة النقدية لنظرية الترجمة

مع أن النماذج التجريبية - الوصفية القائمة حاليًا ليست غير كافية تمامًا، إلاَّ أنها لا تستطيع أن تسلِّط حزمة الضوء القصوى على النص المستهدف دون مساهمة النهوج التفسيرية - النقدية، وقد وقع كل من "تورى" و"بيكر" على أهمية التجريبية - المبدأ الإبستمولوجى الذى يعزز البحث الوصفى فى ميدان الترجمة - ولكن نهجهما أبعد من أن يكون فوق النقاش، إذ يفشل تركيزهما على الاتساقات المنمَّطة بشكلٍ كافٍ فى تفسير كافة الظواهر التى تحدث فى عملية الترجمة.

تقول "بيكر" أن الدراسات الترجمية الوصفية ينبغى لها أن توفر المنهجية والإجراءات البحثية "حتى يصبح فى الإمكان التعبير عن النتائج التى تتوصَّل إليها الدراسات الوصفية الفردية فى ضوء تعميمات (= قوانين عامة) عن الأداء الترجمى. (١٩٩٣: ٢٤١). وهذا هدف مهم، ولكنه يهمل الأبعاد الخطيرة للبحث الترجمى. وتركز "بيكر" على الدور الفرعى لدراسة الحالة، والفائدة التى تعود من ورائها، وهى الفائدة التى يمكن الحكم عليها فى ضوء ما تقدمه من مساهمة فى الكشف عن الاتساقات

أو الاتجـاهـات – وعلى نحو مـا أشرت مـراراً – يتعيَّن على الدراسات الترجمية الوصفية أن توفِّر أيضًا المبادئ المنهجية التى تمكِّن الباحثين من دراسة العلاقات المتبادلة بين الأداء الترجمى المنمَّط والاختيارات الشخصية للمترجم.

إلاَّ أن هـدف الدراسـات الترجمية الوصفيـة لا يتمثَّـل فقـط فى اكتشـاف القانون العلمى بما ينطوى عليه من قوة تنبؤية، ولكن أيضًا فى فهم مغزى ما سبق لى أن أسميته بـ "التدخـلات الإستراتيجيـة (الشخصية) أو المحـددة – نصيًا"، التى تستطيع أن تكشف قدراً كبيراً عن المترجم – الإنسان. فخلال التوفيق بين التفكير الموجه – نسقيًا وذاك التفسيرى – النقدى، يكون فى مقدور الدراسات الترجمية الوصفية أن تفسِّر لنا ذلك النطاق الواسع من العوامل التى تمت بصلة أو أخرى بالنص المستهدف.

تتضمَّن الملاحظات التى أبديتها حتى الآن ضرورة أن نوسِّع نطاق الأهداف التى تتوخاها الدراسات الترجمية الوصفية. وعلى نحو ما أشار "هيرمانز"، فلقد صبَّت النهوج التجريبية – الوصفية تركيزها على "المسائل التى تكتنف الإنتاج والاستقبال والأثر التاريخى للترجمة – وخصوصًا تلك الأدبية (١٩٩٩: ٤٤) وهذا هو السبب فى أن التجريبيين الوصفيين ابتكروا علم اجتماعٍ (= سوسيولوجيا) للترجمة، وبذلك يكونون قد أهملوا أبعاداً مهمة مثل "فلسفة الترجمة، أو العمليات الذهنية أو الإدراكية لعملية الترجمة بحد ذاتها" (المرجع السابق) وأرانى متفقًا مع "هيرمانز" (١٩٩٩: ١٤٧) بأن الدراسات الترجمية ككل ينبغى عليها أن تعمل على ثلاثة مستويات مترابطة الواحد بالآخر: **النظرية** (التى تشمل تفسير الترجمة) والتحليل (وأعنى به التحليل النصوصى) **والتاريخ** (ينبغى على دارسى الترجمة أن يجاهدوا فى سبيل الحفاظ على توجهٍ تاريخى) .

واقع الأمر أن المهام النقدية الكبرى للدراسات الترجمية ككل "تتألَّف من التنظير للتجاور التاريخى لأنماط واستعمالات مختلفة للترجمة"("هيرمانز"١٩٩٩: ١٤٧) وهذه المهمة تتطلب من الدارسين أن يركِّزوا على العمليات التفسيرية التى تميِّز عملية

الترجمة، وإذا كان الدارسون الذين ينتمون للمدرسة "التجريبية - الوصفية" يهدفون إلى فهم الترجمة كظاهرة تاريخية وثقافية، صار لزامًا عليهم أن يتخذوا من قضية التفسير همهم الرئيسى. على أن الدراسات الترجمية الوصفية تحتاج إلى إيجاد علم تفسير خاص بالترجمة وعلمٍ معرفيٍ (= ابستمولوجى) (و هذا - عوداً على بدء - مهمة منهجية) وهذا الأخير علم يملك - إلى جانب ملائمته للمنهج التجريبى، قوة تفسيرية، وليس مجرد قوة تنبؤية فقط. إلاَّ أن هذه المسألة ينبغى أن تكون موضوع مقالٍ آخر.

الهوامش

(١) لم أشر إلى نظرية "إيفين - زوهر" Even-Zohar التى تقوم على تعدد - الأنساق، على نحو ما يحاجج "هيرمانز"(١٩٩٩: ١٠٢) "ليس هناك صلة ضرورية بين هذه النظرية والنهوج التجريبية - الوصفية فى الدراسات الترجمية. وهذا لا يعنى بطبيعة الحال إنكار الأهمية التى تعد فتحًا غير مسبوق لأفكار "إيفين - زوهر". ولنفس السبب، لم أذكر عددًا من أهم العلماء الوصفيين، مثل "أندرو تشيسترمان"Andrew Chestermann و"خوزيه لامبرت" José Lambert بهدف الاقتصاد والإيجاز. وقد ناقش "هيرمانز" (١٩٩٩) موقف أولئك العلماء (و غيرهم) من المبدأ التجريبى- الوصفى، ويعد نقاشه ذاك أدق سرد للدراسات الترجمية الوصفية وأكثرها اكتمالاً حتى تاريخه.

(٢) يرى "فينوتى" أن النهوج التجريبية - الوصفية تستطيع الاستفادة من أنماطٍ معينة من التفكير التاريخى والاجتماعى. ويوصى بـ "توصيف واستكمال النهوج التجريبية، سواء أكانت ترتكز على اللغويات أو نظرية متعددة الأنساق، بمفهوم "سؤر"(= بواقى) الفكر الاجتماعى والتاريخى، وهو ما تطلبه من الذين يعملون فى ميدان الترجمة من مترجمين وباحثين" (١٩٩٨: ٢٩) ومع ذلك يركز فينوتى" على مفهوم ضيق ومسيَّس هو مفهوم "السؤر"، الذى لا أظن أن فى وسعه أن يساعد فى عبور الفجوة بين النهجين التجريبى - الوصفى وذلك التفسيرى - النقدى. وأعتقد أن "هيرمانز" كان أقرب إلى إصابة الهدف، على نحو ما سنرى فى وقت لاحق (١٩٩٩) عندما أكد على أهمية الفهم التفسيرى - التاريخى للترجمة.

(٣) الحقيقة التى تقول أن "تورى" متأثرٌ بمفهومٍ ما للغويات لا تعنى أنه ينبغى علينا أن نمضى قدمًا مع القياس على الدراسات الترجمية الوصفية أى شوط أبعد مما هو ضرورى - وعلى سبيل المثال - لا ينبغى أن نساوى بين الأعراف (= المواضعات) والقواعد اللغوية، ومع أنها أى تلك الأعراف قد تشكِّل كابحًا على المترجمين الأفراد كلٍ على حدة، إلاَّ أنها قد تكون عرضة للاستهزاء - وعلاوة على ذلك فإن "تورى" يقول بأن الدراسات الترجمية الوصفية أكثر مصقولية من النظريات اللغوية، تلك التى تفصل بين اللغة والسياق الاجتماعى/التاريخى (انظر "ميلروى" ١٩٩٢ -Milroy 1992) .

(٤) من الواضح أن الفرق بين عبارتىْ ملاحظة - العُرف وفرض - العُرف هو فرق مطلق داخل نطاق الدراسات الترجمية الوصفية وحدها، دون الدراسات الترجمية ككل (فالتوسعات التطبيقية للنسق تهتم بالأعراف التوجيهية) ويتلخص ما أهدف إليه هنا فى أن القياسات بين الدراسات الترجمية الوصفية و(الفروع المختلفة) اللغويات ينبغى استعمالها وتفسيرها بدقة وعناية كبيرتين، وإلاَّ فإن ما يراه "فينوتى" من أن نهج "تورى" قد يترتب عليه تثبيط الرغبة إلى حد كبير فى دراسة وممارسة النزعة التجريبية فى "ميدان الترجمة" (١٩٩٨: ٣٠) سوف يجد ما يبرره. لكننى أرى من الصعب أن أعتقد بأن المترجمين

قد يتأثرون بتوصيفات الترجمة بنفس الطريقة التى يتأثر بها مستعملو اللغة بتوصيفات اللغة فى القواميس المعتمدة التى تحظى بنفوذ واسع. ولا معنى هناك لافتراض (كما يفعل "فينوتى") أن قانون "تورى" الذى يقول بـ"**التقييس المتنامى**" growing standardization (أو النزعة المحافظة فى ميدان الترجمة) ذلك القانون الذى يذهب إلى أن المترجمين يميلون إلى تبنى الذخائر المستقرة، والعزوف عن التجريب مع النص المستهدف (فى اللغة المنقول إليها. المترجم) إذا كان الأمر راجعًا وحسب إلى أن النص يصف ما ينوون – على سبيل الظن – أن يعملوه فى سائر الأحوال، ولا يعد قانون "تورى" أكثر من ملاحظة تجريبية، قد يختار المترجمون الأفراد أن يسخروا منه.

الفصل الثالث ما لا تقوله النصوص

استخدامات النصوص الموازية في البحوث الترجمية

شهناز طاهر-جورتشاغلر Sehnaz Taher-Gürçaglar

خلاصة :

تتناول هذه الورقة صلة عناصر النص الموازي (= شبه النص) بالبحث الترجمي التاريخي. وفي ضوء استكشاف مفهوم النص الموازي في اتصاله بالترجمة، تحتج الورقة بأن اعتبار الترجمة نصًا موازيًا يقيِّد من رؤية الدراسات الترجمية الراهنة ويُفقر إطارها المفهومي. ومع ذلك فإن توصيفًا نقديًا لعناصر النص الموازي التي تحيط بالترجمات يمكن أن يكون فعَّالاً في تسليط الضوء على المفاهيم والتعريفات المتفاوتة للترجمة في فترة معيَّنة في هذه الثقافة أو تلك، وتؤكد الورقة أن النصوص الموازية تستطيع أن توفِّر استبصارات (= نظرات ثاقبة) قيِّمة لعمليَّتي الإنتاج والاستقبال للنصوص المترجمة عن طريق لفت الانتباه لمفاهيم من نوع التأليف والأصالة والمجهولية التي لا تزيد عن أن تكون مستترة في الترجمات ذاتها.

يتلخَّص الهدف الرئيسي في كثير من مشاريع البحوث في تاريخ الترجمة في استكشاف السياقات الاجتماعية - الثقافيةالتي يجري في إطارها إنتاج واستقبال النصوص المترجمة، إلاَّ أن عملية التسييق (= الإدراج في سياقات) **contextualization** هذه تحتاج إلى منهجية تستطيع أن تأخذ كلاً من النصوص المترجمة والخطاب الما - بعدي **meta-discourse** حول الترجمة في الحسبان، وتتناول الورقة الحالية الصلة مع المواد النصوصية التي لا تشكِّل جزءًا فعليًا من النص المترجم ذاته. ويدرس الباحثون في أي

مشروعٍ تاريخى أنواعًا مختلفة من هذه المواد، فمثل هذه المواد قد تتكوَّن من الترجمات الفعلية، أو من مثل تلك المعطيات الخارجية كالعروض التى تُجرى فى الدوريات والرسائل الجامعية والإعلانات والمقابلات واليوميات والخطابات العامة، وذلك على سبيل المثال لا الحصر. وبين هذين النوعين هناك نوع ثالث من المواد، وهو نوع واقع تحت عتبة الشعور إلى حدٍ كبير وفى الغالب يمضى دون أن يشعر به أحد، وهذا هو أرض النصوص الموازية: المقدمات والتعليقات اللاحقة والعناوين والاهداءات والصور الإيضاحية وعدد من الظواهر الوسيطةالتى تتوسط بين النص والقارئ وتقوم بـ "تقديم" العمل ("جينيت" Genette 1997: 1) وتولى هذه الورقة اهتمامها بالطريقة التى يمكن استخدام مثل هذه المواد التى تعد نصًا إضافيًا أو نصًا موازيًا فى سبيل الكشف عن الظواهر الترجمية التى تكون إما غائبة أو مجرد مستترة فى النصوص المترجمة ذاتها. ولسوف أستخدم فى هذه الورقة مصطلح "النص" text عند الإشارة إلى النصوص المترجمة ومصطلح "النص الإضافى" extratext عند الإشارة إلى النقاش الما - بعدى العام عن الترجمة الذى يدور بصورة مستقلة عن النصوص المترجمة، واحدًا واحدًا و"النص الموازى" paratext عند الإشارة إلى المواد التى تصاحب النصوص المترجمة والنقاشات الما - بعدية المتعلقة بالنص وتنشأ مباشرة حولها.

عندما نرغب فى تحليل الشروط التى تقف وراء سلسلة من الترجمات التى تقع فى مكان وزمان محددين من التاريخ، فإننا نكون بحاجة إلى ابتكار معايير تمكننا من اختيار المواد التى تتصل بالموضوع. إحدى الطرق التى تساعدنا فى بدء مشروع بحثٍ فى تاريخ الترجمة تتأتى خلال اختيار الترجمات التى سندرجها فى المشروع، وهذا الأمر يشكِّل مشكلة فى حد ذاته، نظرًا لأن الدراسات الترجمية لم تتفق على تعريف محدد للترجمة، فلقد عرَّفتها هذه الدراسات بطرق مختلفة. ومع ذلك فليس هناك اتفاق فى الوقت الحاضر على الكيفية التى يمكن أن نعرِّف بها الترجمة، اللهم ربما الاستقرار على أن أفضل طريقة لتعريف الترجمة تتمثل على وجه الترجيح فى ألا نعرِّفها أصلاً. ولعل هذا هو السبب فى اللجوء إلى مثل تلك المصطلحات كـ "إعادة الكتابة" ("لوفيفر" ١٩٩٢) "الترجمة المفترضة" ("تورى"١٩٩٥). ولقد كان مصطلح "إعادة الكتابة" فعالاً

فى التأكيد على مطابقة الترجمة لأنشطة أخرى تنخرط فى تفسير النص وبالتالى مسئولة عن استمرارها على قيد البقاء، مثل كتابة الدواوين (فى الشعر) والمجاميع (فى القصة القصيرة) والتواريخ الأدبية ودلائل (= جمع دليل) القراء (الأذكياء) ("لوفيفر" ١٩٩٢: ٢) أما "الترجمة المفترضة" - فمن جانبها - تجعل، على نحو ما فهمها "جديون تورى"، من الترجمة مفهوماً معتمداً على ثقافة - مستهدفة، معتبراً كل العبارات التى تُنطق أو تُقدم أو تُنظر أو تلك التى يبوح بها المرء ترجمات مشروعة بمعنى صالحة لاتخاذها كموضوعاتٍ للدراسات الترجمية الوصفية ("تورى" ١٩٩٥: ٣٢) ويشمل مفهوم "تورى" عن الترجمة مثل تلك الظواهر كالترجمات الزائفة والترجمات المستترة والاقتباسات. وقد يكون من الخطأ أن نخلص إلى أن "تورى" يطرح وجهة نظر أشد تحديداً مما فعل "لوفيفر". فعوضاً عن أن يتخلى عن مصطلح الترجمة، نرى "تورى" يوسِّع نطاقها ويقدمها باعتبارها مفهوماً شبه نسبى **relativized** أى مفهوماً نسبياً أو يكاد.

يستند مفهوم "الترجمة المفترضة" إلى حد كبير على شروط استقبال النصوص، طالما كان المتلقون المستهدفون هم الذين سيحددون بالدرجة الأولى وضع النص وإذا ما كان ترجمة. على أن عملية الاستقبال هذه تخضع لتأثير عدد من العوامل غير المقصورة على النص الذى يُفترض أن يدخل تحت تصنيف الترجمة. وفى طوع النصوص المترجمة أن تمدّنا بعدد من المفاتيح التى تلمِّح إلى وضعها كترجمات. فاستخدام الأسماء الأجنبية والعناصر الثقافية الأجنبية وكذلك الموضوع والتركيب النحوى غير المألوف قد تنبِّه كلها القارئ إلى إمكانية وجود عملٍ مترجم بين يديه. ومع ذلك فالغالبية الغالبة من هذه المفاتيح، مثل عنوان النص ومعرفة السلسلة التى صدر فيها الكتاب موجودة قبل أن يبدأ النص المترجم. وهى تظهر "حول" النص المترجم، على الغلاف أو على صفحة العنوان أو فى المقدمة: و"جينيت" يتحدث فى هذه الحالة عن "النصوص الهامشية" (Peritext(1997: 5 وبالتبادل، فإن مثل هذه العناصر التى تعمل فى سبيل تقديم النص المترجم تستطيع أن تقع خارج نطاق الكتاب ويمكن أن نجدها فى البيبلوجرافيا وفى الإعلانات فى المجلات وفى مقالات العروض بالصحافة الأدبية، وهنا

يتحدث "جينيت" عن "النصوص الفوقية" **epitexts** (المرجع السابق) ولهذه العناصر تأثير واسع على كيفية استقبال النص، على الأقل فى البداية، قبل بدء القارئ لعملية قراءة النص الفعلي. ويمكننا أن نفترض باطمئنان أن انطباعنا الأول عما يميِّز الترجمة مما ليس بترجمة لا يتشكَّل بالترجمة (أو ما ليس بترجمة) فى حد ذاته، بل بالطريقة التى تُصَر وتحْزَم بها الترجمة وتُقدَّم.

١ - الترجمة كنصٍ موازى (= موازٍ)

يورد "جرار جينيت" **Gérard Genette** - فى ختام عمله البارز الأهمية عن النصوص الموازية، ثلاثة أنواع من المواد التى يعفيها من الاندراج فى بحثه حول الأنواع المختلفة للنصوص الموازية حتى ولو بدت "صلتها كنصوص موازية" غير منكورة: الترجمات والمنشورات المسلسلة والتصوير الإيضاحى (١٩٩٧: ٤٠٥) ولو أن الحجم الضخم لكلٍ من هذه المواضيع لم يكن خافيًا عليه. ويكفى لأهدافنا هنا أن حذف هذه الترجمة خطوة بليغة، إذ أنها تكشف، مثلما تفعل حقًا، عن عزوف "جينيت" عن معالجة السمات التى تنطوى على إشكالات تصوير الترجمة كـ نص موازى (=موازٍ) . ويذهب رأيي إلى أن النظر إلى الترجمة كنشاطٍ مشتق، بصفة دائمة ومعتمدٍ على نصٍ آخر، هو سابقٌ عليه من الناحية التأريخية **chronological** يجعل من الترجمة تعليقًا - ليس إلاَّ على نصٍ أصلى - أى ملمح موازى (= موازٍ) لتقديم نص أصلى. ومع ذلك فتعريف الترجمة بهذه العبارات قد يخدم البحث فى نطاق الترجمة خدمة طفيفة، وذلك لأنه يؤدى إلى نزع الطابع الإشكالى عن عدد من القضايا التى طفت على سطح الدراسات الترجمية فى السنوات الأخيرة، وثانيًا لأنه يطرح رؤية محددة ومقيَّدة للترجمة، تستبعد الترجمات الزائفة، التى غدت أدوات مهمة فى أيدى الباحثين الذين يستقصون مفاهيم الترجمة المعمول بها داخل نطاق مجتمعٍ معيَّن فى لحظة زمنية معيَّنة. والآن دعونى أعرض لهاتين النقطتين بصورة منفصلة النقطة عن الأخرى.

يطرح النظر إلى الترجمة كـ "نصٍ موازى" (موازٍ) علاقة هرمية (= تراتبية) بين النص – المصدر وبين النص – المستهدف، وذلك لأن هذه العلاقة تمضى شوطًا فى تصورُّها أبعد من السبق التاريخى، إذ أن "جينيت" يرى أن النص الموازى مرصود لخدمة شىء آخر خلافه، أى النص الأصلى:

أيًا كان الرداء الجمالى أو الأيدولوجى الذى يخلعه المؤلف على نص موازى (= موازٍ) ("عنوان جذاب" أو مقدمة – بيان (= مانيفستو) وأيًا كانت الروح اللعوب أو النقض غير المألوف، الذى يضفِّرها المؤلف فى ذلك النص الموازى، فإن صفة النص – الموازى تظل باستمرار تابعة لـ "نصها" وهذه الوظيفية تحدد جوهر جاذبية النص الموازى ووجوده ("جينيت"١٩٩٧: ١٢)

لعل المضامين التى تنطوى عليها هذه الفقرة بالنسبة للدراسات الترجمية واضحة دون لبس، فهى تعنى أن الترجمة، عندما يُنظر إليها كنص موازى (موازٍ) فإنها تعمل فى خدمة الأصل ليس إلاَّ، وليس جمهور القراء المستهدف الذى سيستمتع بها، وليس النسق الأدبى المستهدف الذى قد يتأثر بها إلى حدٍ تنطلق معه سلسلة من الترجمات لنصوص مشابهة، وليس المترجم الذى قد يستمتع بارتفاع صيته كمترجم لذلك النص المحدد، وليس الناشر الذى قد يجنى أموالاً طائلة من وراء ذلك العنوان المحدد، وليس النص المصدر نفسه، الذى تضمن الترجمة له "حياة أخرى" (بنيامين Benjamin 1968) .

وعلاوة على ذلك يتعارض مفهوم "جينيت" للترجمة كـ "نصٍ موازٍ" مع المنظور الذى يرى أن الترجمة إنما تبدأ فى الثقافة المستهدفة وتهدف إلى إشباع احتياج فيها ("تورى" ١٩٩٥: ٢٧) كما أن هذا المفهوم ليس فى طوعه أن يتفق مع القضايا التى تثيرها الدراسات البعد – استعمارية postcolonial ، تلك الدراسات التى برهنت على أن الترجمة يمكن استخدامها فى سبيل غايتين، الأولى كأداة "تعليمية" فى تمدين المستعمَرين (بفتح الميم) والثانية كوسيلة لخلق صورة للمستعمِرين ("نيرانيانا" Niranjana 1992: 13, 21) أضف إلى ذلك أن فكرة "جينيت" عن النص الأدبى

تبـدو ساكنـة static، إذ أنـه لا يـراعـى كيـف أن النصـوص الموازيـة قـد تدخـل فى علاقة حوارية مع نصوصها الرئيسية وتعدِّلها. حقًا يضع "جينيت" فى الحسبان إمكانيـة أن تـؤثـر النصـوص الموازيـة على اسـتقبال نـص مـا، ولكنـه يتغـاضـى عن حـالات معينـة قـد تتمكَّن فيهـا من إحداث أثر - فعلاً - فى ملامحه النصوصية. وقـد يكون للترجمـة تأثير مـا، نظـريًا على الأقـل على النسـق الأدبـى المُرسـل، وحتـى علـى المؤلفين - المصـادر أنفسهم. ويكفى هنـا أن نستعيـد إلـى ذهننـا الكُـتَّـاب الذين يكتبـون بلغـات غير غربية أو "صغرى" ممن ترجع شهرتهم العالمية بصورة كبيرة إلى ترجمة أعمالهم - وعلى سبيل المثال - الروائى التركى "أورهان باموك" Orhan Pamuk الذى تُرجمت أعمالـه إلى اللغـات الأوروبيـة الكـبـرى فقـد يضـع - سـواء بوعـى أو دون وعـى - قـابلية عبـاراته للترجمة، فى ذهنه خلال عملية الكتابة لرواياته الجديدة.

كما يضيِّق النظر إلى الترجمة بصفتها نصوصًا موازية من نطاق الظاهرة الترجمية، نظرًا لأن الرؤية الموجَّهة - مصدريًا (= من جانب المصدر) لا توفِّر مجالاً لمثل تلك الأشياء التى تسمى ترجمات زائفة pseudotranslations . إذ أن أحداً لا يستطيع أن يرى فيها تعليقاتٍ على نصوص أخرى، طالما افتقرت إلى نص - مصدر. ومع ذلك فاستبعادها من البحث فى تاريخ الترجمة يعنى افقارًا للإطار المنهجى، وذلك لأن بكشف الترجمات الزائفة لملامح مشتركة بينها. بدلاً من الأصول - فإنها تسمح لنا بأن نلمح توقعاتٍ عن الترجمة الحقة.

موجز القول أن رؤية الترجمات كنصوص موازية لن يخدم رؤية أوسع للترجمة ترتكز على الأخذ فى الحسبان كلاً من الملامح النصوصية والوظائف والاستقبال أو تأثير النصوص المترجمة، بالإضافة إلى العلاقة بين الظواهر الترجمية وعناصر أخرى فى النسق الثقافى بوجه عام. إلاَّ أن مفهوم "جينيت" للنص الموازى يمكن أن يكون مصدرًا خصبًا للمعطيات فى مشروع وضع تاريخٍ للترجمة، فهو يوفِّر استبصارات قيِّمة فى تقديم واستقبال النصوص المترجمة ذاتها.

(٢) النصوص الموازية فى التطبيق

فى هذا القسم سوف أركِّز على اثنتين من حالات الاختبار من النسق التركى للأدب المترجم فى أربعينات (=أربعينيَّات عند المتفاصح) وأهدف من وراء ذلك استكشاف بعض الطرق التى يمكن خلالها استخدام النصوص الموازية فى البحث الترجمى التاريخى. وكان "أوربو كوبالا" Urpo Kovala (1996) أول رائد طرق هذا الطريق من البحث عندما قدَّم تحليلاً لوضع ووظائف الوساطة التى تقوم بها النصوص الموازية فى النصوص المترجمة، ففى مقاله الذى ظهر سنة ١٩٩٦ قدَّم دراسة مفصَّلة حول عناصر النصوص الموازية التى استخدمها الناشرون للأدب المترجم فى فنلندا فى الفترة من ١٨٩٠ حتى ١٩٣٩ ، ولقد ربط بين النصوص الموازية وبين فكرة الانغلاق الأيدولوجى، وبرهن على الكيفية التى تساهم بها النصوص الموازية، وخصوصًا النصوص الهامشية فى العمليات الأيدولوجية فى المجتمع ("كوبالا" ١٩٩٦: ١٤١).

وفيما يلى سوف أقصر حديثى على الطريقة التى تقدم خلالها النصوص الموازية مفاتيح حول تعريف هذه الثقافة أو تلك للترجمة وتمكِّن الباحث من إثارة أسئلة تستطيع تحريك الرغبة فى مزيد من البحث والاستكشاف. وهذا ليس معناه أن النصوص الموازية لا تعكس مواقف أيدولوجية داخل نطاق السياق التركى. ولسوف تتضح العلاقة بين عناصر النصوص الموازية وعمليات التغريب والتحديث بصفتهما أيدولوجية سائدة فى مطلع الفترة الجمهورية فى الفقرات القادمة. كما قد تُقرأ استراتيجيات النص الموازى الموجَّهة - سوقيًا (أى التى توجِّهها علاقات التسويق) بصفتها عاكسة لأيدولوجية ليبرالية. ومع ذلك فلن أخوض فى الطرق المحددة التى تتفاعل بها النصوص الموازية مع هذه الأيدولوجيات أو تعززها ولسوف أقصر نطاق هذه الورقة على الكيفية التى يُمكن لهذه النصوص الموازية أن تُستخدم خلالها فى رصد التعريفات المتنوعة التى تطرحها هذه الثقافة أو تلك للترجمة والأصل أو المصدر. والنصوص التى سأعرض لها على وجه الخصوص هى النصوص الهامشية

والنصوص الفوقية epitextual ، وهى التى تضم أسماء الكُتاب/المترجمين والإشارات العمومية والعمومية الموازية والإخراج المرئى للأغلفة والعناوين وعناوين السلاسل.

٢-١- النصوص الموازية للأعمال الكلاسيكية المترجمة

الحالة الأولى التى سوف أقدمها مأخوذة من مجال "الأدب المعتمد/الرسمى" (= canonical) وبالتحديد الترجمات التى تكفَّل بها "مكتب الترجمة" التى تشرف عليه الدولة ونشرتها وزارة التعليم، وقد ظل هذا المكتب الذى يسمَّى باللغة التركية "Tercüme Bürosu" الذى أُنشئ تحت إشراف هذه الوزارة فى سنة ١٩٤٠ يعمل حتى سنة ١٩٦٦ وقد أصدر هذا المكتب نحو ألف عنوان أُختيرت فى معظمها من الآداب الغربية الكلاسيكية، ويعد المكتب جزءاً من مشروع التغريب العام للجمهورية التركية. وحقيقة الأمر أن الكتب التى أصدرها المكتب كان لها دور تعليمى وهدفت إلى تغيير الأفكار التى ضمتها الأعمال الأدبية الأساسية فى الغرب إلى القراء الأتراك وخصوصاً الشباب منهم.

وقد رافق الأنشطة الترجمية للمكتب إصدار مجلة "ترجوم" (Tercüme) : قدمت عروضاً للكتب المترجمة، بالإضافة إلى مقالات حول نظرية الترجمة والنقد. وكان فى وسع المترجمين الذى عملوا مع المكتب أن يعبِّروا عن آرائهم تجاه استراتيجيات الترجمة فى هذه المجلة المتخصصة. ويكشف أحد العروض المنشورة فى المجلة أن المترجمين تبنَّوا استراتيجيات مختلفة، لكنهم اتفقوا على (مبادئ)، مشتركة مثل أهمية القيمة "الذهنية" و"الأدبية" عند اختيار الأعمال المرشَّحة للترجمة، والحاجة إلى إيجاد توازن بين "الأمانة" و"الحرية" فى الإستراتيجيات الترجمية وضرورة نقل النص كاملاً دون أى إضافات أو حذوفات ("بوجينش"، "ديميريل"، "يلماظ" Bogenç, Demirel, Yimaz 1998) .

وكان فى طوع المترجمين أن يرفعوا أصواتهم عالياً وأن يبرزوا أعمالهم بصورة لافتة للأنظار فى هذه المجلة، إلى الحد الذى كتب عنده "حسن على يوشيل" Hasan Ali Yücel

وزير التعليم وقت ذاك يقول: "المترجم الجيد يساوى مؤلفًا جيداً" ١٩٤٠: ٢) ولا نزال حتى الآن نحتاج إلى تحليل شامل للأعراف التى راعاها المترجمون الذين عملوا مع ذلك المكتب. ومع ذلك نستطيع أن نفترض باطمئنان أن التعليقات القادمة من المترجمين والنقاد الذين كتبوا لمجلة الترجمة التى كانت الدولة تمولها تعكس رؤية صارمة للترجمة. وهذه الرؤية، التى صدَّق عليها الكتاب والمثقفون الذين أفصحوا عن آرائهم فى دوريات أخرى (لا تمولها الدولة) استتبعت تعريفًا صارمًا للترجمة كعمل لا يمكن أن نحكم عليه إلا فى ضوء مزاياه الثقافية والأدبية ومقدرته على عكس طابع الأصل.

وقد انعكس هذا المفهوم أيضًا فى عناصر نصوصية موازية للترجمات، أنتجها "مكتب الترجمة"، وتميَّزت أغلفة تلك الكتب بأنها كانت ميالة إلى أن تكون بسيطة دون زخرفة وكانت مطبوعة على ورق مقوى (= كرتون) ولا تحمل أى صورٍ إيضاحية، وقد عرف الجميع هذه الكتب فى أوقات لاحقة بلونها الأبيض المميَّز، حتى أصبحت القاعدة الأكبر من القراء تسمِّى الكلاسيكيات التى ترجمها المكتب بـ "الكتب البيضاء" أو "السلسلة البيضاء"، وهذان مصطلحان لا يزالان رهن الاستعمال والتداول حتى اليوم وكان الغلاف الأمامى يحمل اسم المؤلف وعنوان الكتاب وشعار (= لوجو) وزارة التعليم. وكان الكعب يحمل اسم المؤلف وعنوان الكتاب، أما الغلاف الخلفى فكان يحمل ثمن الكتاب، دون أى عناصر ترويجية أو إعلان وصار إخراج كتب "مكتب الترجمة" علامة مميِّزة للأدب الراقى المترجم فى تركيا، وقد لجأت دار نشر خاصة "يابى كريدى" إلى إخراج مشابه إلى حدٍ كبير فى السلسلة التى بدأتها فى مطلع التسعينات للأعمال الكلاسيكية المترجمة، وهو الأمر الذى يشير إلى الجهود المضنية التى صمدت لمرور الأيام سواء على مستوى المضمون أو الشكل للكتب التى أصدرها "المكتب".

تميَّزت الكتب التى أصدرها المكتب بوجود صفحتين تحملان عنوان الكتاب. تذكر إحداهما وهى صفحة نصف - العنوان ("جينيت" ١٩٩٧: ٣٢) اسم السلسلة التى صدر فيها الكتاب مثل "ترجمات من الأدب العالمى" أو "مدرسة الكلاسيكيات" وكانت السلسلة الأولى

تظهر مصحوبة – فى العادة – باسم السلسلة الفرعية مثل "الكلاسيكيات اليونانية" أو "الأدب الإنجليزى الحديث"، وكانت صفحة–نصف العنوان هذه تحمل أيضًا عنوان الكتاب وشعار وزارة التعليم، ولم يكن اسم المترجم يظهر إلا مرة واحدة على صفحة العنوان ("جينيت ١٩٩٧: ٣٣) التى تتبع صفحة نصف – العنوان، وعلى صفحة العنوان كان اسم المؤلف يظهر مطبوعًا على الجزء الأعلى وبعده يأتى عنوان الكتاب، وكان يتبع هذا فى بعض الأحيان قوسان يُكتب فيهما العنوان الأصلى للعمل المترجم ببنطٍ أصغر قليلاً وبحروفٍ صغيرة small letters، بالتعارض مع اسم المؤلف والعنوان التركى للعمل اللذين كانا يُطبعان بحروفٍ كبيرة capital letters . ولقد ظلت عناوين الكتب التى ترجمها المكتب قريبة نوعًا ما من عناوينها فى أصولها – فعلى سبيل المثال – ظهر عنوان كتاب "د. جيكل ومستر هايد" الذى ترجمته "طريقة لاشنر" على هذا النحو: "د. جيكل ومستر هايد" أى نقلاً كلمة فكلمة عن الأصل. وكانت ترجمة سابقة لنفس العمل قام بها المترجم "حمدى ياروغلو" وأصدرتها دار نشرٍ خاصة تدعى "مواليم إى. هاليت" فى سنة ١٩٤٢ قد تصرفت قليلاً بنقل العنوان إلى "الرجل ذى الوجهين"، وعلى نفس المنوال بينما ترجم "عرفان شاهينباش" قصة "رحلات جليفر" Gulliver's Travels التى كتبها "يوناثان سويفت" إلى التركية ونشرتها وزارة التعليم بنفس العنوان أى "رحلات جليفر" فى سنتى (١٩٤٣–١٩٤٤) أعاد "إركومينت إكرم تالو" Ercüment Ecrem Talu ترجمتها فى سنة ١٩٤٦ إلى "فى بلاد الأقزام والعمالقة" ونشرتها دار تدعى "كانات يانوى" Kanaat Yayinevi .

وإذا عدنا إلى صفحة الغلاف فى كتب "مكتب الترجمة"[١] فإننا نرى أن اسم المترجم كان يأتى بعد العنوان الأصلى، ولو أنه كان يظهر ببنطٍ أصغر. وكان العبارة التى ترد وفق قطْعٍ معيَّن للكتاب لكافة منتجات "المكتب" تقول: : "ترجمه إلى لغتنا فلان الفلانى..." وكان "Tercüme etmek" و"çevirmek" هما المصطلحان (التركيان) المستخدمان فى الإشارة إلى الفعل "ترجم"، وقد (درج ؟) المكتب على تقديم المترجم بلقبه المهنى مثل "مدرس اللغة الإنجليزية فى مدرسة "أنقرة" الثانوية المتوسطة" ("استيفينسون"Stevenson 1944) أو "معيد بمعهد العلوم السياسية"(مان Mann 1945) أو "أستاذ مساعد بكلية اللغة والتاريخ والجغرافيا"("سويفت"Swift 1946) إلخ.

وكانت كتب "المكتب" تحمل ما يتراوح بين مقدمتين وأربع مقدمات، وخصوصًا خلال فترة حكم الحزب الواحد من ١٩٤٠ حتى ١٩٤٦ عندما بلغ نشاط "المكتب" ذروته. وقبل سنة ١٩٤٤ كانت هذه الكتب تظهر بمقدمتين لشخصيتين سياسيتين بارزتين فى ذلك الوقت هما "عصمت إينونو" رئيس الجمهورية و"حسن على يوشيل" وزير التعليم. ومن سنة ١٩٤٣ حتى ١٩٤٦ أخذت الكتب تظهر بمقدمة ثالثة يكتبها مرة أخرى "يوشيل"، وتمثّلت وظيفة هذه المقدمات، التى أطلق عليها "جينيت" اسم "أللوجرافية" Allographic (= الواقعة خارج المتن) (١٩٩٧: ١٧٩) فى شرح أهداف الأنشطة التى يقوم بها "مكتب الترجمة". ولقد أشار الرئيس "إينونو" فى مقدمته إلى أن "ترجمة الروائع الأدبية والثقافية التى خلقتها عبقريات الأمم المختلفة منذ اليونانيين القدماء تعد أقيم أداة لأولئك الذين يريدون أن يخدموا ثقافة الأمة التركية" ("إينونو"١٩٤١) وأكّد الوزير "يوشيل" أهمية الأدب للتطور العقلى لأى أمة من الأمم. وكتب يقول إن مفتاح العالم المتحضر كامنٌ فى مكتبة قومية غنية بمترجماتها ("يوشيل" ١٩٤١) وفى مقدمته سنة ١٩٤٤ كتب "يوشيل" حول نجاح برنامج الترجمة الذى أطلقه المسئولون الأتراك كى يقول إن البرنامج سوف يستمر فى المستقبل بزخْمٍ متزايد ("يوشيل" ١٩٤٤) .

مثل هذه المقدمات لا تتمشّى مع فكرة "جينيت" بشأن مقدمة "ألّلوجرافية"، فلقد كتبها مُرسِلون مختلفون عن مُرْسلى النص (وهم فى هذه الحالة سوف يكونون كلاً من المؤلف والمترجم معًا) ولكنها مضت إلى أبعد من مجرد الإبلاغ عن/و تقديم النص الذى ترافقه، وهما الوظيفتان اللتان أسندهما "جينيت" للمقدمات "ألّلوجرافية" (١٩٩٧: ٢٦٥). فمثل تلك المقدمات تطرح زاوية أيدولوجية، تضع استقبال النص داخل نطاق المشروع العام للتحديث، وبهذا المعنى تهدف إلى خلق تأثير عاطفى عند القارئ، يهدف إلى جعله يشعر أنه جزء لا يتجزأ من التحديث الثقافى لبلاده.

أما المقدمة الرابعة (وقبل سنة ١٩٤٤ الثالثة) فكانت عبارة عن حاشية حول مؤلف الكتاب أو العمل المحدد رهن الحديث، وكانت هذه المقدمات "ألّلوجرافية"، ولكنه كان عصيًا أن نكتشف كاتبها، فبعضها كان يكتبه طرف ثالث وبعضها لم يكن مذيَّلاً

بامضاء كاتبه وبعض آخر كان بقلم المترجم. وقد أثارت تلك التى نُسبت للمترجم بلبلة بشأن مرسل المقدمة. وإذا اعتمدنا على رؤيتنا الخاصة لوضع المترجم، فإننا قد نحبِّذ أن نسمِّى هذه المقدمات "تأليفية" أى منسوبة للمؤلف أو "أللوجرافية"("جينيت" ١٩٩٧: ١٧٩) وإذا اعترفنا بأن النص المترجم منتج وسيط وارتأينا فى المترجم مؤلفًا أو مؤلفًا مشاركًا على الأقل للكتاب (مثلما تفعل كاتبة هذه السطور) لأن الضرورة تقضى بأن ننظر إلى هذه المقدمات بصفتها جزءًا من تأليف الكتاب. وبالتبادل إذا نظرنا إلى المترجم بصفته وسيطًا مواليًا للمؤلف الأصلى وسلَّمنا بأن النص المصدر قد نُقل إلى اللغة المستهدفة خاليًا من أى تحوير، فإننا قد نخلص إلى أن هذه المقدمات "أللوجرافية". وغنى عن الذكر أن هذا الرأى الأخير يقوِّض المحددات الإجتماعية - التاريخية للترجمة وينزع من المترجم قوته كعامل آخذٍ للقرار.

تُخبرنا ملامح النصوص الموازية التى أوردناها فيما سبق بقدر كبير من المعلومات حول الطريقة التى قُدمت واستُقبلت بها على وجه الإمكان، هذه الكلاسيكيات المترجمة، كما تشير عناصر النصوص الموازية أيضًا إلى أن صورة المترجمين الذين عملوا مع "مكتب الترجمة" كانت ظاهرة للعيان. ومع أن أسماءهم لم تكن لتظهر على الغلاف، وكانت أسماؤهم أدنى من أسماء المؤلفين الأصليين سواء على مستوى الموضع الذى تظهر فيه أو حجم البنط الذى تظهر به مطبوعة، إلاَّ أن "المكتب سمح لهم أن يضعوا مقدمات يستطيعون خلالها أن يبلغوا قراءهم بمعلوماتٍ مفيدة عن النص ومؤلفه بالطريقة التى يختارونها، ومع ذلك فتواتر ظهور أسمائهم مصحوبة بالمهنة "الأخرى" وربما الأكثر "مشروعية" لهم توحى بأن الترجمة لم تكن تعتَبر مهنة فى حد ذاتها، وكانت تعد بمثابة نشاطٍ ثانوى أو نشاطٍ يؤدى لبعض الوقت. ولعله من الشيِّق أن نلحظ أن العدد الأكبر من المترجمين كانوا مشغولين فى شكلٍ أو آخر بالعمل الأكاديمى، سواء بالتدريس فى إحدى الجامعات أو أحد المعاهد العليا، وهذا يشير إلى كيفية اتصال ترجمة الأعمال الكلاسيكية بصورة وثيقة بالتعليم.

تـدل كلُّ المقـالات المنشـورة فى مجلـة "مكتب الترجمـة" أقصـد "ترجـوم" وعنـاصـر النصـوص الموازية للنصـوص المترجمـة على أن "المكتب" والمترجمين الذين عملـوا معـه، كليهمـا تصـوُّرا الترجمـة داخـل نطـاق معيَّن، ينبع بصفة أساسية من علاقـة الترجمـة بنصهـا المصـدر. ولم تـدعْ منشـورات "المكتب" مجـالاً واسـعًا للشـك فيمـا يشكِّل جـوهـر الترجمـة: الترجمـة ليست سوى نقل نص أصلى محدد، اسمه مذكور - فى غالب الأحيان - فى صفحات العنوان للكتاب. وعناصر النصوص الموازية ليس فى وسعها أن تقوِّى مركز الترجمة كنصٍ وسيط. والغلاف الذى يُعد أكثر عناصر النصوص الهامشية بروزًا فى تقديم الكتاب سوف يُقيَّد - أولاً وقبل كل شىء - فى حسـاب مؤلف النـص المصـدر. أمـا المترجـم فلن يـرد ذكـره إلاَّ على صفحـة العنوان ولن يظهر إلاَّ فى عبارات هامشية إلى حدٍ ما، وبنطٍ أصغر وحروفٍ صغيرة (small letters vs.capital ones) وفى طوعنا أن نفـتـرض أن الظواهـرالتى تقـع على المشـارف borderline مثل الترجمـات الزائفة والاقتباسات تقع خارج نطاق مفـهوم "المكتب" للترجمة، وذلك بصفة رئيسية لأن مثل هذه النصوص تقع عند التقاطع بين الكتـابة الأصلية والتـرجمـة وتقاوم أى تناظر على أسـاس كلمة - كلمـة بين النص المستهدف والنص المصدر، وفى حقيقة الأمر لم ينشر "المكتب" ترجمة واحدة يمكن أن تبعث أدنى شك يتعلَّق بمصدرها.

وعندما نلقى نظرة على الترجمات التى نشرتها الدور الخاصة وأمعنا النظر فى عناصر النصوص الهامشية المصاحبة لها، فإننا نصادف قصة مختلفة، ولسوف ينصب تركيزى فى القسم التـالى على ميدان الأدب الشـعبى (الواسع الانتشـار) المترجم، وبصورة أخص على روايات "الدايم" dime (= عملة أمريكية تساوى عُشْر دولار) التى عرفتها أربعينات (= أربعينيات عند المتفاصح) القرن العشرين فى تركيا. والنصوص المنشـورة فى هذا الميدان غاية فى الاختـلاف - ليس فـقط فى ضـوء الملامح المادية لعناصرالنصـوص الموازية - ولكن أيضًا فى ظل مـفـهوم الترجمـة الذى يمكننا أن نستشفه من هذه العناصر.

٢-٢ النصوص الموازية للأدب الشعبى المترجم

تكشف النصوص الإضافية والنصوص الموازية التى تقابلها حول منتجات (= إصدارات) "مكتب الترجمة" المصطلحات المستخدمة فى الإشارة إلى الترجمة كانت "ترجوم" tercüme و"تشيفرميك"çevirmek ، ومع ذلك يُبيِّن مسح عام لمواد النصوص الإضافية الأخرى التى نشرت على هيئة كتب ودوريات ويوميات بالإضافة للنصوص الموازية خلال الثلاثينات (=الثلاثينيات) والأربعينات (= الأربعينيات) أن مصطلحات متنوعة قد استُخدمت للإشارة إلى عملية الترجمة. حقًا لا تدل كل هذه المصطلحات على وجود تلك الطريقة "الصارمة" canonical فى تعريف الترجمة، ومع ذلك فكلها تشير إلى منتجات ظهرت جرَّاء قيام اتصالاتٍ مع نصوص أجنبية.

فيما يلى بعض هذه المصطلحات:

- ترجوم (= ترجمة، وهذه كلمة من أصلٍ عربى (والأدق سريانى. المترجم)
- "تشيفرميك" (= أن يترجم) وهذه كلمة قديمة، استخدمت لأداء معنى جديد فى ثلاثينات القرن الماضى، ومنها اشتُقت çevirici وçeviren اللتان تعنيان كلاهما "مترجم"، أما معنى الكلمة السابق فأصبح الآن مهجوراً.
- "ادبتاسيون" adaptasyon (كلمة مستعارة من اللغة الفرنسية تدل على معنى "اقتباس"
- "إكتبس" iktibas (كلمة عربية الأصل أصبحت تعنى "أن يستشهد بـ..." و"أن يستعير من..."
- "نكل" (= نقل) ومنها "ناكل"(= ناقل) وهذان المصطلحان اللذان أُستخدما فى العصر العثمانى وأوائل عصر الجمهورية، قد يدلان على كلٍ من الأصول والترجمات و"مؤلفيها" معًا، ومجرد وجودهما – أى هذين المصطلحين – يشير إلى أن الحدود بين هذه وتلك كانت غائمة أى متداخلة.

وبصرف النظر عن تلك المصطلحات، فإن بعض المترجمات لم تُقدَّم بهذه الصفة أى بصفتها مترجمات، وهذا ليس معناه أنها قُدِّمت على أنها أصولاً، وكل مافى الأمر أن هذه الأعمال ظهرت دون اسم المؤلف أو المترجم أو حتى فى الببيلوجرافيات التى تغطى هذه الأعمال. ومع ذلك فعناوين هذه الأعمال ترفع علامات استفهام حول أصولها - وعلى سبيل المثال - فى سنة ١٩٤٤-١٩٤٥نشرت دار النشر المعروفة باسم "جوفين يباينوى" Güven Yayinevi التى تعمل بصورة أساسية فى ميدان الأدب الرخيص الواسع الانتشار، سلسلة تسمَّى (سلسسلة المخبر السرى الإنجليزى المشهور "شرلوك هولمز") وهى السلسلة التى ضمت ٨٣ رواية من روايات "الدايم" (= عُشر دولار) وهى الروايات التى تقدم مزيجاً من الترجمات والترجمات الزائفة/الأصول. وكان "شرلوك هولمز" اسماً واسع الشهرة بين قراء الأدب الرخيص فى تركيا، وليس هناك شك كبير فى أن تلك الكتب كانت لتُستقبل كترجمات عوضاً عن أن تكون أصولاً، رغم أن نصوصها الموازية لم تقدِّم هذه الأعمال كترجمات، حتى ولو كانت كذلك فعلاً. واسمحوا لى أن أقدِّم عناصر النصوص الموازية لإحدى هذه الروايات فى تلك السلسلة، وهى رواية "خطة الغوَّاصة" فى سنة ١٩٤٤ .

تكشف المقارنة بين الكتب التى ظهرت فى سلسلة "شرلوك هولمز" هذه وبين أصولها أى قصص "شرلوك هولمز" نفسها أن "خطة الغوَّاصة" كانت ترجمة لـ "مغامرة خطط بروس - بارتينجتون" The Adventure of Bruce-Partington التى نُشرت ضمن His Last Bow (كونان دويل Conan Doyle1981) ومع أن الناشر سمَّى العمل "كتاب" إلاَّ أنه كان فى الحقيقة كتيباً لا يزيد عدد صفحاته عن ١٦ صفحة. وكان الثمن المكتوب على الغلاف الخلفى هو عشرة قروش، بينما كان الكتاب الذى يضم ما يتراوح بين ١٥٠ و٢٥٠ صفحة، وتنشره وزارة التعليم يُباع بنحو مائة قروش. وكان الغلاف الأمامى مزحوماً نوعًا ما ومزخرفًا بالألوان، وكان الجزء العلوى يحمل جملة ترويجية تقول: "أشد المخبرين السريين ذكاء وأكثرهم شهرة فى العالم"، وكان هذا الجزء يحمل أيضًا صورة مرسومة لـ "شرلوك هولمز" فى شبابه، أما المساحة الأكبر من الغلاف فكان مخصصاً لصورة ايضاحية تصوِّر منظراً من الصورة التى يظهر فيها "شرلوك هولمز"




صفحة الغلاف الخاصة بسلسلة شرلوك هولمز
رقم ٤٨ (خطة الغواصة)

شابًا مفتول العضلات، وفى هذا المنظر يوجه "شرلوك هولمز" ضربة بالعصا إلى رجل عجوز، بينما يختلس رجلٌ أكبر سنًا النظر من الباب الواقع فى الخلفية. وفى الركن الأسفل إلى اليسار نرى الرقم المسلسل للكتاب وهو ٤٨ والكتاب ليس فيه شريط ربما بسبب صغر حجمه، ويحمل الغلاف الخلفى الثمن وإعلانًا للناشر يذكر عناوين أخرى فى نفس السلسلة. ويحمل الجزء السفلى عنوان الناشر، وتحمل صفحة العنوان اسم السلسلةالتى ظهر فيها الكتاب: (سلسسلة المخبر السرى الإنجليزى المشهور "شرلوك هولمز". رقم ٤٨) ثم شعار الناشر. وتبدأ القصة فى النصف السفلى من الصفحة.

ليس هناك إذن أى ذكر سواء للكاتب أو للمترجم. وجوابًا على السؤال حول الأسباب التى تقف وراء هذه المجهولية anonymity يتعيَّن علينا أن نتطلَّع بعيدًا فيما وراء الاستخدامات التقليدية لهذه الإستراتيجية الأدبية. يذكر "جينيت" فى كتابه "النصوص الموازية" الحالات الأوضح مجهولية، ويرى أن المجهولية تحدث عندما يغيب أى معلومة عن المؤلف، إذا عزف المؤلف عن الإفصاح عن اسمه، نظرًا لأن أشكالاً معينة من المجهولية "تشكِّل إجراء وقائيًا فى وجه الاضطهاد سواء من جانب الدولة أو المؤسسة الدينية (كالكنيسة أو السيناجوج أو الجامع إلخ. المترجم)... أو لأن هذه المجهوليـة ترضى نـزوة عنيدة ما عند المؤلف. ("جينيت"١٩٩٧: ٤٢-٤٣) وفى حالة "خطة الغواصة"، عوضًا عن أن تأتى المجهولية استنادًا إلى أى قرار فردى من جانب المترجم، فلقد جاءت نتيجة لإستراتيجية أدبية استُخدمت فى الأعداد الثلاثة والثمانين التى ظهرت فى السلسلة، وقد استُخدمت هذه الإستراتيجية فى سلسلة أخرى لـ"شرلوك هولمز" نُشرت فى سنة ١٩٥٥ . وهذه المعلومة متوفرة فقط فى النصوص الموازية لهذه القصص، والمجهولية بصفتها استراتيجية متعمَّدة وواسعة الانتشار، ظاهرة فقط فى الأغلفة أو صفحات العناوين أو "الكتالوجات"(= الفهارس المبوبة) بدلاً من النصوص ذاتها.

يوفِّر النص الموازى لـ "خطة الغوصة" مؤشرات واضحة حول المفهوم الذى يتصوَّره هؤلاء الناشرون أو مترجم القصة للترجمة، وهو المفهوم الذى ينطوى على



صفحة الغلاف الخاص بترجمة المكتب لكتاب «رحلات جليفر»

R. L. STEVENSON

Dr. JEKYLL İLE Mr. HYDE

Ankara İkinci Orta Okul İngilizce Öğretmeni Zarife LÂÇİNLER tarafından tercüme edilmiştir.

ANKARA 1944 — MAARİF MATBAASI

صفحة الغلاف العنوان الأول

الخاص بترجمة المكتب لكتاب «دكتور جيكل ومستر هايد»

نطاقٍ أوسع كثيراً من المفهوم الضيِّق الأفق الذى ينعكس فى النصوص الموازية التى أصدرها "مكتب الترجمة". فالنصوص الموازية التى تصدر عن "المكتب" تجعل وضع النص واضحًا فى مراحل متعددة، بدءًا من الغلاف. والعنوان واسم المؤلف الأصلى وذكر العنوان الأصلى واسم المترجم، بالإضافة إلى اسم سلسلة الترجمات التى تُنشر، تجعل الأمر غاية فى الوضوح أن أمام أنوفنا ترجمة دون نقاش. ويلاحظ "جينيت" (١٩٩٧: ١١) أن النص الموازى "يمكن أن يذيع فى الناس "رأيًا" أو "تفسيرًا" ما من جانب المؤلف و/أو الناشر: وهذه هى الوظيفة الرئيسية لمعظم المقدمات، وكذلك الأمر بالنسبة للإشارات إلى النوع الأدبى على بعض الأغلفة أو صفحات العنوان (كلمة "رواية"التى تظهر تحت العنوان لا تعنى أن الكتاب عبارة عن رواية حقًا، فهذا تعريف توكيدى ليس فى قدرة أحد، ولكن الحقيقة أن الأمر أمر رجاء على هذا النحو: "أرجو أن تنظر إلى هذا الكتاب كرواية") كما نستطيع أيضًا أن نفترض أن نصوص "المكتب" الموازية انطوت على وظيفة خاصة تتمثل فى بسط دعوة إلى القراء كى يعتبروا النص ترجمة. ولو أن القصد مع "خطة الغوَّاصة" وغيرها من الكتب، لم يكن سوى العكس تمامًا، فهذه الأعمال تركت الأصل التأليفى وقد اكتنفه الغموض، ووضعت نفسها فى منطقة رمادية بين الترجمة والكتابة الأصلية (= التأليف) وليس فى طوع المرء أن يتحدَّث حتى عن إمكانية رؤيتها كتأليف هنا، دع عنك رؤيتها كترجمة. تلك كانت الاستراتيجية العامة للناشرين، وهو الأمر الذى يعكس موقفًا لا يميِّز بين الترجمة والكتابة الأصلية، وبالتالى بين الكُتَّاب والمترجمين.

ليس فى وسعنا أن نرصد الافتقار إلى تمييز واضح بين الترجمات والكتابات الأصلية فى مجهولية الأعمال المنشورة وحدها، ولكن أيضًا فى الكتابات الشعبية المنشورة الأخرى التى تُخفى أصولها كمؤلفات أو "تختلس" الموضوعات الرئيسية (= التيمات) أو الشخصيات للأعمال الأجنبية، ولقد استُخدمت النصوص الموازية، بصورة مراوغة فى الحفاظ على نفس النوع من الغموض، الذى يتعلق بأصول هذه الأعمال – وعلى سبيل المثال – يحمل كتاب صدر فى ١٦ صفحة وكتبه "سلامى منير يورداب" **Selami Münir Yurdap** وهو كاتب ومترجم بعنوان "بايتكين وطرزان"

(Baytekin and Tarzan) وقـــد طُبـــع الكتـــاب فى سنة ١٩٤٣، والكتـــاب مـــزود بغـــلاف مصـــوَّر يحمـــل منظـــراً يظهـــر فيـــه كلٌّ مـــن "فـــلاش جـــوردان" و"طـــرزان" أمام سفينة فضاء، وتشير صفحة العنوان إلىَ أن الكتاب ألَّفه "سلامى منير يورداب". ومع أن الكتاب كان منسوباً - بصورة واضحة - لـ "يورداب" فإن إدراج اسم "طرزان" فى العنوان ووجود اسمىْ "فلاش جوردان" و"طرزان" (اللذين كانا مألوفين للقراء الأتراك خـلال الترجمـات بصـورة أساسية) على الغـلاف يشير إلى أن النص يرجع إلى أصلٍ أجنبى. وعوداً على بدء نجد أنفسنا أمام حالة يلتمس فيها كلٌّ من الناشر والمترجم والكاتب من الـقـارئ أن يدخـل عالم النص دون أن يسأل أى سؤال حول مصدر القصة.

تجعل عناصر النص الموازى للكلاسيكيات التى ترجمها "المكتب" الوظيفة التعليمية لهذه الكتب واضحة دون مراء. أو - على الأقل - تعبر عن التمنى والأمل فى أن يتلقى القارئ هذه الكتب كمواد تعليمية. وهذا ما يمكن لنا أن نستخلصه من عدد من المواضع، بدءاً بشعار الوزارة على الغلاف الأمامى، مروراً بالمقدمة التى يكتبها المدرس - المترجم حتى المقدمات. وعلى النقيض من ذلك نجد أن النصوص الموازية للروايات الرخيصة - "روايات الدايم" - لا تدَّعى أى وظيفة أخرى أكثر من "ترغيب" القارئ ("جينيت" ١٩٩٧: ٩٣) فهى لا تحمل أى مقدمات لإرشاد قارئ النصوص، ولا تبذل أى جهد فى التأكيد على مزاياها الثقافية أو الأدبية، واقتصر الأمر الأكثر شيوعاً فى تلك الروايات المترجمة على إضافة "عبارة تنم عن روح الدعاية" إلى الغلاف الأمامى للكتب، وكانت هذه العبارات تنطوى على وصف نوعى - موازى (= موازٍ) parageneric، يوفِّر للقراء مفتاحاً لنوع القصة التى بين أيديهم، فـ "رواية "بايتكين والطرزان" حملت هذه العبارة "روايات المغامرات المثيرة المصوَّرة"، بينما حملت "خطة الغواصة" عبارة تعرِّف القصة بأنها رواية بوليسية. مثل هذه التسميات النوعية - الموازية كانت شائعة نوعاً ما، وخصوصاً فى قصص المغامرات التى تزيد عدد صفحاتها عن ١٦ صفحة وقصص المغامرات التى قام على نشرها عدد من دور النشر، التى كانت على رأسها "جوفين - يانيوى).

يعد هذا بمثابة مفتاحٍ ذى مغزى قدمته "النصوص الهامشية" حول الطريقة التى سُوِّقت واستُقبلت بها هذه الروايات، فالأغلفة وصفحات العناوين فى الأعمال الجادة ركزت على اسم المؤلف بصفته العنصر الأساسى فى تقديم الكتاب. وفى طوعنا – من هنا – أن نفترض أن قاعدة القراء التى توجَّهت إليها هذه الكتب كانت تختار المواد التى تقرأها فى ضوء مرجعية النص الأدبى الأصلى لهذه الكتب، أما ترويج الروايات الرخيصة، من جانب آخر – كان ليعتمد على النوع الأدبى، وهذا يعنى أن القراء الذين يشترون هذه الكتب لا يكترثون بمن كتبها أو ما إذا كانت ترجماتٍ أو مؤلفات أصلية. وعوضًا عن ذلك لا يلقون بالاً إلا للنوع الأدبى الذى تنتمى إليه. وهذا يؤكِّد الفكرة التى تقول، إن قراء الروايات الرخيصة – على النقيض – من قراء "الروايات الجادة"، يعتمدون فى قراءتهم على "النوع الأدبى" أكثر مما يهتمون بـ "المؤلف" (روبرتس ١٩٩٠ : ٣٢).

إذا راجعنا الملامح النصوصية للكتب التى بيعت تحت نفس الأغلفة، فإننا نكتشف أنها تشترك فى العديد من الخصائص التى تشير إلى أن هذه النصوص ربما تكون قد حُوِّرت كى تتمشى مع الإشارة النوعية الموازية التى تظهر على أغلفتها، وبعبارة أخرى قد تكون لعناصر نصوصية موازية تأثير قوى على الطريقة التى كُتِبت بها النصوص الفعلية. وتقدِّم الترجمات أدلة تؤيِّد هذه الفكرة. فلقد أُختصرت النصوص المترجمة فى الغالب كى تتناسب مع حجم الكتاب الذى لا يزيد على ١٦ صفحة. وكانت العقدة يجرى تبسيطها فى المعتاد، وهو الأمر الذى اقتضاه بالدرجة الرئيسية حجم الكتاب. وتمشيًا مع تسْميتها النوعية الموازية قصص "مغامرات" أو قصص "بوليسية"، ركزَّت على الحدث والملامح التى تتعلق بالمغامرات أكثر من الملامح العقلية أو العاطفية (أنظر على سبيل المثال "خطة الغواصة") وهذا يوضِّح أن الحاجة إلى الامتثال للمفهوم العام للسلسلة كان قويًا، ومؤثرًا على القرارات التى اتخذها المترجمون. كما يبرهن إلى جانب ذلك على أن الدوافع التجارية كانت عميقة وراء مراعاة مترجمى هذه الكتب لأعراف محددة. وعلى النقيض من "جينيت" (١٩٩٧: ١٢) الذى يرى أن النص الموازى تابعٌ دومًا لنصه الأصلى، فإننا قد نخلص إلى أن النصوص الموازية قد تقف فى حالات معينة أمام النصوص الأصول نفسها، وتقود ليس استقبالها فقط بل وترجمتها/كتابتها كذلك.

٣ - الصلة المنهجية بين النصوص الموازية والبحث الترجمى

يحتاج مشروع لتاريخ الترجمة، يسعى إلى المضى أبعد مما وصفه "أنتونى بايم" بعلم حفريات (= أركيولوجيا) الترجمة، كى يستكشف "السبب الذى يجعل مشغولات يدوية تظهر عندما وحيثما تظهر، والكيفية التى تتصل بها بالتغيُّر" (١٩٩٨: ٥-٦) تصميم نموذج يكون فى طوعه أن يمكننا من إدراج الظواهر الترجمية فى سياقاتها الثقافية. ومثل هذا النموذج يحتاج إلى التوفيق بين نطاق واسع من الظواهر والمواد التاريخية، فالتركيز على نوع واحد بذاته من المواد يمكن أن يعرقل رؤية الباحث. ولسوف يكون تحليل الأعراف فى النصوص المترجمة غير كافٍ بحد ذاته لإدراج هذه النصوص فى سياقات النسق الثقافى العام، وعندئذٍ تصبح مثالب (= عيوب) التركيز الكلى واضحة حتى قبل الشروع فى تحليل النصوص المترجمة، وذلك لأن الباحث سوف يكون بحاجة ماسة كى يضع لنفسه معايير معينة لما يشكِّل ترجمة قبل أن يتمكَّن من بناء جسمورها من الأعمال المترجمة، ويصير لزاماً على تحديد هذه المعايير أن يقوم ليس على التعاريف الجارية للترجمة وحدها، بل وأيضاً على مفاهيم الترجمة التى كان معمولاً بها فى الفترة رهن الدرس.

وهذا يتطلَّب من الباحث أن يمد نطاق بحثه كى يشمل النصوص الثانوية التى توفِّر نقاشاً ما - بعدياً ويساعد فى الاهتداء إلى القوى الاجتماعية - الثقافية العامة التى تعطى الترجمة شكلها. وبصرف النظر عن العبارات العامة حول الترجمة، أو عن الظواهر الاجتماعية - الثقافية الأخرى التى قد تنطوى على صلة أو أخرى بكيفية إنتاج الترجمات واستقبالها (النصوص الإضافية) فلسوف يقع الباحث على تعليقاتٍ وعروضٍ ومقالاتٍ نقدية ومقابلاتٍ تتناول أعمالاً معينة (نصوصاً فوقية) وقد توفِّر دراسة مثل هذه المواد مفاتيح مفيدة ليس حول كيفية تعريف الترجمة فقط بل وحول الشروط التى تُنتج الترجمات تحت ظلها وتُستهلك. وفى نفس الوقت يمكن أيضاً للعناصر المباشرة للنصوص الموازية التى تحيط بالأعمال والنص الهامشى peritexts أن توفِّر نظرة ثاقبة فى الآراء التى يبديها الناشرون والمترجمون حول الترجمة.

بل وتغدو النصوص الهامشية أكثر اتصالاً فى ميادين تكون فيها النصوص الإضافية والفوقية نادرة. ويعد الأدب الرخيص المترجم فى تركيا فى أربعينات (= أربعينيات) القرن الماضى جزءاً لا يتجزأ من النسق الأدبى الذى لم يحظ (= يحظى) بما يستحق من اهتمام، كما لم يكتب عنه النقاد، شيئًا على وجه التقريب، وبالتالى فإن النصوص والنصوص الهامشية peritexts المصاحبة لها، بالإضافة إلى الكتالوجات الأدبية والبيبلوجرافيات التى توفر نتفًا من النصوص الفوقية epitexts، هى كل ما يملك الباحث فى هذا الميدان تحت يده.

وعندئذ لن تكمِّل الأفكارالتى يتتبعها الباحث فى النصوص الهامشية و(حيث يكون ذلك متوفراً) النصوص الفوقية والنصوص الإضافية توصيف النصوص المترجمة وتحليلها فقط، بل ولسوف تساعد أيضًا فى مراجعة بعض النتائج التى توصل إليها هذه الباحث أو ذاك بعد إجراء مثل هذا التحليل، وعلى نفس النول أو المنوال قد تعطى دراسة أعراف الترجمة نتائج تجعل الباحث يشك فى الادعاءات التى تنطوى عليها النصوص الإضافية والنصوص الموازية.

وعلى نحو ما سبقت الإشارة، فإن النظر إلى الترجمة بصفتها نصًا موازيًا يجلب أضراراً، نظراً لأنه يفرض منظوراً مصدرىٍّ – التوجيه ومقيِّداً على البحث الترجمى. وفى نفس الوقت فإن تحليل عناصر النص الموازى للنصوص المترجمة سوف يمدنا بمعلومات شيِّقة حول نقط عديدة تكون عندها النصوص قد لزمت الصمت. وتبرهن دراستا الحالة اللتان تطرقنا إليهما فيما سبق على أن النصوص الموازية تمدنا بمعلوماتٍ حول آراء الناشرين و/أو المترجمين حول ما يشكِّل ترجمة. ولقد أبرزت bring into relief الأعمال الكلاسيكية التى نشرتها وزارة التعليم فى أربعينات (= أربعينيات) القرن الماضى التعريف "التقليدى" للترجمة، وهو التعريف الذى اعتنقه "مكتب الترجمة" الذى كانت تشرف عليه الدولة. فلقد أكد النص – المصدر والمؤلف – المصدر وقيَّد ظهور اسم المترجم بعدد من الطرق، وأوضح بما لا لبس فيه الوظيفة التى يقصدها، ألا وهى تعليم القراء. وكشفت النصوص الموازية فى روايات "الدايم"

المترجمة (أو الأصلية) أن الناشرين والمترجمين الذين نشطوا فى ميدان الأدب الرخيص وضعوا أنفسهم فى المنطقةالتى يلفها الغموض بين الترجمة والكتابة الأصلية. ولقد كشفت هذه النصوص أيضًا عن أن الإشارات النوعية الموازية (=شبه النوعية) وأنواع القطْع المحددة للسلاسل تنطوى على صلة قوية بالطريقة التى كُتبت أو تُرجمت بها تلك الأعمال، وقد تثير المفاتيح التى توصلنا إليها عند مستوى النص – الموازى أسئلة تحتاج إلى مزيد من الاستكشاف سواء فى النصوص المترجمة أو نصوصها الفوقية بالإضافة إلى النصوص الإضافية: من هم أولئك المترجمون الذين كانوا ينقلون روايات "الدايم" تلك؟ هل كانوا منخرطين فى أشكالٍ أخرى من النشاط الأدبى؟ ولماذا قامت مثل تلك الفجوة بين "مكتب الترجمة" وناشرين مثل "جوفين يابنوى" فى نهجيهما تجاه الترجمة؟ هل يمكننا تعليل اللجوء إلى المجهولية، بدرجة كافية بعوامل السوق التى ترفع شأن الإشارات النوعية على قيمة الأصالة والإبداع؟ ويمكن بالتأكيد لمثل هذه القائمة من الأسئلة أن تمتد طويلاً.

يطـــرح الاستكشاف خـــلال النصوص الموازية أسئلة، بعضها قد لا يجد أجوبة إلاً أن كل ما نطلبه من نماذج البحث هو أن تولِّد أسئلة، وهذا هو السبب فى أن النصوص الموازية تستحق إلتفاتًا أكبر فى نماذج البحث الراهنة فى تاريخ الترجمة.

الهوامش

(١) هذه الكتب لم ينشرها "مكتب الترجمة"، فلقد عمل بـ "المكتب" مترجمون دائمون بمجلس "المكتب" وآخرون بالقطعة، وهؤلاء ترجموا للمجلس كما ترجموا أيضاً لدور نشر خاصة، وما أطلق عليه هنا اسم "كتب مكتب الترجمة" هي تلك الكتب التي عهد بها "المكتب" إلى مترجميه وحرّرها أعضاء "المكتب" وقامت على نشرها وزارة التعليم.

الفصل الرابع مبادئ الترجمة و"أجندة" المترجم

نهج منهجى نحو فكر "يان فو"

بقلم إيلزى تشان Elsie Chan

خلاصة :

بلغت المبادئ الثلاثة للترجمة التى أعلن عنها المترجم الصينى "يان فو" فى سنة ١٨٩٨ - "إكسين" xin (الأمانة) و"دا" da (المفهومية) و"يا" ya (الرشاقة) - مرتبة عالية، وفى نفس الوقت ظلت تلاقى سهام النقد لما تنطوى عليه من مفارقة، إن لم نقل من تناقض. وهذا المقال يعيد تقييم موقف "يان" مع "أجندة" (= جدول أعمال) الترجمة فى سياق الأزمة السياسية الثقافية - الاجتماعية التاريخية التى وجدت الصين نفسها فى خضمها فى ذلك الوقت. والنهج المتبع هنا متعدد الأبعاد ويأخذ مفتاحه من نظرية متعددة المناهج، وقد يحتج كثيرون - من وجهة نظر "يان" - بأن هدفه الصادق فى الخلاص القومى عبر الترجمة يمكن تحقيقه - وحسب - عندما تتفهم وتتقبل قاعدته المختارة من القراء إخلاصه فى إشاعة فنيات شعرية قريبة المنال وعمليات تثاقف لأفكار أجنبية كان يمكن - لولا ذلك - أن تظل بعيدة المنال. ولقد فسَّر كثيرون نموذج الترجمة الذى توصَّل إليه "يان" بصفته إعمالاً للسلطة والسياسات، فى الوقت الذى يحشد فيه المدروكية accessibility (= قابلية الإدراك بمعنى الوصول للهدف) الأيديولوجية والسياسية والمؤسساتية والأدبية لهدفٍ محدد.

احتج "ليفين دالست" Lieven D'hulst بأن تاريخ نظرية الترجمة جدير بالاهتمام، ليس لأن تفكيرنا الراهن ينبع منه، وحسب - بل أيضًا لأنه يحوز أهميته وتركيبيته

الخصوصيتين، وهى تركيبية تغدو جلية عندما نمعن النظر فى الطابع المتعدد المناهج لتاريخ نظرية الترجمة (استشهد بها "هيرمانز" ١٩٩٩: ٩٩). ويلقى "دالست" باللوم على النقص النسبى للاهتمام بنظريات الترجمة الأقدم بين الدارسين المعاصرين بسبب الغرور و"فقدان الذاكرة الانتقائى" (المرجع السابق). يتخيَّل الباحثون الحاليون أنهم صنعوا مثل هذا التقدم الهائل بأمشاقهم (جمع مشق) الحديثة الاكتشاف new-fangled حتى أن التفكير الماضى أصبح غير ذى صلة بالأمر، ويميلون إلى النظر إلى التنظير السابق بصفته مجرد فسيلة نبتت على هامش الأداء الترجمى، ونتاجًا عرضيًا محصورًا فى مشاكل تكنيكية (المرجع السابق).

وهذا المقال يسعى إلى معالجة الاستقطاب بين النظريات التاريخية وبين عمليات الترجيم، وأن يشرح لزوم وسداد التنظير السابق حول الترجمة. والحالة رهن النقاش تخص "يان فو" (١٨٥٤-١٩٢١) الذى يعد أكبر المترجمين والمنظِّرين فى ميدان الترجمة فى الصين. ولقد أحدثت الترجمات التى قام بها "يان" للأعمال الثقافية الغربية فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر تغيُّرًا هائلاً فى رؤية معاصريه للعالم، وقد رحب أغلب المترجمين الصينيين بمبادئ الترجمة التى توصَّل إليها، كما لاقت هذه المبادئ حفاوة كبيرة فى مقتطفات الدراسات الترجمية منذ ذلك الحين.

أعتزم درس مبادئ "يان فو" فى ضوء المفاهيم الوظيفية المعاصرة، وعلى وجه خاص نظرية التعدد - النسقى polysystem ("إيفين - زوهر" ١٩٩٠ ، ١٩٩٧) فى ظل النقد الموجَّه إلى نظرية التعدد النسقى باعتبارها تبسيطية إلى حدٍ خطير، وحتموية determinist وثنائية dualistic واختزالية reductive (هيرمانز ١٩٩٩: ١٠٢ -١١٩، لامبرت ١٩٩٩٧) وهنا نجد أن المفهوم المتعدد النسق يخدم فقط، كإطارٍ عام لتصوير ديناميات تغير المشق الثقافى. وخلال تتريخ "يان فو" (= سلْكه فى إطاره التاريخى) يمكننا تحليل نشاطاته الترجمية فى ضوء الثقافة والسلطة، وبصفتها أعمالاً وظيفية فى إطار مناهج متعددة مترابطة بدلاً من تجميع لعناصر متباينة، ولسوف تقدِّم المنهجية المنظمة استبصارات فى تنوع وتركُّب الظواهر التى تتصل بحالة "يان"، كما تفسِّر

صحتها وقيمتها كبحث استراتيجى فى الدراسات الترجمية. وعوضًا عن استكشاف الترجمة بصفتها مهارة أو فنًا أو علمًا - على نحو ما سيطر على الاتجاه السائد فى الدراسات الترجمية فى الصين حتى وقتٍ قريب - فإن مثل هذا النهج يؤكِّد على الطابع المتعدد الأبعاد والمتداخل المناهج للدراسات الترجمية.

١ - نظرية تتريخية Historicizing theory

نقل "يان فو" خلال العقود (عقد = عشر سنوات) من أسرة "قنج" Qing الصينية المالكة (١٦٤٤-١٩١١) آخر الإمبراطوريات الإقطاعية فى الصين عددًا من الأعمال الذهنية الغربية، كان معظمها كتبًا منشورة فى القرن التاسع عشر، مثل كتاب "توماس هكسلى Thomas Huxley المعروف باسم "التطور والأخلاق" Evolution and Ethics وكتاب "إدوارد جنكس" Edward Jenks المعنون بـ "تاريخ علم السياسة" A History of Politics وكتاب "جون ستيوارت ميل" John Stuart Mill الذى يحمل عنوان "عن الحرية ونسق المنطق" On Liberty and System of Logic وكتاب "هربرت سبنسر" Herbert Spencer المنشور باسم "دراسة فى السوسيولوجيا" (= علم الاجتماعيات) A Study of Sociology وكتاب "دبليو. إس. جيفونز" W.S.Jevons الذى يُسمى "مقدمة فى المنطق" Primer of Logic ، ولكن بعض الكتب التى ترجمها "يان فو" كان أيضًا من القرن الثامن عشر، وعلى وجه الخصوص كتاب "آدم سميث" Adam Smith الذى ظهر تحت اسم "ثروة الأمم" Wealth of Nations وكتاب "مونتيسكيو" Montesquieu الذى أخذ عنوان "روح القوانين" Spirit of Laws. مع أن الصينيين يفضلون أن يتذكروا مترجمهم المتميِّز بعرضه فى المقدمة التى كتبها لكتاب "هكسلى"، "التطور والأخلاق"، لثلاث صعوبات كبرى وطرحه الأسس الثلاثة للترجمة وهى "كسين" و"دا" و"يا" التى نستطيع ترجمتها إلى "الأمانة" و"المفهومية" و"الرشاقة" (١)

يلقى هذا النموذج الثلاثى حفاوة كبيرة فى الصين بصفته توسيعًا منطقيًا ومصقولاً للأركان التى تخلَّقت من جراء ترجمة الكتابات البوذية المقدسة القديمة،

وهى الأركان التى أكدت على كلٍ من أمانة المضمون ومفهومية intelligibility التعبير. وفى كتابه "نظريات الترجمة فى الصين: نسق صينى فريد يُلخِّص "ليو إكسينزهانج" Luo Xinzhang ألفىْ سنة من التنظير الصينى حول الموضوع، متتبعًا تطورًا تاريخيًا للمبادئ الترجمية، بدءًا من "المضمون الأصلى" لـ "داؤوان" (Dao'an, 314-385) مترجم الكتب البوذيـة المقدسـة عبر "الأمانـة" ("يان فـو") و"التشابـه الروحـى" لـ"فو - لى" (Fu lei,1908-1966) مترجـم الأدب الفرنسى و"البراعـة الساميـة" لـ "قيان زوهونجشو" (Qian Zhongshu,1910-1998) ، وهو باحث وكاتب متميِّز. ولكن هناك إجماعًا عامًا فى الصين على أن ثالوث "يان فو" - نقل نص - مصدر بصورة أمينة (كسين) إلى لغة مفهومة (دا) وأسلوب ملائم (يا) - يعطينا زواجًا مثاليًا بين المبادئ الترجمية الماضية وبين مشق الترجمة دائم الاخضرار (= النمو والتجدد). إلاَّ أن هناك جدلاً دائرًا حول المجالات التى تغطيها مصطلحات "يان" فى حقيقة الأمر، فهل "كسين" تعنى "الأمانة" بالنسبة للشكل أو المضمون أو روح و/أو قصد المؤلف؟ هل "يا" تستلزم لغة متقنة مستغلقة على الفهم، وإذا كان الأمر كذلك، أفلا تتناقض "يا" مع "دا"؟ هناك أيضًا نقاش دائر حول الوزن النسبى لكل مبدأ من المبادئ الثلاثة، الذى ينبغى أن يقبل به المترجم الممارس. ومع ذلك فهناك قبول عام بأن أركان "يان" - وخصوصًا ركنىْ "كسين" و"دا" - إنما تشكل الأعراف الراسخة لكلٍ من الترجمة والنقد على حدٍ سواء.

هناك إلى جانب ذلك رأىٌ معارض، يشكك فى صلاحية معادلة "يان" كمسوغٍ لتعقُّد (= شربكة) الترجمة، غير أن هناك محاولات مبذولة لإبراز مشروعه الترجمى فى ضوء قاعدة القراء المقصودة وكذلك الهدف المنشود .(Chau 1986,Chu 2000.Shen 1998) والوظيفة السياسية لترجماته (Wong 1997) ودور الترجمة فى فترة الأزمة على المستوى الأدبى والأيدولوجى (Chang 1998:34-35) ، كما طعن البعض أيضًا فى صلاحية ثالوث "يان" على أساس أن "يان" انتهك المبادئ التى صاغها هو نفسه، وحوَّر نصوصه - المصدر وأعاد كتابتها باللغة الصينية الكلاسيكية وبأسلوبٍ غامضٍ باطنى. ومع ذلك فمعظم الأعمال النقدية فى ميدان الترجمات بعد "يان" تتخذ من نموذجه "عود قياس" (= مازورة) كل ترجمة تنحرف عن "الأعراف" التى قال بها تُواجه بالاستنكار،

مع أن ظروفًا "خاصة" قد تُستدعى فى الغالب كى تُعفى ترجمات خاصة من هذا الاستنكار.

فى بعض الأحيان، كانت الدراسات الماضية حول نموذج "يان" تُقابل بالسخرية على أساس أنها لا تخرج عن أن تكون ميكروسكوبية، إنطباعية ومكررة، وتحول دون بحث أكثر ماكروسكوبية وأعمق منهجية، وقد سلَّم الباحثون المعاصرون الأصغر سنًا بصفة خاصة بالتحدى، أولئك الباحثون الذين أغرتهم الدراسات الترجمية والأدبية الغربية (على سبيل المثال "وانج جونجفنج" (Wang Dongfeng 1999) وقد نجم عن ذلك تفجُّر مناظرة حول الهيمنة النظرية، يرفض أحد طرفيها "القديم" بصفته "تبسيطى" ومتكلِّس، ويستبعد الطرف الآخر "الجديد" على اعتبار أنه ينطوى على نزعة تحطيم "الأيقونات" (= الصور والتماثيل، وهى نزعة ضيقة الأفق. المترجم) وغير متصل أى ذلك "الجديد" اتصالاً وطيداً بالموضوع. إلاَّ أن أسئلتى هنا مختلفة، هل الحقيقة التى تقول إن مشق "يان فو" سيطر على البحث الترجمى لمدة تصل إلى قرن من الزمن تجعل منه موضوعًا مهمًا من مواضيع البحث؟ هل ترقى مبادؤه إلى مستوى نظرية؟ كيف نتصوَّر ممارسات "يان فو" الترجمية وتصريحاته بشأن الترجمة داخل السياق التاريخى الأوسع ؟ ما هى مساهمته فى الدراسات الترجمية؟ والأهم من كل ذلك، ما مغزى آراؤه للبحوث القادمة ؟

قد يكون البحث فى سبيل وضع نظرية لتاريخ الترجمة عملاً ناقصاً إذا ابتعد عن دراسة المترجمين والسياق التاريخى والاجتماعى الأوسع، واقتصر على نطاق وأدوات مشق واحد أو منهج واحد. وفى هذا الصدد نجد أن معظم الدراسات الموجودة كانت محدودة النطاق. وقد انصبت الدراسات الترجمية الصينية طوال القرن الماضى بصورة غالبة على الفيلولوجيا (علم اللغات) والتفسير، واتخذ من ثالوث "يان فو" نموذجًا للنقد الترجمى، والواقع أننا نفتقر إلى دراسة معمَّقة للسمات المنهجية لمبادئ "يان" أو العلاقة بين التوفيق الذى يعمد إليه "يان فو" بين الاختلافات الشاسعة بين الثقافتين الصينية والغربية، وبين تصريحاته بشأن الترجمة. من ناحية أخرى تصوُّر الدراسات فى الأدب المقارن وكذلك

الدراسات السياسية والسيوسيولوجية (= الاجتماعية) "يان" كمفكِّر كبير متبحِّر في كلٍ من الدراسات الصينية والغربية على حدٍ سواء، ودارسٍ متأجج الوطنية ومصمم على اللجوء إلى التثاقف في سبيل استخدام الفكر الغربي التقدمي في تنوير بني وطنه. ولقد فسَّر - على سبيل المثال - "بنيامين شفارتس" Benjamin Schwartz (1964) استقبال "يان" الانتقائي و"استيراده" للأفكار الليبرالية الغربية الحديثة كمحاولة لتحويل التهديد العسكري والاقتصادي الغربي إلى قوة وثروة للصين، ومع ذلك لم يكن اهتمام "شفارتس" مركزًا على المناهج الترجمية أو مبادئ الترجمة، ولم يرصد سوى أن "الترجمة بتصرُّف" (= إعادة صوغ المعاني بعبارات مقاربة) والتعليقات الجزافية" arbitrary commentaries تُيسِّر وقوع تشويهات خطيرة هنا وهناك للمعنى"(١٩٦٤: ٩٦)

٢ - فن الشعر والسلطة

إذن، انكب الدارسون على درس "يان فو"، من منظوراتٍ مختلفة وإن كانت باستمرار منظوراتٍ خاصة، ولكن ما نحتاج إليه الآن هو تحليل متعدد الأبعاد لـ "يان فو" كـ "ابن عصره". والاقتراح الذي سأقدمه فيما يلي يسعى إلى تتريخ مبادئ "يان فو" في ضوء النموذج المتعدد النسق polysystem .

ولأبدأ بفحص السياق المباشر. طرح "يان" مبادئه الثلاثة في المقدمة التي كتبها باسم "ملاحظات عامة حول الترجمة" لترجمته للكتاب Tianyanlun أي "عن التطوُّر" سنه ١٨٩٨، وهو أوَّل عمل مترجم يُنشر له، والعمل مؤسس على كتاب "إي.إتش. هكسلي" Evolution and Ethics، وقد بدأ "يان" مقدمته على هذا النحو:

(تنطوي الترجمة على ثلاثة متطلبات قد يصعب تحقيقها: الأمانة ‹إكسين› والمفهومية ‹دا› والرشاقة ‹يا›، حقًا يصعب الوصول إلى الأمانة ولكن الترجمة التي تنطوي على أمانة دون أن تكون مفهومة ليست ترجمة على وجه الإطلاق. وبالتالي فإن للمفهومية أهمية أولية (Yan 1973: 4) ولسوف أعتمد على ترجمة "هسو" Hsu 1973 خلال هذا المقال. إيلزي تشان.)

من الشيِّق أن الشرح هنا يتمشى مع التقاليد الأدبية السائدة فى الصين. وصياغة العبارة ذاتها تتمشى مع تحبيذ الأسلوب الملغز، بل المبْهم فى الدراسات الأدبية الصينية والنقد، ومع أن هذه المتطلبات ظهرت مرة واحدة، إلاَّ أن "يان" لم يبرز أوراق هويته حتى الفقرة الثالثة:

يقول "سفر التغيرات" I ching : "الأمانة هى الأساس الذى تستند إليه الكتابة". ولقد قال "كونفوشيوس": "ينبغى للكتابة أن تكون مفهومة" وأضاف أيضًا: "إذا افتقرت اللغة إلى الدقة البالغة فإن تأثيرها لن يمضى بعيداً"، وشقت هذه الأوامر الثلاثة الدرب السليم للأدب، كما أنها تعد بمثابة المبادئ الموجِّهة للترجمة (Yan 1973: 5) .

يرقى "سفر التغيُّرات" إلى مرتبة الأركان الخمسة العليا (wujing) لـ "الديانة" والأولى الفلسفة الكونفوشية، التى تعتبر أعلى أنساق الفلسفات المؤسسية Institution-alized الصينية. كما شكَّلت فنيَّات الشعر، عند "كونفوشيوس" الأساس للأعراف الأدبية المعتمدة، أو أحد أشكال "الذخيرة" حسب مصطلحات "إيفين – زوهر".[٢] ومن اللافت للنظر أن "يان" طرح نفس الشعريات فى الأدب المحلى وفى الترجمة، وبذلك يكون قد نمْذج modelled (= فرض نموذجًا) أعرافه الترجمية استناداً للأعراف التى شيَّدها فعلاً نوع سائد فى الأدب (الصينى) المستهدف. ويقول "إيفين – زوهر" إن هذا ما يحدث عادة عندما يحتل الأدب المترجم موقعًا هامشيًا داخل النسق المستهدف ويلجأ إلى نماذج ثانوية (١٩٩٠: ٤٨–٤٩) ومعروف أن النموذج الثانوى يحكم – فقط – المنتجات التى يكون التنبُّؤ بها عاليًا، عندما تكون الذخيرة راسخة فى موضعها وكافة النماذج المشتقة تُؤسس وفقًا لها (١٩٩٠: ٢٠–٢٢) .

لعل من الحقائق الثابتة أن الترجمة فى الصين الإمبراطورية لم تلعب مطلقًا دوراً مركزيًا فى الثقافة الأدبية، والتراث الفلسفى والتاريخى والأدبى لأقدم حضارة عالمية لا تزال على قيد البقاء، وتتمتَّع بحكومة مركزية ولغة مكتوبة مشتركة عبر رقعة جغرافية ممتدة تحيط بها عدة دول تابعة دون سن البلوغ، تعتز بوجهة نظر تجاه ذاتها، كمملكة وسيطة Middle Kingdom تقوم على الاكتمال – الذاتى والاكتفاء – الذاتى، وتستبعد

أى حاجة لها إلى ترجمة ثقافات أدبية أخرى. وكان المترجمون يُعرفون فى الصين القديمة بـ "رجال اللسان" Sheren أو "موظفون مقلدون" Xiangxu . ولم تحظ (= تحظى) الترجمة بتقدير عالٍ، فلم يوافق "كونفوشيوس" (٥٥١-٤٧٩ ق.ع.م.) ذات مرة عندما اعتزم ملك الصين دراسة الترجمة، لأنه كان يحتقرها باعتبارها مهنة تافهة xiaobian مقصورة على الشئون الدبلوماسية يُعهد بها لـ "للألسنة المقلوبة" fanshe (= مترجمين) الذين ينقلون الكلمات chuanyan (Chen 1992:11-13) ولعلها ملاحظة بليغة تلك التى لاحظها الباحث المتخصص فى أسرة "قنج" Qing الملكية المرحوم "ليانج قيشاو" Liang Qichao (1873-1929) أن الأسفار البوذية كانت بمثابة النصوص الأجنبية الأولى التى عوملت باحترام، بعد أن كانت الثقافة البوذية قد بلغت فى ذلك الوقت منزلة "يمكن أن تُقارن" بتلك التى كانت تحوزها الثقافة الصينية (Liang 1988: 85) .

تعد ترجمة الأسفار البوذية التى بدأت فى القرن الثانى من عصرنا المألوف (م.ع.م.) واستمرت حتى القرن العاشر الموجة الأولى من ثلاث موجاتٍ ترجمية كبرى عرفتها صين ما قبل قيام الحكم الشيوعى فى سنة ١٩٤٩ (وشهدت الموجة الثانية استيراد الأعمال العلمية الغربية فى القرن السادس عشر وحتى القرن الثامن عشر، أما الثالثة فعرفت ترجمة الأعمال الأدبية والثقافية بدءاً من القرن التاسع عشر وحتى ثلاثينات (= ثلاثينيات) القرن العشرين) ومع أن تلك كانت فترات من النشاط الترجمى الغزير، إلا أن الأدب المترجم لم يلعب دوراً ملحوظاً فى النسق الأدبى، اللهم إلاَّ بعد سنة ١٩١٩ ، ولعل الأسباب وراء ذلك واضحة:

أولاً: تكفَّلت بأعمال الترجمة دائرة ضيِّقة بصورة نسبية من المترجمين المحليين، الذين عملوا فى الغالب بالتعاون مع الأجانب، وضمت هذه الدائرة عدداً محدوداً من كبار الكتاب، إذا كانت قد ضمَّت أحداً منهم أصلاً.

الثانى: مع أن الترجمة حققت عناصر جديدة فى الأدب الصينى، إلاَّ أن تأثيرها على الاتجاهات الكبرى كان محدوداً، وفى الغالب كانت تسير فى أعقاب الأعراف الأيدولوجية والثقافية والأدبية السائدة. (٣)

ثالثًا: تخدم الترجمة – فى الغالب الأعم – أغراضًا نفعية للمثقفين الأوسع أفقًا من الناحية السياسية فى البيئات المتعددة – النسق، الأيدولوجية أو السياسية. أما فيما يتعلَّق بالأدب، فكان "الأدب المترجم" منه لا يُقابل إلاَّ بالتجاهل إلى حدٍ كبير.

وخـلال الفترة الترجميـة الثانيـة – على سبيل المثال – نحا المبشرون "الجزويت" (= أعضاء طريقة دينية تأسست فى حضن الكنيسة الكاثوليكية فى سنة ١٥٣٩على أيدى القديس "إجناتيوس" Ignatius ، وهو جندى أسبانى نذر نفسه لأعمال البر والعطف على الفقراء إثر إصابته بجرح خطير فى إحدى المعارك، وتعد هذه الطريقة مسئولة عن كثير من أشكال التجديد والتحديث التى زحزحت الشعائر الدينية بعيدًا عن موروث العصور الوسيطة. المترجم) نحو ترجمة الأعمال التكنولوجية والعلمية الغربية – طالما لم تتعارض مع العقيدة المسيحية – بصفتها إحدى وسائل تعزيز "أجندتهم" التبشيرية. وقد تعاون هؤلاء المبشرون مع حفنة من المسئولين – الدارسين الصينيين الذين كانوا أبعد عن إتقان اللغات الغربية، لكنهم كانوا حريصين على اكتساب تطبيقات التكنولوجيا الغربية كى تستفيد منها بلادهم. إلاَّ أن ترجمة الأعمال الغربية لم تلمس الثقافة الأدبية الصينية – سوى بالكاد – لكنها ظلت عاجزة عن التأثير فى الفكر الصينى حتى ظهر "يان فو"، وهو الأمر الذى يفسِّر لنا السبب الذى يجعل منه – رغم اضطلاع فيالق المترجمين الذين سبقوه بترجمة الأعمال الغربية – أول دارس يعود من الغرب كى يُؤثِّر فى الفكر الصينى. (Liang 1998: 98) بل وأوَّل صينى يقدِّم الفكر الغربى المعاصر (Hu Shi,1891-1962,1979: 194) ومع ذلك فإن جدارة "يان" بالثناء راجعة بالدرجة الأولى إلى براعته فى كلٍ من الدراسات الغربية والصينية (Liang 1990:267) مع أن شعرياته قوبلت فى الحقيقة بانتقادات قاسية. ولقد نمذج ترجماته وفقًا للتقاليد الأدبية (الصينية.المترجم) التى تحتفظ بمنزلة عالية، واستشعر التعاسة لوضعه المتدنى كمترجم، ولكن وقت ذاك كانت الثقافة الأدبية فى صين – ما – قبل – ١٩١٩ وحيدة اللغة بصورة ساحقة [٤]، مع بعض الأدب المترجم، وكما سبقت الإشارة من قبل، وقد أُعيد صبُّه فى العادة فى قوالب تتمشى مع التقاليد الأدبيـة المحليـة (= الصينية) وإبعاده إلى الهامش.

ترجع الاستشهادات الكونفوشية التى تدعّم مبادئ "يان" الثلاثة إلى المصادر السابقة على "هان" قبل القرن الثالث (ق.ع.م.) (= الأسرة الإمبراطورية الصينية الكبرى الثانية، التى أسسها "ليو بانج"، الذى أصبح فيما بعد "كاو تسو" (٢٥٦-١٩٥ ق.ع.م.) وهو رجل من طبقة متواضعة قاد انتفاضة واسعة ضد مظالم الأسرة السابقة، أسرة "تشين" حتى أطاح بملكها الذى لم يكن قد دام طويلاً على أى حال. المترجم) وقد أكّد "يان" على أهمية "يا"، أى "الرشاقة"، وذلك فى مقدمته التى عنونها باسم "ملاحظات عامة"، وصدّر بها لكتابه المترجم Tianyanlun "عن التطور"، وحدد أن المرء عندما "يستخدم نحويات Syntax وأسلوب الفترة السابقة على أسرة "هان"، فإنه يسهّل - فى واقع الأمر - مفهومية المبادئ العميقة والأفكار البارعة، فى حين أن اللجوء إلى اللغة الشعبية الحديثة يجعل الأشياء مستغلقة على الفهم." (١٩٧٣: ٥) وبعبارة أخرى، يحبّذ "يان" - فى واقع الأمر - الاعتماد على الأساليب الغامضة السابقة على أسرة "هان" كأفضل الوسائل ملاءمة للتعامل مع المفاهيم الأجنبية غير المألوفة (Chu 2000:10) ولقد أصبحت شعرياته المحافظة وسيلة لحفظ ذخيرة تقليدية، سارت فى خطٍ موازى (= موازٍ) مع الذوق الفائق - المحافظة Ultra-conservative taste الذى تملّك الصفوة الماندارية Mandarin (= نسبة للناطقين باللغة الماندارية التى يتحدثها سبعون بالمائة من الصينيين كلغتهم الأم، وتتميّز هذه اللغة بأن معظم كلماتها تتكوّن من مقطع واحد وتعتمد وظيفة الكلمة فى المنطوق على موضعها دون الإعراب.المترجم) الحاكمة التى طالما سعى المترجم "يان" إلى كسب عطفها. وكانت هذه الصفوة تتطلب المصقولية والطرافة eccentricity كى ترضى ذوقها وتستولى على قلب النسق الثقافى، وقد عرضت الذخيرة المعتمدة هذه الملامح بغزارة. وبذلك يصبح واضحًا أن قاعدة القراء الذين وضعهم "يان" نُصب عينيه والغرض من الترجمة حدّدا - معًا - أعرافه الترجمية، وبعبارة أخرى، حكمت مسألة السلطة مجمل السيرورة course فما كان "يان" يجاهد فى سبيله لم يكن لغة مفهومة فى حد ذاتها per se ، بل مدروكية accessibility مؤسساتية وأدبية.

ولقد أشار "يان فو" في مقدمته "ملاحظات عامة" إلى أنه كان على وعيٍ كامل بالنقد الذي يمكن للغته الغامضة أن تثيره، بما في ذلك أسلوب وتحبيذ ما هو طريف أو حتى غريب. لكنه دافع عن اختياره المحافظ على هذا النحو:

"ولكن يتعيَّن عليَّ أن أقول إن هذه هي النتيجة التي تترتب على الجهد الذي يحوز مني كل إصرار، على "المفهومية" [دا] ومبحثي في هذا الكتاب مؤسس – إلى حدٍ كبير – على المنطق والرياضيات والعلم بالإضافة إلى الفلك. وإذا لم تكن هذه الدراسات مألوفة للقارئ، فحتى ولو كان يحمل نفس الجنسية ويتحدث نفس اللغة التي يتحدثها المؤلف، فلن يكون في طوعه أن يستوعب كثيراً، وبكل تأكيد، أقل بكثير عند قراءته للترجمة. ("يان" ١٩٧٣: ٥ والقوسان المربعان أو الراقصان من عندي إي. شان)

يتلخَّص زعم "يان" في أن الأعراف السابقة على الفترة *"الهانية"* (= نسبة لأسرة "هان") هي وحدها التي تلائم ترجمة الأعمال الغربية الجادة، ومع ذلك لم ينجح في الحيلولة دون التعرض للهجوم. ففي عرضٍ لترجمة "يان" المتأخرة لكتاب "ثروة الأمم"، عنَّفه "ليانج قيشاو" – ليس لافتراض وجود قاعدة محدودة من القراء تألَف الثقافة الكلاسيكية فقط – ولكن أيضاً لعجزه عن تلبية الاحتياج إلى إصلاحٍ أدبي تأخر طويلاً، ولفشله في جعل البحوث العلمية العويصة والعميقة ميسورة في متناول الطلاب. ودمغ "ليانج قيشاو" شعريات "يان" بأنها غير ملائمة وعالية الذاتية وتتناقض مع واجب المترجم في تقديم "أفكارٍ متحضرة" إلى بني وطنه (ليانج ١٩٩٠: ٢٦٧) وفي رده على "ليانج قيشاو"، أشار "يان" إلى أن ترجماته لم تستهدف الطلاب أو القارئ البسيط، بل استهدفت الوصول إلى الصفوة المثقفة من الصينيين الذين تبحروا في الكلاسيكيات الصينية ("يان" ١٩٩٠: ١٢٤) وهو الأمر الذي يعني أن "يان" استهدف بترجماته – بصورة عمدية – الصفوة "الماندارينية" التي تملك – دون سواها – القدرة والنفوذ اللذين يمكِّنانها من تغيير الوضع الراهن status quo . فليس من صواب الرأي أن نتصور إمكانية اعتراف هذه الصفوة بأن نصاً ما هو "ممتاز"، بينما تنظر فتجده محمولاً في عبوَّة شعبية رخيصة، ودع عنك أن تجده جديراً بالقراءة وتقبل ما يحتويه من أفكارٍ

أجنبية تقدمية. ومضى "يان" في محاجحته كي يقول إن الهبوط باللغة لإرضاء غير المثقفين لن يقود إلى أي إصلاح بل عوضًا عن ذلك إلى كارثة. (المرجع السابق). ويضيف أن اللجوء إلى اللغة الشعبية الهابطة سوف يؤدى بالمترجم إلى التحايل على المعاني الأجنبية، الأمر الذي سيسفر عن سوء تفسير جسيم ("يان" ١٩٧٣: ٥) وكانت تلك دعوة معقولة بشكلٍ كافٍ في وقتٍ لم تكن فيه اللغة الشعبية baihua قد جُربت بعد كأداة للتعبير الثقافي والأدبي.

وعلى نحو ما كان عليه الأمر، لعب الموقع الأيدولوجي والمؤسسي للمترجم دورًا رئيسيًا في تشكيل شعرياته. حقًا كانت مدرسة الأدب والثقافة التي ينتمي إليها "يان فو" وهي "تونج - تشينج" tongcheng ، تعارض الشكل التي يصطنعه "باجو" bagu في كتابة المقالات، وهو الشكل الذي كان موضع سؤال في الامتحانات في السلك المدني في الصين الإمبراطورية، بل وكان قد تحوًل إلى بقجة جوفاء من النثر المبتذل المقولب. وكانت مدرسة "تونج - تشينج" تحبًذ الأساليب الرقيقة البسيطة في بسط الحجج ذات المغزى العميق (شعريات)، وتستحضر التقاليد الكونفوشية (ثقافة) وتسعى لإتقان النسق الأخلاقي والاجتماعي (أخلاق). كما كانت مدرسة "تونج - تشينج" تقف أيضًا موقف النقد من الدراسات النفعية (jingshi) التي فقدت حيويتها، بالإضافة إلى البحث البديهي الخنوع والبليد (kaozheng) الذي كان رائجًا بين الدارسين منذ مطلع الأسرة "القينجية". ولعل التنافس الأيدولوجي والسياسي ظاهر للعيان. وكان أقطاب مدرسة "تونج - تشيج" يعتقدون أن الدرس العلمي يرقى إلى ما هو أسمى من النزعة النفعية والدراسات التي تبدأ وتنتهي بالامتثال، إذ ينبغي للكتابة الجادة أن تكون مفعمة بمضمون دالٍ وأساليب رفيعة، على نحو ما هو الحال مع الأعمال البارعة التي عرفناها عن فترتيْ "تانج" Tang و"سونج" Song اللتين تملكتهما روح حية جياشة (من القرن السابع حتى الثالث عشر م.ع.م. (= من عصرنا المألوف) وهي الروح التي نستطيع أن نتبعها على طول الطريق حتى حقبة "هان" الأقدم عهدًا وما قبلها.

تتضح هذه الأركان المؤسساتية - بكل جلاء - في إطار قائمة المراجع وإطار معلّمه، الأستاذ المرموق "وو رولين" Wu Rulin (1840-1903) الذى ينتمى لمدرسة "تونج - تشينج" الذى كان يدرِّس فيما يوازى جامعة حديثة اليوم فى العاصمة الإمبراطورية، وقد استحسن "وو" ذوق "يان" الأدبى، وأكَّد فى المقدمة التى كتبها للترجمة التى قام بها "يان" لـ "هكسلى" ("يان"١٩٩٨: ١-٣) أن الأسلوب الأدبى ينطوى على أهمية أساسية للحفاظ على جاذبية وديمومة المضمون، وأن أحسن أنواع الكتابة ينبغى أن يكون غنيًا فى كلٍ من المادة والشكل. وفى تلخيصه لتطور الشعريات (= فنيَّات الشعر) فى الصين يلاحظ أن الكتابات الأصلية التى تقوم على العرض والبسط، تلك التى عرفتها الفترة "الهانية" (= نسبة إلى أسرة "هان") وما قبلها هى الكتابات التى يمكن اعتبارها معتمدة canonical . ولقد شكا من أن الكتاب المعاصرين لم يكن فى وسعهم سوى وضع مقالاتٍ مقولبة مخصصة لامتحانات السلك المدنى الإمبراطورى أو مستندات رسمية متحذلقة أو قصص أدبية رخيصة، وكلها عبارة عن أعمالٍ جامدة الشكل فارغة المضمون، كما شن "وو" هجومًا عارمًا على المترجمين المعاصرين وترجماتهم الجافة الجاهزة الصنع، تلك التى يجدها المثقفون وأبناء الصفوة "ملائمة" لأذواقهم، وبالتالى فإنها تفشل فى بث أى تنوير فى المجتمع، ويرى "وو" أن "يان" وحده هو المؤهل لإنجاز هذه المهمة الملحة.

تسمح لنا ملاحظات "وو" هذه بتقييم الإستراتيجية الترجمية لـ "يان" التى تلجأ إلى نموذج ثانوى محافظ، وهو نموذج رفيع تمكَّن من الاستمرار على قيد البقاء، مع أنه لم يفلت من نقد معاصريه، ونجح فى الفوز باستحسان المثقفين وحتى الصفوة "الماندارية" التى كانت تتميَّز بالمحافظة المتشددة. ولكن يبدو أن "وو" نفسه كان على وعيٍ بعدم استقرار النسق الأدبى. ففى المقدمة التى كتبها لترجمة "يان" لـ "عن التطور" Tianyanlun ، لاحظ بحذرٍ أن صحته وسلامته الأسلوبيتين قد تكونان عاليتين لدرجة شاهقة تحول دون كسب جمهورٍ متجدد وواسع، طالما كان اختيار "يان" لشعريات ماقبل الفترة "الهانية" أشد بعدًا من الشعريات التى تنتمى للحركة الأدبية الكلاسيكية لكلٍ من أسرتىْ "تانج" و"سونج"، تلك الشعريات التى تبنتها مدرسة "تونج - تشينج".

وبعد حركة الرابع من مايو/بشنس سنة ١٩١٩، انهارت الكلاسيكية الصينية رسميًا وسقطت "الكونفوشية" فى الصين، وأصبحت النماذج الأدبية المعتمدة والكلاسيكية متأخرة - بخطوات واسعة وإلى حد خطير - عن الاحتياجات المتغيِّرة للمجتمع الذى تتوجه إليه. وفى وسعنا أن نتفهَّم هذا العجز أيضًا فى ضوء القصور الثقافى ذاته، وطالما تبدى عجز المؤسسات والتقاليد المحلية عن مقاومة تهديد أجنبى، فإن الأشكال الأدبية الآخذة فى الانقراض قد تستمر على قيد البقاء، ولكنها تُدفع - بكل قسوة - إلى الهامش حيث تُواجه تنافسًا متزايدًا من جانب ثقافات فرعية شعبية وإن كانت دينامية مفعمة بالحيوية (إيفين - زوهر ١٩٩٠: ١٧) ومع أن الفكر الغربى التجديدى الذى نقله "يان" قوبل بالترحيب، إلاَّ أن شعرياته الثانوية فى الأهمية أدينت بصفتها مهجورة ومستعصية على الفهم، وهكذا حققت ترجمات "يان" - فى أحسن الأحوال - معتمدية جامدة static canonicity : صادفت النصوص القبول كمنتجات حاذقة وأُدرجت فى مجموعة من النصوص التى تحظى بالتكريم، مما كان النسق المستقبل حريصًا على الحفاظ عليها، إلاَّ أن الذخيرة الجمالية التى نشدتها فشلت فى التحوُّل إلى مبدأ أدبى منتج.

٣ - مؤسسة وأيدولوجية

أخذ كثيرٌ من الباحثين فى ميدان الترجمة مبادئ "يان" الثلاثة بمعناها الحرفى. و/سعوا إما إلى التوفيق بينها وبين أدائه فى الميدان، أو انتقدوه لأنه لم يراعيها بصورة تنم عن الاتساق، ولقد صادفت معظم التقديرات فى هذا الشأن عددًا من التناقضات.

يتمثل أحد هذه التناقضات حول العلاقة بين "المفهومية" (دا) وبين "الرشاقة" (يا) وتذهب الحجة إلى أن شعريات "يان" تبلغ من الرشاقة حدًا يحول دون قاعدة عامة وبالتأكيد قاعدة متأخرة - من القراء - وبين فهمها، وتكمن المشكلة هنا فى أن "يان" كان مقتنعًا بأن الالتزام برشاقة فنيات الشعر (= الشعريات)، هو الذى يكفل دون سواه قبول القاعدة التى يستهدفها بترجماته، أعنى الصفوة "الماندارينية" بما تنطوى عليه من

ولاء بالغ للقيم الكلاسيكية المعتمدة. ومن هنا فلا ينبغى أن نقرأ "المفهومية" وكأنها تعنى رأساً اللغة المفهومة. وعوضاً عن ذلك، فهى تعنى مدروكية أيدولوجية وسياسية إلى قاعدة منتقاة من القراء، الأمر الذى يعيد إلى الأذهان استشهاد "يان" بالركن الكونفيوشى الذى يستلزم لغة رفيعة لضمان ديمومة التأثير. ولقد كان "يان" – دون شك – مصلحاً يسعى إلى التأثير فى الصفوة "الماندارينية" التى كانت تملك وحدها القدرة على تغيير البلاد وتمكين الصين من استعادة الثقة بالنفس. ففى وقت كانت القوى الإمبريالية الغربية تهدد فيه وجود الصين ذاته، أى قدرتها على الاستمرار على قيد البقاء، كان "يان" أحد الأوائل الذين رأوا أن مصدر التفوق العسكرى والاقتصادى والعلمى للغرب كامنٌ – فى حقيقة الأمر – فى تفكير الغربيين الذى يقوم على التجديد والتعليم الليبرالى، وهو التفكير الذى يتأسس بدوره على الحكومة الديمقراطية والرؤية التى تؤمن بالتطور. وكان "يان" متأثراً على وجه الخصوص بالداروينية الاجتماعية التى نادى بها "هربرت سبنسر" (١٨٢٠-١٩٠٣ فيلسوف إنجليزى دعا إلى نظرية التطور، وقال بأولوية الفرد على المجتمع والعلم على الدين. المترجم) وآمن بأن الصين فى أمَس الحاجة إلى القوة والاستنارة حتى تصبح مؤهلة لخوض الصراع الدولى فى سبيل البقاء. ولعل هذا هو السبب الذى دعاه إلى ترجمة كتاب "هكسلى" المعنون بـ "التطور والأخلاق" شارحاً – خلال التثاقف وصياغة العبارة وإعادة صياغتها بكلماتٍ أخرى – فكْر الفيلسوف الإنجليزى فى التطور الاجتماعى. وقد أدرك "يان" – مثلما فعل كثيرون من معاصريه – الحاجة لـ"ترجمة" الأفكار الغربية التقدمية إلى ثروة وقوة للصين، وبدت له الترجمة كالوسيلة المقبولة الوحيدة للتصدى للصفوة الرجعية الشوفينية (= نزعة التعصب المقيت للعرق أو الجنوسة (ذكر أو أنثى) أو القومية إلخ. المترجم) فالتفكير غير التقليدى يحظى بقبولٍ أكبر فى ميدان الترجمة أكثر من أى شكلٍ آخر من أشكال الكتابة الأصلية، وقد نجح "يان" فى وضع "أجندته" السياسية الإصلاحية موضع التنفيذ بتغليف أفكاره المنافية للتقاليد السائدة – التى ما كانت لتحوز أى قبول لولا ذلك – فى أعرافٍ أدبية ظاهرة المحافظة.

شرع "يان فو" فى ترجمته للفيلسوف الإنجليزى عقب الهزيمة المهينة - بكل المقاييس - التى تجرعتها بلاده على أيدى اليابانيين فى سنة ١٨٩٥ ، وفى نفس السنة نشر أربعة مقالات (= جمع مقال أى مفرد مذكر) فى النقد السياسى فى صحيفة " زيباو" Zhibao التى تصدر فى "تيانجين" Tianjin (ثالث أكبر مدن الصين وتقع فى شرق البلاد، واسمها يعنى "المعبر السماوى" المترجم) وهى المقالات التى أرسلت دوامات واسعة فى دوائر المثقفين، لكنها لم تؤثِّر فى النظام السياسى الحاكم، حيث كان الرجل يشغل وظيفة متواضعة كمدرب فى البحرية، وكان قد التحق قبل أن يُكمل العشرين من عمره بمدرسة البحرية التى توفر تعليماً غربياً مجانياً لأبناء غير القادرين، ولعل هذا هو السبب فى رسوبه المتكرر فى امتحانات السلك المدنى الإمبراطورى الأعلى فى الفترة من ١٨٨٥ حتى ١٨٩٣، وهو الأمر الذى حال دون انضمامه إلى فئة كبار الموظفين العموميين. ولم تكن دراسته الصينية المعقولة تماماً والغربية الممتازة، بالإضافة لقسوة الجو التى يتعرَّض لها فى أعالى البحار، كافية للتعويض عن وضعه الاجتماعى البائس، فكان باستمرار عرضة للازدراء من جانب الذين يتربعــون فى دست السلطـــة، ولم يكن رئيســـه المباشـــر "لى هونـج - زهانـج" (Li Hongzhang 1823-1901) سعيداً باتجاهه، أى اتجاه "يان" السياسى التقدمى ونقده الجسور. ويذهب "تشين فوكانج" (Chen Fukang (1992:125-6 إلى أن "يان" قرر الشروع فى مسيرته كمترجم بعد فشل عملية "المائة يوم الإصلاحية" التى أُجهضت فى سنة ١٨٩٨، وهى العملية التى حاولت إطلاق سلسلة من الإصلاحات الدستورية والمؤسساتية التقدمية، وعند هذه اللحظة فى التاريخ بدت الترجمة للرجل بمثابة اختيار "هوبزون" Hobson (= "ريشموند بيرسون، ضابط أمريكى بحرى ١٨٧٠-١٩٣٧ المترجم) لتنوير الصفوة "الماندارينية"، حتى مع نقده لجهلها وشوفينيتها وقد حدد اتجاهه الوطنى ذاك فى مقدمته لـ "عن التطور" ("يان" ١٩٩٨: ١٤-١٦)

وإذا ما عدنا إلى المسوغات التى ساقها "يان" لفنيات الشعر (= الشعريات) المعهودة التى لجأ إليها، فإننا نجد أن القياس الذى رسمه بين الجدارة التى تحوزها الأعمال الفكرية الغربية وبين الكتابات السابقة على الفترة "الهانية" (= نسبة لأسرة "هان")

والاقتباسات التى استشهد بها من كتابات "كونفوشيوس" تأييداً لمبادئه الترجمية الثلاثة تدفع المرء إلى إعمال الفكر. فالقضية هنا قضية سياسية أكثر من كونها قضية فنيات شعر أو شعريات. فمن بين ما يُسمَّى "مائة مدرسة فكرية" كانت منتشرة فى حقبة ما قبل "الهانية" لم تحافظ على استمرارها سوى حفنة وحسب بعد رحيل أسرة "هان"، كان أبرزها هى المدرسة "الكونفوشية". وكان الإمبراطور "وو" فى أوائل أسرة "هان" قد أضفى على "الكونفوشية" الطابع المؤسساتى institutionalized ، كى تصبح بمثابة الشريعة التى تحكم كافة مناحى الحياة، وشكَّلت الكلاسيكيات الكونفوشية الأساس التى تُوضع عليه الامتحانات التى تُعقد لمن يريدون الانضمام إلى السلك المدنى الإمبراطورى، كما سيطرت على التعليم اللاحق إلى جانب الأخلاق وفنيَّات الشعر. وهذا وضع عصيب لمشروع "يان": الطريق الوحيد إلى هدفه الكونفوشى فى إدارة شئون البلاد والتوصُّل إلى بناء عالم يسوده السلام، ليس سوى الترجمة التى غدت بمثابة كل ما فى متناول يده. ولكن إذا كانت "المفهومية" (= الدا) إحدى مهام المدروكية المؤسساتية أكثر من كونها مهمة للمدروكية السياقية والأسلوبية، أى أن "المفهومية" لا تعنى بحَالٍ من الأحوال اللغة الصريحة (= الخالية من كل جماليات) فلا سبب – هناك – يدعو إلى وجوب أن تتعارض مع "الرشاقة" (= يا).

تحقق مشروع "يان" الأيديولوجى والمؤسساتى – فيما يبدو واضحًا – على أيدى "وو رولين"، الذى أكَّد فى مقدمته لكتاب "يان" المعنون "عن التطور" أن العمل الأصلى ليس مجرد كتابٍ فى العلم الطبيعى فقط بل أيضًا دليل حُكم. ولقد حدس (= خمَّن) "وو" الذى لم يكن يعرف أى لغة أخرى بخلاف لغته الأم: الصينية – بالإضافة إلى ذلك – بأن فى وسعنا أن نقارن بين الأعمال الغربية الحديثة وتلك الكتابات التفسيرية الأصلية التى ترجع إلى أسرة "هان"، وبالتالى فهى تستأهل الترجمة، وأن قلم "يان" البليغ قد رفع العمل الذى كتبه "هكسلى" إلى مصاف الأعمال الكلاسيكية التى ترجع إلى ما قبل – أسرة "هان"، تلك الأعمال التى تتمتع بمنزلة سامية. ويتصل اتصالاً وثيقًا بهذا السياق أن "يان" طلب، فيما يبدو جليًا – من معلمه أن يكتب له مقدمة، وذلك لأن الرعاية التى كان سيضفيها عليه قطب المدرسة الأدبية المعروفة باسم "تونج – تشنج" سوف تكون

حاسمة فى رفع منزلته كمترجم فى كلٍ من الدائرة الأدبية والسياسية على حدٍ سواء. ("وونج" Wong 1997: 52-54) .

أما فيما يخص التناقض الذى يضع "الأمانة" (= زين) فى حالة صراعٍ مع "الرشاقة" (= يا) فالاستدلال العقلى يقضى بأن الأمر لابد وأن يكون قد بدا من المشكوك فيه أن تتمكّن اللغة الغامضة العويصة والمحافظة من التعبير عن فكرٍ أجنبيٍ خلال ترجمة دقيقة بدرجة جديدة. ولعلى أحتج إزاء استدعاء "يان" للتراث الكونفيوشى فى سبيل تسويغ "الأمانة" (= إكسين) بأن معنى "إكسين" غير محدد، مثلما هو الحال مع كثير من التعبيرات الأخرى الملغزة فى الكلاسيكيات الصينية، وينبع عدم التحدد هنا من الطابع المركّب (= المؤلف من أجزاء عديدة. المترجم) والمعتمد على الحصافة الموازية أو شبه الحصافة paratactic للغة الصينية، تلك التى تبنى العبارات الجديدة بصورة مريحة عن طريق تجوير juxtaposing (جعل مجاوراً) عناصر أو رموزاً لغوية واحدية المقطع monosyllabic أو قواعد نحوية موجودة – حسب منطق مستتر – يسمح بتحركٍ نشطٍ لأجزاء الكلام وعلامات الترقيم. ومع هذه العملية تأتى جماليات تحبِّذ تجميعات منعقدة clustering ملتبسة المعانى، والتصوير غير المحدد والحدس التقييمى، وهو الأمر الذى يفتح مجالاً واسعاً للإبداع التأويلى. وعلى نحو ما أشرت من قبل، فرمز "إكسين" مأخوذ من "كتاب التغيرات"(I Ching) ، وبالتحديد من مقدمة الرسم البيانى، الذى اقترحه "قيان" Qian Diagram ، فهو الأول بين رموز الحدس (= التخمين)الثمانية فالمقدمة تقول:

Xiu ci li qi cheng.suo yi ju ye ye

بينما ملاحظات المترجم حول Tian yanlun تقول:

Xiu ci li cheng

وهذه العبارة يترجمها "هسو" على هذا النحو:

(تعد "الأمانة" cheng أساس الكتابة xiu ci)

وهذا ما يعتبر فى حد ذاته تفسيراً عادياً ومألوفاً تماماً. ولعل من الصعوبة بمكان أن نحدد دلالة بل ولا حتى البنية النحوية لهذه العبارة المقتبسة من "سفر التغيرات"، إلاَّ أن ترجمة حرفية مجردة قد تجرى على هذا النحو: يجمِّل = (xiu)، فن الأداء = (ci) يؤسس = (Li) بتاع الواحد (qi) الإخلاص (cheng) ، مثل ذاك = (sue yi)، يعيش = (ju)، مشروع = (ye) ، أداة وصل جملة = (ye) ، وباجتماع كلٍ من Xiu وci يمكن أن نجد عندنا إما "عبارة فعلية" بمعنى "يرقِّى أداءه اللغوى" أو جملة إسمية بمعنى "البلاغة"، ويمكن – حسب أجرومية اللغة الصينية – أن تكون العلاقة بين عبارتىْ xiu ci وli qi cheng سببية، أى البلاغة/ترقية أداء المرء اللغوى كى يؤسس لإخلاصه، أو "كى ينسِّق، البلاغة/أن يرقى المرء أداءه اللغوى ويؤسس لإخلاصه". ولما كان "الليكسيمان"-Lex) (emes : Ju وye فى وسعهما أن يقفا كفعلين أو اسمين فإن الاقتباس بأكمله يعنى حرفيًا: "البلاغة/الارتقاء بالأداء اللغوى للمرء كى/ يؤسس لإخلاص هذا المرء هو المفتاح للحياة والمغامرة". وعلاوة على ذلك أصبح هذا التعبير البسيط قابلاً – بعد نزعه من سياقه – للعديد من التأويلات على امتداد أزيد عن ألفىْ سنة من التفسير والتعليق التى تولَّدت، أى تلك التأويلات عن عهودٍ ومدارس فكرية مختلفة.

يطرح الرابط بين cheng وXin أى "الإخلاص" أوسع التأويلات قبولاً لـ cheng : "الإخلاص هو أساس الكتابة الراقية" أو "الكتابة الرفيعة والإخلاص كلاهما على جانب كبير من الأهمية"، أما بالنسبة لـ "ليكسيم": "xin" فهو يمكن أن يقف كفعل أو اسم وهو يعنى حرفياً: "صادق"، "ثقة" أو "أمين /نزيه"، وإذا كانت "cheng" تشكِّل العمود الفقرى لـ "xin"، فإن معنى ذلك أن "xin" تعنى بصفة أساسية: الكتابة المفعمة بالإخلاص مع صدق ونزاهة/أمانة القصد، أو "حسن الطوية" bona fide ، وبعبارة أخرى ينبغى أن يتحلى النص المترجم بقصدٍ مخلص، ومضمون واقعى ومفيد (= مفعم بالمعانى) وهو الأمر الذى يعنى فى النسق الكونفيوشى أى شىء يؤدى إلى تثقيف الذات والحكم الصالح والانسجام مع النظام الكونى، وكان فى وسع "يان" أن يحقق هدفه المخلص فى التنوير القومى والخلاص عن طريق ترجمة ذلك الجزء من المادة المتوفرة فى النصوص – المصدر الذى يساهم فى بناء صلاح الصين ورفاهيتها.

وإذا كان الـ "ليكسيم" xin : يعنى الهدف المخلص، إذن فإن الظروف تكون قد فرضت ضرورة نهوض استراتيجية ترجمية تسعى إلى التثاقف، وهو الأمر الذى لا يحتاج إلى الترجمة بتلك "الأمانة" المقلدة أو إعادة إنتاج النص الأصلى كاملاً على مستوى المضمون والشكل معًا، كما يذهب التفسير التقليدى لـ "xin" .

ينطبق ما قلناه حتى الآن على عنوان أول ترجمة قام بها "يان"، فالعنوان الذى وضعه "هكسلى" لكتابه وهو "التطور والأخلاق" أصبح عنده "Tianyanlun"، حيث tian تعنى "السماء والجنة والطبيعة أو النظام الكونى الأسمى"، و "yan" تعنى "التطور أو التغيُّر" و"lun" تعنى "النقاش"، وبعبارة أخرى "حول التطوُّر (الطبيعى)" وفى الكتاب وقع اختيار "يان" على تلك الفقرات التى تتناول الانتخاب الطبيعى، واستخدام الفن (= القدرة البشرية. المترجم) فى استئناس قوى الطبيعة والبقاء للأصلح كى "يعيد كتابتها" بلغة صينية بليغة وجميلة عزَّزها بالتعليقات والتفسيرات والمقارنات المفصَّلة، مع ما بدا على بعضها من تعسُّف. ومما لا شك فيه أنه كان يعتبر تلك الأفكار التى أفصح عنها صادقة، والأكثر ملاءمة للسياق الصينى والصفوة "الماندارينية"، ومن المرجح أنه شذَّب – لنفس السبب – الجزء الذى يعرض لأخلاق التطور، بصفته غير مفضٍ إلى تقوية الذات والتنوير، وعلى نحو ما شرح "يان" نفسه فإن ترجمته:

تسعى إلى تقديم الفكر العميق للأصل، إلاَّ أنها لا تتبع الترتيب الدقيق للكلمات والجمل فى النص الأصلى، لكنها تعيد الترتيب وتفصِّل ما قد يكون قد أجمل، ومع ذلك فهى لا تحرِّف الأفكار الأصلية. وحقيقة الأمر أنها عرض أكثر من كونها ترجمة نظرًا لأنها تسعى إلى الشرح – بصورة غير تقليدية فى النقل."("يان" ١٩٧٣: ٤)

ويمضى "يان" – عاقدًا مقارنة مع المترجم البوذى القديم "كوماراجيبا" Kumarajiva (334-413) المعروف بترجماته الشعبية والمتثاقفة acculturated – كى يحذِّر المترجمين الآخرين من اتخاذ نموذجه كمبرر لإخفقاتهم، وكتب فى ختام ملاحظاته يقول:

"يشبه نشدان الحقيقة عمل الحكومة، إذ إن كليهما يعلقان أهمية كبرى على المساهمة بالأفكار، وحيث يتفق أو يختلف هذا العمل الذى بين يدىْ القارئ مع غيره من

الكتب، تراني أضع ما في جعبتي – في هذا الصدد – في ملحق الكتاب كي يرجع إليه القارئ ، كما تراني أضمِّن آرائي الشخصية بين الحين والآخر بروح "البحث عن أصدقاء" في Shih Ching أي (سفر الأغاني Book of Odes) و"التشجيع والعون المتبادلين" في I ching، وما إذا كانت آرائي سديدة أم لا، فإنني أترك الحكم هنا للرأي العام، ولست أصر على العصمة من الخطأ، ولكن إذا اتهمني أحد بأنني "فشَّار" وأنني سعيت في سبيل "الجرْسة" لشخصي، فإنه يكون قد أساء فهم مقصدي من وراء تحمل مشاقٍ هائلة في ترجمة هذا الكتاب". ("يان"١٩٧٣: ٦ الحروف المائلة في الشطر الأخير من عندي "إيلزي تشان")

وإذا أمعنا النظر في كلماته هذه إزاء إطار المجادلات التي ألمحنا إليها في خطوطها الرئيسية فقط فيما سبق، فإن "مقصده" ينبغي أن يكون قد أصبح في وضوح البللور: أن يُنتج – استناداً إلى كتب أجنبية – كتاباتٍ مثقفة ومخلصة للتأثير على قاعدة من صفوة القراء في سبيل بعث صين قوية ترفل في الرخاء، وهذا ما يحول دون التفسير التوجيهي (= الإرشادي) واللغوي لمبادئه الترجمية الثلاثة. ولا عجب هناك في أن يحدد الترجمة المثالية من وجهة نظره على هذا النحو: إذا ما فهم المترجم بدقة واستوعب مجمل النص حق الاستيعاب، فإنه يكون عندئذٍ قادراً على إعادة كتابته بأفضل طريقة ممكنة"("يان" ١٩٧٣: ٥) ولقد تحقق هدفه المفعم بالإخلاص، ذلك الهدف الذي يقوم على الخلاص القومي عن طريق الترجمة، عندما استوعبت قاعدته المنتقاة من القراء وتفهَّمت إخلاصه، خلال فنيَّات الشعر التي يمكن إدراكها والتثاقف الذي لا غنى عنه في نقل الأفكار الأجنبية، التي ما كان لها أن تُنقل لولا تلك الوسائل التي وظَّفها خير توظيف في هذا السبيل. ونستطيع أن نصوغ البناء النظري لـ "يان" في هذه المعادلة التالية (تقف فيها "ف" نظير "وظيفة كذا"):

"يا": ف (أدبية/مؤسساتية/مدروكية) + "دا": ف (سياسية/أيدولوجية/مدروكية) >"إكسين": ف (هدف مخلص)

لطالما قورنت إستراتيجية "يان" الترجمية وهدفه المخلص بتلك الإستراتيجيات والأهداف التى وضعها نُصب عينيه كلٌ من "لين شو" (1852-1924) Lin Shu و"كانج يووى" (1858-1927)Kang Youwei الباحث الرسمى الذى دعا إلى "إصلاح الأيام المائة" Hundred Days' Reform ، وقد عُرف الرجلان بأنهما أبرز مترجميْن جادت بهما تلك الفترة (ورد ذكرهما عند "قيان" Qian 1979:91) ومع أن "لين" الذى عمل بالترجمة بعد وفاة زوجته، فلم يكن يتقن لغة أجنبية إتقانًا كاملاً، ولم يترجم سوى أعمالٍ أدبية، إلاَّ أنه كان عضواً فى مدرسة "تونج – تشينج" tongcheng – هو الآخر – ورسب أيضًا عدة مرات فى امتحانات الترقى للرتب العليا للسلك المدنى الإمبراطورى، وقد نجح فى نقل انطباع عن الظروف الأدبية والثقافية والاجتماعية فى العالم الغربى فيما ترجمه من الفن القصصى، وهو الأمر الذى شكَّل عونًا لأبناء بلده الذين لا يعرفون سوى لغتهم الأم، والغارقين فى شوفينيتهم الضيقة على أن يدركوا حقيقة أن هناك – فى الواقع – ثقافاتٍ وآدابٍ متحضرة، وربما حتى "أصلح" فى بقاعٍ أخرى من العالم، ولقد أشار "لورنس فينوتى" إلى أن هذين المترجميْن كانا أيضًا حارسيْن للإمبراطور، ولكنهما عملا – دون أن يتوقَّع ذلك أحد – على تآكل سلطة الثقافة الإمبراطورية ١٩٩٠ : ١٩٩٨) وكان ينبغى على "فينوتى" أن يشير أيضًا إلى أن هذين المترجمين المفعمين بالروح الوطنية – وخصوصًا "يان" رغبا فى قيام ملكية دستورية – إلى جانب إصلاحاتٍ مؤسساتية أخرى فى سبيل إنهاض الصين مرة أخرى، ولكنهما لم يريا أن الوقت حانَ للإطاحة بأسرة "قنج" Qing ، وإحلال حكومة جمهورية محلها.

غير أن التاريخ راوغ الأجندات السياسية للمترجمين، فلقد ساهمت ترجماتهم – بصورة غير متوقعة – فى الاختمار الثورى، وهذه نتيجة ما كانوا يتصورون حدوثها حتى فى أشد أحلامهم شططًا، إذ جذبت الترجمات التى قام بها "لين" – وعلى وجهٍ خاص ترجمات "يان" – قاعدة أوسع بكثير مما كان متوقَّعًا، ومن المفارقات أنها كانت أعمق تأثيراً داخل نطاق الجيل الأصغر الذى لا يتمتَّع بثقافة عالية تمامًا، أولئك الذين دأب "يان" على التعالى عليهم، وقد تجسَّدت جانبية "يان" – بصفة أساسية – فى الأفكار المستوردة التى تعتمد على التجديد – من ناحية – وفى إصراره الدؤوب على ربطها

بالظروف المحلية من ناحية أخرى، ولقد أثَّرت ترجماته على المثقفين العاديين بصورة أعمق – بما لايقاس – من أولئك الذين كانوا فى سدة الحكم، وكانت أعماله ضمن العوامل التى قادت إلى الإطاحة بالملكية فى سنة ١٩١١ وساهمت فى إشعال الاحتجاج القومى الذى عُرف باسم احتجاج "الرابع من مايو/بشنس" فى سنة ١٩١٩ ، وهو الأمر الذى شكَّل قطيعة فى نهاية المطاف مع المؤسسات القديمة والأدب والثقافة القديمين.

الهوامش

(١) للاطلاع على ملخّصٍ للآراء السابقة فى نظريات "يان"، انظر Shen وانظر أيضًا "شانج" (Chang 2000) حول الدراسات الترجمية الراهنة فى الصين.

(٢) "فى النسق المتعدد، وفى الذخيرة بالذات تتجلى المعتمدية canonicity بأكثر صورها تجسدًا <...> ويتعيّن فهم هذه الذخيرة هنا باعتبارها "مجمول"(= جملة) القوانين والعناصر (سواء أكانت فرادى أو محزومة أو نماذج شاملة) التى تحكم إنتاج النصوص"("إيفين - زوهر" ١٩٩٠: ١٧) وتوصَف الذخيرة "مجمول القواعد والمواد التى تحكم كلاً من الصنع making والتناول handling ، أو الإنتاج والاستهلاك لأى منتج معيَّن"، على أن استخداميته قد تخضع للتقييد والتحديد والتضبيط من جانب مؤسسة أو سوقٍ ما(١٩٩٧: ١٦) وأرى أن مصطلح "الذخيرة" فضفاض للغاية فيما يتعلّق بأغراض البحث، فقد يشمل الأعراف الأدبية والاتجاهات الأيديولوجية والتقاليد الثقافية، ولسوف أحدد القواعد والعناصر ، حسب هذه الحالة أو تلك - وعلى سبيل المثال - أفضّل مصطلح "الشعريات" Poetics (= فنيات الشعر من مجازات وتوريات وموسيقى وطلاوة إلخ. المترجم).

(٣) مع أن البعض قد يحتج بأن الذروة التى بلغتها ترجمة الأسفار البوذية فى أواخر القرن السادس حتى التاسع م.ع.م. شهدت نهوض طبقة فريدة من الأدب البوذى، الأمر الذى يُعد نوعًا أدبيًا فى حد ذاته، إلاّ أننى أجد نفسى مضطراً إلى التأكيد على أن النصوص البوذية المترجمة غدت تحل محل "الأصول" ذاتها، ومنها انبثقت بعض الترجمات الزائفة، بل ومنها خرجت طوائف صينية مستقلة، وكانت تُعد بمثابة أدبٍ قومى هامشى - وهذا واضح من الحقيقة التى تقول إنها لم تلق أى ذكر - أو ذكراً لا يكاد يُذكر - فى المجلدات التى كتبت عن تطوُّر الأدب الصينى - إذ لم تشر إليها هذه المجلدات بأكثر من "أدب مترجم".

(٤) فى سنة ١٩١٩ تفجّرت حركة الرابع من "مايو/بشنس" الديمقراطية الوطنية بعد فشل مؤتمر "باريس" للسلام فى إدانة العدوان الإقليمى والاقتصادى للقوى الغربية على الصين، وقد دعت الحركة إلى نبذ الهياكل الأدبية والأيديولوجية والسياسية والاجتماعية المتكلّسة، وقد اعترف كثير من الكتاب فى ذلك الوقت بالقدرة الكامنة للأدب المترجم فى تشكيل لغة دارجة جديدة، وأدب جماهيرى جديد، وفى تقديم أفكار تجديدية من الخارج، وبالتالى فإن التغيُّر الهادم، فى المجال السياسى (من الملكية "القنجية" < = نسبة إلى أسرة Qing > إلى الحكومة الجمهورية فى سنة ١٩١١) والمستوى الأيديولوجى(من المحافظة المحلية إلى السعى فى سبيل العلم والديمقراطية) دفع الأدب المترجم من وضعٍ هامشى إلى مرتبة مركزية فى الأدب المحلى المتعدد النسق polysestem بعد ١٩١٩ .

الفصل الخامس الأنساق في الترجمة

نموذج شامل للدراسات الترجمية الوصفية

جيريمى مونداى Jeremy Munday

خلاصة:

تقترح هذه الورقة نموذجًا قابلاً للنسخ والتكرار وفي نفس الوقت منهجيًا لتحليل النصوص الأصلية وترجماتها داخل إطار الدراسات الترجمية، وهذا النموذج يمضي بعيدًا عن النماذج اللغوية الجامدة (= الإستاتيكية) الأقدم عهدًا ويجمع بين مفاهيم من اللغويات الوظيفية - المنهجية واللغويات الجسمورية والإطار الاجتماعي - الثقافي. ولعل نهجًا يتمتَّع بالمرونة إلى التحليل الوظيفي - الشامل الذي قال به "هاليداي" Halliday يجيز لنا تحليل الخيوط الثلاثة الرئيسية للمعنى في النصوص الأصلية والمترجمة على حدٍ سواء، واستخدام أدوات مستقاة من اللغويات الجسمورية يحل لنا مشكلة الإمداد والتموين التي تخص التعامل مع نصوص كاملة، طالما يمكّن حتى الباحثين غير المتمرسين من التعامل مع كمياتٍ ضخمة من المعطيات بصورة سريعة وعلى نحوٍ يُعتمد عليه، والاكتشافات اللغوية تكتسب اتصالاً وثيقًا بالموضوع متى وُضعت في الإطار الثقافي - الاجتماعي للنصوص، ونجد تجسيدًا لإعمال هذا النموذج في الإشارة إلى ترجمات مقالٍ كتبه الروائي الكولومبياني "جابرييل جارسيا ماركيز".

١ - تخطيط عام للنموذج المقترح

يتبنى النموذج المقترح فى هذه الورقة النهج الذى نادى به "تورى" فى كتابه "الدراسات الترجمية الوصفية وما بعدها" Descriptive Translation Studies and Be-yond (1995)، وهو الكتاب الذى يعد دراسة فى حد ذاتها تتصل بعض الاتصال بالتعدد - النسقى ونظرية الأنساق، وقد أثبت تأثيره العميق خلال السنوات الأخيرة. وفى هذه الدراسة يؤكِّد "تورى" على الحاجة الماسة إلى دراسات ترجمية لتخليق فرعٍ وصفى منهجى سليم من النسق للحلول محل الدراسات الطليقة الموقف المعزولة التى غدت شائعة غاية فى الشيوع:

"ما ينقصنا ليس المحاولات المعزولة التى تعكس أفكاراً حدسية ممتازة، ولا استبصاراتٍ (= نظرات ثاقبة) (وهو الأمرالذى لا تتأخَّر كثيرٌ من الدراسات الحالية فى عمله) ولكن ينقصنا فرعٌ منهجى يبدأ من افتراضات واضحة، ويكون مسلَّحا بمنهجية وتكنيكاتٍ بحثية يجعلها الباحثون جلية غير ملتبسة قدر الإمكان، ومسوغةً داخل نطاق الدراسات الترجمية ذاتها، ففرع من هذا النوع هو وحده الذى يضمن أن تصبح الاكتشافات التى تتوصل إليها الدراسات الفردية قابلة للفحص على أساسٍ بين - ذاتى intersubjectivel وقابلة للمقارنة، وأن تكون الدراسات نفسها قابلة للتكرار. (تورى ١٩٩٥: ٣)

يقترح "تورى" (pp.36-9) المنهجية الثلاثية المراحل الآتية للدراسات الوصفية النسقية، تلك التى تدمج توصيفاً للمنتج مع الدور الأوسع للنسق الثقافى - الاجتماعى:

(١) ضع النص داخل النسق الثقافى المستهدف، مع إمعان النظر فى مدروكيته.

(٢) قارن النص المصدر source text (ST) والنص المستهدف Target Text (TT) سعياً وراء قنص التغيُّرات التى حدثت، والتعرف على العلاقات بين "الزوجيات المقرونة" coupled pairs لفصوص segment النص المصدر وفصوص النص المستهدف.

(٣) حاول صوغ تعميمات حول مفهوم الترجمة الكامن لهذا الزوج من النصوص.

هناك خطوة إضافية مهمة تتمثّل فى إمكانية (والحقيقة ضرورة) تكرار المرحلتين (١) و(٢) لزوجيات أخرى من نفس النصوص فى سبيل توسيع الجسمور وبناء فكرة/نبذة وصفية عن الترجمات، حسب النوع الأدبى genre والفترة الزمنية والمؤلف إلخ، وبهذه الطريقة تستطيع الأعراف التى تنتمى لكل نوع من أنواع الترجمة أن تتماثل مع الهدف النهائى، كلما أُجريت وقورنت دراسات وصفية أكثر، وهو الهدف الذى يتلخّص فى صوغ قوانين للأداء الترجمى بشكلٍ عام.

ولكن المنطقة الأكثر إثارة للجدل – فى منهجية "تورى" – هى المنطقة التى تأخذنا إليها الخطوة الثانية، وتتعلّق بتقرير أى الفصوص من النص المصدر وذاك المستهدف، هى التى سنخضعها للفحص، وماهى العلاقات بينهما التى تتطلّب منا عُدّة يستشعر "تورى" (١٩٩٥: ٨٥) وجوب أن توفّرها نظرية الترجمة، ومع ذلك فنظرية الترجمة لا تزال بعيدة عن التوصل إلى إجماعٍ بشأن ما ينبغى أن تكون عليه تلك العُدّة، طالما سقطت على جانب الطريق نماذج لغوية حازت فيما مضى نفوذاً واسعاً، مثل النموذجين اللذين قال بهما كلٌ من "فيناى" و"داربيلنيه" Vinay and Darbelnet (١٩٨٥/٧٧) و"فان ليفين – تسفارت" (Van Leuven-Zwart ١٩٨٩، ١٩٩٠) فلقد عانى نموذج "فان ليفين – تسفارت" المقارن – الوصفى الذى يتكوّن من جزئين – مع أنه كان واعداً فى البداية – من مشاكل نمطية تتصل بالتصنيف العلمى، فهو معقّد بصورة صارخة – حيث يضم تصانيف للتغيير الترجمى (ما يصل إلى ٣٧) أى أنها تصل فى الكثرة حداً يستعصى معه على الباحث أن يتحقق من دقة تصنيفها أو يتمكّن من تكراره – أى ذلك التصنيف – وتخلق علاقة أوتوماتيكية بين التغيرات اللغوية والتغيرات التى تحدث عند مستوياتٍ أعلى من القصة والخطاب، دون اهتمام جادٍ بالتحليل النقدى المدقق.

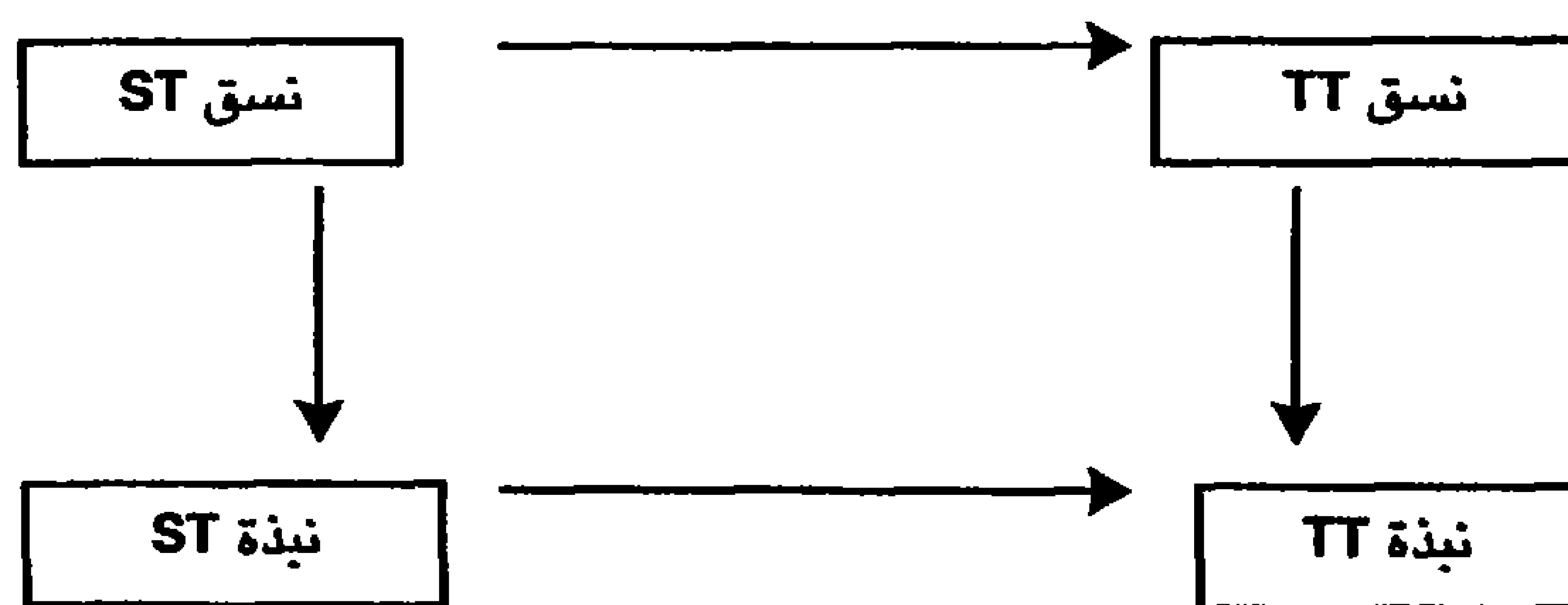
يقترح "تورى" (١٩٩٥: ٧٧) إنطلاقا من استخدامه الأسبق (١٩٨٠) للمفهوم الثابت، وفى محاولة لإضافة الموضوعية إلى العملية، "رسم خريطة" للنص المستهدف TT على النص المصدر، كى نجد عندنا (لغرضٍ خاص) "سلسلة من الزوجيات المقرونة".

وهذا نوع من المقارنة يعترف "توري" نفسه بأنه ناقص بالضرورة، ويحتاج إلى الخضوع لـ "مراجعة مستمرة" (المرجع السابق) خلال عملية التحليل نفسها. وتكون النتيجة وجود وسيلة مرنة وغير توجيهية - ولو أنها أيضًا - أقل من منهجية بصورة صارمة، لمقارنة النصوص المصدر ST والنصوص المستهدفة TT وتبرهن على هذه المرونة الحقيقة التي تقول إن السمات المختلفة للنصوص يجرى فحصها في دراسات حالة مختلفة. وبناء عليه ففي إحدى الدراسات ("توري"١٩٩٥: ١٤٨-٦٥) تكون إضافة القوافي وحذف فقرات في ترجمة عبرية لقصة خيالية ألمانية من قصص الجنيات، وفي دراسة أخرى (pp.102-12) تكون العبارات المترابطة لشبه المترادفات (مثال:able and talented,might and main) في الأدب المترجم إلى اللغة العبرية.

ومع ذلك، فمرونة هذا النهج متحققة عن طريق تكنيكات البحث التي لا تزال تفتقر إلى الوضوح الضروري لتوصيف يجب أن يكون موضوعيًا وجديرًا بالاعتماد عليه قدر المستطاع، ويتلخَّص البديل لهذا المنهج الذي يُستخدم لغرضٍ خاص ad hoc في نهجٍ يتمتع بـ "ذخيرة من الملامح" الأكثر منهجية والموسَّعة، مع أن ذلك يُعد - على وجه الاحتمال - "مجهدًا ومملاً" ("هولز" ١٩٨٨: ٨٠) وتتمثَّل أمثلة على هذه المحاولات المبذولة في سبيل التوصل إلى مثل هذا النهج الموسَّع في نموذج تحليل السجل المقتبس الذي قال به "هاوس" House (١٩٧٧ ، ١٩٩٧)، والنموذج الوصفي الذي دعا إليه كلٌ من "لامبرت" Lambert و"فان جورب" Van Gorp ، ونموذج تحليل النص الذي نادى به "نورد" Nord (1991)، ومع ذلك فهذه النماذج لا تزال تتعثَّر عندما تُواجه بمشكلة التعامل مع كم ضخم من النصوص، وهناك نقد إضافي يُوجه لنموذج "توري" (انظر "هيرمانز" ١٩٩٦، ١٩٩٩: ٣٩-٤١) ويتعلَّق بالادعاء الذي يقول إن الترجمات ليست سوى "حقائق" في النسق المستهدف وحده، وعلى نحو ما أشرنا أعلاه، يبدأ "توري" بوضع النص المستهدف TT في سياقه الثقافي - الاجتماعي. ومع ذلك فليس هناك، فيما يبدو - أي سبب يدعو إلى تضييق البحث بهذه الطريقة، فالنص المصدر يشتغل بكل وضوح - أيضًا - في سياقه الثقافي - الاجتماعي الخاص، وهذا أيضًا سوف يؤثِّر في كليهما سواء أكانت ثقافة النص المستهدف هي التي اختارته للترجمة أم لا،

وكذلك الطريقة التى يُترجم خلالها، ويتأسس على ذلك ضرورة الاهتمام بالسياقات الثقافية - الاجتماعية لكلٍ من النصين المصدر والمستهدف عند درس الترجمة.

توصِّف الورقة الحالية نموذجًا توصلتُ إليه داخل إطار نهج "تورى" الوصفى، ولكنه يقترح وسيلة لتحليل زوجيات النص المصدر/ النص المستهدف، وهى وسيلة قابلة للتكرار ومنهجية ومحددة، كما تُسلك وتقارن النصين داخل نطاق سياقهما الثقافى - الاجتماعى الخاص. وإذا ما نجح هذا النموذج، فلسوف ييسِّر عملية استخلاص القرارات (التى اقترحها "تورى") التى تُتَّخذ خلال الترجمة و"الأعراف" الترجمية التى كانت تعمل عملها، ولسوف يكون هذا النموذج قابلاً للتكرار، الأمر الذى سيمكِّن من إجراء مزيد من الدراسات فى المستقبل لاختبار صحة الفرضيات، والنموذج المقترح يختبر أربع مناطق مترابطة فيما بينها (شكل رقم ١) فالنص المصدر واقع داخل نسقه الثقافى ومقارنٌ بدوْر النص المستهدف واستقباله فى نسقه المناظر، وهناك فكرة/نبذة تعقب نهج "ذخيرة الملامح" الموسَّعة، وإن كانت مرنة كذلك، وهذه تُقارن بالفكرة/النبذة المناظرة للنص المستهدف، وبهذه الطريقة نستطيع التعرف على التغيُّرات اللغوية وعندئذٍ تُبذل محاولة فى سبيل قياس تأثيرهما - أى النصين - على المستوى الثقافى.



شكل رقم ١ أربع مناطق للتحليل.

يجمع الإعمال الفعلى لهذا النموذج، الأفكار والأدوات من (١) اللغويات الوظيفية الشاملة و(٢) اللغويات الجسمورية مع (٣) تحليل السياق الثقافى. ويمكننا تفصيل درجات القيمة الخاصة والمتصلة بالموضوع على النحو التالى:

(١) اللغويات الوظيفية الشاملة: النحو الوظيفى الشامل (SFG) Systemic functional grammar، وهو الطريق الجديد الذى فتحه الرائد "مايكل هاليداى" Michael Halliday (انظر مثلاً "هاليداى" ١٩٧٠ ، ١٩٨٥/٩٤)، يشمل التحليل المنهجى التفصيلى الذى يتناول الخيوط الثلاثة المترابطة، كل خيط بالآخر للدلالة فى هذا النص أو ذاك.(١)

وتسمَّى هذه الخيوط الثلاثة " الوظائف "الما - بعدية" metafunctions ، وهى "الأفكارية" ideational والـ"بين - شخصية" interpersonal و"النصوصية" textual ، وهذه ترتبط بالتحققات اللغوية المختلفة أو "النحوية - المعجمية" فى هذا النص أو ذاك.

● الوظيفة الما - بعدية الأفكارية تفيد على وجه العموم "معنى التقديم"، وهو ما يُطلق عليه فى الغالب "مضمون" ("هاليداى" ١٩٩٤: ١٠٩). وبصرف النظر عن الأهمية الواضحة للمكوِّن الإشارى للمفردات المعجمية المختارة، فإن التحقق النحوى - المعجمى لهذه الوظيفة هو نظام "التعدية"(عكس اللزومية بالنسبة للأفعال. المترجم): العملية التى يصفها الفعل، والمشاركات فى العملية والظروف المرتبطة بالعملية - على سبيل المثال - مجموعة ظرفية adverbial group أو جملة من جار ومجرور)

● الوظيفة البين - شخصية وتشمل المعنى بوصفه "تبادل"("هاليداى"١٩٩٤: ٦٨) سواء للسلع أو الخدمات أو المعلومات، ونراها تتحقق فى اللغة الإنجليزية - قبل أى شىء آخر - عن طريق "الكيفية" Modality التى يمكننا تعريفها باعتبارها "حكم القائل على مدى الاحتمال أو الإلزام، الذى ينطوى عليه قوله" ("هاليداى" ص ٧٥) فخلال التعبير عن الإلزام أو الاحتمال أو الاعتياد أو التمنى، وتسمح "الكيفية" - بمعناها كمصطلح - للكاتب أو المتحدث أن يشير إلى رأيه بدرجة عالية من الدقة، وعلى نحو ما يؤكِّد "سيمسون" Simpson (1993) ، ففى الأدب ترتبط بصورة وثيقة تماماً بتطور وجهة نظر السرد.

● تتناول الوظيفة النصوصية "المعنى بصفته "رسالة"("هاليداى" ١٩٩٤: ٣٧)، أى تنظيم وتركيب العبارة والنص وتتحقق، أى تلك الوظيفة خلال التركيب "التيماتى" (مصدر صناعى من "تيمة" المترجم) (ترتيب العناصر فى هذه العبارة أو تلك والطريقة التى تُركب بها المعلومة) وخلال أنماط الترابط cohesion (بما فى ذلك استعمال المدلولات"جمع مدلول" والضمائر، بالإضافة إلى التنسيق collocation وتكرار الكلمات والترادف والعطف، على سبيل المثال لا الحصر).

ونظراً للروابط الوطيدة بين الأنماط النحوية - المعجمية والوظائف الما-بعدية ، ينبغى أن يكون ممكنًا، عن طريق تحليل أنماط "التعدية" و"الكيفية" و"التركيب التيماتى" و"الترابط" - فى نص مصدر ST ونص مستهدف TT - أن نرى الكيفية التى تعمل خلالها الوظائف الما - بعدية، وخلال إتباع إجراءٍ مشابه فى كلٍ من النص - المصدرST والنص المستهدف TT ومقارنة الأنماط فى النصين، فإن أى تغيُّر على مستوى الوظائف الما-بعدية ينبغى أن يصبح واضحًا، وهذا النهج يصلح تمامًا لتحليل التغيرات الترجمية وعمليات اتخاذ القرار من جانب المترجم، وحقيقة الأمر أن هذا النهج أثَّر - بقوة - على الدراسات الترجمية التى أجراها باحثون مثل "بيكر" Baker (1992) و"حاتم" و"ماسون" (١٩٩٠،١٩٩٧) و"تايلور"(١٩٩٠).

مع أن التحليل الموجَّه بالنحو الوظيفى الشامل SFG استُخدم فى دراساتٍ أخرى، إلا أن الحقيقة لا تزال قائمة بشأن وجود نقص فى دراسات منهجية لأعمال الترجمة المنشورة الكاملة (عوضًا عن فقرات مبتسرة ومنعزلة هنا وهناك) ويرجع السبب فى ذلك بصفة رئيسية إلى مشكلة الإمداد والتموين التى يضعها التحليل المفصَّل لنص مطوَّل، ويرى النموذج الحالى أن فى طوعنا أن نتغلَّب على ذلك باستخدام أدوات من اللغويات الجسمورية لتحليل النسخ المحفوظة إليكترونيًا للنصوص رهن الفحص.(٢)

(٢) اللغويات الجسمورية Corpus Linguistics : أخذت الأدوات المستخدمة فى اللغويات الجسمورية تغدو متاحة بصورة متزايدة للباحثين، وهو الأمرالذى أصبح يمكِّنهم من الوصول بصورة سريعة إلى المواد اللغوية، ويغطى نوع المعلومات التى

أصبح فى الإمكان الوصول إليها معاجم شاشاتية on-screen concordances عن طريق كلمة "ابحث" Search أو أى كلمة أخرى شبيهة، بما فى ذلك نصوص كاملة (عدد الرموز) وعدد الأشكال المختلفة للكلمات ("أنماط")، ونسب الأنماط – الرموز (تلك التى تعطى مؤشراً على مدى التنوع اللغوى) وقوائم الكلمات المتواترة أو المتكررة وهكذا (انظر "سينكلير" و"بيكر" ١٩٩٥ لمزيد من التفاصيل حول الإمكانيات المتوفرة). Sinclair 1992. وتضع هذه الأدوات فى أيدينا ميزتين مهمتين، فبوسعها أن تكشف لنا عن ظواهر قد تغيب عن انتباه الباحث الذى يجرى تحليلاً يدويًا (= دون اللجوء إلى تقنية الكمبيوتر مثلاً)، نظراً لتوزُّعها على امتداد نص مطوَّل، وإلى جانب ذلك تسرِّع هذه الأدوات من عملية التحليل ذاتها وتجعلها أكثر معتمدية (= جدارة بالوثوق) بما لا يقاس (يمكن استدعاء كافة الحالات التى ينطبق عليها مصطلح ما فى بحر ثوانٍ)، وهذا يحرر الباحث فى سبيل التركيز على التحليل المكثف للظواهر الكامنة فى السياق اللغوى المباشر، وبناء عليه ففى تحليل تفصيلى بمساعدة الكمبيوتر للقصص القصيرة ("مونداى" ١٩٩٧) طلب الباحث من الكمبيوتر أن يُعطى قائمة بالكلمات لكل نص، وهى القوائم التى طُرحت لصيد تحققات الوظائف المـا – بعدية (مثلاً كل فعلٍ أو أىٍّ شكل لعملية فى حالة تحققات الوظائف المـا – بعدية الأفكارية) تلك التى استُدعيت وقت ذاك على شاشة الكمبيوتر و"شُيِّكت" (= رُوجعت) على الترجمة التى لجأت إلى الشكل "الزوجى" الذى يقوم على إدراج سطورالنص المترجم (= المستهدف TT) بين سطور النص الأصلى (= المصدر ST) سطراً بسطر، ويتوفر فى هذا الصدد العديد من البرمجيات التى تستطيع أن تقوم بهذه العملية، ربما يكون أوسعها انتشاراً وأقربها منالاً على أساس الاستعمال الودى (= نظير مبالغ زهيدة أو بدون. المترجم) هو برنامج "وردزسميث" Wordssmith .

وبناء عليه فالمرحلتان الأوليتان من وظيفة النموذج هما كما يلى: فكرة/نبذة يُمكن بناؤها عن طريق تعيين التغيرات بصورة منهجية، باستخدام نموذج "النحو الوظيفى الشامل" SFG ، وقد سُوعد بأدواتٍ منتزعة من اللغويات الجسمورية، وبهذه الطريقة يُمكننا تعيين أنماط التغيُّرات على طول هذا النص أو ذاك والأعراف التى تبنَّاها المترجم (سواء بوعيٍ أو دونه) وهذا تطوُّر فى غاية الأهمية على وجه الاحتمال.

ثم، عن طريق (٣) وضع النتائج فى سياقات ثقافية-اجتماعية وسياسية و"نشرية" أوسع، قد يكون فى الإمكان تعيين العوامل الأخرى - بخلاف تلك اللغوية البحتة - التى تحرك التغييرات، وفى هذا الصدد نستشعر فائدة "النحو الوظيفى الشامل" فى الربط - بصورة منهجية - بين الاختيارات اللغوية والسياق الثقافى - الاجتماعى، وعلى سبيل المثال "تُحقق" الأنماط النحوية - المعجمية الوظائف الما - بعدية، التى تحددها البيئة المباشرة للنص (أى ما يُعرف باسم "سياق الموقف"، والمجال والفحوى أو العلاقة بين الكاتب والقارئ وطريقة أو شكل التوصيل) والمعروف أن "سياق الموقف" يجرى تنسيقه بما يسمَّى "السياق الثقافى"، وهو ما يعد النسيج الأعلى وأيدولوجية النسق الاجتماعى والنوع اللغوى Language genre الذى ينتمى إليه أى نص محدد (Halliday 1978: 189) .

يتمثل الهدف الرئيسى لهذه الورقة فى أن أقترح - على هذا النحو - منهجية للدراسات الوصفية تكون قابلة للتكرار، ولسوف تعطى الأجزاء التالية من الورقة مؤشراً على النموذج المقترح فى هذا الشأن عند التطبيق، والنصوص المستعملة فى هذا التصوير الايضاحى هى الترجمات الإنجليزية لمقال كتبه الكاتب/الروائى الكولومبيانى"جابرييل جارسيا ماركيز" حول قضية الصبى الكوبى "إليان جونزاليز" Elián González .

٢ - النموذج فى التطبيق: قصة إليان جونزاليز

احتلت أخبار الصبى الكوبى الذى لا يزيد عمره عن ست سنوات العناوين الرئيسية فى أواخر ١٩٩٩، عندما اصطحبته والدته وصديقها فى قارب صغير فى محاولة لم تكلل بالنجاح للهروب من كوبا إلى سواحل "فلوريدا"، وحدث أن انقلبت العبارة وغرقت الأم، ولكن البحرية الأمريكية انتشلت الصبى من أمواج البحر الكاريبى، كى لا يدَّخر وقتًا قبل أن يُصبح موضوعًا للعبة "شد حبل" بين أقاربه فى "ميامى" عاصمة "ولاية "فلوريدا" الأمريكية ووالده فى العاصمة الكوبية "هافانا"،الذى أصر على عودة الصبى إلى أحضانه. وقد سيطرت تشعبات المواجهة بين الألم

الإنسانى والنظم السياسية على وسائل الإعلام حول العالم مع مطلع سنة ٢٠٠٠ ، وهذا هو السياق الذى كتب فيه "جارسيا ماركيز" – وهو مناصر قوى لـ "فيدل كاسترو" عمودا فى صفحتين عن القصة، بعنوان"غريق فى اليابسة" Náufrago en tierra firme ، وهـو المقـال الذى نُشـر – أول ما نُشـر – فى صحيفة "الشبيبة الثورية" Juventud Rebelde ، الناطقـة بلسـان الحزب الشيوعى الكوبى، ثم أُعيد نشره فى وقتٍ لاحق علـى نطـاقٍ مـا من المنـافـذ الإعـلاميــة، من بينهـا صحيفـة "البائيس" EL Pais يـوم ١٩ مارس/برمهـات ٢٠٠٠ وقـد ظهـرت له ترجمات عديدة إلى اللغة الإنجليزية من بينهـا: صحيفـة الـ "جارديـان" البريطانية التى نشرته تحت هذا العنوان "ممزق فى الولايات المتحدة" يوم ٢٥مارس/برمهات، وعنونته الـ "نيويورك تايمز" بعنوان "غريق فى اليابسة" يوم ٢٩ مارس/برمهات وعادت المجموعة الكوبية Granma International كى تنشر له ترجمة إنجليزية أخرى يوم ٢١مارس/برمهات، وهى الترجمة التى وضعت على شبكة الإنترنت (= الشبوكة) .

٢-١ : موضع النصوص داخل السياق الثقافى – الاجتماعى

نستطيع من فورنا أن نرى الاختلاف بين الـ ST وTT فى الطرق التى قُدِّمت بها القصة فى المصادر المختلفة التى حوتها، وهذا واضح على وجه الخصوص فى الصور الفوتوغرافية التى وقع عليها الاختيار لمصاحبة النص بهدف تصويره: بينما نشرت "البائيس"، على سبيل المثال (١) صورة الصبى مع جدتيْه عند زيارتهما له فى "ميامى"، (٢) و"فيدل كاسترو" خلال لقائه لـ "خوان ميجيل" والد الصبى "إليان" فى "هافانا"، و(٣) آلاف الكوبيين يتظـاهرون فى العاصمـة الكوبية تأييداً لعودة الصبى إلى والده، أما الـ"جـارديـان" البريطانيـة فنشـرت صـورة أقـل من عاديـة للأب وقـد عقـد ذراعيه على صدره، ووصفته بأنه أحد "أطراف" النزاع، أما الطرف الآخر فلقد صوَّرته عـن طـريـق متظاهـرين فى "ميامـى" يلوِّحـون بلافتـة، و"يطالبـون ببقـاء الصبـى فى الولايات المتحدة". وقـد يمكننا أن نعـزى التعـارض بين اختيـار صور المظاهرات

إلى سهولة الوصول إلى المجتمعين المختلفين على المستوى اللغوى، إلاّ أن لهذا التعارض – بكل تأكيد – تأثير على تركيز انتباه القارئ على منظور أحد جانبى الجدل فى القضية، ومع ذلك فلقد طبعت الصحيفتان صورتين فوتوغرافيتين متشابهتين للصبى "إيليان" الذى وقف حائراً خلف سور من السلك الشائك، وطرحت "الجارديان" السؤال" وقد انحشر فى الوسط <...> هل سيُسمح لـ "إيليان" بالعودة إلى والده فى وطنه كوبا؟

يضع استخدام صورٍ توضيحية مختلفة هذين النصين فى إطارين مختلفين يرتبطان كلاهما بالسياقين الثقافيين الأيدولوجيين اللذين نُشر فيهما النصان. فالسياق الأسبانى يندمج بصورة أكبر فى المنظور، أما عنوان الـ "جارديان" الرئيسى "ممزق فى الولايات المتحدة" فيلعب على تُحفة "بروس اسبرنجستين" Bruce Springsteen التى أثارت جدلاً واسعًا فى ثمانينات القرن الماضى وكان قد عنْونها باسم "مولود فى الولايات المتحدة" Born in US فيشير إلى أن تركيز الصحيفة منصبٌ على الجوانب العاطفية والإنسانية للمعركة على الصبى، كما يعطى خلفية إضافية للقصة ("محنة الصبى الكوبى الذى حملته الأمواج إلى شاطئ "فلوريدا" <...> "استمرار المعركة فى سبيل حضانة الصبى")، وهذه معلومات من المتوقَّع ألاّ تكون غائبة عن القارئ الإسبانى، وكلا النصين يقدمان بصفتيْهما كتابة أصلية (= غير مترجمة) فالنص الإنجليزى ينشر اسم "جارسيا ماركيز" ببنط عريض كجزء من العنوان ويهمل الإشارة فى أى موضع إلى أن النص مترجم.

ولكن الحال مختلف – على وجه التأكيد – مع النصين الآخرين المستهدفين، فترجمة الـ "نيويورك تايمز" تحمل اسم "إيديث جروسمان"،التى اشتهرت كمترجم لروايات "جارسيا ماركيز"منذ سنة ١٩٨٥ ، وتؤكِّد على منزلة "ماركيز" كحاصلٍ على جائزة "نوبل" فى الأدب. أما الطبعة الرقمية للدورية الكوبية Gramna International Digital Edition فتقدم النص بهذه العبارة الهادئة والمتحفظة (الكاتب الكولومبيانى

"جابرييل جارسيا ماركيز" كتب هذا المقال فى "هافانا"، وقد نُشر فى العديد من الصحف الأمريكية - اللاتينية والإسبانية)، ولكنها تمنح قراءها الحق فى نسخه سعيًا - على ما يبدو - وراء كسب أوسع نطاق للذيوع والانتشار للقضية الكوبية، وتدعو القراء إلى إرسال آرائهم عن طريق البريد الإلكترونى، وقد يكون لهذا التقديم المختلف للنصوص صلة أو أخرى بالأهداف الأيدولوجية التى تقف وراء النشر. ولسوف يحاول التحليل التالى أن يتعرَّف على التغيرات اللغوية التى تحدث داخل هذا الإطار.

٢ - ٢ - إحصائيات متعلقة بالنصوص بالاستعانة بالكمبيوتر

	ST	Granma TT (GIn)	Guardian TT (Gd)	NY Times TT (NYT)
word count (tokens)	3146	2998	2396	1621
different words (types)	1097	1059	866	621
type-token ratio	34.87	35.32	38.16	38.31
average sentence length in words	28.34	24.37	21.59	20.26

جدول ١ : إحصائيات الكلمات والجمل فى النصين المصدر ST والمستهدف TT

لعل أشد الاكتشافات لفتًا للنظر فى هذا الجدول يدور حول عدد الكلمات فى النصوص المختلفة، ففى كل الحالات نجد أن النص المصدر ST أطول من النص المستهدف TT، وهو الأمر الذى يتعارض مع التفكير التقليدى (مثال : Vinay and Darbelnet 1958/1977:185) ، ذلك التفكير الذى يرتئى أن النص المستهدف TT يميل إلى أن يكون أطول من نظيره المصدر ST من جراء الرغبة فى الشرح والتوضيح. ومع ذلك

فالاختلافات فى جدول رقم (١) تتجاوز مجرد التوضيح أو التكثيف. هناك أيضًا اختلافات هائلة بين النصوص المستهدفة المختلفة : يزيد نص الدورية الكوبية Granma International ستمائة كلمة عن نص "الجارديان" المستهدف، وبما يصل إلى الضعف أو يكاد، عند مقارنته بالنص المستهدف لـ "نيويورك تايمز"، ولسوف يشير لنا تحليل عن قُرب للنصوص الفعلية فى قسم ٢-٣-٣ إلى ماحدث.

تسلِّط الإحصائيات - التى تتعلق بطول الجمل - الضوء على أن نصىْ الـ "نيويورك تايمز" والـ "جارديان" يقفان متفردين، نظرًا لأنهما يملكان أقصر متوسط طول جملة (٢٦:٢٠، ٢١: ٥٩ كلمة على التوالى بالمقارنة مع ٢٤ :٣٧ فى الدورية الكوبية Granma International و٢٨: ٣٤ فى النص المصدر) ومن الملاحظ أن كتابات "ماركيز" تعتمد على الجمل الطويلة بصورة مفرطة، (انظرMunday 1997: 187) ولسوف نعود لمناقشة التغيُّر فى الترجمة فى قسم ٢-٣-٣

ومن المعروف منذ مدة طويلة أن نسبة الرموز إلى الأنماط - وهى تعد بمثابة مؤشرٍ على تنوع المفردات المعجمية فى النص - تختلف حسب طول النص (Jones 1991: 18) وفى جدول رقم (١) لن يكون من المفيد، إلاَّ أن نقارن - فقط - هذه النسب التى تخص النص المصدر ST ونص الدورية الكوبية المذكورة عاليه، التى لم تجرِ سوى حذف طفيف من النص، فالنسبة بين الأنماط وبين الرموز متشابهة إلى حدٍ كبير.

	ST			Gln TT			Gd TT			NYT TT		
1	de (of)	184	5.85	the	205	6.84	the	165	6.89	the	91	5.61
2	la (the)	106	3.37	to	85	2.84	to	70	2.92	and	48	2.96
3	que (that)	106	3.37	of	84	2.80	and	61	2.55	to	46	2.84
4	el (the)	101	3.21	and	78	2.60	a	51	2.13	in	41	2.53
5	a (to)	86	2.73	a	77	2.57	in	49	2.05	a	35	2.16
6	y (and)	77	2.45	in	68	2.27	of	47	1.96	of	33	2.04
7	en (in/ on)	71	2.26	that	55	1.83	his	37	1.54	his	32	1.97
8	los (the)	59	1.88	his	44	1.47	Elián	34	1.42	was	27	1.67
9	para (for)	50	1.59	was	39	1.3	had	34	1.42	on	24	1.48
10	con (with	44	1.40	on	36	1.2	that	33	1.38	had	22	1.36
11	un (a)	38	1.21	with	34	1.13	was	28	1.17	for	19	1.17
12	se (refle xive)	37	1.18	for	29	.97	for	25	1.04	Elián	18	1.11
13	su (his/ her/ their)	37	1.18	Elián	28	.93	he	25	1.04	he	18	1.11
14	por (for)	33	1.05	had	28	.93	they	23	.96	with	18	1.11
15	lo (it/ him)	31	.99	he	27	.90	Juan	21	.88	Juan	17	1.05
16	no (no)	30	.95	it	24	.80	on	21	.88	Mig -uel	16	.99
17	una (a)	27	.86	as	23	.77	Mig -uel	20	.83	they	16	.99
18	Elián	25	.79	they	23	.77	with	20	.83	at	15	.93
19	ni (nor)	25	.79	is	22	.73	us	19	.79	that	15	.93
20	o (or)	24	.76	be	21	.70	but	16	.67	but	14	.86

Table 2 Word frequency statistics for ST and TTs

يتضح لنا أن الإحصائيات التى نستقيها من تقنية الكمبيوتر تسلِّط الضوء على مناطق قد تستحق منا تحليلاً نقديًا مكثفًا، وهذا هو الحال - على وجه الخصوص - مع قوائم تردد (= تكرار) الكلمات، ويوفِّر لنا الجدول رقم ٢ قائمة بالكلمات العشرين الأكثر ترددًا فى كل نص على حدة. وإلى يمين هذه الكلمات نجد عدد المرات التى وردت فيها فى النص والنسبة التى يُشكِّلها هذا الوُرود إلى مجموع الكلمات فى النص، كما نجد المقابل الإنجليزى النموذجى للكلمات الإسبانية بين قوسين، وبناء عليه فإن كلمة de (غالبًا بمعنى of الإنجليزية) أى "بتاع" (= أداة الملكية فى المصرية الحديثة فى ضوء تحليليتها، بينما لا يوجد مقابل لها فى العربية فى ظل تركيبيتها .المترجم) هى أكثر الكلمات شيوعًا فى النص المصدر، فهى ترد ١٨٤ مرة وتمثِّل نسبة تصل إلى ٥,٨٥ ٪ من مجمل عدد أشكال الكلمات فى النص المصدر.

ومعظم أشكال - الكلمات الشائعة هذه مثل de ، the سوف تكون الأكثر شيوعًا فى نص سواء فى الإسبانية أو الانجليزية، ولعلها أكثر تشويقًا تلك الترددات (= التكرارات) المقارنة التى يمكننا متابعتها عن طريق الفحص عن قرب للأمثلة المعنية، وقد يكون فى الإمكان أيضًا مد نطاق الدراسة بصورة ملحوظة حتى نعاين أشكالاً متعددة للغاية للكلمات المختلفة، ونظرًا لضيق المساحة، فلسوف أقتصر على مثالين اثنين فقط، يتمثَّل المثال الأول فى أن تردد اسم "إليان" - فى ضوء النسبة المئوية - أكثر بمراحل كبيرة فى نص الـ "جارديان" المستهدف TT ، بالمقارنة بالنص المصدر ST أو النصوص المستهدفة TT الأخرى، والمعروف أن دلالات اسم العلم (=اسم الشخص) مهمة فى ترابط/تماسك cohesion النص، وبالتالى فإننى سأرجئ فحصى لهذا الاختلاف إلى قسم ٢-٣-٣ الذى سأفرده لترابط النص والوظيفة الما - بعدية meta-function له أى للنص. أما المثال الثانى فى دور حول كلمة that الإنجليزية، وهى الكلمة الأكثر شيوعًا فى النص المستهدف TT للدورية الكوبية Granma international . حقًا يتنبأ البعض أحيانًا حول كلمة that (مثال: "بيكر" ١٩٩٥: ٢٣٦) بأن الاستخدام المفرط للضمير الموصول that يعد خاصية من خصائص الترجمة إلى الإنجليزية عن لغاتٍ مثل الإسبانية يستحيل فيها حذف ضمير الموصول المقابل que (دون تهديد الدلالة

المقصودة. المترجم) مثلما نستطيع ذلك فى اللغة الإنجليزية (التى تجيز حذفه دون خدش المعنى المراد.المترجم)، ويلفت التحليل الذى يستعين بتقنية الكمبيوتر الأنظار إلى الترددات المختلفة ثم يوفِّر إمكانية رصد كل الحالات وفحصها على وجه السرعة على شاشة الكمبيوتر.

ويكشف تحليل أمثلتنا أننا لا نستطيع إهمال أكثر من أربع حالات وردت فيها that بسبب وظيفتها النحوية هنا كـ "ضمير إشارة" (demonstrative pronoun: that Friday) ومن الحالات الأخرى نجد النص المستهدف TT للدورية الكوبية Granma International يقتفى فى العديد منها عن قُرب تركيب النص المصدر ST ويُضمِّن كلمة that والمثال رقم ١ عبارة عن تعليقٍ صدر عن والد "إليان" حول التدخُّل والتشويش عندما اتصل بابنه:

1a.A veces le hablan a gritos al niño mientras conversamos,suben al máximo el volumen de los dibujos animados en la televión o le ponen un caramelo en la boca *para que no se le entienda* lo que dice.

1b.Sometimes they talk to the boy in loud voices while we 're having a conversation, they turn up the volume of the cartoons on the television as high as possible ,or put a candy in his mouth *so that I can't understand* what he's saying(GIn)

1c.Sometimes they shout at the boy while we 're talking, or turn the volume all the way up on the television cartoons,or put a candy in his mouth so *it's hard to understand* what he's saying.(NYT)

يقول النص المصدر أى الإسبانى (كلمة – كلمة قدر الإمكان):

"أحيانًا كانوا يتكلمون بأصواتٍ عالية إلى الصبى بينما كُنا نتجاذب أطراف الحديث، أو يرفعون صوت الرسوم المتحركة على شاشة التلفزيون إلى أعلى ما يمكن، أو يضعون قطعة "كاراميلا" فى فمه كيلا أفهم منه ما يقول"

هنا نلاحظ أن النص .1c بحذفه كلمة that يصبح أقل رسمية وبذلك يكون أكثر مناسبة لترجمة حديث بين أبٍ وابنه.

أهدف من وراء هذا العدد المحدود - وهو ما أعترف به بصراحة - من الأمثلة المضروبة هنا، أن أشير - فقط - إلى الإمكانيات التى توفرها تقنية الكمبيوتر للتحليل التى يستعين بها، وهى التقنية التى تسمح برصد ملامح نصوص كاملة، بصورة سريعة نسبياً، وجلب ملامح معينة إلى انتباه المحلل، لولا هذه التقنية لغابت عن فطنته. وعلى نحو ما سنرى فى الأقسام التالية، فإن الكمبيوتر يُعد أداة فعالة عندما تتضافر مع إطار وظيفى - شامل فى إمعان النظر فى كافة أمثلة الوظائف الما - بعدية المختلفة فى نصين وفى مقارنة العلامات التى تحملها الفكرتان/النبذتان فى النصين المصدرST و المستهدف TT .

٢ - ٣ - التحليل الما - بعد - وظيفى

يكشف تحليل الجوانب الما - بعد - وظيفية فى النصين عن وجود اختلافات بينهما - ولسوف أركز بؤرة اهتمامى نتيجة للمساحة المتاحة - على مقارنة الأنماط بين النص المصدر ST وبين نص الـ "جارديان" المستهدف، ولكننا لن نتردد فى مد المقارنة حيثما يكون الأمر متصلاً بما نحن بصدده على وجه الخصوص - كى تشمل النصوص المستهدفة الأخرى.

٢ - ٣ - ١ الوظيفة - المابعدية الأفكارية Ideational metafunction

غالبًا ما تتغير أنماط أفعال التعدية فى النص المستهدف TT، على ما نستطيع التحقق منه فى المثال رقم ٢، الذى يصف رفاق "إليان" فى الهروب، وهم يستعملون عقارًا ما لمقاومة دوار البحر:

2a.La mayoria de los pasajeros *se inyectaron* gravinol intravenoso.

2b.Most passengers *were injected* with Gravinol (GD)

يقول النص المصدر، أى الإسبانى (كلمة - كلمة قدر الإمكان):

غالبية الركاب حقنوا أنفسهم بمادة الجرافينول فى الوريد.

بينما يشير المثال .2a إلى أن المسافرين حقنوا أنفسهم بأنفسهم، يحذف المثال .2b الفاعل المسئول عن الفعل، وهو الأمرالذى يعنى ضمنياً أن الفعل وقع عليهم بفعل فاعل، من المرجح أن يتمثَّل - أى ذلك الفاعل - فى المسئولين عن العبور، الذين ينتظرون جنى مبالغ كبيرة من المال متى نجحت المغامرة. ومع ذلك فالمثال 3b غير نمطى لأن غالبية التغييرات فى الفكرة/النبذة الأفكارية فى نص الـ "جارديان" المستهدف TT تنحرف بالمسئولية عن أقارب الصبى فى "ميامى"، وبالتالى فإن الـ "جارديان" تستعمل صيغة المبنى للمجهول فى النص المستهدف TT، عندما ألقى بالـ "موتور" الثقيل المعطوب بلا أمل فى إصلاحه عن ظهر"العبارة" (وهو الخطأ الذى أسفر عن انقلابها)، بينما يشير النص المصدر - بوضوح - إلى أن هذا "الفعل" ارتكبه أولئك المسئولون عن الرحلة (Los responsables del viaje)

3a.Los responsables del viaje *desmontaron* el motor desahuciado

3b.the engine - a write off - *was dismantled* (GD)

و يقول النص المصدر أى الإسبانى (كلمة - كلمة قدر الإمكان):

فك المسئولون عن الرحلة الموتور المعطوب.

أضف إلى ذلك أن المسئولية عن التغيرُّالذى طرأ على شخصية "إليان" خلال انتظاره فى "فلوريدا" تتبدَّل هى الأخرى. وهذا واضح فى تقرير جدتيْه عقب عودتهما من زيارته فى الولايات المتحدة.

4a. De modo que (Las abuelas) volvieron a Cuba escandalizadas de cuánto *lo habían cambiado*

4b. They (the grandmothers) returned to Cuba outraged at how much *the child had changed.* (GD)

ويقول النص المصدر، أى الإسبانى (كلمة - كلمة قدر الإمكان):

(بحيث إن) الجدان عادتا إلى "كوبا" مستاءتَيْن بسبب إلى أى حدٍ غيَّروا الصبى.

فالعبارة الواردة فى النص المصدر ST ، وهى: Lo habían cambiado "بمعنى غيَّروه" أى الصبى تشير إلى أن أقارب الصبى المقيمين فى "ميامى" هم الذين أحدثوا التغيير، بينما استعمال صيغة المبنى للمجهول فى النص المستهدف TT عاد مرة أخرى كى يطمس المسئولية عن هذا التغيير.

٢ - ٣ - ٢ الوظيفة - الما - بعدية البين - شخصية

حذف النص المستهدف TT كثيراً من العلامات البين - شخصية، وخصوصا تلك التى يسمِّيها "هاليداى" (١٩٩٤: ٣٥٤) المجازات البين - شخصية. أحد الأمثلة على ذلك يتمثَّل فى حذف: parece que التى تعنى: يبدو/تبدو

5a. *Parece que* habían zarpado el 20 de noviembre ...

5b. They sailed on November 20 ... (GD)

ويقول النص الإسبانى:

يبدو أنهم أبحروا يوم ٢٠ نوفمبر/بابة...

حذف مثل هذا التحفظ جعل من سرد "جارسيا ماركيز" أكثر وقائعية، بما لا يُقاس، وفى بعض الأحيان يمكن أن يُسفر مثل هذا الحذف عن تنحية العواطف جانبًا، وهذا ما يحدث فى الوصف التالى لما حصل فى عرض البحر، عندما نجحت "إليزابيث"، والدة الصبى"إليان" فى مساعدة ابنها على نحوٍ أو آخر.

6a. *Lo que es difícil de entender, aunque merece ser cierto,* es que ella tuvo la serenidad y el tiempo para darle al hijo une botella de agua dulce.

6b. *She is said* to have the foresight and time to give Elián a bottle of water.(GD)

يقول النص المصدر ST، أى الإسبانى (كلمة - كلمة قدر الإمكان):

ما يصعب على المرء أن يستوعبه، ولو أنه يستحق أن يكون صادقًا، أنها امتلكت صفاء الذهن والوقت الكافى كى تعطى ابنها زجاجة من المياه العذبة.

فى النص المصدر ST يركِّز "ماركيز" على المأثرة المدهشة التى يمثلها الفعل الذى أقدمت عليه الأم، إذا ما كان صادقًا، أما نص الـ "جارديان" المستهدف TT (She is said to) (= ويقال إنها...) يحذف مشاعر الدهشة جملة وتفصيلاً عن طريق استبدال العناصر البين - شخصية بصيغة المبنى للمجهول للفعل الذى يقرر الأمر بروح محايدة (إلحاقًا متعمدًا من جانبى للباء بالمأخوذ دون المتروك. المترجم)

كما يتضح أيضًا تخفيض القوة البين - شخصية للنص فى حذف النعوت المواقفية attitudinal ephithets (للاطلاع على شرحٍ وافٍ لهذه النعوت، أنظر "هاليداى ١٩٩٤: ١٨٤): يصف النص المصدر ST والد "إليان" بأنه (de buen carácter) أى "يتمتع بروح طيبة"، بينما نجده فى النص المستهدف TT مجرد (laidback) أى هادئ الطباع أو رصين، وعبارة (anfitriones interesados) أى "المضيفين المُغْرضين" تظهر - فقط - كـ"مضيفين" فى اللغة الإنجليزية. مثل هذه الحذوفات تؤثِّر على المزايا النسبية لطرفى العائلة اللذين يواجهان أحدهما الآخر عبر المضايق (= البحر الكاريبى)، وهناك مثال يتعلَّق بموقف الأب، الذى ظل "إليان" يعيش معه حتى أُخذ منه إلى رحلته تلك:

7a.Juan Miguel, por su parte, se casó más tarde con Nelsy Carmeta, con quien tiene un hijo de seis meses *que fue el amor de la vida de Elián hasta que Elizabeth se lo llevó para Miami.*

7b.Juan Miguel had married Nelsy Carmeta: the couple have a six-month-old baby.(GD)

يقول النص المصدر أى الإسبانى (كلمة – كلمة قدر الإمكان):

تزوَّج "خوان ميجيل" – من جانبه – فى الآونة الأخيرة بـ "تيلسى كارميتا"، وأنجب الزوجان رضيعًا كان عمره ستة أشهر، وكان بمثابة الحب فى حياة "إليان" حتى أخذته "إليزابيث" إلى "ميامى".

وهكذا حذف النص المستهدف TT العبارة الأخيرة بأسرها، وهى العبارة التى تُرجمت كاملة فى النص المستهدف الآخر أى فى الدورية الكوبية Granma Internacional، ويضيف اختيار مثل هذه التفصيلة فى النص المصدر ST – بصورة واضحة – ضوءًا إيجابيًا على الأسرة الكوبية، وآخر سلبيًا بصورة بالغة على الأم، ولو أنها سيئة الحظ، التى كانت على استعداد لتدمير سعادة ابنها "إليان". ونفس الأمر يحدث مع الإشارة المتأخرة إلى أن الولايات المتحدة سوف تعانى من خسارة قانونية وتاريخية (pérdida jurídica e histórica)، إذ تصبح تلك "الخسارة القانونية والتاريخية" مجرد "خسارة شاملة" overall loss فى النص المستهدف TT، وبينما يمكن اعتبار كلمتى "قانونية" و"تاريخية" وَصْفيتين – كما يجرى العرف – وليستا مواقفيتين أى لا تنطويان على موقف، إلاَّ أن ورودهما فى حالة اتصالٍ مع كلمة "خسارة" يضيف تقييمًا سلبيًا من جراء الظلال التى تحملانها حول انتهاك القانون وتلطيخ الصيت فى نظر التاريخ، غير أن هذه الظلال تختفى فى نص الـ "جارديان" TT، مع احتفاظ الترجمة الكوبية بها غير منقوصة.

٢ – ٣ – ٣ الوظيفة الما – بعدية للنص

لاحظنا فى الإحصائيات التى وردت فى القسم ٢ – ٢ أعلاه زيادة معدل تردد اسم "إليان" فى النص المستهدف لـ "جارديان"، والاختلاف فى طول الجمل واختلاف الطول بصفة إجمالية بين النصين المختلفين، وهذه النقط تقع كلها داخل مدى الوظيفة الما – بعدية للنص، وخصوصًا ترابط النصوص، والفحص الأعمق للحالات التى

تستعمـل معجمـاً بكلمـات النص توفِّـره تقنيـة الكمبيـوتـر لفحص تواتـر الورود، يعطـي مؤشِّـراً على ما يجـرى، وبالتالى فإن استدعاء اسم "إليان" عن طريق الدوس بالـ "مـاوس" على كلمـة "ابحث" سـوف يعطينا ما يصل إلى ٣٤ مرة ورد فيهـا الاسم فى الـ "جارديان" و٢٥ مرة فى النص المصدر ST ، ويمكننا التعرف على تلك الورودات التى حدثت فى TT، دون أن تكون موجودة فى الـ ST ، على نحو ما حدث فى المثال رقم ٨، حيث يهدد "مونيرو" Munero رفيق الأم ابنها "إليان":

8a.Se ha dicho también que Elián tomó conciencia allí mismo de los peligros de la travesía, y lloraba a grito herido para que lo dejaron. Munero, temeroso de que los descubrieran por *el llanto*, amenazó a la esposa : "O lo callas tú o lo callo yo".

8b.Elián also became aware of the dangers of the crossing and screamed, begging to be allowed to stay in Cuba. Munero, fearful they would be discovered because of *Elián's crying*, threatened *Elizabeth*: "Either you shut him up, or I'll do it myself."(GD)

يقول النص المصدر أى الإسبانى (كلمة – كلمة قدر الإمكان):

قيل أيضًا أن "إليان" وعى عندئذٍ الأخطارالتى ينطوى عليها العبور، وأخذ يبكى بصراخٍ مشروخ كى يتركوه، فهدد "منيرو"،الذى استبد به الخوف من انكشاف أمرهم بـ "البكاء"، الزوجة: إما أن تُسكتيه أو أسكته أنا"

يكشف الـ TT ترابطًا أوثق خلال ترجمة : **Elián's crying** أى "بكاء "إليان" بدلاً من مجرد "البكاء" أو "الصياح"، وفى كل موضع آخر من الـ TT يُستخدم اسم "إليان" للحلول محل أى مترادف من قبيل "الصبى" أو "الطفل". ومن الشيِّق أن مثال 8b يشير إلى الاستخدام المتزايد لاسم "إليزابيث"، (عوضًا عن زوجته)، وهذا ما يحدث بعينه فى الترجمةالتى نشرتها الدورية الكوبية **Granma International** .

8c.Munero, fearful of being discovered due to the *child's wailing*, threatened *Elizabeth*: Either you shut him up, or I will."(GLn)

يستشعر المرء، بصفة عامة- أن الترابط الآخذ فى التزايد يُعد خاصية من خواص النصوص المترجمة (مثال: Blum-Bulka 1986) ويوفّر لنا التحليل الذى يتلقى عون الكمبيوتر أداة فعّالة تمكننا من رصده وفحصه.

وعلى نفس المنوال، كشف لنا الكمبيوتر التغيُّرات فى طول الجملة، وتمثَّلت أبرز الاختلافات فى هذا الصدد بين الـ ST والـ TT الذى نشرته صحيفة الـ "نيويورك تايمز". وقد جرى رصد وفحص أمثلة محددة، ويعد مثال رقم ٩ بينها نموذجيًا:

9a.Elizabeth quedaba encinta pero sufrí abortos espontáneos en los cuatro primeros meses de embarazo. Al cabo de siete pérdidas, y con una asistencia médica especial, nació el hijo tan esperado, para el qual tenían previstos un nombre único desde que se casaron; Elián.

9b.Elizabeth would conceive but miscarry in the first four months of pregnancy. After seven miscarriages, the child they had longed for was born.They had decided on a unique name for him: Elián. (New York Times)

و يقول النص الـ ST أى الإسبانى (كلمة - كلمة قدر الإمكان):

ظلت "إليزابيث" تحمل وتعانى من فقدان حملها تلقائيًا خلال الشهور الأربعة الأولى، وبعد سبع مرات من فقدان الحمل، وبمساعدة طبية خاصة، وُلد الابنُ الذى طال انتظاره، والذى كانا يستعدان له باسمٍ فريد منذ تزوّجا: "إليان".

يشتمل الـ ST جملتين الأولى تتكوَّن من ١٤ كلمة والأخرى من ٢٩ كلمة، أما الـ TT فى المثال رقم 9b فى حمل نفس المعلومات فى ثلاث "سلُخ" (=جمع سلْخة أى شريحة كبيرة. المترجم) من ١٢، ١١، ١٠ كلمات على التوالى.

ويرتبط طول الجملة - بشكلٍ وثيقٍ - بعلامات الترقيم، الاستخدام الأصولى للشولة المنقوطة (;) فى المثال رقم 9a ، والشولة (,) فى المثال رقم 9b كان دافعًا وراء إجراء تردد (= تكرار) ورودهما فى كل النصوص، ويشتمل الـ ST على شولة منقوطة واحدة وعشر شولات (تقدَّم بصفة أساسية الاستشهادات) أما نص الـ "نيويورك تايمز"

الـ TT فيحتوى على شولة منقوطة واحدة وخمس شولات، ويلجأ نص الدورية الكوبية إلى أربع شولات منقوطة وإحدى عشرة شولة، بينما يضم نص الـ"جارديان" عشر شولات منقوطة وست عشرة شولة، ومعلوم أن تقاليد علامات الترقيم تختلف فى اللغة الأسبانية عنها فى الإنجليزية، وقد يكون من الجدير بالبحث تقصى مدى اختلافها فى اللهجة البريطانية عنها فى تلك الأمريكية، ولكن يكفينا الآن - بكل تأكيد - أن نقرر أن نص الـ "جارديان" الـ TT يقيم دليلاً على أنه يتميَّز بشكلية أكبر، على نحو ما يتضح فى المثال رقم 10b حيث نجد شولة ثم شولة منقوطة فى ترقيم النص المترجم:

10a.Estas artimaños fueron sufridas también en carne propia por Raquel Rodríguez y Marcela Quintana, las abuelas de Elián, durante su tormentosa visita a Miami, *cuando un agente de la policía a órdnes de una monia frenética les arrebató el teléfono cellular con que ellas daban noticias del níño a sus familias de Cuba.* La vista que había sido prevista para dos días se redujo al final a noventa minutos, con toda clase de interrupciones provocadas, y con más de un cuatro de hora a solas con Elián.

10b.Raquel and Marcela Quintana, Elián grandmothers who made a stormy visit to Miami had the same problems: *at the order of a frantic nun, a police officer snatched their mobile phones so that they could not pass on news to the family in Cuba.* Their two-day visit was eventually reduced to 90 minutes, with all kinds of manufactured interruption; they only had a quarter of an hour on their own with Elián. (Gd)

و يقول النص الـ ST أى الإسبانى (كلمة - كلمة قدر الإمكان):

هذه المكائد عانت منها أيضًا كل من "راكيل رودرجيز" و"مارسيلا كينتانا" جدتىْ الصبى "إليان" معاناة شخصية بمعنى الكلمة، خلال زيارتهما الصاخبة لـ "ميامى"، عندما انتزع منهما رجل بوليس - بناء على أوامر من راهبة هائجة - التلفون النقالى (= المحمول) الذى كانا قد نقلا خلاله أخبار الطفل إلى عائلتيهما أو أقاربهما فى كوبا.

وفى النهاية اقتصرت الزيارة التى كانت مقررة فى البداية بيومين على تسعين دقيقة لا غير، مع كافة أنواع التعطيل المستفزة، ومع ما لا يزيد عن ربع ساعة انفردا فيه بـ "إليان".

قد يبدو أن طول الجمل وعلامات الترقيم اختلافات طفيفة نسبياً، ولكنها تشير فى الحقيقة إلى أن إحدى الخصائص التى تتميز بها كتابات "ماركيز" تتغير خلال الترجمة، وكذلك الأمر بالنسبة للتحويرات التى تدخل على أفكار/نُبذ الترابط والتماسك النصين، ويمكن أن تنعكس لهما بعض العواقب عند قراءة المقال، وبناء عليه فإن الإشارة إلى البلدين اللذين يشكّلان طرفى النزاع، خلال المترادفات بخلاف اسميهما المباشرين واللذين يُشتهران بهما إنما تعكس المنظـورالذى تُـروى القصـة من خـلاله. ففى الـ ST - يُشار مرة إلى الولايات المتحدة كـ "الشاطئ الآخر" أى La otra orilla والنظام الكوبى كـ "الثورة" أى La revolución . وفى نص الـ "جارديان" أى الـ TT يفقد الطرف الأول كل مدلول عاطفى أو شعرى كى يصبح "فى الولايات المتحدة"، وتتحوّل الظلال الإيجابية لـ "الثورة" أى الطرف الآخر، إلى Castro's Cuba أى "كوبا بتاع كاسترو" (لعدم وجود أداة ملكية مقابلة فى اللغة العربية.المترجم) وهى العبارة التى تحمل رنين الدكتاتورية.

مع أن "النحـو الوظيفـى الشـامـل" SFG يحلل - على سـبيل التيسير - الوظائف المـا - بعدية بصورة منفصلة الواحدة عن الأخرى، إلاَّ أن المقتطف التالى يبرهـن على كم هو عدد الظواهر، من بين هـذه التى نُوقشت فى هـذه الورقة (سيان أكانت أفكارية ideational أو بين - شخصية interpersonal) يتفاعل داخل نفس الفقرة:

11a.Según ellos, a la medianoche del 22, *los responsables del viaje des montaron el motor desahuciado* y lo tiraron en el mer para aligerar la carga. Pero la barca, descompensada, dio una voltereta de costado y todos los pasajeros cayeron al agua.Sin embargo,una suposición de expertos es que la voltereta pudo haber roto las frágiles soldaduras de los tubos de alumno,y la barca se hundió .

11b.At midnight on the first day out, *the engine - a write off - was dismantled* and thrown into the sea to lighten the load.But the boat was destabilized and turned over on to its side.All the passengers fell into water. Experts suspect that the capsize may have broken the fragile soldering on the alminium tube, causing the boat to sink.

يقول النص المصدر أى الإسبانى (كلمة – كلمة قدر الإمكان):

(وفقًا لهم) فى منتصف ليلة الثانى والعشرين فك المسئولون عن تنظيم الرحلة، "الموتور" المعطوب وألقوا به فى عرض البحر حتى يخففوا الحمل عن "العبارة"، إلاَّ أن "العبارة" انقلبت على جنبها ووقع كل الركاب فى الماء، ومع ذلك يشتبه الخبراء فى أن يكون الانقلاب قد كسر اللحامات الضعيفة للأنابيب المصنوعة من الألومينيوم، الأمرالذى أدى إلى غرق "العبارة".

يعرض السطر الأول – كما سبق أن رأينا فى المثال رقم (٣) – تغييراً من بنية التعدية transitvity للفعل، الأمرالذى يسقط المسئولية فى الحادثة عن أولئك الذين نظَّموا الرحلة (Los responsables del viaje) إلى صيغة المبنى للمجهول اللاعاملية agentless (= أى دون أى إشارة إلى العامل أو الفاعل فى وقت لاحق من قبيل بواسطة: by . المترجم) was dismantled . كما يؤثِّر أيضًا حذف عبارة (وفقًا لهم según ellos) التى وردت فى السطر الأول من ST على الفكرة/النبذة البين – شخصية وقيمة الصدق للنص الـ TT ، أضف إلى ذلك أن ترابط السطور من الثالث إلى الخامس فى النص الأسبانى يتبدَّل خلال الترجمة. ومعلوم أن تواتر استعمال أداة أو حرف العطف "الواو" (y) يعد أحد خصائص كتابات "ماركيز" – وخصوصًا فى إنتاجه القصصى – حيث يغلب عليه اللجوء إلى نمط قصص الجنيات الخيالية، وحيث يميل على الجمل البالغة الطول والتراكيب التى تقوم على الحصافة الموازية غير المرتبطة بأسباب non-causal، وهو ما يميِّز لغة وتفكير الأطفال، إلاَّ أن البنية تتغيَّر تمامًا فى الـ TT : حرف والأولى أداة العطف فى السطر الثالث تُستبدل بنقطة ختام full stop، وهو ما ينطوى على وقفة أقوى، مما يتطلَّب إعمالاً ذهنيًا أكبر من جانب القارئ لبناء الصلة بين الجملتين. ونلاحظ أيضًا إسقاط عبارة "و مع ذلك" (Sin embargo) من الترجمة، تلك التى تطل علينا فى السطر الرابع من الـ ST ، حيث تعمل كمؤشر إلى الخطاب ومرشد للقارئ حتى ينتظر تعارضًا قادمًا فى الطريق إليه، وقد يكون المترجم قد شعر بعدم وجود تعارض بمعنى الكلمة هنا، على اعتبار أن الكسرالذى وقع للحام كان نتيجة منطقية

لانقلاب "العبارة". وأخيراً يتحاشى الـ TT استعمال كلمة and كترجمة لأداة (= حرف) العطف فى الأسبانية y التى ترد فى السطر الأخير، مفضّلا عليها هذه المرة صيغة التصريف الرابع للفعل فى الإنجليزية التى تفيد التبعية النحوية hypotactic ، وأقصد بذلك causing ، أى "مسبباً" (= أو "مما أدى إلى.. "إلخ) وهو الأمرالذى يعزز الصلات بين الأفكار والعبارات. ونتيجة لمثل هذا النمط من التغييرات فى اللغة الإنجليزية يعد الأمر بمثابة "ملخ" لأسلوب "ماركيز" الخاص عند ترجمته.

بالإضافة إلى مثل هذه الاختلافات، يكشف النموذج أيضاً عن تغييرات أكثر لفتا للنظر. إذ نلمس خلال تحليل رواية النص المستهدف TT الذى نشرته الـ "نيويورك تايمز" للمثال رقم ١٠ – ولما يدعو إلى الاندهاش – حذف الجزء الذى وضعنا تحته خطًا فى المثال رقم 10a :

10c. These kinds of stratagems were also suffered in person by Raquel Rodriguez and Marcela Quintana, Elián's grandmothers, during their turbulent trip to Miami. Their visit with him, scheduled to last two days, was reduced to 90 minutes, with all kinds of intentional interruptions, and they said spent no more than a quarter of an hour alone with Elián .(NYT)

و غنى عن الذكر أن التفصيلة المحذوفة هنا وهى "عندما انتزع منهما رجل بوليس – بناء على أوامر من راهبة هائجة – التلفون النقالى (= المحمول) الذى كانا قد أعطيا خلاله أخبار الطفل إلى عائلتيهما أو أقاربهما فى كوبا" ترسم صورة سلبية إلى أقصى درجة للسلطات الأمريكية. كما يكشف فحصٌ أقرب من باقى هذا النص المستهدف أن تلك الحذوفات الكثيرة إنما تقع بصفة أساسية فى تصنيفين اثنين:

الأول: ذكر أسماء الأماكن الجغرافية مثل "كارديناس" Cárdenas (=مدينة وميناء تقع شمال كوبا شرقى "اتانساس". المترجم) أو أسماء الفنادق التى اشتغلت فيها الأم "إليزابيث". الثانى: الكلمات الثمانمائة التى تناقش تاريخ العلاقات الكوبية الأمريكية والضرر السياسى الذى يمكن أن يلحق بالحملة الانتخابية للمرشح الرئاسى "آل جور"

فى نوفمبر/يناية سنة ٢٠٠٠ . ولعل هذا الحذف هو الذى يفسِّر إحصائيات عدد الكلمات الواردة فى النص فى القسم رقم ٢ - ٢ أعلاه.

٢ - ٤ دوافع ممكنة وراء التغييرات التى دخلت على النصوص المترجمة

هناك تغييرات أساسية حدثت عند النقل من النص المصدر الـ ST إلى النص المستهدف الـ TT ، تلك حقيقة ليست محل شك، إلاَّ أن السؤال الآن هو: ما هو السبب فى ذلك؟ وهنا نجد أنفسنا بحاجة ماسة إلى الرجوع مرة أخرى إلى الإطار السياسى والثقافى - الاجتماعى التى جرى فيه إنتاج النصوص المترجمة. هناك عدد من الإمكانيات: انتهج مترجم صحيفة الـ "جارديان" استراتيجية ترجمية غير - منهجية، أسفرت عن ترجمة غير - منهجية وإلى حدٍ ما مشوهة، وقد تتصل التغييرات بالتملص من مشاكل ترجمية محددة فى النص، وبناء عليه ففى المثال رقم ٣ ليس من السهل ترجمة كلمة responsables بصورة مقتضبة على النحو الذى حدث، وفى المثال رقم ٦ قد يكون المترجم قد وقف موقف الاندهاش أمام هذه الصياغة (lo que es dificil de entender, aunque merece ser cierto) كما قد يكون المحرر - الناسخ هو الذى أدخل بعض التغييرات على علامات الترقيم، بينما قد ترجع الحذوفات التى وقعت فى الـ TT إلى القيود التى تفرضها اعتبارات المساحة فى وسائل الإعلام من ضرورة اختصار الأصل، ولكن السؤال عندئذٍ يظل: لماذا حدثت هذه الاستقطاعات دون غيرها؟ وما هو أكثر إثارة من الناحية الأيدولوجية يتمثّل فى إمكانية أن تكون التغييرات قد جاءت نتيجة لبواعث خاصة من جانب الناشر أو حتى المترجم نفسه، وهى التى تدفعه لخلق صورة مختلفة للقصة فى أذهان القراء . وقد لا يكون من الشطط أن نفترض أن تكون الرغبة فى تخفيض حجم العواقب السياسية الممكنة من نشر نص إشكالى كتبه "الأعداء"، هى التى تقف وراء الحذوفات التى حدثت فى الـ TT الذى نشرته صحيفة الـ "نيويورك تايمز" وتتعلق ببعض المشاعر المناهضة للولايات المتحدة. وليس هناك ما يدعو للاندهاش فى أن يأتى النص المستهدف TT الذى نشرته الدورية الكوبية

Granma International كترجمة كاملة للنص المصدر الـ ST ومحتفظًا بالتعليقات المناهضة للولايات المتحدة.

٣ - استنتاج

حاولت تسكين النصين، كلٍ فى إطاره الثقافى - الاجتماعى المباشر، إلاَّ أن هناك مزيدًا من الفحص الذى يمكننا إجراؤه، فالمقابلات مع محررى الصحف والمترجمين - إذا كان ذلك ممكنًا - يمكن أن تسلِّط ضوءًا على المنطق الكامن وراء قرارات الترجمة، واستقبال النصين يمكن أن يُقاس بإمعان النظر، على نحوٍ أكثر قربًا فى ردود الفعل. ومما هو جدير بالملاحظة أن الأسبوع الذى أعقب نشر ذلك المقال شهد سلسلة من الرسائل التى تدفقت على الصحف فى بريطانيا والولايات المتحدة تأييدًا لـ/ أو هجومًا على الموقف الكوبى، دون أن يشير أىٌ منها إلى النص الإنجليزى المستهدف TT بأكثر من مقال "ماركيز"، مع أن بعض تلك الرسائل استعانت ببعض الاقتباسات منها فى لغتها الإنجليزية، فلم يكن فى طوع هؤلاء القراء - على سبيل الاحتمال - أن يتوصَّلوا إلى الترجمة الكوبية الأكثر اكتمالاً.

نجح هذا التحليل "النحوى - الوظيفى - الشامل" SFG للزوجيات الـ ST-TT فى وضع أيدينا على سماتٍ مهمة مما تعرضت لتغييراتٍ خلال الترجمة، وقد تلقى هذا التحليل عونًا غير منكور باستعمال أدوات اللغويات الجسمورية التى تمكن الباحث من التعامل على وجه السرعة مع النص وكشف الستار عن الاتجاهات التى قد لا تتضح مع التحليل اليدوى وأخيرًا وفَّر وضع النتائج داخل سياق النصوص السياسية والثقافية - الاجتماعية، إمكانية استخلاص استنتاجاتٍ بخصوص الأعراف التى تعمل عملها فى العملية الترجمية، وبطبيعة الحال قد تحتاج مناطق معينة للنموذج إلى التكيُّف مع الموضوعين رهن الفحص، وبالتالى قد لا يفلح تحليل "نحوى وظيفى - شامل" صارم، خصوصًا للتراكيب النصوصية والتعدية فلاحًا كبيرًا مع اللغات غير - الأوروبية، بينما يمكننا إجراء تحليل تفصيلى لنصوص أقصر دون اللجوء إلى تقنية الكمبيوتر.

ولعل هذا هو السبب فى تأكيدى على مرونة النموذج: خلال فحص "التعليم" marked-ness (= التأشير بوضع علامات) النسبى على النبذة/الفكرة الما - بعد وظيفية لزوجيات النص (بدلاً من مجرد الإدراج فى قوائم للتحققات النحوية - المعجمية المحددة) على أن التكييف يمكن إجراؤه للغات التى يختلف تركيبها عن لغاتنا. ومما ينطوى على أهمية خاصة أيضًا أن ذلك يعنى أن هذا النموذج لا يزال قابلاً للتكرار، بمعنى أن دراسات أخرى يمكن بل وينبغى أن تُجرى لاختبار صحة الفرضيات: هل ترجمات نص "إليان جونزاليز" إلى لغاتٍ أخرى يُظهر نفس الظواهرالتى ظهرت عند الترجمة إلى اللغة الإنجليزية؟ هل كتابات "ماركيز" غير الأدبية عرضة بصفة عامة لتغييرات أعمق من أدبه عند الترجمة؟ وإذا كان الأمر كذلك، فما هى الأسباب؟ هى هى أسباب أيدولوجية؟ هل تلقى الأعمال غير الأدبية معاملة مختلفة بشكلٍ عام عند الترجمة؟ بهذه الطريقة، وباستخدام نموذج مصمم منذ البداية كى يكون قابلاً للتكرار، وقابلا للاختبار وقابلا للتطبيق على زوجياتٍ لغوية ونصوصية أخرى، نستطيع أن نبدأ فى بناء صورة أكثر منهجية لظاهرة الترجمة، وهى صورة تستطيع أن تقود إلى اختبار مزيدٍ من الفرضيات وكذلك إلى رفع شأن ما يطلق عليه "تورى" "قوانين" الترجمة.

الهوامش

(١) هناك صلة وطيدة بين الـ (SFG) وما يُعرف باسم "تحليل الخطاب" (وهو ما قد يوصف كتحليل لقطعٍ من النص، والأولى لنصوص كاملة فوق مستوى الجملة، مع انتباه خاص معطى لدورها التوصيلى فى التفاعل بين الكاتب والقارئ فى إطار سياقٍ ثقافى-اجتماعى معيَّن) ويسوق "هاليداى" حجة قاطعة لصالح التحليل النحوى - المعجمى المفصَّل: لا يعد تحليل لا يتأسس على النحو grammar تحليلا بالمرة، بل مجرَّد تعليق عابر على النص"(١٩٩٤: ١٦)

(٢) ينبغى الحصول على تصريح من صاحب حق الملكية الفكرية قبل استعمال أى نص فى أغراض البحث، ولما كان عدد المواد التى يوفِّرها أصحابها على شبكة الإنترنت (= الشبوكة) فى تزايدٍ مستمر، فإن المحتمل أن تخف صعوبة المشكلة مع المستقبل، وحقيقة الأمر كلما أصبح النشر الإلكترونى هو العرف السائد كلما صار التحليل المستند إلى الجسمور ضرورة لا غنى عنها.

الفصل الساس نموذج التركيبية البنيوية فى الدراسات الترجمية

جان-مارك جوانفيتش Jean-Marc Gouanvic

خلاصة :

يقترح هذا المقال نظرية ترجمية ترتكز على "التركيبية البنيوية" Structuralist Con-structivism التى قال بها "بيير بورديو" Pierre Bourdieu . وبهذا المصطلح يعنى أى المقال نشأة اجتماعية مزدوجة، إحداهما تأسيسية لما يطلق هو عليه اسم "بيئة" Habitus والأخرى هى البنيات الاجتماعية، و"بيئة" المترجم هى اتجاه أو ميل Disposition دائم أو معمر وقابل للتبديل، يكتسبه كيان مجتمعى يمارس خلالها عمله فى ميدان ينتمى إليه النص المرشح للترجمة، وهذا الميدان هو المطرح الذى يرسى فيه المترجم عمله على النص عند التقاء درجة من الذاتية مع قدرٍ من التواريخية historicity ، ولسوف نقف أمام حالتين اثنتين من حالات بيئة المترجم كتصويرين للأمر، بالإشارة إلى "موريس - إدجار كواندرو" Maurice-Edgar Coindreau ومارسيل دوهاميل Marcel Duhamel . إذ يبدو أن بيئتَيهما مختلفتان كل عن الأخرى - بصورة عميقة - مع أن ترجماتهما نُشرت فى نفس دار النشر، وهى "جاليمار" Gallimard ، ولسوف نفحص الوضع التعليمى لفكرتىْ أو مفهومىْ "البيئة" و"الميدان" وشروط التريخية historicitization فيما يخص الترجمة، وإنتهاجًا لـ "التركيبية البنيوية" التى قال بها "بورديو"، فإن "المتكفلين بالترجمة" سوف يُنظر إليهم بصفتهم لاعبين لدور المؤدين العمليين الذين يمارسون سلطتهم بطريقة علاقاتية (نعت صناعى من علاقات. المترجم) وأقصد هنا بطريقة تنافسية إلى جانب كونها تعاونية.

يلزمنا - لكى نفهم الإنتاج الأدبى حق الفهم - أن نتناوله خلال مصطلحاتٍ علاقاتية، عن طريق بناء الميدان الأدبى أى فضاء المواقف المتخذة prises de positions

(من جانب الأديب) وهى المواقف الممكن اتخاذها فى فترة زمنية معينة فى مجتمعٍ معيَّن، وتنبع هذه المواقف المتخذة من اللقاء بين اتجاهات يكتسبها المترجمون (بيئاتهم التى تشكِّلها سيرتهم المهنية فى المجتمع) وبين موقفهم داخل نطاقٍ من الاتجاهات التى يحددها توزيع شكلٍ محدد للرأسمال. ("بودريو ١٩٨٣: ٣١١) .

١ - مقدمة

يُفرِّق كثيرون - عادة - فى ميدان الدراسات الترجمية بين الدراسات التى تتناول المنتجات القائمة، وتلك التى تحاول تحليل القرارات المحددة التى يتخذها المترجم خلال عملية الترجمة، وكان "جيمس هولمز" هو أول من أدخل التفريق بين العملية والمنتج فى سنة ١٩٧٢ (Holmes 1988) [1]، وهو التفريق الذى أصبح الآن كلاسيكيًا. وتتضح جدواه فى الإشارة إلى الحالات المختلفة للمعكوسية reflexivity (=صيغة معينة للأفعال يكون فيها الفاعل هو نفسه المفعول. مثال : أغتسل. المترجم) وبوسع دراسة الترجمة أن تركِّز بصورة أكثر تحديداً على العمليات الذهنية أو على تحليل الخطاب فى الترجمة، أو على مفاهيم أكثر برامجية تهدف إلى فهم ما يمكن للترجمة/ أو يتعين عليها، أن تكون عليه. أما دراسة الترجمة كمنتج فلا تعنى - من زاوية وصفية - سوى فحص العوامل التاريخية والاجتماعية التى تتصل - بقوة - بالترجمة فى زمنٍ ومشروع معينين. ونتيجة لذلك، نجد أن النهوج الموجَّهة - عملياتيًا (نعت صناعى من عملية process . المترجم) أقل اهتمامًا بكثير بالبعد التاريخى للنشاط الترجمى ، وأكثر كثيراً بالسمات الوصفية له، فى الوقت الذى تهدف الدراسات الموجَّهة - منتجيًا (نعت صناعى من منتج product . المترجم) فيه إلى إعادة تركيب المنطق التاريخى الذى تسيَّد خلال انبثاقها. ودراسة الترجمة بصفتها منتجًا تسعى - وهذا هو أفقها النهائى - لاستكمال المعرفة التاريخية بشريحة ثقافية من فضاءٍ معين فى زمنٍ معيَّن، كما تنشد وضع الترجمة كأحد محدداتها أى تلك الشريحة فى ذلك الفضاء فى ذلك الزمن.

هناك إمكانية نظرية أخرى، مع أنها لا ترقى تماماً إلى رؤية جديدة إلى الترجمة. وتتمثّل فى النظر إلى الترجمة باعتبارها "إنتاجاً"، وعلى هذا الإشكال الذى يدور بشأن الترجمة كإنتاج أود أن أركّز فى هذا المقال.

وخلال تركيزى هنا أعتزم أن أشرح – فى نفس الوقت – ما هو كامن فى قلب هذا النهج، وأقصد بذلك النموذج الذى ابتكره "بيير بورديو" أى "التركيبية البنيوية".

قبل التطرق لهذا النموذج، قد يكون من المفيد أن نعيد إلى الأذهان أن "بورديو" بدأ للتو يجذب أنظار الدارسين فى ميدان الترجمة، وعلى سبيل المثال يفحص "دانييل سيميونى" Daniel Siméoni فى مقال عنونه باسم "الوضع المحورى لبيئة المترجم"، مسألة البيئة المتخصصة للمترجم والدور الأولى الذى يمكن أن يلعبه فى الدراسات الترجمية. ويراجع "ثيو هيرمانز" Theo Hermans فى كتابه "الترجمة فى أنساق" Translation in Systems مساهمة "أندريه لوفيفر" André Lefevere فى نقاش دار على وجه الخصوص حول فكرة "بورديو" عن "الرأسمال الثقافى". ومن جانبى، أعالج فى كتابى "سوسيولوجيا الترجمة" Sociologie de la traduction (1999) تاريخ ترجمة روايات الخيال العلمى الأمريكية إلى اللغة الفرنسية خلال خمسينات (=خمسينيات عند المتفاصح. المترجم) القرن العشرين من وجهة نظر "سوسولوجيا الثقافة" التى قال بها "بورديو".

وبناء عليه فإن نظرية "بورديو" فى الثقافة آخذة – بكل تأكيد – فى كسب الأرض أى فى الاستحواذ على القبول فى الدراسات الترجمية، ولسوف أختبر الآن – وبصورة موجزة – الأسس التى تنهض عليها هذه النظرية وإمكانية تطبيقها فى ميدان الترجمة. يحدد "بورديو" التركيبية" على هذا النحو:

"هناك نشأة اجتماعية مزدوجة، فمن جانب نُظُم الإدراك نجد الفكر والعمل اللذين يعدان مكوِّنَيْن لما أدعوه بالـ "بيئة" habitus ، ومن جانب الهياكل الاجتماعية – نجد على وجه الخصوص – ما أدعوه بالميادين والمجموعات – وبالتحديد – تلك التى نسمِّيها فى العادة بالطبقات الاجتماعية." ("بورديو" ١٩٨٩: ١٤)

يمكننا – دون عناء – تطبيق نموذج "بورديو" التركيبية (سوف نعرض المكون البنيوى فى النموذج فى ختام هذا المقال) على الترجمة، أضف إلى ذلك أن هذا النموذج يسلِّط ضوءًا على مظاهر يغفل عنها الباحثون على نحوٍ متواتر، كما سنرى.

تتمثَّل إحدى لزوميات التركيبية الاجتماعية فى أنها تعالج الحالات الواقعية للأمور فى مجتمعٍ معيَّن فى لحظة معينة فى تاريخ تلك المجتمع، فالتركيبية الاجتماعية لا يمكنها أن تقتنع بتلك التمرحيل periodization الغامض لجسمور متباين، وفى سبيل تحليل يقول باستلهام: هذا النموذج يكون ضروريًا أن يخرط الأنشطة التى يفحصها فى وسطٍ اجتماعى، milieu بالمعنى الكامل للمصطلح، وفى عبارة أخرى سوف يركز هذا النوع من التحليل – من جانبٍ – على المبتكرات التى يتوصَّل إليها "الوكلاء"، وهم منتجو النصوص رهن النقاش، ومن جانبٍ آخر على الشروط المؤسساتية والهيكلية التى تقف وراء نشأة الإنتاج رهن البحث، والوسط الاجتماعى ليس أى شئ آخر سوى إطار يسكِّن فيه الباحث نصًا ما قد يسبق فى الوجود الوسط إلى حدٍ ما أو يظهر إلى الوجود بصورة مستقلة عنه. فأى نص – سواء أكان مترجمًا أو غير مترجم – ينتج عن عملية إنتاجٍ اجتماعية. ويستحيل بالتالى النظر إليه باعتباره منفصلاً عما هو اجتماعى، فمن شأن هذه النظرة أن تسحبه بعيداً عما يجعل منه نصًا – بكل ما يحتويه – بدءًا من إبداع منتجه إلى القوالب الجامدة التى يعيد تكرارها، وهى القوالب المتجذِّرة فى "التسابيح" السائدة، ويملك الجسمور خصائص معينة، وفى سبيل عمل تحليل يقوم على التعارض سوف نقارن بين جسمورات متميِّزة حتى نحدد تلك الخصوصيات. ترى كيف تعرِّف الترجمة نفسها فى هذا السياق؟

٢ – البيئة والترجمة

تعد الترجمة – مثلها فى ذلك مثل أشكال المنتجات المكتوبة الأخرى – ميدانًا مفتوحًا أمام تحليل الدارسين، إلاّ أنها تختلف عن سائر الأعمال المكتوبة الأخرى فى وجود أربعة عناصر على الأقل تتدخل فى عملية إنتاجها، وهذه هى: النص المصدر

(ومحدداته) والنص المستهدف (ومحدداته) والمترجم كذاتية، والمترجم مرة أخرى كتواريخية، وهذه العناصر تتمتع بعلاقاتٍ تربط بينها برباطٍ وثيق، ويمكننا توصيفها بمصطلحات "بورديو" خلال فكرتىْ أو مفهومىْ "البيئة" و"الميدان".

نستطيع تعريف "البيئة" ("بورديو" ١٩٩٠ : ٥٣) الخاصة بالمترجم بصفته منتجًا كـ "اتجاهٍ دائم أو معمِّر وقابل للتبديل، يكتسبه كيان مجتمعي يستثمر فى الممارسة المبادئ المنظَّمة التى رُكِّبت اجتماعيًا خلال مسيرة تجربة متحيِّزة مكانيًا وزمنيًا. وقد يبدو من الطبيعى فى عالم اليوم – على سبيل المثال – أن يكون المترجم الفرنسى للأدب الأمريكى قد درس اللغة الإنجليزية فى المدرسة الثانوية. غير أن المهارات التى تحتاجها ممارسة الترجمة سوف تتطلب الاكتساب – كما هو معهود – فى مؤسسة لتدريب المترجمين على أداء عملهم. غير أن المهارات المكتسبة بحد ذاتها لا تحوِّل أى شخص لمترجم، فلكى يصبح المرء مترجمًا يتعيَّن عليه أن يصب موضع التطبيق أنشطته أى قدراته فى ميدانٍ محدد. وتتشكل العلاقة بين الاتجاهات أو المهارات المتحققة لبيئة المترجم وموضع المترجم إزاء النص المرشَّح للترجمة، أى إزاء نصٍ ينتمى لميدانٍ معيَّن، وقتما يصبح النشاط الترجمى مسألة روتين، عندما تدخل البيئة كجزءٍ لا يتجزأ فى عملية الترجمة فى الميدان.

تعد الترجمة إنتاجًا منذ اللحظة الأولى لمولدها – أى لحظة انبثاقها – فهى ليست بعدية a posteriori أى ليست منتجًا يُنظر إليه فى ضوء الاستخدام الذى يجرى له فى وقتٍ لاحق فى إطارٍ معيَّن وفقًا لأعرافٍ أعيد بناؤها بالانتفاع بالحكمة بأثر رجعى hindsight ، ويقوم العامل الخبير أى المترجم بتسكين عمله بالاشتراك مع الذاتية والتواريخية، وذلك كملتقى للذاتية المتترِّخة historicized subjectivity والتواريخية المتذيتة subjectified historicity ، ويتمثَّل الحس العملى للمترجم فى السهولة التى ينتج بها ترجمة تُنقش فى ميدانٍ معيَّن. (٢) والميدان – بصفته ذاتية – يوفِّر الطريق للممارسات الذاتية التى تنتج نفسها فى نفس الوقت، خلال المران على الأنشطة النابعة من الميدان، ذلك الميدان الذى يبنى الاتجاهات الذاتية المحددة للمترجم كعامل خبير.

وهذه الاتجاهات الذاتية التي تتشكَّل في الممارسة التاريخية وتتجسَّد في بيئة معينة، هي التي يعيد المترجم عندئذٍ استثمارها في الميدان الذي كانت قد تسيَّدت في البداية نشأته، وهناك تجد شروطًا مواتيةً للإفصاح عن نفسها.

يتصل ما هو عنصر مكوِّن في التجربة في تصوُّر مجرد in abstracto ببيئة مكتسبة في ميدانٍ مخصوص، وهو ميدانٌ ينتمي إليه أيضًا النص المزمع ترجمته. ومع ذلك فالميادين ليست مغلقة تمام الإغلاق، فنتيجة لساميتها permeability النسبية نجد أن بيئة الترجمة قد تتغيَّر من ميدانٍ لآخر ومن نصٍ لآخر، وعلى سبيل المثال من السوسيولوجيا إلى الأنطولوجيا enthology ، غير أن الميادين البعيدة للغاية الميدان عن الآخر – تلك التي لا تشترك في ركائز متجاورة، مثلما هو الحال مع الفيزياء والفلسفة – لا تكشف عن سماتٍ رابطة تعبِّر عن نفسها في شكل اتجاهاتٍ تُكتسب في ميدانٍ وتسري في ميدانٍ آخر.

(٣) حالاتان من حالات بيئة المترجم «موريس – إدجار كواندرو» و «مارسيل دوهاميل»

تُرى كيف يكتسب المترجم بيئته؟ وبكلماتٍ أخرى، كيف يهضم المترجم التدريبات على الترجمة؟ فلنأخذ مثالاً من الميدان الأدبي، وإثنين من أعلى المترجمين الناطقين باللغة الفرنسية في الميدان صيتًا، "موريس – إدجار كواندرو"، مترجم الروائي الأمريكي "وليم فوكنر" (١٨٩٧–١٩٦٢) وكان قد حصل علي درجة جامعية في اللغة الأسبانية، ولم يبدِ في البداية اهتمامًا كبيرًا بأدب أمريكا الشمالية. إلاَّ أنه عقد في "مدريد" في مطلع عشريتات (=عشرينيات عند المتفاصح.المترجم) القرن العشرين علاقة صداقة مع "بيب روبلز" Pepe Robles ، الذي قدَّمه إلي " جون دوس باسوس" John Dos Passos . وفي ١٩٢٣ نزح "كواندرو" إلى الولايات المتحدة، حيث اشتغل بتدريس اللغة الفرنسية في جامعة "برينستون"، وقد اضطلع بترجمة "تحوُّل مانهاتن" Manhatten Transfer

(المنشورة فى سنة ١٩٢٨) كى يتقن - كما قال فى إحدى المقابلات التى أجريت معه - العامية الأمريكية ("كواندرو" ١٩٧٤: ٣٦-٣٧)، وتلك هى إحدى خصائص بيئته المركّبة: تعلّمها خلال الترجمة فلقد كانت معرفته بالإنجليزية الدارجة والعامية فى مستهل عمله، مثقلة بالقوالب القديمة التى ترد - عادة - فى الكتب bookish ، ولكن هذه اللغة أسرته بعد تجربته الأولى معها، وأصبح الناطق الرئيسى والمترجم إلى اللغة الفرنسية - لنوع خاص من الأدب الأمريكى - أدب الولايات الجنوبية للولايات المتحدة. وفى ظل إزدرائه لما كان يُطلق عليه كتَّاب "الجيل المفقود" (اسم صكَّته "جيرترود شتاين Gertrude Stein") ، تحولَّ "كواندرو" بشوق كبير إلى جنوب الولايات المتحدة، وقارن تجربة الولايات الجنوبية خلال الحرب الأهلية والنتائج التى أسفرت عنها مع تجربة "الشوانيين" Chouannerie (= هم المتمردون ومعظمهم من مهربى الملح والمتاجرين فيه، وقد فشل تمردهم الذى نظموه فى غرب فرنسا فى سنة ١٧٩٣ وانضموا خلاله إلى الملكيين. المترجم) وثورة "فيندى" Vendée الملكية المضادة التى باءت بالفشل أيام الثورة الفرنسية، وكان ذلك بمثابة مكوِّن عميق فى تركيب أو بناء بيئة "كواندرو" وتقع فى موضع القلب بالنسبة لمساره الاجتماعى: كان يفضِّل - بصورة ملحوظة وواضحة لا لبس فيها - كُتَّاب الولايات الجنوبية ("وليم فوكنر" على رأس القائمة) نظرًا للتشابه بين نظرتهم للعالم Weltanschauung وبين نظرة "الشوانيين" إلى العالم، وهى وجهة نظر تتميَّز بـ "قهر الفشل" failure overcome ، ولو كان يمتلك موهبة الكتابة - هكذا يرى الأمر - لكان قد كتب عن "الشوانيين" بدلاً من ترجمة أعمال تتناظر مع تجربتهم. ("كواندرو" ١٩٧٤: ١٠٣)

نتحوَّل الآن إلى حالة تتعارض بشكلٍ حاد مع هذه الحالة، وهى حالة "مارسيل دوهاميل"(١٩٧٢)، والمقارنة هنا طبيعية؛ نظرًا لأن كلاً منهما اشترك فى ترجمة رواية "عناقيد الغضب" للروائى الأمريكى "جون شتاينبيك" فى سنة ١٩٤٧ . (٣) ويعد "دوهاميل" إلى حدٍ كبير مترجمًا علَّم نفسه بنفسه، فلقد انتهت دراسته بالمرحلة الابتدائية، وظل يجهل اللغة الإنجليزية تمامًا حتى بلغ الخامسة عشرة من عمره، وفى سنة ١٩١٥ وجد نفسه فى مدينة "مانشستر" (مدينة تقع بشمال غرب إنجلترا،

وقد تميَّزت المدينة بغزل ونسج القطن وشهدت بشائر الثورة الصناعية وفى القرن التاسع عشر كانت ثانى كبرى مدن بريطانيا. المترجم) حيث تعلم أو "لقط" الإنجليزية خلال عمله فى أحد الفنادق التى يملكها أحد أعمامه، وبعد الحرب العالمية الأولى أدى الخدمة العسكرية – ومعظمها كان فى "إستانبول" – حيث التقى بـ "جاك بريفيه"Jack Prévert وخلال عشرينات (=عشرينيات) أصبح مديراً لفنادق عمه فى العاصمة الفرنسية "باريس"، وسكن فى شارع القلعة rue de Château مع كلٍ من "جاك بريفييه" و"إيف تانجى" Yves Tanguy الرسَّام، مستمتعًا بأسلوب الحياة البوهيمى الذى كان يعيشه السرياليون. وقد جرَّب ترجمة رواياتٍ بوليسية، كـ "الثلج الأخضر" تأليف "راؤول ويتفيلد" Raoul Whitfield وفى وقتٍ لاحق "القيصر الصغير" لـ "دبليو.آر. بيرنيت"، وهى الترجمة التى صنعت شهرته، وانضم إلى شركة "توبيس كلانج – فيلم"-Tobis Klang film فى "دبلجة" الأفلام الأنجلو – أمريكية، وذات يوم أعطاه "مارسيل أشار" Macel Achard ثلاثة كتب كى يقرأها "هذا الرجل خطير"This Man is Dangerous و "اللبلاب السام" Poison Ivy لـ "بيتر شينى" Peter Cheyney و"لا توجد أركارديا للآنسة بلانديش" No Archid for Miss Blandish من تأليف "جيمس هادلى تشيز" James Hadley Chase ، وفى نوبة من نوبات الحماس ترجم الكتب الثلاثة دون أى أمل فى رؤيتها مطبوعة، ولكنها أصبحت فى نهاية المطاف أول ثلاثة عناوين فى سلسلة تسمَّى "السلسلة السوداء" Série noire ، تلك السلسلة التى وافق "جاستون جاليمار" على نشرها اعتباراً من سنة ١٩٤٤ فصاعداً؛ وقام "جاليمار" بإيفاده إلى إنجلترا كى يتفاوض على حقوق الترجمة ونشر أعمال كلٍ من "إرسكين كولدويل" Erskine Caldwell و"جون شتاينك" و"داشيل هاميت" Dashiel Hammett و"رايموند تشاندلر" Raymond Chandler ، بالإضافة إلى كلٍ من تشيز" و"شينى"، الذى قابله شخصيًا، ولما كان حريصًا على مواصلة مسيرته بالتوافق مع تاريخه السابق، فلقد ملك عمله المهنى كمترجمٍ وناشرٍ للمؤلفين الأمريكيين وأحد كتَّاب "السلسلة السوداء" عليه فؤاده.

ويتلخَّص الملمح الرئيسى لترجمات "دوهاميل" فى استعماله للصيغ الدارجة والعامية، تلك التى كانت طريقة فريدة وأصيلة للترجمة فى ذلك الوقت، وإلى ما بعد الحرب العالمية الثانية.

وبصرف النظر عن نوع الأدب الذى كان ليترجم، ارتفع المترجمون الفرنسيون – دومًا – بالنصوص الأصلية إلى "ترجمة تأليبية" Literarization (=إضفاء طابع أدبى.المترجم) راقية، وهو الأمر الذى يرفع، أو كما يصفه بصدق "أنطوان بيرمان"(١٩٨٦: ٧٠) بـ "إعلاء" exhaussement المستوى الأسلوبى للأصل، وعلى العكس من ذلك نجد "دوهاميل" يتبنى – عن عمد – طريقة شعبية عند نقل الأسلوب، وهو الأمر الذى يتصل – دون شك – ببيئته الأولية التى اكتسبها خلال "التقاطه" للغة الإنجليزية، خلال عمله فى مدينة "مانشستر" الإنجليزية فى الحرب العالمية الأولى وفى العشرينات (=العشرينيات) عندما كان يعيش هو ورفاقه فى "الكوميونة" السريالية فى شارع القلعة rue du château فى "باريس".

٤- بيئة المترجم والميدان الأدبى فى الترجمة

يسهل علينا أن نرى المسافة التى تفصل بين "كواندرو"، خريج الجامعة (كان يحمل شهادة "الأجريجية" agrégé فى اللغة الأسبانية) وبروفيسور – أضفى وظيفة شبه فلسفية – فى قهره للفشل التاريخى على الأدب، وبين "دوهاميل"، الذى يوفِّر الأدب له – وقبل كل شئ – متعة، وحتى بهجة أو استمتاعًا شعريًا، فالفجوة بينهما واضحة عند اختيار النصوص المرشَّحة للترجمة فى النصوص المترجمة وفى الطرق التى ترجماها فعلاً خلالها، فبينما ترجم "كواندرو" أدب "و ليم فوكنر"، وهو أدب واقعى عالى الجبين على نحوٍ بارز، مال "دوهاميل" على أنواع أدبية منخفضة القيمة مثل الرواية البوليسية. ولا نكران هنا فى اتصال الاختيار المختلف للنصوص – كما هو واضح – بذوق المترجم الذى يستند إلى البيئة التى اكتسبها، ففى حالة كواندرو" دفعته بيئته – بصورة متجانسة مع طبيعته – إلى النصوص التى تبرز صورة تراجيدية للحياة، وهى صورة فرضها على النص خلال ترجمته له، بعيداً عن مغزاه الأصلى. (٤) أما فى حالة "دوهاميل"، فبيئته (التى تشكَّلت من اللغة الإنجليزية الدارجة التى تعلمها أو "التقطها" و"استعملها" خلال شغله، ومشاركته فى الحركة السريالية، ونشاطه المهنى كمدبلج للأفلام) كل ذلك مال به نحو الأنواع الأدبية والمؤلفين الذين قام فعلاً بترجمتهم.

تفصح محددات الترجمة وهرميات (=تراتبيات) الذوق السوسيوجمالى (=الجمالى - الاجتماعى) التى تحملها عن نفسها خلال وضع بيئة المترجمين موضع التنفيذ، ولكن بعيداً عن هذه المحددات، فبيئة المترجم هى التى تستحضر صورة معينة للأدب المترجم بل وللأدب بحد ذاته per se ، وما يقع عليه اختيار المترجم لترجمته، هو الذى يضع بيئته تلك موضع التنفيذ، وبيئة المترجمين الأدبية تؤثِّر على ميدان الأدب؛ أى على الفضاء الذى يقوم مقام مشهد يصطرع فيه المنتجون المختلفون للأدب فى سبيل تحديد شكل الأدب القادم.

والآن لا تعد الترجمة عملاً محليًا، أى عملاً يتصوَّر أحد أنه سيدرج نفسه فى اتِّصالٍ continuity أو انقطاعٍ discontinuity لأى تقاليد أدبية قومية، وكقاعدة عامة تخرج الترجمات فى سلاسل معينة، يقر الجميع بأنها لـ "مؤلفين أجانب" تحمل - أى تلك السلاسل - عناوين مثل: "من مختلف أنحاء العالم" Du monde entier أو "ناثرون أجانب محدثون" Prosateurs étrangers modernes . وبهذه الطريقة يحفظ الناشرون للترجمات مسافة لا يُستهان بشأنها بعيداً عن ميدان الأدب القومى أو المحلى وتقاليده، وفى نفس الوقت يصنِّفونها داخل نطاق ميدان الأدب المحلى كذلك، ويتمثَّل الأثر الرئيسى لهذا التصنيف: "داخل" و"خارج" فى أن هذه الترجمات لا يسمح أحد لها بإشاعة الاضطراب فى هرمية الذوق الأدبى فى الميدان المستهدف. فعوضاً عن إثارة انقلابٍ عنيفٍ ومفاجئ تسفر الترجمات عن إحداث تغيُّر "خارجى" - على مراحل - فى شكل تأثير مطرد تدريجى فى قلب تغيُّر "داخلى". على أن هذه التأثيرات لا يرى أحد فيها "أجنبية"، نظراً لامتزاجها بالتغيُّر غير المتميِّز (=لا يكاد يلحظه أحد) المحلى الجارى على قدمٍ وساق.

٥ - الوضع التعليمى لـ البيئة ولـ الميدان

سوف توضِّح لنا الأمثلة أن مفهومى "البيئة" و"الميدان" مفهومان متَّصلان اتصالاً وثيقًا يتعذَّر فصله، الواحد عن الآخر، إذ لا يمكننا أن نتصوَّر هذا دون ذاك. فما هو النموذج النظرى الذى يحملهما هذان المفهومان؟ تتمثل الروح الموضوعية التى انبثقت عنهما فى أنها صفة لأداة بحثية، فوضع البيئة والميدان تعليمى، وهو ما يعنى أن هذين

المفهومين لا يهدفان على وجه دقيق إلى الوصول إلى "ما هو حقيقى" بل توفير " نقطة الاستشراف vantage point التى نراه منها. ويعد نمطهما الإنتاجى نمطًا من نوع "كما لو"، فمفهوما "البيئة" و"الميدان" يعملان على هذا المستوى "كما لو"، وهو بطبيعة الحال الشرط ذاته للخطاب العلمى – وبعبارة أخرى – نحن نسلك – ونكتب – "كما لو" كان هناك ميدانٌ موجود للأدب فى فرنسا، يصطرع فيه منتجو الثقافة – بمن فيهم المترجمون – لفرض إنتاجهم لما يتمتع به من أفضلية على إنتاج الآخرين، وصراعهم ذاك مدعوم بما حصَّلوه من خبرات فى *الصراعات السابقة*.

نخطئ – فى حقيقة الأمر – إذا قلنا أن المنتجين "يصطرعون فى سبيل فرض منتجاتهم لأفضليتها على منتجات الآخرين"، فالصراع هنا لا يدور على مستوى واعٍ عمديٍ، بل هو "كما لو" كان المنتجون يصارعون من أجل فرض رؤيتهم على واقع الميدان. وفى نموذج "بورديو" نجد أن قوة "البيئة"، أى القوة الدافعة التى تحرِّك الأشياء واقعة، ليس على مستوى الوعى بل عند مستوى المعتقدات، بمعنى أنها تعمل "على أعمق مستوى لمجمل الميول النفسية للمرء"("بورديو" ٢٠٠٠: ١٧٧).

٦ – ميدان المصدر وميدان المستهدف والتتريخ

بين كافة منتجى الثقافة؛ يملك المترجمون دورًا خاصًا يستطيعون أداءه فى ضوء الحقيقة التى تقول إن العمل الذى سيظهر فى الميدان هو موجود – فعلاً – فى نص أجنبى فى الميدان المصدر، وصراعات المترجمين بين بعضهم البعض الآخر لفرض أنفسهم فى الميدان المستهدف، ليس تمامًا من نفس نوع الصراعات التى ينهمك فى خوضها الكاتب فى الميدان الأدبى. فمتى اتخذ الناشر قرارًا بالترجمة، فإن العمل المرشح للترجمة يتحرر من الصراعات الحادة التى تخوضها الكتابات الأصلية، وبطبيعة الحال هناك نماذج كثيرة لأعمالٍ مرشَّحة للترجمة، يكون المترجمون هم الذين اكتشفوها، وعندئذٍ يقوم المترجمون بدور محررى السلاسل أو المشرفين على النشر. ولكن المترجمين – من حيث هم مترجمون – يعتبرون منتجى ثقافة فهم يتولَّون مسئولية نص أجنبى

كى يضعوه فى نطاق لغة مستهدفة، وأداؤهم متجه نحو كلٍ من النص المصدر والنص المستهدف فى نفس الوقت.

تتمحى الصلة التى تربط بين المترجم والميدان المصدر - بصورة مؤقتة - خلال عملية الترجمة: ينتزع المترجم النص من سياقه فى الميدان المصدر، وكذلك من إطاره التاريخى، ثم يعيد سلكه فى سياقٍ وتاريخٍ جديدين فى الميدان المستهدف. ومعناه أن الترجمة تحدث انقطاعًا مع الميدان المصدر، بما يشتمل عليه من صراعات وركائز لتلك الصراعات، إلاّ أن هذا لا يعنى أن المجتمع المصدر يغيب فى الترجمة. ففى الحقيقة أنه يكون حاضراً تحت قناع معيَّن فى النص المستهدف، ومنذ اللحظة التى يحصل فيها النص على الإقرار بأنه مترجم عن لغة وثقافة أجنبيتين، ومنذ اللحظة التى يُعلْن فيها عن مصدره الأجنبى بهذه الإشارة التى تظهر على صفحة العنوان: ترجمه "فلان" عن اللغة "العلانية" تقوم علاقة ما مع مجتمع الأصل، وهو الأمر الذى يُنتج رؤية لذلك المجتمع كما يبدو فى نظر المجتمع المستهدف. وحالما تظهر عبارة "ترجمه فلان عن اللغة العلانية" على صفحة العنوان تتحقق مشروعية المجتمع المصدر فى المجتمع المستهدف، أى تكون قد اكتسبت تاريخية وذاتية جديدتين، وفى حالة ترجمة الأدب الأمريكى فى سياق الثقافة الفرنسية بعد الحرب، يحق لنا أن نقول إذا كان فى طوعنا أن نقيس المشروعية (ضمن أشياء أخرى) بعدد الترجمات، فإن الأدب الأمريكى يحظى بمشروعية ملحوظة فى المجتمع الفرنسى بالمقارنة - بطبيعة الحال - بعدد الترجمات للأعمال غير الأمريكية خلال نفس الفترة.

ولعلها صورة مجتمع بأكمله، تلك التى تأتى إلى مدى الرؤية عند الترجمة. مع أن هذه الرؤية قد تكون مخطئة أو منصفة أو منحازة - وبطبيعة الحال - ليس فى طوع نص واحد أن يعكس رؤية كاملة لمجتمعه، ولا حتى رواية "بلزاك" البانورامية: "الكوميديا الإنسانية" La Comédie humaine فأى نص يرفع صورة جزئية تقتصر صحتها على القطاع الذى عولج فى إطار الإفصاح اللغوى المخصوص الذى يبنيه النص نفسه، والصورة التى تخلقها الترجمات إذا أخذناها فى كليتها للمجتمع المصدر تستحق قدراً

من الرأسمال الرمزى يجرى تبادله بين تلك المجموعات الاجتماعية المستهدفة التى تنتفع بهذا الأدب مترجماً.

٧ - تركيبية بنيوية

لا يضفى "بورديو" على تركيبيته أى طابعٍ مثالى، فهى "تركيبية بنيوية"، و"بالبنيوية أو البنيوى أقصد أن هناك داخل العالم الاجتماعى نفسه، وليس داخل الأنساق الرمزية (اللغة والأساطير إلخ) وحدها، بنيات موضوعية مستقلة عن وعى وإرادة المنتجين/الفاعلين، الذين يستطيعون توجيه وتقييد ممارساتهم وأدوارهم." ("بورديو" ١٩٨٩: ١٤) وهى تركيبية تُمارس خلالها السلطة الرمزية بالتعاون مع أولئك الذين يخضعون لها، ولكن قدراً من "الوعى" *بهذا التعاون ليس كافياً لهذه السلطة الرمزية كى تتحقق*، فالسلطة - كما سبق لنا أن رأينا - تُفصح عن نفسها فى ميادين معينة خلال كيانٍ مادىٍ صار مجتمعاً عبر المعتقدات وما تحت أيدينا الآن، بالتالى عبارة عن تركيبية تضع فى الحسبان البعد غير الواعى للفعل الإنسانى.

عند هذه النقطة يجدر بنا أن نتذكر مكوناً آخر لنموذج "بورديو"، وهو مكوِّنٌ يسلِّط الضوء على الطابع العلاقاتى للسلطة، وفى ميادين مُعينة نجد أن المنافسة هى التى تؤسس قواعد اللعبة التى تجرى بين منتجين/فاعلين متعددين، يحرص كلٌ منهم على اكتساب أحسن موقع لأنفسهم ولحلفائهم، والمنافسة المتعاونة أو المنافسة المتصارعة بين المنتجين/الفاعلين هى التى تخرج بالميدان إلى الوجود فى المقام الأوَّل، وهذا واضح فى الصراع بين الناشرين على الاستحواذ على النصوص بهدف ترجمتها والفوز بعقود من المؤلفين الأجانب ووكلائهم تُقصر حقوق الترجمة عليهم دون سواهم. وعلى سبيل المثال وقعت منافسة طاحنة بين كلٍ من "ستوك" Stock و"دلامان" Dela-main و"بوتللو" Boutelleau من جانب و"جاليمار" Gallimard من جانب آخر، انتهت بحصول الطرف الأول على حقوق الترجمة بخصوص رواية "سكوت فيتزجيرالد "Scott Fitzgerald" "ناعم هو الليل" Tender is the Night ، وقد ترجمتها "مارجريت شيفاللى"

Margurette Chevalley كى تُنشر تحت عنوان Tendre est la nuit ، مع مقدمة المشرف على الأدب "أندريه باى" André Bay .

يوزِّع المترجم بصفته منتجًا/فاعلاً خبرته أو سر صنعته على نصٍ بالتوافق مع الميدان المستهدف المعيَّن الذى ينتمى له هذا النص. على أن انتماء النص هو أمر يجرى التفاوض بشأنه بهدف تجاوزه فى الميدان المستهدف خلال الطريقة الخاصة التى يتَّبعها المترجم فى ترجمته. ونتيجة لذلك يكون اقتصاد التبادلات الرمزية هو الآخر تفاضليًا فى أن طريقة المترجم فى الترجمة تمثِّل شكلاً من أشكال التفاوض بين "ما هو ممكن" مما يتحمَّله الميدان وبين التميُّزات التى يسمح بها. ويمكننا دراسة البعد التفاضلى للترجمة عندما تتوفر عندنا ترجمات عديدة لنص واحد، أى عندما يُعاد ترجمة نصٍ ما بعد مدة من الزمن لأسبابٍ تظل فى حاجة للفحص. وفى هذه الحالة يكون التحليل التباينى contrastive analysis للترجمات ممكنًا، كما تظهر المواقف التى اتخذها الناشر والمترجم للعيان بوضوح، ولقد ترجم "موريس ريمون" Maurice Rémon الرواية التى كتبها "جون دوس باسوس" John Dos Passos بهذا العنوان "١٩١٩" ونشرتها دار Editions socials internationals فى سنة ١٩٣٧ ثم عادت "إيف مالارتيك" Yves Malartic إلى ترجمتها فى سنة ١٩٥٢ باسم "السنة الأولى فى القرن"(L'an premier du siècle (1919 . وقد نشُرت هذه الترجمة فى سلسلة "من مختلف أنحاء العالم" التى تصدرها "جاليمار" وتكشف المقارنة بين الترجمتين مواقف مختلفة تمامًا فى الميادين الأدبية المستهدفة فى فرنسا.

٨ – استنتاج

لا يُنظر إلى الترجمة بصفتها إنتاجًا، فى ضوء النهج التى رسمنا خطوطه العريضة هنا، خلال الاستخدامات التى تُكتشف لها، ولا الوظائف التى تتناسب معها أو العوامل التى تحددها، فدراسة الترجمة كمنتج تتقصى اللحظة التى تنبثق فيها الترجمة وفقًا لبيئة المترجمين النشطين فى الميادين التى تقصدهم الترجمات، وبالتالى فالترجمة بصفتها منتجًا تنهض على التعاطف بين نمط إضفاء الطابع الاجتماعى

الذى يتجسد، أى ذلك الطابع فى البيئة التى تفرض شروط الممارسة الاجتماعية للترجمة من ناحية، ومن ناحية أخرى الذاتية المترسخة أو التى اكتسبت سياقًا تاريخيًا، وهو الأمر الذى ينتج عن انتماء النص المترجم إلى ميدانٍ معيَّن، هذا التعاطف أو بعبارة "بيرمان" "الدافع إلى الترجمة" pulsion à traduire ("بيرمان" ١٩٨٦) نعثر عليه فى ذاتية المترجمين، كما تتبدى فى السير والسير الذاتية والتمهيدات والمقدمات والتعليقات التى ترد فى الختام وفى هوامش المترجم وخلافه، ولكن - وكما نعرف كلنا - هناك نقص مفجع فى الوثائق التى يشرح فيها المترجمون الكيفية التى يتصوَّرون أنفسهم عليها والطريقة التى يزاولون بها عملهم. ويرتبط هذا النقص بما يدعوه "لورنس فينوتى" (١٩٩٥) "احتجاب" المترجمين. ولكن الدراسات الترجمية لن تصل - من فورها، سن البلوغ - إلى أن يحتل المترجمون - هم أيضًا - مكانهم الذى يستحقونه فى ميدان الإنتاج الثقافى ويستشعرون الحرية فى الإفصاح عن تجربتهم الخاصة فى ميدان الترجمة.

الهوامش

(١) أضاف "هولمز" إلى هذا التفريق بين المنتج والعملية اختياراً ممكنًا ثالثًا، هو البحث الموجَّه – وظيفيًا، وهو ما لا يصادف فلاحًا تامًا على نفس المستوى من زاوية الاتصال بالموضوع المطروح، نظرًا لأن دراسة الترجمة كمنتج وكعملية يمكن أن تكون مقبولة وواقعية.

(٢) يعد الحس العملى Le sens pratique للمترجم توافقًا ضروريًا بين البيئة habitus والميدان، فخلاله يجد المرء – مباشرة – وبدون تردد، ما يجب عليه أن يفعل وما يجب عليه (التكرار مقصود. المترجم) أن يفعل بطريقة سليمة خلال ظرف الترجمة.(برديو ٢٠٠٠: ١٣٥–٦)

(٣) ترجم "كواندرو" الخمسين صفحة الأولى – على وجه التقريب – وعندئذ استكمل "دوهاميل" الترجمة، محاولاً تقليد أسلوب "كواندرو" (١٩٧٢: ٥٣٣). ويلعب "كواندرو" الدور الرئيسى هنا، نظرًا لأن "دوهاميل" هو الذى حاول جاهدًا أن يتبنى أسلوب "كواندرو" فى الترجمة التى احتاجت من يستكملها. (لمزيد من التفاصيل، انظر "جوانيفتش" (٢٠٠٠)

(٤) حلل "أنيك تشابدلين" Annick Chapdelaine (1994) كيف أن ترجمات "فوكنر" إلى الفرنسية (وخصوصًا رواية "الكوخ" التى ترجمها "رينيه أيليريه" René Hilleret عجزت عن رؤية المضامين الكوميدية للنص، كما طمست المواقف الخصوصية للهجات السود فى الولايات الجنوبية، وهذه الملاحظة تنطبق أيضًا على ترجمات "كواندرو".

الفصل السابع الترجومية (= قابلية الترجمة) بين أمشاق:

ترجمة "جرامشي" لمفاهيم "كروتشي"

ديريك بووثمان Derek Boothman

خلاصة:

طرح "توماس كوون" Thomas Kuhn في كتابه "بنية الثورات العلمية" (١٩٦٢) – بين ما طرح – المشكلة التي تدور حول كيف يمكننا أن نترجم من نسق علمي إلى نسق علميٍ آخر، وكان "أنطونيو جرامشي" Antonio Gramsci قد أثار قبل ثلاثين سنة مشكلة مشابهة في كتابه المعنون بـ "كراسات مسجون" حول الترجومية أو قابلية الترجمة والأولى التترجيم من لغة علمية إلى لغة علمية أخرى، ، وهو الكتاب الذي جاء نشره وقت ذاك خلال السنوات التي أعقبت الحرب مباشرة. وهذه الورقة تتقصى كيف تكفَّل "جرامشي" بترجمة عددٍ من المفاهيم الرئيسية إلى مشقه المادي-الواقعي، تلك المفاهيم المستخدمة في مشق مثالي من الزاوية الفلسفية مثل مشق "بينيديتو كروتشي" Benedetto Croce ، الذي يعد أكبر فيلسوف محترف عرفته إيطاليا في النصف الأول من القرن العشرين، وهو مشق وضعه الفيلسوف الإيطالي بهدف التصوير والتوضيح مع إقدامي على إعادة – تركيب والأولى إعادة بناء لتلك المصطلحات المترجمة من مشقٍ لآخر. وعلاوة على ذلك قدَّمت تعليقًا على نهج "جرامشي" تجاه الاختلافات بين الثقافات القومية وعلى رؤيته لما يؤدي إلى دقة أكبر أو أقل في مثل تلك الترجمات التي تُجرى من ثقافة لأخرى. وأخيراً ناقشت باختصار بعض الأمثلة على الترجمات التي تتم من مشقٍ لآخر، بما ذلك مشق "جرامشي" أو أمشاقٍ أخرى مشابهة وملائمة.

(١) ما معنى الترجمة من مشقٍ لآخر

تعلَّق "لويزا باسيرينى" Luisa Passerini فى العـدد الأول من السلسلة الجديـدة من "مجلة اليسار الجديد" New Left Review على ما تدعوه بـ "فشل قيام أى تقاليد مشتركة أو أى نقل للمعانى" فى منطقة محددة واحدة من العلوم الاجتماعية، الأمر الذى يشمل مؤرخين من مختلف الأجيال السياسية، وهذا ما يشير - على هذا النحو تمضى كى تقول - "ليس إلى عدد كبير من اللغات الراقية المختلفة، بل إلى صعوبة كبرى فى الترجمة من أى واحدة منها إلى الأخرى."("باسيرينى" ٢٠٠٠: ١٤٠) وقد أكَّد المرحوم "توماس كوون" على إشارة تكاد أن تكون مشابهة فى كتابه "بنية الثورات العلمية"(١٩٧٠: ٢٠٣) ثم تابعت حديثها فى الجدال الذى دار حول ذلك الكتاب بأن كثيراً من العلوم الاجتماعية يبدو موسومًا بـ "الادعاءات والادعاءات المضادة والمساجلات حول الأصول"، تمامًا مثلما كان عليه الحال فى الجدال الذى سبق "سقراط" (القبل - سقراطى) وهو الأمر الذى أسفر عن أنه "لا يشبه من قريب ولا بعيد" فى ضوء مفهومه عن مرحلة "العلم المعيارى" normal science لما يُسمَّى بالعلوم الصارمة ("كوون" ١٩٧٤: ٦) بين مثل هذه الأنماط من "الخطاب النقدى" نجد فى رأى "كوون" ليس المشاكل التى تتعلَّق بالترجومية (= القابلية للترجمة) لنفس المصطلحات الهوموفونية (= كلمات تشترك فى النطق لكنها تختلف فى الدلالة وغالبًا الكتابة. مثال: "حما" بمعنى أحد الأسماء الخمسة أو الستة فى حالة النصب وهو والد الزوج أو الزوجة، و"حمى" بمعنى فعل ماضى للمفرد الغائب ومضارعه "يحمى". المترجم) أو للمصطلحات التى تلعب أدواراً متساوية فى بنية الأمشاق المتناظرة، بل وأحيانًا عدم الترجومية (=عدم القابلية للترجمة) بحق بسبب التوصيفات المتعارضة للواقع التى يقدمها ما يطلق عليه "كوون" الأمشاق التى تمتنع على القياس عليها.

ويسهل علينا فهم هذا "الإمتناع على المقايسة" تمامًا فى بعض الحالات فى العلوم الدقيقة: هناك "امتناع على المقايسة" من ذلك النوع - واضح تمامًا - على سبيل المثال، بين النسق الذى يقول بمركزية "الأرض" والنسق الكوبرنيكى (=نسبة لـ"كوبرنيكوس")

الذى حل محله، ولكن بينما كان "كوون" يتناول اللغات الشكلية نجد سلطات معينة تتبنى – لدوافع متنوعة – رأيًا مشابهًا فى اللغات الطبيعية هى الأخرى. وقد يكون فى طوعنا أن نشير إلى الفرضية الإنسانوية (=الأنثروبولوجية) التى طرحها كلٌ من "سابير" و"وورف" Sapir-Whorf ، وكذلك إلى رأى "كين" Quine الذى يرى أن التجربة لم تحكم بشكلٍ حاسم under-determined على خطط المفاهيم المتعارضة: فى حدود شخصٍ يحط فى أرض ثقافة اجنبية دون إلمامٍ بلغتها، تصبح الترجمة الجذرية الناتجة مبهمة.

ما أود طرحه فى الصفحات القليلة التالية يتمثَّل فى محاولة الربط بين بعض مظاهر ما سبق لى أن ذكرته عاليه وبين مجموعة الفقرات القصيرة المعنونة باسم "ترجومية أو قابلية الترجمة بين اللغات الفلسفية والعلمية"، فى الكراسة الحادية عشرة من كتاب "أنطونيو جرامشى" المعنون "كراسات مسجون" Prison Notebooks . يستخدم "جرامشى" (٢٣ يناير/طوبة ١٨٩١ – ٢٧ أبريل/برمودة ١٩٣٧ مثقف وسياسى إيطالى بارز، وهو مؤسس الحزب الشيوعى الإيطالى، وقد أودعه الفاشيون بعد أن حظروا الحزب السجن فى سنة ١٩٢٦ كى يقضى ١١ سنة وراء القضبان، وخلال هذه الفترة كتب الكتاب المذكور الذى نشره تلاميذه بعد وفاته فى سنة ١٩٤٧ بعنوان Lettere dal carcere . المترجم) أيضًا، خلال تناوله الأمر من زاوية مختلفة، "المشق"، كمفهوم وحتى كمصطلحٍ فعليٍ – ولكن فى حالته – كما يُشار إليه فى ضوء العلوم الإنسانية. وقد يبدو غريبًا عند البعض أن نستشهد بـ "جرامشى" فى مسائل تتعلق باللغة والترجومية أو قابلية الترجمة، طالما انصب اهتمامه فى "كراساته" تلك إلى حدٍ كبير على السياسة، إلاَّ أن كتاباته تمضى إلى أبعد من ذلك، ولا ينبغى فى هذا الصدد أن ننسى أن دراسته الجامعية كانت فى اللغويات، والحقيقة أنه منذ أصبحت النسخة الكاملة من "الكراسات" متوفرة فى إيطاليا فى أواسط السبعينات (=السبعينيات) شرع اللغويون – هناك وأحيانًا فى كل مكانٍ آخر – يتبنُّون عددًا من استبصاراته (=نظراته الثاقبة) التى وردت فى كتاباته، ولقد نشرت [1] له حتى الآن فى العالم الناطق باللغة الإنجليزية – بين كتاباتٍ أخرى – ثلاث ترجمات منفصلة لبعض أو كل الملاحظات التى كتبها حول الترجومية (=القابلية للترجمة).

يبدأ "جرامشى" من المقدمة التى تقول بضرورة وجود نوعٍ من التشابه الكامن، كى تكون الترجمة ممكنة بين اللغات – سيان كانت طبيعية أو خلاف ذلك – أو الثقافات. ومع ذلك يجب الحذر هنا عند تحديد ماهى طبيعة الترجمة فى واقع الأمر، وهنا يحسُن بنا أن نستعيد عبارات "جرامشى": "الترجمومية (=القابلية للترجمة) لا تنطوى على "كمال" فى كافة جوانبها، بما فى ذلك الجوانب المهمة(و لكن ما هى اللغة القابلة للترجمة – بصورة دقيقة – للغة أخرى؟ وما هى الكلمة الفرد القابلة للترجمة بدقة للغة أخرى؟) غير أنها كذلك أى بالغة حد الكمال فى أساسياتها الرئيسية. ("جرامشى" ١٩٩٥: ٣٠٩) واتفاقًا مع ما يُميِّز نهجه الشامل، فإنه لا يتخذ موقفًا مطلق النزعة متخشبًا تجاه ما إذا كان فى الإمكان ترجمة المفاهيم أم لا، وهو بهذا يبدو وقد تبنى موقفًا مختلفًا عن نهج "كوون" الضمنى تجاه العلوم الإنسانية على نحو ما يقرره الاقتباس الموجز عاليه.

فما كان فى ذهن "جرامشى" هو – فى الواقع – ثلاثة أنماط من الترجمة، وهو الأمر الذى يجعل من ملاحظاته حول الموضوع مستعصية أو تكاد سواء على التكثيف أو التقاط مغزاها بصورة فورية، أولاً: بخصوص الترجمة "القويمة" orthodox من لغة إلى أخرى، وفى وقتٍ لاحق يوسِّع تعليقه هنا فى حديثٍ جانبى يحمل طابعًا معياريًا إلى حد معقول، ويلاحظ عند حديثه عن تمارين الترجمة التى يتعلمها تلاميذ المعاهد العالية من اللغات الكلاسيكية أن:

ما يبدو هوية عند بداية التمرين (كلمة rosa الطليانية = كلمة rosa اللاتينية) يكتسب تعقيدًا متناميًا مع توالى سنوات "التدريب"، إذ يمضى بعيدًا بصورة متزايدة عن المنظومة الرياضية mathematical scheme حتى يصل الأمر إلى إطلاق حكمٍ تاريخى أو حكم تذوقى، ففيه تغلب القوة التعبيرية "المتفردة والفريدة"، وهذا ما ينطبق أيضًا داخل نطاق اللغة الفرد بحد ذاتها، على التنويعات الدلالية التاريخية وعلى التنويعات المحددة – وظيفيًا داخل نطاق هذه الجملة أو تلك. ("جرامشى" ١٩٨٥: ٣٨٤–٥)

ثانيًا: يتحدّث "جرامشي" عما يمكننا أن نطلق عليه الآن الترجمة داخل نفس اللغة ليس تمامًا على النحو الذى يستخدم به "جاكوبسون" (١٩٧١: ٢٦١) المصطلح، بمعنى إحداث صياغة جديدة داخل لغة طبيعية، لكن بمعنى ترجمة بين أمشاق والأولى من مشقٍ إلى آخر، ومن باب ضرب الأمثلة يستشهد بتعليقات الاقتصادى الليبرالى "لويجى أينودى" Luigi Einaudi حول قدرة الفيلسوف البراجماتى "جيوفانى فيلاتى" Giovanni Vailati على بسط براهين على نفس النظرية فى اللغات، مماثلة للمدارس المختلفة فى الفكر الاقتصادى ("جرامشى" ١٩٩٥: ٣٠٥). ويصف فى إشارة سابقة بوقتٍ بسيط عن نفس الموضوع، هذه العملية بأنها" ترجمومية أو قابلية للترجمة متبادلة بين هذه اللغات" ("جرامشى"١٩٩٥:١٨٣) ويمضى كى يقول فى الملاحظة الأخيرة كى يستشهد بمثال آخر: قد يصل المرء – سواءً أكان يستخدم المشق الاقتصادى للمنفعة الحدية (=الهامشية) أم لا – إلى نفس التفسير للأرباح الذى تذهب إليه نظرية العمل التى تقوم على القيمة. [٢] وهنا يشير "جرامشى" إلى تأكيد "فريدريك إنجلز" (فيلسوف ألمانى عاصر "كارل ماركس" وشاركه فى تأسيس الشيوعية الحديثة، وقد حرر الجزءين الثانى والثالث من "رأس المال" بعد رحيل "ماركس" ١٨٢٠-١٨٩٥ المترجم) بأن الصيغة التى طرحها الاقتصادى الذى يقول بالنظرية الحدية "فيلهلم ليكسس" Wilhelm Lexis لنظرية الأرباح "تعادل النظرية الماركسية عن فائض القيمة" و"فى حقيقة الأمر (...) "ليست سوى صياغة للماركسية بكلماتٍ أخرى" ("إنجلز" ١٩٦٧: ٩-١٠) فى هذين المثالين، نجد رؤية للمنظومات المفهومية المختلفة باعتبارها شاملة لنفس الحقيقة بطرقٍ مختلفة. وعلى هذا النحو نتعامل مع ترجمات المفاهيم بين مختلف الأمشاق، بدلاً من لغة طبيعية إلى أخرى.

الخطوة الثالثة التى يخطوها "جرامشى" تتمثّل فى طرح تخطيط عام للشروط التى قد تتم وفقًا لها ترجمة ما من ثقافة أمة ما إلى ثقافة أمة أخرى أى ترجمة بين ثقافات. وهنا يكون المرء قد دخل فى التعامل مع خطاباتٍ كاملة قد تنتمى لميادين لا صلة بينها على المستوى السطحى، ولكنها تعكس عملياتٍ اجتماعية عند مستوى أعمق، وهذه نقطة لا يجد أحد، يلم إلمامًا طفيفًا بكتابات "ماركس" (أو "شتروس") أى صعوبة فى قبولها.

وهو يصف العملية بقوله: "البنيتان المتشابهتان بشكلٍ أساسي اللتّان تملكان بنيتين فوقيتين "متكافئتين" - تتبادلان القابلية للترجمة أي تقبلان الترجمة كلٍ إلى الأخرى، أيًا كانت اللغة القومية الخاصة. ("جرامشي" ١٩٩٥: ٣١٢) حيث يتعيَّن علينا أن نفهم عبارة "المتشابهتان بشكلٍ أساسي" بصفتها تشير إلى مجتمعات بلغت مراحل اقتصادية - اجتماعية تصلُ إلى حدٍ من التطوُّر يمكننا من عقد مقارنة بينها.

تسعى المساهمة الحالية (في النقاش) بشكلٍ أساسي إلى إمعان النظر في النمط الثاني من هذه الترجمات، في المثال الرئيسي على وجه الترجيح الذي عالجه "جرامشي" نفسه. وتلك هي الترجمة في ضوء مشقه الماركسي الخاص من المفاهيم، بعد استلامها من الفيلسوف المثالي الإيطالي "كروتشي". وفي ظل مصطلح "جرامشي" نفسه يشير البعض أحيانًا إلى العملية بصفتها ترجمة من لغة حدسية (= تخمينية) إلى مترخة (= أضفى عليها طابعٌ تاريخي) أو لغة مترَّخة واقعية، عوضًا عن المصطلحات الأكثر معيارية للمثالية والماركسية على التوالي. وآمل خلال استكشافي لهذه المنطقة ثم الاستشهاد ببعض الترجمات الأخرى بين الأمشاق، أن أشير إلى أساليب ممكنة قد تظهر فيها اختلافات أو تشابهاتٌ بصورة واضحة بين الأمشاق، وهو الأمر الذي يقود بالتالي إلى فهمٍ أعمق لمشاكل التلاؤم بين المنظومات المفهومية المختلفة.

٢ - مشق جرامشي

ليس من باب المصادفة أن يكون "جرامشي" في النصف الثاني من سنة ١٩٣٢ منهمكًا في وضع الشكل النهائي لملاحظاته حول الترجومية أو القابلية للترجمة، وفي نفس الوقت كان أيضًا مشغولاً بعمل نفس الشيئ بالنسبة لملاحظاته حول "كروتشي". ففي إيطاليا النصف الأول من القرن العشرين وقف "كروتشي" كالممثل الأكبر للتقاليد المثالية الفلسفية، وكشخصية رئيسية تقول بثقافة ديمقراطية غير - ماركسية، وتسيطر على ميادين الفلسفة والتاريخ والجماليات الأدبية literary aesthetics (=علم الجمال الأدبي). ويقول "جرامشي" عن نفسه (١٩٩٥: ٣٥٥) إنه كان "منحازًا نوعًا ما لـ"كروتشي"

خلال وعقب السنوات التى قضاها فى دراسته الجامعية مباشرة، لكنه حسم أمره معه خلال الترجمة بين الأمشاق (=من مشقٍ لآخر) التى أجراها عن "كروتشى". وقد ورد التسويغ النصوصى لهذا القول فى بداية الجزء الثانى من الكراسة العاشرة الذى عنونه بـ "فلسفة كروتشى". وهناك نجد فقرتين موجزتين يعلِّق فيهما بأن ملاحظاته حول "ترجومية أو قابلية اللغات الفلسفية والعلمية للترجمة" فى الكراسة الحادية عشرة الملاصقة، ينبغى أن تُجمع مع تلك الملاحظات التى تدور حول العلاقة بين ما قال به من فلسفة "الواقع التاريخى" [٣] والفلسفات "الحدسية"، وهو الأمر الذى يشير إلى فلسفة "كروتشى"("جرامشى" ١٩٩٥: ٣٠٦). كما أفصح بصريح العبارة – أيضاً – عن القول بأن الفلسفة الأولى: "الواقع التاريخى" تستطيع ترجمة الأخيرة أى الفلسفات الحدسية خلال مصطلحاتها، ومن هنا فإن بوسعنا أن نرى فى شغل "جرامشى" على "كروتشى" ترجمته الخاصة إلى مشق فلسفة "الواقع التاريخى" لنقطة عالية بلغتها الفلسفة المثالية فى إيطاليا.

عند الحديث عن الترجمة تقفز مشكلة – مع ذلك – لكاتبٍ مثل "جرامشى". فلأول نظرة يبدو نهجه انتقائياً إلى حدٍ كبير، والحقيقة أن المفاهيم التى يستخدمها مستقاة من نطاقٍ واسعٍ من المفكرين، وخصوصاً أولئك الذين ظهروا بعد نقطة التحوُّل التى يراها وقد تمثَّلت فى الثورة الفرنسية، ولكنها أيضاً ترجع إلى الوراء حتى "ميكيافيللى". ويتلخَّص ما لاحظه دارسو "الجرامشية" من الجيل الأخير فى أن هذا الفيلسوف عندما يضمِّن فى خطابه مصطلحاً مستقى من هنا أو هناك، دون تغيير الكلمات المستخدمة، فإن معناه يتغيَّر مع ذلك. وفى حالاتٍ أخرى قد يأخذ مصطلحاً من هنا أو هناك، وتحت ظل لافتة مختلفة، يعيد تأويله لتخليق مفهومٍ يحوز وظيفة مساوية أو مشابهة داخل نطاق حديثه هو نفسه، وكلاهما مثالان على الترجمة بين الأنساق أو من نسقٍ لآخر، مع ما يجمعهما من خاصية مشتركة تتمثَّل، سواء أكانت المصطلحات المتضمنة هى نفسها أو مختلفة، فى المفاهيم التى تتعرض لتحوُّلٍ دلالى عند نقلها ("ترجمتها") من نسقٍ لآخر، فى نفس الوقت الذى قد لا يكون الوضع الذى تحتله فى هرميَّة نسقٍ ما مماثلاً – بصورة تلقائية – لنفس الوضع فى هرمية الآخر (انظر "كوون" أيضاً ١٩٧٠: ٢٠٠).

يظهر عدد كامل من مثل هذه "الترجمات" فى خطاب "جرامشى" [٤] ، لكننا سوف نركِّز هنا - وحسب - على بعض المصطلحات التى تبنَّاها "جرامشى" وكيَّفها من "كروتشى"، وبالتحديد "التاريخ السياسى - الروحى" (انظر قسم رقم ٣ أدناه) و"جدل الفروق"(قسم ٤) ومعه السؤال العام الذى يخص الجدل، والعلاقة بين "الخطأ" و"الأيدولوجية" أو "الوهم" (قسم ٥)

٣ - التاريخ السياسى - الروحى ، والمادية التاريخية والهيمنة: قوانين تجريبية ورتبة هرمية

علَّقنا بالفعل أعلاه على الأهمية التى يحتلها "كروتشى" فى الثقافة الإيطالية، والحقيقة أن الـ "كراسات" التى كتبها "جرامشى" تحتوى على إشاراتٍ إلى "كروتشى" أكثر من أى فيلسوفٍ آخر، بلا استثناء، ومن بين المفاهيم التى ابتكرها "كروتشى" نجد مفهوم "التاريخ السياسى - الروحى" الذى انطوى على أهمية خاصة لـ "جرامشى"، والواقع أن "جرامشى" كان قد تلقَّى فى السجن كتابين من تأليف "كروتشى" هما "تاريخ إيطاليا من سنة ١٨٧١ حتى ١٩١٥" (١٩٢٨) و"تاريخ أوروبا فى القرن التاسع عشر" (١٩٣٢) وهو الكتاب الذى طبَّق فيه ذلك المفهوم، وقد اعتبرهما "جرامشى" بمثابة "الكتاب المنور؛ لكى يصير مشق الكتابة التاريخية الكروتشية" و"تاج منجزاته" ("جرامشى" ١٩٩٥: ٣٤٨ و٣٦٧ على التوالى).

يشرح لنا "كروتشى" ما كان يعنيه بمصطلح "التاريخ السياسى - الروحى" فى مقالاته التى نشرها على شكل كتابٍ فى أواسط عشرينات (= عشرينيات) القرن العشرين ("كروتشى" ١٩٢٦) وأصبحت متوفِّرة تحت هذه العناوين "التاريخ الاقتصادى - السياسى والتاريخ السياسى - الروحى" و"الصراع الذى لا ينتهى بين الكنيسة والدولة" ("جروتشى" ١٩٤٦)، وهنا يجدر بنا أن نفهم ممثلى "الكنيسة" - فى هذه المناسبة - بمعنى مجازى واسع، كى يعنى "أولئك الذين يمثلهم فى المجتمع

العلمانى الحديث، سدنة الأفكار"("كروتشي" ١٩٤٦: ١٢٩) بمعنى صفوة أخلاقية mo-ral élite من "المثقفين"، مستعملين هنا اسماً لم يكن وقت ذاك رهن الاستعمال الشائع فى شكله الإيطالى: élite . ففى هذه المقالات يشرح "كروتشـى" أن ما يعنيه بمفهومه لـ "التاريخ السياسى - الروحى" هو تاريخ "روحى"، راصداً التيار الرئيسى فى التاريخ الإنسانى كتوسيع للأخلاقية على نحو ما يمثِّلها أولئك المثقفون أو الصفوة. ويتفق المعلقون على أن مفهوم "كروتشى" للأخلاق كان متصلاً وقت ذاك - بصورة وطيدة - بالحرية وتلك الحرية المزيدة ترتبط عنده بشكلٍ جوهرى، وليس مجرد ارتباطٍ اشتقاقى بالليبرالية ("بوبيو" Bobbio1998: 39-40) . وهذا المفهوم للحرية هو الذى يميِّز التاريخ "السياسى - الروحى"، كما سبقت الإشارة.

يلاحظ "روبرت كابونيرى" Robert Caponigri خلال مناقشته لتاريخىْ "كروتشى" السياسيين - الروحيين/الأخلاقيين المصاغين فى مشقين، أن "القوة السياسية - الروحية/الأخلاقية الفعَّالة والإيجابية فى القرن التاسع عشر كانت الليبرالية، التى أمدت ذلك القرن بمثاليته وإرادته الأخلاقية الفعالة" وأن إحدى "التيمات" (= جمع "تيمة") الرئيسية لهذه التواريخ كانت كيفية ترجمة الحرية التى تحدد الليبرالية إلى مؤسساتٍ ("كابونيرى"١٩٥٥: ١٧٥) وفى عبارة "كروتشى" الخاصة، الهدف الذى يضعه نصب عينيه السياسى - الروحى "ليس الدولة وحدها...بل أيضاً ما هو موجود خارج الدولة وبالتحديد المؤسسات الأخلاقية ("كروتشى"١٩٤٦: ٧٣). فهو - أى "كروتشى" - يميل إلى القفز على التاريخوجغرافيا الماركسية، التى كان قد "غازلها" قرب نهاية القرن التاسع عشر، وخلال تلك الفترة قبل، بصورة غير نقدية - فى رأى "جرامشى" - قراءة للماركسية كتب عنها - هو نفسه - عند انحناءة القرن بصورة لاذعة ("جرامشى" ١٩٩٥: ٤١٥-٤١٦) وهكذا فاتفاقًا مع "مراجعة" الماركسية - والأولى نبذها - تلك التى أعلن عنها "كروتشى" فى مقدمته لطبعة سنة ١٩١٧ من كتابه "Materialismo Storico ed Ec-onomica Marxistica (واحد من عدة أشياء غير متوفرة فى الترجمة الإنجليزية لذلك الكتاب) يلاحظ "كروتشى" أنه "فيما يتعلَّق بالنظرية السياسية فيبدو أن مفهوم السلطة والصراع الذى انتزعه أو خَصَمه من الدول كى يسلِّمه للطبقات، يرجع الآن مرة أخرى

من الطبقـات إلى الدول"("كروتشي" ١٩١٧: مقدمة، xvi) . وهنا يخلُص " كابونيرى" إلى نتيجـة مزدوجـة، تتمثّل بالنسبة لـ "كروتشي" فى، أولاً: الحرية هـى المفهوم الذى يحدد مـاهية الروح الإنسـانيـة بطابعـها الأونطولوجى(الأنطولوجيا هـو فـرع من الميتافيزيقيا يتناول طبيعة وعلاقات الوجود. المترجم) فخلال هذا المفهوم (للحرية) نستطيع إدراك كنه الروح الإنسانيـة فى كيفيتـها النهائيـة من الوجود ... والتـاريخ السياسى – الروحى ... هو تاريخ الحرية الإنسانية، وذلك لأن الحرية شكلٌ مكوِّن للروح الإنسانية ككل" وأن ثانيًا: "مفهوم التاريخ كتاريخ الحرية يتطلَّب الحرية كمكمِّلٍ عملى ضرورى بصفتها مثالاً روحيًا – أى غاية – بل والغاية الأساسية لكل نشاطٍ عملى" ("كابونيرى" ١٩٥٥: ١٧٦–١٧٧)

وقد صدَّق على هذا الرأى "كروتشى" نفسه، الذى قال بـ "نسبة التواريخ بأسرها إلى النشاط العملى ... أى أنـها تـفقد استقلالها الذاتى كى تصبح جزءًا من أخلاق (أى تاريخ سياسى – روحى) ("كروتشى" ١٩٤٦: ٧٥). فالحرية والتحرر يمثِّلان معًا القوة الدافعة والنتيجة أو غاية التاريخ، وفى الوقت الذى يغفل فيه عن أزمنة التوتر والفقر إلخ، إلاَّ أنه لا يدرجها فى نموذجه مكتفياً بالإشارة إلى أن هناك "أزمنة يسودها الفقر والعسر، أو الجشع المسعور إلى جمع المال والطغيان والعبودية، خلال مثل هذه الأزمنة تجد الروح الأخلاقية أو الدينية نفسها وقد عجزت أو كادت عن التنفس، ومع ذلك فإن هذه الروح لا تغيب أبداً ولا تكف مطلقًا عن الحياة" ("كروتشى" ١٩٤٦: ١٢٧) وفى الحقيقة ظلت هذه الروح باستمرار أسمى ما يشغل بال "كروتشى"، وقد اتخذت شكلاً وجوهراً ملموسين غير زائفين، والنتيجة التى يخلُص إليها بخصوص العلاقة بين التاريخ السياسى – الروحى وبين المادية التاريخية لا تزيد عن أنه مثلما كان " بين أوائل الذين وصُّوا بدراسة مفاهيم المادية التاريخية، كان دائمًا ينصح بالتعامل مع "أحكامها الصارمة" على اعتبار أنها مبادئ تجريبية بسيطة للبحث"("كروتشى"١٩٤٦: ٦٨) حيث تحل كلمة "مبادئ" canons الأكثر دقة محل كلمة "قواعد" rules فى ترجمة "كاستيليونى" Castiglione ، وبذلك يكون قد خفَّض مرتبة المادية التاريخية إلى موضعٍ ثانوى فى بنية التاريخ السياسى – الروحى.

يحوز نهج "كروتشى" هنا وزن التقاليد الذهنية العظيمة الشأن، التى تقف وراءه وخصوصاً الكتابة التاريخية الألمانية، التى عرفها القرن التاسع عشر، وبهذه الصفة لا يجوز لنا طرحها جانباً دون ترو، فهى تعدل هذه التقاليد باحتوائها كل مما ترى فيه المدرسة الألمانية "بطريقة غاية فى الضيق" ما تعتبره "الدولة" (بالنسبة لـ "كروتشى" العضو "السياسى"، انظر "جرامشى" ١٩٩٥: ٣٧٢) و"ما يُعد مجتمعًا" (العضو الروحى انظر "كروتشى"، ١٩٤٦: ٧٢-٧٣). فالمنطقة المشمولة بالتناول تكاد أن تكون هى نفس المنطقة فى مشق "جرامشى"، ولكن بالنسبة له أى "جرامشى" فإن "كروتشى" لم يمضِ فى الشوط حتى منتهاه، فالكتابة التاريخية عند "كروتشى" تتكوَّن من إعادة - بناء ما يمكن أن يُسمَّى بالتناظر، مع مفهوم "كوون" عن "العلم المعيارى" normal sci-ence، بـ "التاريخ المعيارى" normal history ، ولكن كما أننا لا نستطيع أن نستوعب تمامًا مظاهر العلم المعيارى اليوم - إذا جاز التعبير - مثل "ميكانيكا الكم"quantum mechanics أو النسبية، دون الوقوف على خلفية إخفاقات الأمشاق السابقة عليهما (الميكانيكا الكلاسيكية عند تطبيقها على المستوى التحت - ذرى (= المستوى الأدنى من الذرة) sub-atomic level أو بعض مظاهر الجاذبية النيوتينية (= نسبة إلى "إسحاق نيوتين" ٢٥ديسمبر/كياك ١٦٤٢ - ٢٠مارس/أمشير ١٧٢٧ (حسب التوقيت القديم) عالم فيزياء ورياضيات إنجليزى، يعد عمله تتويجًا للثورة العلمية فى القرن السابع عشر. ولعل أهم اكتشاف له هو سر تماسك الكون: الجاذبية. المترجم) والثورة التى فتحت الطريق أمام وصول أمشاقٍ جديدة، فإن "جرامشى" يكون قد أصاب، على نفس المنوال، الهدف فى إحدى فقراته الأكثر حرارة وبلاغة، عندما يقول إننا لا نستطيع فهم تواريخ أوروبا وإيطاليا ما بعد سنة ١٨٧١ فى القرن التاسع عشر، دون أن نستعيد الثورة الفرنسية والحروب النابليونية فى الحالة الأولى وحركة الإحياء الإيطالية Risorgi-mento (= حركة سياسية نشأت فى القرن التاسع عشر تدعو إلى وحدة إيطاليا. المترجم) فى الحالة الأخرى ("جرامشى" ١٩٩٥: ٣٤٨-٤٩، ٣٣٠).

لا يزال كل هذا أبعد عن الإيحاء بأن "جرامشى" رفض التاريخ السياسى - الروحى الذى دعا إليه "كروتشى"، وهناك قولان لـ "جرامشى" ينطويان على أهمية كبيرة

فى هذا الصدد. فخلال القراءة، يحتوى نهج "ماركس" فى طياته "لمحة إلى مظاهر سياسية – روحية فى علم السياسيات politics أو نظرية الهيمنة والقبول، بالإضافة إلى مظاهر كلٍ من القوة والاقتصاد" ("جرامشى"١٩٩٥: ٣٩٩)، وتتبدى المعانى الضمنية للعبارة الأخيرة بصورة أوضح وتندرج بشكلٍ أفضل فى مشق "جرامشى" فى موضعٍ آخر: فـ "التاريخ السياسى – الروحى – إلى الحد الذى ينفصل عنده – عن مفهوم "الكتلة التاريخية" historical bloc [٥] ، وهو المفهوم الذى يحتوى تناظراً ملموساً بين المضمون الاقتصادى – الاجتماعى وبين الشكل السياسى – الروحى فى إعادة – بناء الفترات التاريخية المتعددة، لا يُعد أكثر من تقديم إشكالى لنظريات فلسفية على جانب من الأهمية، ولكنه ليس تاريخًا" ("جرامشى" ١٩٩٥ : ٣٦٠). وهنا نجد أنفسنا أمام اثنتين مما يسمِّيهما "إم.إيه.كى. هاليداى" M.A.K.Halliday انقطاعاتٍ دلالية أو قفزاتٍ ("هاليداى" و"مارتين" ١٩٩٣: ٨٢–٨٤) وواضح أن "جرامشى" يتحدَّث فى الاقتباس الأول عن مجاز أو استعارة القاعدة / البنية – الفوقية، التى يعرف جيداً أنها ترجع لـ "كارل ماركس" إذ يقول: "البنية الاقتصادية للمجتمع هى الأساس الحقيقى"لأى مجتمعٍ معين "فعليها تنهض البنية – الفوقية السياسية والقانونية" ("ماركس"١٩٧٠: ٢٠) التى كانت لتشمل – فى رأى "جرامشى" – التاريخ السياسى – الروحى الذى قال به "كروتشى" كأحد مظاهر تلك البنية – الفوقية، وتتمثَّل الفجوة الدلالية الثانية فى التكافؤ الجزئى بين "الكتلة التاريخية" وبين نموذج القاعدة / البنية – الفوقية، وقد اختفت هذه الاستعارة /المجاز بصورة مطردة بين سنتىْ ١٩٣٢و ١٩٣٣، كى تحل محلها استعارة أخرى هى "الكتلة التاريخية" blocco storico ("كوسبيتو" Cospito 1990) اللهم عندما يجرى التقسيم إلى الجزئين لأغراض التحليل.

تتمثَّل النقط الرئيسية التى تترتَّب على ما سبق، فى أنه طالما أخذنا فى حسابنا عنصر القوة، فإن مفهوم التاريخ السياسى – الروحى الذى قال به "كروتشى" يكون متناسباً مع مشق "جرامشى"، وهنا قد تكون القوة بمثابة نمطٍ من الإلزام الخارجى، مثل العلاقات التى يدخل فيها الرجال والنساء، بالاستقلال عن إرادتهم، بالنسبة لـ "ماركس" ("الإنتاج الاجتماعى لوجودهم") أو قد تكون القوة التى تخلق موقفًا جديداً

مثل الصراعات التى انطوت عليها حركة الإحياء الإيطالية أو فترة الحروب النابليونية، وكلاهما مفقود فى تواريخ "كروتشى"، أما الهيمنة فأشبه بـ "قنطورس" عند "مكيافيللى" Machiavelli (كاتب وسياسى إيطالى، يعد كتابه "الأمير"عمله الأساسى الذى عرض فيه نظريته السياسية ١٤٦٩-١٥٢٧) نصف حيوان والنصف الآخر إنسان، وهو ما يرمز إلى كلٍ من القوة والقبول، بينما بالتعريف الضيق للهيمنة كقبول، يكون التاريخ السياسى - الروحى بمثابة "تشيئ" hypostatization (=اعتبار المجرد محسوسًا. المترجم) للحظة الهيمنة، والقيادة السياسية والقبول فى الحياة وتطوير نشاط الدولة والمجتمع المدنى" ("جرامشى"١٩٩٥: ٣٤٣).

نقطة ثانية تتمثَّل فى أن "كروتشى" بينما يقرر فى مقاله الرئيسى حول التاريخ السياسى - الروحى أنه، "الوحيد دون سواه الذى يبدو تاريخًا، وتاريخًا بكل معانى الكلمة par excellence"، ومفهوم التاريخ السياسى - الروحى فى رأى "جرامشى" (يمكن تبنِّيه كـ "مبدأٍ تجريبى" للبحث التاريخى يحتاج الباحث بصفة دائمة أن يضعه فى ذهنه ... طالما كان الهدف هو إنتاج تاريخ متكامل، وليس تاريخًا جزئيًا أو تاريخًا عرضيًا غير جوهرى بالمرة "تاريخ القوى الاقتصادية بصفتها هذه إلخ") ("جرامشى" ١٩٩٥: ٣٥٨ وبصياغة مختلفة قليلاً ٣٣٢) حقًا هناك تواؤم بين التاريخ السياسى - الروحى ومشق "جرامشى"، ولكن يجدر بنا أن نلاحظ ذلك فى الترجمات المتبادلة التى يقوم بها أحد المفكرين لمنظومة يستصويها مفكِّر آخر (بمن فى ذلك "كروتشى"، بطبيعة الحال، الذى اتجه بقراءته لـ "ماركس"، عوضًا عن "جرامشى") فهناك نجد قلبًا للرتبة فى البنية الهرمية، رأسًا على عقب، فمن ناحية يرى "كروتشى" - من جانبه - أن توجُّهات المادية التاريخية ليست سوى"مبادئ تجريبية بسيطة للبحث" والمادية التاريخية التى قال بها "ماركس" ليست أكثر من "مبدأ تفسيرى للتاريخ" ("جرامشى"١٩٩٥: ٣٣٥)، وإذا كانت المدرسة الألمانية قد كتبت "تاريخًا متكاملًا"("كروتشى"١٩٤٦: ٧٢)، فإن التاريخ السياسى - الروحى" فى تجاوزه له أى لذلك التاريخ الألمانى، يكون حتى أكبر من مجرد "تاريخ متكامل"، بينما تفقد التواريخ الأخرى التى تنتمى للنشاط العملى ... استقلالها الذاتى كى تصبح جزءًا من التاريخ الروحى ("كروتشى"١٩٤٦: ٧٣-٧٤)

وواقع الأمر أن أى شئ بخلاف التاريخ السياسى - الروحى هو - بالضرورة - جزئى وأحادى الجانب ("كروتشى"١٩٤٦: ١٣٠) ومن ناحية أخرى، يرى "جرامشى"، أن التاريخ السياسى - الروحى ليس مرفوضاً - كما سبق أن رأينا - ومع ذلك ما لم يوضع باطمئنان داخل "الكتلة التاريخية"، فهو لا يعدو كونه "طرحاً إشكالياً لمقدمات فلسفية مثيرة للأهمية، لكنه ليس تاريخاً" ("جرامشى" ١٩٩٥: ٣٦٠)

فى هذا الحوار بأكمله، الذى تأتى مساهمة "كروتشى" فيه من كتاباته التاريخية ذاتها وكذلك بصفة جزئية فى المراجعات التى كتبها "جرامشى" بعد الحرب لكتابيه "رسائل مسجون" Prison Letters و"كراسات" Notebooks ، نجد أن كل طرفٍ يقبل بصحة جزئية معينة فى موقف الطرف الآخر، فيقبل "جرامشى" التاريخ السياسى - الروحى كجزءٍ مكوِّن من مفهومه عن الهيمنة، بينما يقبل "كروتشى" المادية التاريخية كجزءٍ ثانوى للنوع الجديد من بحثه التاريخى، ومع ذلك فهناك قلبٌ فى هرمية الرتب، وفى ظل هذا القلب لا تشكِّل مفاهيم هذا المفكر سوى جزءٍ ثانوى فى الرؤية الشاملة لذاك.

٤ - الفروق، جدلها ومسألة رتبة البنية - الفوقية

تتمثَّل إعادة - ترجمة أخرى على جانب من الأهمية فى تلك التى أقدم عليها "كروتشى" فى مفهومه المسمًّى dialettica dei distini أى "جدل الفروق" distincts أو "جدل التفريقات" distinctions الأربعة، حسب السياق، ويعطينا فكرة عامة عن المراد - فى هذا الصدد - كلٌ من "ميور" Mure(1967) و"إتش. ويلدون كار" H.Wildon Carr (1917: 136-152) و"أورسينى" Orsini(1961: 19-21) و"روبرتس" Roberts (1987 : 77-78) و"أورسينى" مرة أخرى (١٩٦١: ٣١٧) الذى يلاحظ - إضافة إلى ذلك - أن كتاب "جوهر الجماليات أو علم الجمال" Nuovi Saggi di Estetica ("كروتشى" ١٩٢٠) المترجم للغة الإنجليزية بعنوان The Essence of Aesthetics (1921) يُوفِّر تعليقاً جيِّداً جاد به قلم "كروتشى" نفسه على ما هو متضمَّن، وقد تطرَّقنا إليه هنا.

يرى "كروتشى"، أن الروح الإنسانية تنقسم إلى روح نظرية (المعرفة) وروح عملية (الممارسة)، والأولى تنقسم انقساماً فرعياً إلى جمالية (حدسية) والفكر المفهومى الملموس ("الصدق") أما الأخرى فتنقسم إلى الأخلاقية ("الخير") والاقتصادى أو النفعى، وهو الأمر الذى يشكّل الإضافة المحددة التى أضافها "كروتشى" إلى المقولات الثلاث التى وصلت إلينا من الفكر اليونانى الكلاسيكى، ومقولة الروح الاقتصادية أو النفعية هذه تصل من الاتساع حد ضم أى شئ - بما فى ذلك - وكما يشير "جرامشى" - الحب - فقد تكون له صلة بالإنتاج وإعادة - الانتاج لوجود البشرية، ويوفّر "جدل الفروق" الذى قال به "كروتشى" التدوير **circulation** بين هذه المقولات التى تميّز كافة جوانب النشاط الانسانى.

وعلى نفس المنوال يهدف مفهوم "جرامشى" عن "الكتلة التاريخية" - بالمثل إلى أن يكون شاملاً، وبالمثل يواجه مشكلة التوصل إلى آلية للربط الفعّال بين مجالٍ من النشاط ومجالٍ آخر، فلم يخلُص إلى أن هناك قدراً من الأهمية فى المفهوم، إلاّ بعد قليلٍ من التردد تجاه على سبيل المثال، ما إذا كان بوسعنا أن نرى فى "جدل الفروق" "جدلاً" حقيقياً ("جرامشى"١٩٩٥: ٣٦٩، إبريل/برمودة - مايو/بشنس١٩٣٢). ومع أن الأمر بالنسبة له - كان بالتأكيد - مجرّد حل لفظى، إلاّ أنه يشير - بقوة - إلى "ضرورة منهجية حقيقية" ("جرامشى"١٩٩٥: ٣٩٩، ترجع إلى الشهور الأخيرة من ١٩٣٢).

وفى نفس الوقت - إلى هذا الحد أو ذاك - عندما كان "جرامشى" يكتب الفقرة الأخيرة، كان أيضاً قد بدأ فى مراجعة ملاحظاته حول النظرية السياسية التى كان قد وضع تخطيطاتها الأولية فى الشهور الأولى من السنة وأعطاها شكلها النهائى فى وقت ما بين مايو/بشنس ١٩٣٢ وأواخر سنة ١٩٣٤ ، فهنا يبدأ "جرامشى" فى استكشاف إمكانية تطبيق "الفروق الأربعة" التى قال بها "كروتشى" على منظومته هو الخاصة، "مترجِماً اللغة الحدسيــة إلى لغته التتريخية (أى الماركسية) ... وممعناً النظر فيما إذا كان للغة الحدسية هذه قيمة فعّالة وملموسة، تتفوّق على القيم الفعالة السابقة"، على نحو ما يقول فى مكانٍ آخر("جرامشى"١٩٩٥: ٣٤٤).

يرصد "جرامشى" فى ملاحظاته حول النظرية السياسية - بادئ ذى بدء - بخصوص "الترجمة" إلى مشقه لمفهوم "كروتشى" عن "الفروق"، أن "الفرق" سوف يكون بين "رتب" (gradi) البنية - الفوقية، فالمشكلة كانت فى"تأسيس وضع جدلى للنشاط السياسى (والعلم المناظر) كمستوى خاص للبنية - الفوقية" ("جرامشى" ١٩٧١ : ١٣٧). ويمضى إلى القول بأن مثل ذلك النشاط يشكِّل "اللحظة الأولى أو المستوى الأول، اللحظة الأولى التى تكون فيها البنية - الفوقية لا تزال فى طورها السابق لعملية التوفيق من مجرَّد مطلبٍ مشوَّش للإرادة (Affermzione volontaria) أى فى مرحلة أوليَّة"، وعندئذٍ يجيب: "هل بوسع المرء أن يتحدَّث حقيقة عن جدلٍ للفروق وكيف يمكننا استيعاب مفهوم دائرة تصل بين مستويات البنية - الفوقية؟"(المرجع السابق) والجواب الذى يقترحه يأتى خلال "مفهوم "الكتلة التاريخية" بمعنى وحدة العقل والطبيعة (البنية والبنية - الفوقية)، وحدة الأضداد والفروق" (المرجع السابق). وعلى نفس المنوال يسأل: ماهى العلاقة التى ستقوم هناك بين اللحظة الإقتصادية - السياسية والأنشطة التاريخية الأخرى؟ هل يمكننا الركون إلى حلٍ حدْسى لهذه المشاكل أم لابد من الاستناد إلى حلٍ تاريخيٍ دون سواه يقدمه لنا مفهوم "الكتلة التاريخية"، الذى يقول به الفيلسوف الفرنسى "سوريل"؟" ("جرامشى" ١٩٩٥: ٣٩٩-٤٠٠)

وعودٌ على بدء، يجرى "جرامشى" ترجمة، فهو يعيد تفسير أو يعيد ترجمة المفهوم الذى قال به "كروتشى" حول "جدل الفروق" كى يطبِّقه على مستويات أو رتب البنية - الفوقية بدلاً من مظاهر الروح الإنسانية، ولكننا قد نلاحظ أن الوظيفة فى المشقين هى الوظيفة المكافئة لإشباع الحاجة إلى الربط، بصورة فعَّالة بين القطاعات المختلفة للنشاط الإنسانى، وبهذا يبدو أننا وضعنا أيدينا على ما يصفه "كوون" بالتقاء أعضاء مجتمعين لغويين مختلفيْن، وقد تمكَّن أحدهما على الأقل من "تعلُّم ترجمة نظرية الطرف الآخر، وما يترتَّب عليها إلى لغته الخاصة" ("كوون" ١٩٧٠: ٢٠٢)

٥ - الأيدولوجيا والخطأ

ينهض داخل نطاق "الكتلة التاريخية"، حيث "تكون القوى المادية هى المضمون والأيدولوجيات هى الشكل"("جـرامشى"١٩٧١: ٣٧٧) سـؤالٌ آخـر بشـأن الترجمـة بين "جرامشى" و"كروتشى"، وهو سؤالٌ يدور هذه المرة حول "الأيدولوجيا" و"الخطأ". وهنـا تكـون "الأيدولوجيـا" - فى غالب الأحيـان - عـنـد "جرامشـى" هى "المجموع الكلى للأبنية الفوقية" ("جرامشى" ١٩٩٥: ٤١٣)، تلك التى تتصل ببنية اقتصادية معيَّنة للمجتمع، ولكن إيدولوجية "جرامشى"، بالاختلاف مع قراءات أخرى لـ "ماركس"، بل وربما بالاختلاف مع ما قصده "ماركس" نفسه، ليست مجرَّد إنعكاس للقاعدة الاقتصادية للمجتمع، ففى وسعها - أى تلك الايدلوجيا - أن تكون مجموع الأفكار الملائمة لتلك القاعدة، ولكنها تستطيع أيضًا أن تكون تلك الأفكار التى تنبثق من وضع الأمور فى مراحل سابقة للمجتمع، أو بالتبادل يمكن أن تمثِّل إعلاء للوضع الراهن للأمور إلى مستوى آخر، فالأيدولوجيا والأبنية - الفوقية - فى رأى "جرامشى" - عبارة عن أجزاء موضوعية من واقعٍ مؤثِّر، وليست سوى تركيبات جزافية ("جرامشى"١٩٩٥: ٣٩٥). ومع ذلك فهى ليست باقية ولا شاملة، بل عابرة من جراء هذه الأصول العملية ("جرامشى"١٩٧١: ٤٤٥)

فى مقدمة سنة ١٩١٧ لكتابه "المادية التاريخية والاقتصاد الماركسى" Materialismo Storica ed Economia Marxista (وكما سبق أن ذكرنا عاليه، وهذا النص ليس موجودًا فى الطبعة الإنجليزية) رفض "كروتشى" الموقف الذى يتأسس على أن "الأبنية - الفوقية تحوز "واقعًا موضوعيًا وفعَّالاً " بالنسبة للماركسية مدعيًا - عوضًا عن ذلك - أن الماركسية لا ترى فيها أكثر من مظاهر.

ومع ذلك فهناك نقطة تماس، فمفهومٌ يلعب بالنسبة لـ "كروتشى" دورًا مشابهًا، لأحد مظاهر "أيدولوجية" "جرامشى" هو "خطأ"، يتمثَّل فى تصورٍ مغلوط لتلك الحقائق الذهنية العابرة أو سريعة الزوال ومنتجاتٍ غير موفِّقة للنشاط العملى ("جرامشى" ١٩٩٥: ٤١٣) على أنها فكرٌ حقيقىٌ باقٍ ومستمر (فلسفة). وفى واقع الأمر يطرح

"كروتشي" نفسه هذا السؤال البلاغي ... ترى كيف يولد الخطأ ما لم يكن تدخُّلاً للنشاط العملي في الروح النظرية؟" ("جروتشي" ١٩٢٦: ٨٩)، أي إقحامًا غير مسموح به لمستوياتٍ أدنى في هرمية الفروق بين الأيدولوجيا والفلسفة في المستويات الأعلى، وفي الوقت الذي لم يكن "جرامشي" مقتنعًا فيه بالتفريق الحاد بين الأيدولوجيا وبين الفلسفة، إلاَّ أنه يرى هنا تأثيرًا للماركسية إن لم يكن إشتقاقًا فعليًا منها، ويحتل مفهوم "الخطأ" عند "كروتشي" محل المفهوم الماركسي: الوهم، وهو بصفته جزءًا من الظواهر البنيو - فوقية، وبالتالي من الأيدولوجية، ليس أي شئ آخر سوى "مقولة تاريخية عابرة من حيث طبيعتها، في ضوء التغيُّرات التي تجدُّ في الممارسة" ("جرامشي" ١٩٩٥: ٤١٣).

في إطار المصطلحات المذكورة في ختام القسم الأول عاليه، يلخِّص "جرامشي" كل هذا في قوله بأن "فلسفة "كروتشي" ليست إلى حد ملحوظٍ تمامًا سوى إعادة ترجمة إلى لغة حدسية خاصة بالتتريخية الواقعية، لفلسفة الواقع التاريخي أو التطبيق العملي. ("جرامشي"١٩٩٥: ٣٥٥)

٦ - الترجمة من ثقافة إلى أخرى

قد تكون هناك "قيمة فعَّالة" - على نحو ما حدس بذلك "جرامشي" - في مبدأ الفروق، الذي قال به "كروتشي"، وأنها توجد - بالتأكيد - في نمطٍ ما من الجدل الذي يسمح للمرء بالمرور من مستوى هرمي (= تراتبي) لآخر. وهنا تكون العجلة قد دارت دورة كاملة وعدنا إلى نفس المشكلة التي طرحناها في بداية هذه الورقة، تلك التي تدور حول الترجمة المتبادلة بين الثقافات المختلفة، وربما يبدو هذا في هيئة ترجمة من لغة للغة أخرى، ولكن الأمر - مثلما يتعيَّن أن تكون عليه بالضرورة الترجمة بين اللغات - ترجمة بين ثقافات.

بالنسبة لـ "جرامشي" ما نعرض له الآن ليس سوى تناظر ثقافي **cultural homo-logue** ، ويشير أي "جرامشي" إلى الحقيقة التي تقول إن المجتمعات المختلفة،

ويستشهد هنا بألمانيا وفرنسا عند انحناءة القرن التاسع عشر، تعبِّر بصورة أساسية عن نفس الأفكار فى الثقافات المختلفة التى تميِّزها ("جرامشى" ١٩٩٥: ٣١٠-٣١٣) وكان مصدره المباشر هنا مقالاً من مقالات "كروتشى" (١٩٥٠ طبعة جديدة: ٢٩١-٣٠٢) يشير فيه إلى مذكرة للمحامى الأكاديمى "أدولفـو رافـا" Adolfo Ravà ("رافا" ١٩٠٩). وقد تمثَّلت نقطة المرجعية الرئيسية بالنسبة لـ "جرامشى" – مع ذلك – فى العمل الذى كتبه "ماركس" الشاب "العائلة المقدسة"، الذى يمد المقارنة بتصنيف الممارسة السياسية الفرنسية والأدب والفلسفـة الكلاسيكيـة الألمانيين مع الاقتصـاديـات الإنجليزيـة ("دافيد ريكاردو") فلقد عبَّرت جميعها فى زمنها المحدد، عن تحركاتٍ كامنة فى مجتمعاتها، ولا تزيد المعانى الضمنية لموقف "جرامشى" ولا تنقص عن أن كلاً من هذه التيارات الفكرية التى تسرى فى إطار البنية – الفوقية للمجتمع، إنما يرتبط بـ"القاعدة" بسلسلة تمر خلال مختلف المستويات (=الرتب) للبنية – الفوقية ("جرامشى"١٩٧١: ١٣٧) ومن المحتمل فى رأيه، أن تمر خلال مستوياتٍ مختلفة داخل بنياتٍ متكافئة بصورة أساسية، أى مجموع علاقات الإنتاج التى يدخل فيها الناس، وبذلك يكون قد استفاد فى مشقه عن الترجمة التى تعتمد على إعادة التفسير من "جدل الفروق" الذى جاء به "كروتشى" ونوقش فى القسم الرابع أعلاه.

وبينما كان "جرامشى" يميل هنا على أوروبا الثورة الفرنسية والثورة الصناعية الأولى كى يأخذها كمشقٍ له، فإن نموذجه كان أشمل كثيراً – بطبيعة الحال – فى مداه، وإذا كان تعليله فى أى نقطة أقرب إلى الصحة، فلسوف يمضى شوطاً ما على الأقل، نحو تفسير السبب فى انبثاق حركاتٍ ثقافية واجتماعيةٍ مماثلةٍ، بصورة متزامنة إلى هذا الحد أو ذاك، فى بلدانٍ مختلفة عند نفس المرحلة من الحضارة، وتتمثل أمثلة أكثر حداثة على ذلك فى حركة الحداثة بتجلياتها المختلفة– تلك التى تبعتها تأريخياً crono-logically كـ "الأدْنوية" minimalism والتفكيكية والليبرالية – الجديدة و"الفكر النحيل" weak thought، كرفضٍ فى الفلسفة الإيطالية المعاصرة للأنساق الميتافيزيقية الضخمة، وكل ذلك عبارة عن أشكال من رد الفعـل البعـد – حـداثـى على المذاهـب السابقـة التى بالغت فى إغراءاتها عوامل مثل هـذه، وقوتها النسبية فى هذا البلد أو ذاك،

تساعد فى تحديد الخطاب المهيمن الذى يميِّز بصفة جزئية الخطاب "القومى – الشعبى" الذى حلله "جرامشى".

يحتاج التحذير – أول ما يحتاج – إلى التطبيق عند التطرق للسؤال غير البلاغى الذى طرحه "جرامشى" حول "ما إذا كان بوسع المرء أن يترجم تعبيرات المراحل المختلفة للحضارة، إلى ذلك الحد" الذى يرى عنده "أن كل مرحلة من هذه المراحل ليست سوى لحظة فى تطوُّر الأخرى" ("جرامشى"١٩٩٥: ٣٠٧). إلى أى حدٍ – على سبيل المثال – يستطيع المرء أن يترجم فى الواقع الفعلى، تجربة مجتمعٍ مستعمَر من موضع شخصٍ داخل ثقافة أمة إمبراطورية هو أمرٌ مفتوحٌ أمام الشك، فالخلاف واسع بين علاقات الإنتاج وعوامل البنية – الفوقية هنا وهناك. وينطبق تعليقٌ مناظر أيضاً عند محاولة ترجمة تجارب الجماعات العرقية والجنوسية (= ذكر/أنثى). ويلزمنا – على وجه الإحتمال – أن نعود إلى موضع متقهقر fall-back ، مقتبس فى القسم الأول عاليه، بأن "الترجومية ليست "كاملة" فى كل جانب من جوانبها، بما فى ذلك حتى الجوانب المهمة منها، ... ولكنها كذلك أى "كاملة" فى مبادئها الأساسية" ("جرامشى"٣٠٩). وعلى نحو ما يذكّرنا – عن حصافة مدهشة – "جرامشى"، فالعنصر الذهنى "يعرف" ولكنه لا يفهم باستمرار وعلى وجه الخصوص لا "يشعر" دائمًا. ("جرامشى" ١٩٧١: ٤١٨). وبدون ذلك "الفهم" وذاك "الشعور" لا يكون فى طوع أى مجتمع أن يقترب من "ترجمة" تجربة مجتمعٍ "آخر"، ولكننا إذا مضينا إلى أبعد عن ذلك فإن ذلك سيعنى دفع نموذجه بعيداً عن حدود قابليته للتطبيق والوصول إلى موقف عدم الترجومية أو القابلية للترجمة، وقد اقترحت الماركسية حلاً يتمثَّل فى "الانغماس فيما هو قومى محلى" going native، بمفاهيم كلٍ من "كوون" و"كين" وغيرهما، إزاء المشاركة فى الحركات المناهضة للإمبريالية وتلك الطبقية، إلاَّ أن هذا الحل ليس ممكنًا بصفة دائمة وربما لا يكون متصلاً باستمرار بما يدور.

٧ - بعض الاستنتاجات المؤقتة

ورد مصطلح "المشق" - بمعناه المألوف عند "كوون" - فى هذه الورقة بصورة متواترة إلى حدٍ كبير، ولقد رأينا كيف أن "جرامشى" استعمله - هو الآخر - بطريقة مشابهة فى توصيف ما كان "كروتشى" يسعى أن يفعل فى اثنين من تواريخه على وجه الخصوص، والمصطلح لا يُستعمل بصورة غير ملائمة سواء من جانب "جرامشى" أو عنه، وفى الآونة الأخيرة لاحظ اللغوى "ستيفانو جينزينى" Stefano Gensini أن "كل كلمة رئيسية - عند "جرامشى" - منظَّمة فى مستواها الأساسى، بفضل علاقاتها ... مع باقى النسق" ("جينزينى" ١٩٩١: ٧٢)، وأن فيلسوف اللغـات "فيروكشيو روسى - لاندى Ferruccio Rossi-Landi (1983: 26) يبدى ملاحظة عامة شبيهة، وحقيقة الأمر أن المصطلحات المتعددة الواردة فى خطاب "جرامشى" "تتعاون" على النحو الموصوف عاليه، فكل جزءٍ يتفاعل مع الأجزاء الأخرى، وكل الأجزاء غير قابلة للتعريف - بصورة معيارية - دون استدعاء سائر الأجزاء بطريقة تتناغم مع ملامح أحد أمشاق "كوون".

ملك الشك فى البداية أفئدة أولئك الذين استحضروا تعريفًا صارمًا للمشق تجاه ما تسمِّيه - على سبيل المثال - "هيلارى بوتنام" Hilary Putnam بالـ "فضفضة" والافتقار إلى قوانين ونظرياتٍ دقيقة، والافتقار إلى الصرامة الرياضية" فى العلوم الاجتماعية ("بوتنام" ١٩٧٥: ١٥٢)، ونظرًا لأن ما نواجهه يتمثَّل فى خليطٍ من نسق لغة - طبيعية بصورة أساسية مع عناصر من لغة شكلية، فإن الصواب - فى رأيى - يحالف "بوتنام" تمامًا، إلاَّ أن ذلك متوقفٌ على إقرار المرء بالاختلاف ، وفقًا لمصطلحات مبحث العلامات أو السيميوطيقا Semiotics بين "الإشارات" المستعملة فى الإشارة إلى المفاهيم فى العلوم الدقيقة وبين "العلامات" المستخدمة فى العلوم الإنسانية. فهنا نجد "الإشارات" عبارة عن وسائل تكنيكية للدلالة على الأشياء والأفعال والعمليات وما يُشبه تلك التى تعكس بصفة عامة مضمونًا غير - أيدولوجى، أو على الأقل أقل قدرٍ منه للنظريات الأكثر رسوخًا فى "العلم الصارم". أما العلوم الاجتماعية فصياغتها أكثر إيغالاً فى مصطلحات "العلامات" التى تشير إلى "تيمة" أيدولوجية. والعلامات "تعكس وتكسر

(بالمعنى الصوتى) واقعًا آخر..و يتوافق مجال العلامات مع ميدان الأيدولوجيا" ("فولوسينوف" Volosinov 1973: 10) ولعل "عامل الفضفضة" الكامن فى الخطاب الأيدولوجى هو الذى ظل حتى وقتٍ قريبٍ يطمس أمام أعين الكثيرين ذلك الطابع المشقى (من مشق) لخطابات مثل خطابات "جرامشى".

يتمثَّل أحد مظاهر مثل ذلك الخطاب المشقى – وكما سبق أن ألمحنا – فى أننا عند المرور من خطابٍ إلى آخر، لا يكفى لمصطلح معيَّن فى مشقٍ من الأمشاق أن يُترجَم، سواء كمماثل من الناحية الهوموفونية أو كمصطلحٍ مختلف بعض الاختلاف، فى مشق آخر. ويمكن أيضًا أن يكون لموضع المصطلح داخل بنية هرمية جانبٌ من الأهمية. فعندما يُدرج مصطلح أو مفهومٌ من الخارج – ربما تكون هناك أيضًا اختلافات أخرى – فقد يتغيَّر عند الإدراج (فى المشق) أو التوسع (فى معناه)، مثلما هو الحال مع "التاريخ السياسى – الروحى كتاريخٍ للحظة الهيمنة" ("جرامشى" ١٩٩٥: ٣٤٥)

ينبغى عند هذه النقطة أن نؤكِّد أننا لسنا مشغولين بالدرجة الأولى هنا بما إذا كان مشق "جرامشى" أو مشق "كروتشى" (أو مشق أيٍ من كان) سيعطى نتيجة أحسن، ولكن عوضًا عن ذلك بالإشارة إلى – كما يقول "كوون" فى "تأملات حول نُقَّادى" – أن اللغات تُقطِّع العالم بطرقٍ مختلفة، وهو الأمر الذى يُعد من بين الأسباب التى تجعل من الترجمة "بين النظريات أو اللغات" عملاً "بالغ الصعوبة" ("كوون" ١٩٧٤: ٢٦٨). وليس هناك – على نحو ما يذكرنا "كوون" باستمرار – "لغة للملاحظة المحايدة كى نلتمسها" (١٩٧٠: ١٤٦و١٩٧٤،٢٠١: ٢٦٦و٢٦٨) والالتماس الوحيد الذى نستطيعه هو الالتماس الذى نتوجه به إلى الواقع التاريخى الإنسانى لـ "مجتمع الخطاب"، ليس بمعنى مجتمعٍ أكاديمى بل بمعنى المجتمع نفسه خلال – وفقًا لـ "جرامشى" – هوية التاريخ (ممارسة) مع الفلسفة (نظرية) وبالتالى مع السياسات ("جرامشى" ١٩٩٥ : ٣٨٢-٣٨٣): قد يترجم المترجمون الأفراد كلمات على صفحات الورق، ولكن مثل هذا العمل – ويجب ألاَّ ننسى أنه مقحم – يمكن أن يُدرج فقط فى ثقافة وبالتالى يكون قد حاز ترجمة كاملة على أيدى أعضاء ثقافة مستهدفة.

نظَّر "جرامشى" لاستيراد هذا المصطلح أو ذاك فى مشقٍ ما، بشكلٍ واضح خالٍ من الالتباس فى كراسته الحادية عشرة، وبناء عليه فلم يكن الأمر مجرَّد قَلْب أو عكسٍ للعبارة التى استعملها "كارل مارزانى" Carl Marzani، أوَّل مترجمٍ للغة الإنجليزية لملاحظات "جرامشى" عن الترجومية (=القابلية للترجمة)، وقد عنون مجموعة أعمال "جرامشى" التى نقلها للغة الإنجليزية باسم "ماركسية أنطونيو جرامشى المفتوحة" The Open Marxism of Antonio Gramsci ("جرامشى" ١٩٥٧)، ولقد كان "جرامشى" آخذًا فى الابتعاد منهجيًا – دون أن يفطن لذلك – عن النسق الجامد المغلق فى وجه التأثيرات الخارجية، لما أصبح يُعرف باسم "الماركسية – اللينينية" وقاضيًا – فى واقع الأمر – عليها بالفناء كصرحٍ نظرى، قبل ما يزيد على نصف قرن من انهيار النسق الاقتصادى – الاجتماعى الذى بُنى عليها فى نهاية المطاف. وقد يجدر أن نلاحظ – فى نفس الوقت أن "جرامشى" رفض مفاهيم معينة طرحها زملاؤه الماركسيون، كان من المتعذر التوفيق بينها وبين نهجه الجدلى الهيجلى والإنسانوى humanist ، على نحو ما يتضح على سبيل المثال فى مساجلته مع "بوخارين" Bukharin ("جرامشى" ١٩٧١: ٤١٩-٤٧٢ ، وهناك عامل "الامتناع على المقايسة" (= اللاقابلية للقياس عليه لعدم التجانس) بين هذه الأمشاق المتنافسة – يتعذَّر فصله – بل وراجع على وجه الترجيح لموضع حاكم أو مسيطر فى هرمية المفاهيم الخاصة بأمشاقها النسبية.

يغطى مشق "جرامشى" مساحة كبرى من الأرض التى تغطيها الأمشاق الأخرى مثل المثالية الكروتشية، وبعض الاتجاهات داخل الماركسية، وبعض أنواع التفكيكية بعد – الماركسية، وهذا الموقف قريبٌ مما يقوله "هيربرت بترفيلد" Herbert Butterfield عن التبديلات التى اضطر العلماء المعاصرون الأوائل إلى الإقدام عليها: هنا يكون المرء أيضًا "يعالج نفس حزمة المعطيات، كما كان عليه الحال من قبل، ولكنه يضعها فى نسقٍ جديدٍ من العلاقات مع بعضها البعض الآخر بإضفاء إطار مختلفٍ عليها" ("بترفيلد" ١٩٤٩: ١)، وعلى سبيل المجاز، قد يكون فى طوعنا أن نتصوَّر الأمشاق وقد ضمَّت أعشاشًا عنكبوتية مثلثة الأبعاد، تمتد على نفس الرقعة من الأرض، ولكنها قد تقلب – فى بعض الأحيان – الوضع الرأسى أى الهرمى لمفهومٍ ما فى أحد الأمشاق بالمقارنة مع وضع مفهومٍ مشابه فى مشقٍ آخر.

تشمل المعانى الضمنية لهذا إمكانية ترجمة أمشاقٍ أخرى، بمعنى رؤية ما هى المصطلحات التى تتناظر، وأين تصلح فى هرمية ما، وإلى أى حد تكون البنية الناتجة معقولة، وهنا تقفز حالة من هذا النوع إلى الذهن فوراً وتتعلق بجدالٍ غير مباشر خطير آخر عرفه القرن العشرون، ويعلِّق "لوسيان جولدمان" Lucien Goldmann بقوله إن "مارتن هايدجر"(فيلسوف ألمانى يعد أحد أكبر الوجوديين فى القرن العشرين ١٨٨٩ - ١٩٧٦ المترجم) يميِّز نفسه فى كتابه "الوجود والزمن" Being and Time عن ثلاثة فلاسفة آخرين، لكنه لا يذكر منهم بالاسم سوى اثنين فقط، ولكن مواضيع الكتابة ومادتها لا تترك مجالاً واسعًا للشك فى أن هذا الفيلسوف الثالث المقصود هو "جيورجى لوكاتش" György Lukács (فيلسوف وناقد أدبى مجرى ١٨٨٥ - ١٩٧١ المترجم) ("جولدمان" ١٩٧٧: ٢٧). ويرى "جولدمان" فى تحليله أن هناك بين "الوجود والزمن" وهو كتاب ظواهرى phenomenologist وبين "("التاريخ والوعى الطبقى" History and Class Consciousness ، وهو كتابٌ ماركسى تماثلاً أو على الأقل علاقة وطيدة للغاية بين المفاهيم التى تعبِّر فى بعض الأحيان عن أفكار تكاد أن تكون متماثلة، ويمكننا - وفقًا لـ "جولدمان" - أن نحسم "الاختلاف الجذرى فى المصطلحات" بين العملين "عن طريق تترجيم، *translating* تطورات كل مفكرٍ منهما - كل على حدة - إلى مصطلحات الآخر." ("جولدمان"١٩٧٧: ١٠-١١) (التأكيد بالحروف المائلة من عندى د.ب.)

ويقدِّم لنا المفكر البراجماتى الأمريكى - الأفريقى البارز "كورنيل ويست"Cornel West مثالاً أحدث كثيراً، ولقد اعترف بديْنه لـ "جرامشى" فيما يتعلَّق بالالتزام الفلسفى، وبشأن السؤال المهم حول دور المثقفين يبدأ "ويست" فيستخدم تفريق "جرامشى" بين المثقفين التقليديين الذين يرون أنفسهم كشريحة اجتماعية مستقلة، والمثقفين "العضويين" الذين يرتبطون - بصورة أوثق - بطبقة اجتماعية معينة، وعندئذٍ يتضح لنا ما يقترب من التماثل بين المفكرين تجاه طابع العلاقة القائمة بين بلورة المثقفين العضويين للأفكار وثقافة المضطهدين اجتماعياً الذين يرتبط بهم هؤلاء المثقفون العضويون. ("ويست" ١٩٩٧: ٢١٢-٢١٣) وحول هذه النقطة - وهى ليست نقطة

تافهة على أى حال – نجد أن ماركسية "جرامشى" – مع أن الأمر لا يسرى بالضرورة على أشكالٍ أخرى من الماركسية – "تُترجم" خلال تماثل المفاهيم إلى خطاب "البراجماتية التنبؤية" prophetic pragmatism ، كما يطلق "ويست" على تطويره الخاص للفكر البراجماتى.

ثم إذا أخذنا حالة ما بعد – الماركسية التفكيكية على نحو ما يعرضها كمثال كلٌ من "إرنستو لكلاو" Ernesto Laclau و"شانتال موفى" Chantal Mouffe فبوسعنا أن نسأل هذا السؤال: هل هناك تواؤم أم أن هناك "لاقابلية للقياس" incommensurability بين رؤية "جرامشى"، التى تسند للطبقة الاجتماعية – أيًا كانت – دورًا أساسيًا داخل هذا التشكيل الإقتصادى – الإجتماعى أو ذاك فى "المبدأ الموحِّد الوحيد single "فى كافة التشكيلات المهيمنة ("لكلاو" و"موفى"١٩٨٥: ٦٩)، ومواقفها التفكيكية الخاصة، التى لا تسمح بأى مركزٍ منظِّم من هذا النوع؟ أو – عودًا على بدء – أى نوع من التوافق نجده بين الماركسية التتريخية التى نادى بها "جرامشى" وبين الماركسية البنيوية التى دعا إليها "ألتوسير" (فيلسوف ماركسى فرنسى يعد أهم ما كتبه Lire le Capital وفيه يعرض نظرياته. المترجم)

تعود بنا النقطة الأخيرة التى نتطرق لها هنا، إلى الترجمة بين الثقافات أو من ثقافة إلى أخرى، ويمدنا "جرامشى"، خلال ترجمته لنسق schema "كروتشى" الجدلى حول "الفروق" distincts ، بوسيلة للربط بين مختلف المستويات الهرمية (التراتبية) للبنية – الفوقية، الواحد بالآخر ومن هنا بالقاعدة بلغة "ماركس" المجازية، وإذا كانت القواعد أى علاقات الإنتاج بالتعريف الموسَّع للإنتاج طبقًا لـ ("مقدمة" Preface "ماركس" ١٨٥٩) – بالنسبة لمجتمعاتٍ معينة – متشابهة بصورة أساسية – وبعد ذلك – عن طريق الصعود إلى أعلى فى ضوء مجاز (=استعارة بلاغية) القاعدة / البنية – الفوقية، فإن هذه المجتمعات تملك بنياتٍ – فوقية "متكافئة" وقابلة للترجمة البنية إلى الأخرى أى بشكلٍ متبادل ("جرامشى" ١٩٩٥: ٣١٢) حيث يتناظر مجموع البنيات – الفوقية مع مجمل "الأيدولوجيات" بالتعريف "الواسع" الذى يعطيه لها

"جرامشي". وبناء عليه يُطرح نموذج يفسِّر التحركات الثقافية المتناظرة في المجتمعات القومية المختلفة، وقد تكون مثل هذه النماذج غير ناضجة، إلاّ أنها - وكما يلاحظ فلاسفة العلم الواقعيون - تستطيع - دون أن تكون، بالضرورة كاملة - أن تفسِّر ظواهر مهمة. وتتمثَّل إحدى مهام "العلم المعياري" الذي قال به "كوون" - إذن - في تحسين صلاحية النظرية لاستيعاب الحقائق - ويحدث ذلك في الغالب عن طريق إعادة تفسير "الحقائق المحمَّلة بالنظريات".

ومع ذلك يجدر بنا أن نذكر أن نموذج "جرامشي" المقترح للترجمة من ثقافة إلى أخرى يعتمد على وجود - داخل مشمول totality هيجيلي - ماركسي متناقض ومتراكب - لمركزٍ منظِّم، توفُّره القاعدة (ومن هنا التحفظات على التلاؤم مع النزعة الما - بعد - ماركسية التفكيكية وما - بعد - البنيوية المناهضة للهيجلية). وكلما كانت القواعد المجتمعية أشد تشابهًا، كلما كانت الترجمة بين الثقافات أدق وأشد إقناعًا هل بوسع نظرياتٍ مثل التفكيكية، التي تعتمد النكوص اللانهائي وترفض مفهوم المركز المنظِّم توفير نموذجٍ يمدنا هو الآخر بتفسير للترجومية (=القابلية للترجمة) المتبادلة لظواهر البنية - الفوقية؟ أم أن " في فلسفة "الواقع التاريخي"/ "التطبيق العملي" وحدها دون سواها" - على نحو ما يرى "جرامشي" - تكون "الترجمة" عضوية وثابتة الدقة"؟ ("جرامشي" ١٩٩٥: ٣٠٧) هذا سؤالٌ مفتوح - وفي رأيي الخاص - جدير بالسعي وراء جواب عليه .

الهوامش

(١) ترجع هذه الترجمات إلى كلٍ من "كارل ماروزانى" Carl Marzani ("جرامشى" ١٩٥٧) و"ستيفن آر. مانسيفيلد"("جرامشى" ١٩٨٤) وكاتب هذه السطور("جرامشى"١٩٩٥) ولأسبابٍ تتعلق بتسهيل الأمور سوف أرجع فى كل إشاراتى فى هذه الورقة إلى المجلد الأخير، الذى لا يخل أيضًا بمعلومات ضافية حول متى كُتبت هذه وغيرها من الملاحظات وأين تجدها فى الطبعة النقدية Critical Edition للكراسات. وقد أشرت هنا إلى التواريخ حيثما ظهرت حاجة ماسة لها، ولمزيدٍ من المعلومات أحيل القارئ إلى "فرانسيونى" Francioni (1984)

(٢) يرى الاقتصاديون الذين ينتمون لمدرسة "المنفعة الحدية" بعد سنة ١٨٧٠ أن قيمة أى سلعة معينة – مما يلزم عندئذٍ ربطها بطريقة أو أخرى بسعرها فى السوق – تتحدد عن طريق منفعتها للفرد أى الأهمية التى يوليها الفرد بصورة ذاتية للسلعة فى إشباع حاجته، أما "كارل ماركس" (١٨١٨–١٨٨٣) فيرى – من ناحية أخرى – أن قيمة السلعة تتحدد عن طريق كميات وكيفيات العمل المبذول فى تصنيعها أو إنتاجها (Roll: 321+269) .

(٣) ظهرت أمام الجميع صياغة فلسفة "الواقع التاريخى" فى الغالب كمجرد "حشو" على هامش "التاريخية المادية" تجنبًا لمشاكل الرقابة، وقد أقامت "ماريا روزاريا رومانوولو" Maria Rosario Romagnuolo 1987-8) الدليل على أن فلسفة "الواقع التاريخى" حلَّت محل مصطلح "المادية التاريخية" بعد منتصف سنة ١٩٣٢، حتى فى النسخ المكتوبة من جديد للمسودات الأولى للملاحظات، وهذا التغيير الواعى يؤيِّد تأكيد "جرامشى" على سمة التدخل الإنسانى إزاء القراءات الوضعية والميكانيكية للماركسية.

(٤) فى طوع المرء – دون عناء يُذكر – أن يفرز ما لا يقل عن ثلاث "دست" (=أكثر من ثلاثين) مادة رئيسية يتميَّز بها خطاب "جرامشى"، يبدو حوالى الثلث منها عبارة عن استعاراتٍ من معجم مفكرين آخرين، وقد سردت إحدى الأوراق فى الآونة الأخيرة بعض هذه الاستعارات التى تناقش المفاهيم التى تنطوى عليها بشكلٍ ضمنى، الأفكار التى تدور حول ما أسماه "الكتلة التاريخية" و"الهيمنة" ("بووثمان"١٩٠٩: ٥٨–٥٩)

(٥) "الكتلة التاريخية" مفهوم مستقى بصورة رئيسية من المنظِّر السياسى الفرنسى "جورج سوريل"، بمدخول input ، ولو أنه منكور من كتاب (طروحات حول "فيورباخ") لـ"كارل ماركس"، ويتلخَّص تعريف "جرامشى"، وهو تعريف أصولى للمفهوم، فى "وحدة البنية أو القاعدة والبنية – الفوقية" ("جرامشى" ١٩٧١: ١٣٧)، ولكن هذا المفهوم يختلف عن الاستعارة الجامدة static البنية – البنية الفوقية فى تركيزه على سمة الحركة التاريخية، وفى سبيل الاطلاع على دراسة لغوية وبالتحديد فيلولوجية أكثر تفصيلاً انظر "بوثمان" (٢٠٠٠)

الفصل الثامن الترجمة كـ "تركيمى" Terceme و"نازيرى" Nazire

مفاهيم ثقافية - الارتباط ودلالاتها فى إطار مفهومى للبحث فى تاريخ الترجيم العثمانى

صالحة بيكرSaliha Paker

خلاصة:

تناقش هذه الورقة مسألة نزع الطابع الإشكالى - فى الخطاب الأكاديمى - عن التترجيم كمفهوم ثقافىّ الخصوصية culture-specific أى تنفرد به الثقافة دون سواها، وتغطى - فى ذلك - نطاقًا عريضًا من الممارسات الترجمية خلال العهد العثمانى من القرن الثالث عشر حتى العشرين، وتقترح إطارًا مفهوميًا للبحث بهدف كسر الجمود فى النهوج المقيِّدة التى تنبع من الهموم الأيديولوجية أو المفاهيم الحديثة للترجمة، كما تدعو إلى البحث الذى ينطوى على الانغماس فى فحص معمّق in-depth لنشاط المترجمين - الشعراء ونصوصهم التى تُعتبر ترجماتٍ أو يستطيع الباحثون أن يفترضوا أنها ترجماتٍ، استنادًا إلى الأدلة التى توفِّرها التقاليد أو مناهج الدرس الحديثة، وبهذه الطريقة لا يندمج فى هذا الإطار الـ "تركيمى" Terceme وفقط، بل وكذلك مفهوم وممارسة الـ "نازيرى" Nazire أو الشعر المنافس أو الموازى. ويمكننا أن نجد سياقًا لدراسة كليهما فى مفهوم البين - ثقافة العثمانية، منظورًا إليه بصفته موضعًا أو مطرحًا حيث ينخرط المترجمون - الشعراء فى عملياتٍ بين - ثقافية فى تراكب متداخل يجمع بين كلٍ من الثقافات العربية والفارسية والتركية. ويسوق كثيرون حججهم بأن البين - ثقافة العثمانية نشأت فى إطار نسقٍ مستقل، خلال عملية تهجين لغوىٍ وأدبىٍ، وأن البحث داخل نطاق هذا السياق

يدعو إلى الاعتراف بدخول تغيُّراتٍ ظاهرة ومستترة فى ديناميات الثقافة على امتداد القرون، وكذلك فى ممارسات ومفاهيم الترجمة.

١ - مقدمة

أقترح فى الصفحات التالية إطاراً مفهوميًا للتوصيف التاريخى والدراسة الشارحة للممارسات الترجمية العثمانية فى ميدان الأدب، ويهدف هذا الإطار إلى المساهمة فى تحديد ميدان البحث فى ضوء ثلاثة مفاهيم: "تركيمى" **terceme** (ممارسة الترجمة على نطاقٍ واسعٍ للغاية)، "نازيرى" **nazire** (أى المحاكاة **imitatio** فى شكل شعر مناظر ومجيب) والبين - ثقافة العثمانية، وأسوق حججى بأن الـ "تركيمى" التى بدأت ممارستها اعتباراً من القرن الثالث عشر فصاعداً، والـ "نازيرى" التى أخذت تسيطر - بدءًا من القرن الخامس عشر - مفهومين للترجمة يرتبطان بالثقافة، وينبغى الإقرار بأنهما كذلك وبتسميتهما بهذين الاسمين الـ "تركيمى" والـ "نازيرى" فى الخطاب الذى يتعرض للترجمة. كما أقترح أيضًا أنه طالما كان الشعراء هم أول المتكفِّلين بالترجمة والنقل فى التقاليد الأدبية العثمانية، فإن من المفيد أن ندرس أنشطتهم فى ضوء نوعٍ من البين - ثقافة، ويمكننا تصوُّر البين - ثقافة العثمانية كمطرح أو موضعٍ مفترض **hypothetical** اشتغل فى نطاقه المترجمون - الشعراء ، [1] فى تراكب - متداخل من الثقافات العربية والفارسية والتركية، وهو تراكب - متداخل ينبغى تمييزه عن المفهوم السائد بصفة عامة لـ "ثقافة إسلامية مشتركة". أما الحجة الأخيرة التى أسوقها فتتمثَّل فى أننا نستطيع أن نميِّز البين - ثقافة العثمانية بحلول نهاية القرن السادس عشر، كنسقٍ ثقافى - أدبى كان قد اكتسب استقلالاً ذاتيًا من جراء التهجين، وفى هذا الإطار يكون فى طوع مفهوم البين - ثقافة هذا أن يشق منظوراً للباحثين كى يرصدوا التغيُّرات التى تدخل على ممارسات كلٍ من الـ "تركيمى" والـ "نازيرى" التى ينهض بها المترجمون - الشعراء ، كما أن فى وسعها أن تيسِّر التساؤل أو إثارة الشك فى بعض الأمشاق المستقرة فى الدراسات التاريخية - الأدبية التركية .

ولسوف يكون للقضايا المثارة هنا قدرٌ من الاتصال بالموضوع بالنسبة للباحثين الذين يسعون إلى فحص "الترجمة" من زاوية المشاكل التى تنطوى عليها سواء فى اللغة الإنجليزية أو فى اللغة/اللغات لهذه الثقافة/الثقافات التى يشتغلون فيها أو عليها. وفى طوع التساؤل والتنظير فى اللغة الإنجليزية – وهو الأمر الذى يعنى فى حالتى الشغل خارج نطاق لغتى القومية – أن يحوز تأثيراً محرراً من القيود على الباحث الذى قد يكون ساعياً وراء منبر بديل سواء للنقاش أو للتغذية المرتدة feed-back. كما يمكن أن يحوز أيضاً مؤثراتٍ إحيائية على سياق (البحث) المحلى التى ترحل عائدة إليه – بصفة عامة – هذه المناقشات التى دارت باللغة الإنجليزية (بصفتها لغة مشتركة Lingua Franca) أو خلال الترجمة.

كسب البحث فى سبيل الحصول على درجة الدكتوراة الذى يتخذ اللغة الإنجليزية كأداة للصياغة، مع بعض التركيز التاريخى على خطاب الترجمة من اللغة التركية والترجمة إليها زخماً ملحوظاً فى السنوات الأخيرة، (٢) ففى رسائل كل من "شيبنيم سوزام – سرابيفا" Sebnem Susam-Sarajeva (2002) و"شهناز طاهر – جورتشاغلار" Sehnaz Tahir-Gurçaglar (2001) نجد أن المصادر الأولية تغطى الترجمات التى تنتمى – بصفة رئيسية – إلى الفترة الجمهورية (١٩٢٣ – ولا يزال البحث الأكاديمى فى تاريخ الترجمة إلى اللغة التركية مقصور – إلى حدٍ كبير – على هذه الفترة، ويتمثّل المعنى الضمنى لقولى هذا فى أن هناك حاجة ماسة لمزيد من البحث الجاد فى التقاليد الطويلة التى تقف وراء المفاهيم والممارسات الحديثة، ويكاد التاريخ السابق للفترة الحديثة (التى بدأت – على سبيل الافتراض – خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر) وبعبارة أخرى، هناك ما لا يقل عن خمسة قرون ونصف من تاريخ الترجمة العثمانية (٣) يكاد أن يكون بكراً لم يُمس فى مشق البحث فى الدراسات الترجمية، (٤) حقًا اللغة والأبجدية التركيتان العثمانيتان ليستا فى متناول جميع الباحثين فى الميدان (٥)، وهو الأمرالذى يجعل من التعاون البين – منهجى interdisciplinary بين الباحثين فى ميدان الترجمة وبين مؤرخى الأدب والثقافة العثمانيين أشد إلحاحًا ومع ذلك فلم يؤكِّد سوى أقلية محدودة للغاية من الباحثين – فى الواقع الفعلى – على الحاجة إلى مثل تلك

الدراسات المتعاونة، ويُعد المؤرخ المعاصر "كمال كافادار Cemal Kafadar" واحداً من هذه الأقلية، مع أنه لم يقصد الدراسات الترجمية بوجهٍ خاص. (١٩٩٥: ٦٤) ففي تحليله الثاقب النظر لملاحم الأبطال المحاربين الأناضوليين في العصور الوسيطة التي تظهر وكأنها ترجماتٌ تركية لمصادر فارسية وعربية يلاحظ أن:

"يطرح نقل هذه الروايات عبر الزمن والمكان والبيئة والوسيلة كثيراً من المشاكل التي لم يتطرّق لها أحد، ويلزمنا اليوم عبور الحدود شبه الصارمة القائمة في الدراسات التركية بين الدراسات التاريخية وبين الدراسات التاريخية - الأدبية في سبيل تناول بعض الأسئلة المهمة التي تنبع من وجود هذه المواد المترابطة بشكلٍ متشابكٍ من الروايات" (المرجع السابق)

يستحق التنوع في التقاليد الترجمية قبل العصور العثمانية وخلالها وتعدد بدائلها (٦) بحثًا دقيقًا في الأسس التي يمكن منها إعادة بناء تعدديةٍ لـ "تواريخ" الترجمة ("طاهر - جورتشاغلار" ٢٠٠١: ١)، أما المصادر الثانوية التي تستطيع توفير معطياتٍ تاريخية حول مفاهيم الترجمة وممارساتها فشحيحة، وفحص هذه التقاليد الترجمية الطويلة الأمد سوف يكشف لنا كثيراً مما نحتاج إليه بشأن الاستمرار والتغيُّر في كلٍ من الثقافة والأدب واللغة.

إلاّ أن وهمًا معينًا لا يزال يسيطر: يبدأ تاريخ الترجمة التركية مع نقل المصادر الأوروبية في أواسط القرن التاسع عشر، أما القرون الخمسة أو أكثر من تقاليد التثاقف والتناص في العصور العثمانية - تلك التي شملت الفارسية والعربية - فلم تكن في واقع الأمر تقاليد عن ميدان الترجمة. ولقد لعبت الحقيقة التي تقول إنه كان من الأيسر ملاحظة الاختلافات بين النصوص-المصادرالتي ترجع إلى "الآخر" الأوروبي وبين النصوص المستهدفة التركية دوراً في ذلك بطبيعة الحال، ولكن كان للثورة الأيديولوجية الجمهورية - بتركيزها على التغريب، أيضًا - دورٌ في حصر التحليل الماضوي في ميدان الترجمة بحيث لا يرجع إلى أبعد من تنظيمات tanzimat أواسط القرن التاسع عشر، وهي الفترة التي شهدت إصلاحاتٍ مكثفة نجمت عن أول لقاء ضخم على المستوى

السياسى والثقافى - الاجتماعى تعرفه تركيا مع أوروبا. ومع ذلك، فلما كانت أمشاق الثقافة والنقد التاريخى متغيِّرة، يكون الوقت قد حان للنظر إلى القطيعة مع الماضى العثمانى والنفور التالى منه، كتحديات فى إعادة التفكير فى الانقطاع فى ضوء كلٍ من التغيُّر فى التقاليد والاستمرار، ولعل المصطلح نفسه الذى أصبح الآن عتيقًا "تركيمى" terceme بليغٌ فى هذا السياق، فلقد تبنته اللغة التركية من العربية قبل القرن الثالث عشر، ولم يسقط من الخطاب الذى يعرض للترجمة فور الإصلاحات اللغوية التطهرية الجمهورية الذى عرفتها البلاد فى ثلاثينات (= ثلاثينيات)، بل ظل رهن التداول كمصطلحٍ تقنى حتى ستينات (= ستينيات) القرن العشرين. (٧)

٢ - الترجمة كـ «تركيمى» و«نازيرى»

وجدت الحاجة إلى طبع الـ "تركيمى" بطابعٍ إشكالى حافزها فى الأفكار والمناقشات التى انبثقت من مصدرين متصلين الواحد بالآخر: من حلقات البحث التى انعقدت حول تاريخ الترجمة فى المجتمع التركى - العثمانى فى قسم الترجمة والترجمة الشفوية فى جامعة "بوغازتشى" Bogaziçi ، وهى الحلقات التى خرجت للنور بفضل مساهمات المتخصصين فى الأدب التركى العثمانى، ومن المشاريع البين - منهجية المشتركة التى بدأها نفس القسم بالاشتراك مع قسم اللغة التركية والأدب. (٨)

وفى سبيل رؤية نطاق الترجمات العثمانية لرصد وظائفها، بدأنا باستخدام تقنية الكمبيوتر فى عمل فهرسٍ مبوَّب (= كاتالوج) بالنصوص من كافة القرون، وهو العمل الذى أتْبعناه بمشروعٍ إضافى لتشكيل جسمورٍ من ترجمات الحكايات الرومانسية المكتوبة خلال النوع الشعرى المعروف باسم "مسنيفى" mesnevi (= مثنوى) من القرنين الرابع عشر والخامس عشر، (٩) وبينما كانت بعض هذه الأعمال موصوفة باعتبارها نصوصًا موازية كترجمات (فى ضوء الـ "تركيمى" والأفعال ذات الأصل التركية والفارسية والعربية التى تتصل بالموضوع) فإن كثيراً منها تميَّزت - وحسب - بأنها تحوز صلة تناصية (= بين - نصوصية) مع أصول عربية/فارسية (١٠) وإذا أعدنا النظر إلى

الماضى، ففى طوعنا أن نصوغ المشكلة على هذا النحو: ماهى المعاييرالتى سنطبقها عند "افتراض" أن نصوصًا معيَّنة هى فى الحقيقة ترجماتٍ فى الثقافة العثمانية؟ وبعبارة أخرى، لقد وُوجهنا بمشكلة تعريف المفاهيم العثمانية لما نسمِّيه translation باللغة الإنجليزية و"ترجمة" باللغة العربية و"تشفيرى" çeviri باللغة التركية السائدة اليوم؟

٣ – مشكلة التعريف: طبع الـ «تركيمى» بطابع إشكالى

تتمثَّل نقطة البدء أوالانطلاق بالنسبة لى فى الجملة الموجزة والبالغة الأهمية للمؤرخ الأدبى المرموق "أغا سرى ليفيند" Aga Sirri Levend فى كتابه "تاريخ الأدب التركى" Türk Edebiyati Tarihi : فى أدبنا القديم (أى ما – قبل – العثمانى والعثمانى) كانت "تركيمى" terceme تفيد معنى أوسع من كلمة çeviri التى تجرى على ألسنتنا اليوم" (١٩٨٤: ٨٠)، ويُتبع المؤرخ المرموق هذه الجملة مباشرة بتصنيفه الخاص لأربعة أنواعٍ من الـ "تركيمى" النوع الأوَّل: اللفظى أو الحرفى كالنوع الأقدم من ترجمات القرآن التى كانت تدرج بين السطور، كل سطر من النص الأصلى يتلوه السطر الذى يحمل النص المترجم. النوع الثانى: "الأمين" كما حدث فى وقتٍ لاحقٍ فى ترجمات القرآن وفى كثير من ترجمة الأعمال الأدبية. النوع الثالث: الترجمات الأدبية التى تشمل "نقل موضوع العمل، والنوع الرابع: الترجمة (الأدبية) بتصرف. ولكن "ليفيند" لم يقصد لهذا التصنيف – الذى يعد النوعان الثالث والرابع منه غير واضحى الحدود – أن يكون تحليليًا بل مجرَّد وصفى. ومن حسن الحظ أن المؤرخ المرموق كان يحوز ما يقول زيادة على ذلك بشأن النوع الرابع، وهو الأمر الذى هيَّأ لنا الفرصة كى نشكِّل رأيًا نقديًا بشأن آرائه هذه حول الـ "تركيمى"، فلقد كتب بشأن الترجمة بتصرُّف يقول:

لا يخطر على بال الشعراء أن يترجموا أى نصٍ مصدر – كما هو – فهم لا يعتبرون أنفسهم خاضعين للنص المصدر. فتراهم يغيِّرون بعض الفقرات ويترجمون فقرات أخرى. فالأجزاء التى يرونها على جانبٍ أكبر من الأهمية يترجمونها بشكلٍ موسَّع أو بتصرُّف، أى يضيفون إليها أفكارهم ومشاعرهم هم. والواقع أنهم يغيِّرون

هيئة العمل بطريقة يستحيل معها أن نطلق على العمل الجديد ترجمة أى çeviri (المرجع السابق)

وهنا يبدو أن "ليفيند" يريد أن يلفت نظرنا إلى التفريق الذى أوضحه فى جملته الأولية بين الـ "تركيمى" العثمانى والمعنى التركى المعاصر لـ "تشفيرى" çeviri. ولعله يقصد من وراء شرحه لمعنى "الترجمات الموسعة" أو الترجمة بتصرُّف، أن يُعرِّف الـ "تركيمى" كممارسة عثمانية للترجمة فى مقابل الـ çeviri التى يبدو أنها تعنى بالنسبة له "الترجمة الحقة" أى التى تستحق اسمها. ولكن ينبغى علينا الحذر، فالشرح الذى يقدِّمه "ليفيند" يفتقر لتحديد المصطلحات. فإشارته الجزافية فى الغالب إلى çeviri – كما هو الحال فى الجملة التالية – يقود بصفة عامة إلى التشوش، ما لم يقرأها المرء بعناية فائقة:

"مع أنهم أى الشعراء – يطلقون فى بعض الأحيان على عملهم لفظ ترجمة (يسمُّونها أولاً لـ çeviri ولكن بعد ذلك terceme) إلاّ أن هذا راجعٌ إلى الإذعان للمؤلف المصدر" (١٩٨٤: ٨١) وفى سبيل الأمثلة على هذا يستشهد "ليفيند" بثلاثة أعمال لثلاثة مترجمين – شعراء ": الترجمة التى قام "جولشهرى" GülSehri (القرن الرابع عشر) "منطق الطير" للعطار (تُوفى ١٢٢٠على وجه التقريب) والترجمة التى قام بها "قطب" Kutb (القرن الرابع عشر) "خسرو وشيرين" لـ "نظامى" (١١٤١–١٢٠٣/١٧ بالتقريب) وترجمة "سيف السرايى" (القرن الرابع عشر) لـ "جولستان" Gülstan التى كتبها "سعدى الشيرازى" (١٢١٣ بالتقريب – ١٢٩٢ بالتقريب) ففى رأيه أن هذه الأعمال ليست ترجمة حقة أو ترجمة بالمعنى الدقيق proper translation . وهناك مثال رابع يتمثَّل فى الترجمة التى قام بها "نواى" Nevai (1441-1501) بعنوان "لسان الطير" وهى ترجمة أخرى للعمل الذى كتبه "العطار" بالفارسية وذكرناه قبل قليل إلى "تركية تشاجاتاى" Chagatai Turkic "لا يمكننا اعتبارها ترجمة" (çeviri bile sayilma المرجع السابق). (١١) وعند هذه النقطة يُصبح واضحًا إلى حدٍ معقول بالنسبة لى أن تفسير "ليفيند" لهذا الشكل من الأداء الـ "تركيمى" terceme قد صيغ فى الحقيقة بالتعارض مع مفهوم

الـ "تشفيرى" çeviri بصفتها ترجمة حقة أو ترجمة بالمعنى الدقيق، وبوسعنا أن نستنتج أن النوعين الأول والثانى فى تصنيفه يوافقان مفهومه عن "الترجمة الحقة" أى مفهوم الترجمة التركى المعاصر، وذلك بالاختلاف مع النوع الرابع، وبعبارة أخرى يرى "ليفيند" فى النوعين الأول والثانى أن الـ"تركيمى" والـ "تشفيرى" يتداخلان كمفهومين ومصطلحين، ولكن ذلك ليس كذلك هى حالة النوع الرابع حيث يوصف الـ"تركيمى" كمفهوم مرتبط بالثقافة العثمانية.

كما يتضح أيضًا أن النوع الثالث، أى الترجمات الأدبية التى "تنقل موضوع العمل" وفقط إشكالى كذلك. ففى الفصل الذى عنونه بعنوان "تركومى"Tecüme [١٢] يقول "ليفيند" عن هذا النوع أن "الكتاب لا يترجمون العمل الذى بين أيديهم جملة جملة، ولكنهم ينقلون المعنى بالطريقة التى يقنصوه بها" (المرجع السابق). ومع ذلك ففى الفصل السابق المعنون "نازيرى وكفاب"Nazire and Cevap (= الشعر الموازى والشعر المجيب response) كان عنده – على ما يبدو واضحًا – ما يقوله أكثر من ذلك عن الموضوع، ولكن دون رجوعٍ عرضى إلى الفصل الذى خصصه لـ "تركومى" (١٩٨٤: ٧٠–٨٠). فبعد أن يقرر أن الـ"نازيرى" فى الأدب الإسلامى ليس محاكاة بالمعنى الحديث للكلمة، ولكنه عبارة عن قصيدة مشابهة مكتوبة بنفس البحر ونفس القافية كعملٍ لشاعرٍ آخر، تمجيداً لذلك الشاعر – المصدر" [١٣] يمضى "ليفيند" كى يشرح كيف أن الشعراء كتبوا الـ "نازيرى" على نطاقٍ أوسع كثيراً، فى قصصهم الرومانسى المعروف باسم "المسفينى" (= المثنوى)، فى ميلهم للـ "تيمات" الشائعة" أى نفس الموضوعات التى يطرقها أرباب الشعر المعتمدين. (١٩٨٤: ٧٠)

ولقد أشارت "زهرة توسكا" Zehra Toska (2002: 65) إلى أن كاتب السير الأدبية الذى عرفه القرن السادس عشر "لطيف" أثنى على الرواية الرومانسية التى أبدعها الشاعر "شيخى" Seyhi (تُوفى ١٤٢١ بالتقريب) "خسرو وشيرين" بصفتها "نازيرى". إلاَّ أننا نعرف أيضًا أن هناك من كتَّاب السير الأدبية من تعرَّف على نفس العمل باعتباره "تركيمى"، من بينهم "أشيك تشلبى" Asik çelebi (1520-1572) الذى لم ينس

أن يُثنى عليها – أى الرواية – ببعض الكلمات الطيبة و"تقى زاده كافير تشلبى" Taci Zade Cafer çelebi (توفى ١٥١٥) الذى وجه نقداً لاذعًا إلى العمل (قارن تيمورتاش Timurtas1980: 89-90) ولعل ما يلفت الأنظار هنا، فى ضوء المساجلات القادمة حول الـ "نازيرى" فى هذه الورقة هو أن عملاً يرجع تاريخه إلى القرن الخامس عشر يمكن أن يوصف بمصطلحات كلٍ من الـ "تركيمي" والـ "نازيرى" فى القرن السادس عشر، وأن يواجه نقداً بصفته "تركيمي" ولكن يقابل بالثناء باعتباره "نازيرى".

يرى "ليفيند" أن روايات الـ "نازيرى" تعالج "الموضوعات الشائعة"، مثل رواية حب "ليلى والمجنون" أو "خسرو وشيرين" تلك التى "لا يجوز تناولها كسرقاتٍ أدبية، بل باعتبارها اختلافاتٍ فى المعالجة الفنية والإسهامات الشخصية التى يستقل بها كل شاعر على حدة" (١٩٨٤: ٧٠)، وفى بعض الحالات لا نجد الشاعر قد تبنى سوى البحر (= الوزن) والقافية والروح، ولكن فى حالاتٍ أخرى نجده قد نقل أيضًا التقطيع النصوصى هو الآخر (١٩٨٤: ٧١)، وبين الأمثلة الكثيرة التى يسوقها "ليفيند" فى هذا الفصل من كتابه، نجد مثالاً على جانبٍ كبيرٍ من الأهمية، وهو يصفه كـ "نظيرٍ متقن" لأصله الفارسى، وهنا يكتب "ليفيند" أننا لا نخطئ إذا دعونا ذلك "ترجمة" çeviri . (المرجع السابق).

وفى ضوء شروحه على الممارسات العثمانية لـ "نازيرى" بصفتها محاكاة فى صيغة شعر موازٍ أو شعر مجيب فإن أشكال الـ"تركيمي" من النوع الثالث فى تصنيف "ليفيند" تكتسب نطاقـًا أو بعدًا أكبر كثيراً. إذ تُصبح الآن وقد ضمت الـ "نازيرى". ولكن الأمر يعتمد على القارئ فى خلق هذه الصلة، كما يعتمد الأمر كذلك عليه فى استحلاب التعارض من كلمات "ليفيند" بين مفهومه لـ "تركيمي" العثمانى وفكرته عن "الترجمة الحقة" التى أفصح عنها فى استخدامه لمصطلح "تشفيرى" çeviri . وتتمثَّل إحدى الصعاب الكبرى أمام الباحثين اليوم فى أن "ليفيند" لم يقر بهذا التعارض أو يفسِّره، وعلينا أن نستنتجه من تعليقاته المقتضبة وشروحه الفضفاضة وقائمة الأمثلة التى يسوقها.

ولما يزيد الطين بلة والأولى "المبلَّة طيناً" أننا لا نكاد نعثر على أى إطارٍ تأريخى Chronological فى الفصول المذكورة عاليه لـ "ليفيند" كى تقود الطالب أو غير المتخصص خلال الأمثلة التى يسوقها. وعلى سبيل المثال هناك تعليقات نقدية كثيرة فى الفصل الذى أفرده لـ "تركومى" Tecüme التى قام بها الشعراء العثمانيون الأفراد شعراً، وهى الترجمات التى تعكس - بوضوحٍ - مفاهيم المارسين المرتبطة بالزمن. إلاَّ أن هذه التعليقات أبعد من أن تكون مفيدة فى ظل افتقارها للسياق والتأريخ. ومثالاً على ذلك نجد "ليفيند" يضمِّن الاقتباس النثرى التالى لكاتب الوقائع Chronocler "نرجسى" الذى يرجع إلى القرن السادس عشر أيضًا فى التعليقات الشعرية. ويوفِّر لنا هذا النص توصيفاً على جانبٍ كبيرٍ من الأهمية لاستراتيجيتيْن فى الأداء الـ "تركيمى" terceme " كلمة - بكلمة ومعنى - بمعنى" (والبعض يضع الكلمات المترجمة فى نفس الترتيب النحوى بالضبط، لكن العبارة الناتجة تكون فاترة وباهتة فى التعبير وتفتقر إلى "النصاعة والوضوح" و"الرشاقة البلاغية") ("ليفيند" ١٩٨٤: ٨٣). "الإستراتيجية الأخرى تأخذ المعنى اللغوى (فى المصدر) وفى سبيل صب المعنى الداخلى للغة (الفنية) للمؤلف الأصلى فى قالبٍ تعبيرى جميل، يُعطيه مسحة جذابة عن طريق كلماتٍ وعباراتٍ وصياغاتٍ ومجازاتٍ مناسبة حتى يؤكِّد ويمثِّل رغبة ذلك المؤلف الأصلى فى شكلٍ شيِّقٍ وأسلوبٍ جديرٍ بالاحترام. (المرجع السابق فى ترجمة "والتر أندروز"، التى استشهدت بها "هولبروك" Holbrook2002: 98) . وفى نفس المقتطف الذى أورده "ليفيند"، يزعم "نرجسى" أيضاً أنه نفسه يلجأ إلى النوع الثانى من الـ "تركيمى" terceme فى سبيل "خدمة أصدقائه"، الذين لا ينتظر منهم، كما يتصوَّر، أن يلوموه بل وسيغفرون زلاته طالما كان فى وسعهم أن يتفهَّموا الأسباب التى تدعوه سواء إلى إضافة أى تعبيراتٍ أو حذف أى تعبيراتٍ أخرى من ترجماته (المرجع السابق). ومع ذلك، فليس هناك أى إشارة فى هذا الفصل الذى كتبه "ليفيند" إلى أن "نرجسى" لم يكن شاعراً بل كاتب وقائع بارز، كتب نثراً شعرياً مزخرفًا، وهو الأمر الذى يعد مثالاً آخر على فقدان السياق. ويجب علينا ألاَّ ننسى أنه مع أن توصيف "نرجسى" لنوعين اثنين من "الـ "تركيمى" terceme خطوة مفيدة، إلاَّ أننا لا نستطيع الركون إليه على اعتبار

أنه يُمثِّل القاعدة التى تنطبق على كافة الممارسات "التركيمية" سواء النثرية أو الشعرية فى العصور العثمانية على امتداد قرونٍ عديدة، فالحقيقة أنه يقف كأحد زوايا فهم الترجمة فى القرن السادس عشر.

يتمثَّل المثال الآخرالذى يسوقه "ليفيند" من عالم النثر فى "لطيفى"، الذى كان شاعراً ولكنه كان أيضًا ناقداً وكاتب سير للشعراء (١٩٨٤: ٨٣). ولقد كتب "لطيفى" عن معاصريه فى القرن السادس عشر يقول: "بعض الشعراء يترجمون والأولى (فعل من تركيمى) ، ويقتبسون (فعل من تيراش tiras) من الشعراء الذين يكتبون بلغة أخرى أو يرصدون المعنى ثم يعالجونه بطريقة أحسن بعد اقتباسه منهم. وهناك من الناس من لا يرى غضاضة فى مثل هذه "السرقة" ويفضلونها على المقطوعات التى كان الشاعر يسير فى أعقابها فى النص المصدر أو "يُترجمها". ومع أن هناك إشارة أعلاه إلى شكلين هما الـ "تيراش" والـ "اقتباس" للنقل البين - نصى intertextual transfer (= النقل المتناص)، لم يذكر "ليفيند" أيًا منهما قبل أو بعد هذا الفصل، غير أنه لم يعلِّق على أىٍ منهما أو على علاقتهما بـ "تركيمى" terceme .

ومع ذلك فلعله مما ينطوى على أهمية كبرى بالنسبة لنا أن "ليفيند" يعطينا توصيفًا لنوع النصوص التى يمكننا فى رأيه أن نفترض تمثيلها الـ "تركيمى" terceme والـ "نازيرى" Nazire، ومع فقدان القوة التحليلية، وهو ما يُفسد طرح "ليفيند" وخطابه، غير أن أحكامه وتصانيفه والأمثلة (= جمع مثال) التى يسوقها لا تزال تقف بمثابة المصدر الثقة الرئيسى الذى نستطيع التعويل عليه فى صوغ تعريف - مهما كان فضفاضًا - للـ "تركيمى". أو - ولكى نكون أكثر دقَّة - تشكِّل بصفة إجمالية، تعريفه الخاص للـ تركيمى"، وهو التعريف الذى يبدو فى نظرى أكبر التعاريف فائدة عملية كى نتبنَّاه فى دراسة عن الممارسة الترجمية خلال العصور العثمانية - أكبر التعاريف فائدة نظراً لأنه يمدنا بمعايير جديرة بالثقة كى نصوغ افتراضاتنا بشأن ما قد تكون عليه الـ "تركيمى" terceme فى ميدانٍ بالغ الاتساع حيث يبدو أن هناك كثيراً من الأمثلة لا تزال طى الخفاء ("تورى" ١٩٩٥: ٣١-٣٥، ٧٠-٧١، قارن "بيكر" و"توسكا" ١٩٩٧: ٨٠،٨٧، ٨٨).

هناك نقط قليلة أخرى تحتاج إلى التوضيح فى هذه اللحظة مع إشارة خاصة إلى الترجمة (فى اللغة الإنجليزية. ففى توصيف ميدان الـ "تركيمى" - الذى أستخلص منه مفهومًا مرتبطًا بالثقافة - يتعرَّف "ليفيند" على بعض أشكال الأداء العثمانى فى مجال الترجمة، بصفته متمشيًا مع المفهوم التركى الحديث لـ "تشفيرى" **çeviri** فى حين أن بعضها الآخر لا يتمشى. ومعنى القول أن معياره فى التعرُّف على الـ "تركيمى" يستعين بالـ "تشفيرى" **çeviri** الذى يُعد أقرب مصطلحٍ تركى يتناظر مع المفهوم الحديث للترجمة أو **translation** باللغة الإنجليزية، مع أنه مفهومٌ مرتبطٌ بالثقافة هو نفسه. ولقد برهنت "شهناز طاهر - جورتشاغلار" (٢٠٠١: ١٥٠-٢٢٦) فى الآونة الأخيرة فى تحليلها للخطاب التركى بشأن الترجمة من سنة ١٩٢٣ حتى ستينات (= ستينيات) القرن العشرين، على أن المفهوم التركى الحديث للترجمة ظل يُفسَّر ويُشرح على امتداد مالا يقل عن أربعة عقود من الزمن من الجدال والنقاش حول طبيعة الوظائف والتعاريف والاستراتيجيات الخاصة بالترجمة باستخدام كلٍ من المصطلحين القديمين "تركيمى" و"تيركومى" وكذلك الفعل الحديث **çeviri-mek** ومشتقاته المتعددة. وتتوِّج ذلك بما أستنتج أن يكون إجماعًا على المفهوم الحديث كـ"تشفيرى" **çeviri** . وبصفتنا باحثين، وجب علينا - بالتالى - ألاَّ ننسى أن هناك مفهومين رئيسيين للترجمة فى سيرورة الترجمة التى تقوم على الاستمرار فى الثقافة التركية، ولعل العلاقة بين الـ "تركيمى" والـ "تشفيرى" أشبه بالعلاقة بين **traductio** (التى تناظر "تركيمى") وبين **translation** (التى تناظر "تشفيرى") على نحو ما ناقش الموضوع "أندريه لوفيفر" **André Lefevere** **(1990)** ، ولكنها أى العلاقة مختلفة من زاوية على جانبٍ كبيرٍ من الأهمية: يتعيَّن ربط التفريق التركى بين وجهتىْ النظر بعملية بناء - الأمة فى العصر الحديث، والثورة الأيدولوجية المصاحبة التى تهدف إلى إحداث انقطاعٍ ثقافى وسياسى مع الماضى. ويتعيَّن علينا أن ننظر إلى كلٍ من الـ "تركيمى" والـ "تشفيرى" بصفتهما مرتبطان ثقافيًا وزمنيًا، فكلٌ منهما يشير إلى الأخروية (= الغيرية) الثقافية للآخر، والاعتراف بذلك يبدو أن يشكِّل جزءًا من عملية إعادة التفكير فى الانقطاع فى ضوء دخول تغيُّراتٍ على الاستمرار الثقافى. (١٤)

طرح "ثيو هيرمانز" خلال عودته إلى كتاب "جديون تورى" المعنون "بحثًا عن نظرية للترجمة" هذا السؤال: إذا كنا نحاول أن نعاير المصطلح الأمهرى (نسبة للغة الأمهرية إحدى لغات إثيوبيا) tirgum (= ترجوم) الذى يتصادف أن يكون مماثلاً من الناحية الاشتقاقية مع Terceme (ص.ب) (ليس فى الأمر صدفة فالتركية أخذت الكلمة عن العربية التى نقلتها بدورها عن السريانية وهذه شقيقة للأمهرية فى الفرع السامى من العائلة الحامية - السامية. المترجم)، فهل نتخذ الـ translation أى مفهوم الترجمة المرتبط - ثقافيًا، كما نقابله فى الاستعمال الحديث فى اللغة الإنجليزية" أو الترجمة كمفهومٍ فوق - لغوى supra-lingual عمومى/كونى مفترض، كأساس؟ (١٩٩٥: ٢٢١) ولكننى أود باديً ذى بدء - وقبل التعليق على هذا السؤال - أن أركِّز على الرد الخاص الذى ساقه "هيرمانز"، ويتركَّز على "نحن كباحثين" أى باعتبار "نحن" هنا مسند/فاعل، الذين:

"سيتعيَّن علينا أن نفسِّر الحقيقة التى تقول ألاَّ مناص أمامنا من أن نتَّخذ نهجًا تجاه الترجمة أو الـ tirgum أو أى مصطلحٍ كان، لنقل من ثقافة العصور الوسيطة فى أوروبا أو عند الـ "نامبيكوارا" Nambikwara فى إقليم "الأمازون" - بصفتنا أعضاء ننتمى لثقافة خاصة تفسِّر مفهوم الترجمة بأسلوبٍ معيَّن." (المرجع السابق).

أما بالنسبة لى فالسؤال ينصب على من يعود الضمير المنفصل: "نحن؟ إذا كان يعود على مجتمع الباحثين الذين يشتغلون فى منطقة أحادية اللغة متخذين اللغة الإنجليزية أساسًا وحيدًا أو على الأقل الأساس الرئيسى لمرجعيَّتهم، فلسوف يعنى ذلك، بالتالى أن استيرادنا أو تفسيرنا للمعطيات سوف يكون من ثقافاتٍ ليست معروفة إلا على نطاقٍ أضيق أو قديمة، وأحادىُّ الاتجاه وخاضعٌ للمركزية الإنجليزية Anglo-centric . (بل ونوع من الثقافات التى قد تعطى وزنًا للطريقة التى ستُفسِّر أو تعالج بها فى اللغة الإنجليزية)، ولكن إذا نظرنا للأمر أو لذلك الضمير المنفصل "نحن" بصفتنا باحثين نمثِّل ثقافاتٍ مختلفة، يقدمون معطياتهم كلٍ من لغة الثقافة التى ينتمى لها وتلك الإنجليزية، فلسوف يعنى ذلك أننا نتوقَّع من أولئك الباحثين، عوضًا عن "المراقب" - مع - المفسِّر، أن يساهم على الأقل فى نقاشٍ ثنائىِّ اللغة، خلال تقديم سياقٍ ما وتعريفٍ

ما أو تفسيرٍ للترجمة والأولى الـ "ترجوم" أو أى مفهومٍ آخر يتناولونه بالنقاش. ولعلى أميل إلى الاعتقاد بأن الوضع الأخير هو الذى كان يملك على "هيرمانز" فؤاده عندما لفت النظر إلى الحاجة إلى "تجديد التساؤل حول أى نوع بالضبط من الترجمة الثقافية تلك التى يقصدون (أى أولئك الباحثون الترجميون الذين ينصب عملهم باستمرار على الآخر الثقافى) عندما "يفسِّرون" - واستعمالى هنا الكلمة مقصود - مفاهيم مختلفة للترجمة" (١٩٩٥: ٢٢٢).

على أن الحاجة إلى إعادة التساؤل أو تجديد التساؤل فى هذا الصدد لا ينطبق وحسب على التفكير والصياغة باللغة الإنجليزية، ولكن أيضًا باللغة التركية. وفى ضوء غزارة الدراسات الترجمية التاريخية التى تمت بكلٍ من اللغتين الإنجليزية والتركية، يتعيَّن أن نضع نصب أعيننا ضرورة طبع الخصوصية الثقافية للمصطلحات والمفاهيم بطابعٍ إشكالىٍ بدلاً من القفز فوقها، وتُعد الطريقة التى نُزع بها الطابع الإشكالى عن ال- "تركيمى" أو انتحال الأعذار له فى اللغة التركية حالة فى صميم الموضوع الذى نحن بصدده، ولعلى أرى أن امتلاكنا لوعىٍ بذلك يمكن فى الحقيقة أن يقود خطانا على الطريق إذا كنا على استعداد للسير فيه حتى نصل إلى قلب بعض الصعاب فى الأمشاق الحالية والتاريخية للبحث التركى.

٤ - كيف جرى نزع الطابع الاشكالى عن الـ «تركيمى» ؟

إذا عدنا إلى سؤال "هيرمانز" (قارن ١٩٩٥: ٢٢١) الذى استشهدنا به عاليه، فيكون جديراً بنا أن نركِّز على اتصاله أيضًا بالموضوع فى ضوء السياق التركى العثمانى: إذا كنا (نحن الباحثين المحدثين) نحاول أن نتصوَّر ما هى الـ "تركيمى"، فهل نأخذ كأساسٍ لنا الـ "تشفيرى" çeviri ، وهو مفهومنا الحديث - نحن الأتراك - الذى يحمل فى طياته الأمانة (كل الأمانة) مع النص المصدر، ومن هنا النزول بالتدخل فى اكتمال هذا النص إلى أدنى حدٍ ممكن، أو شىءٍ قد يبدو مؤدياً وظيفة "كونية" (= عمومية) كما هو الحال فى "ترجمة" الباحث "هيرمانز"؟ وفى ضوء التحليل الذى

قدمته حتى الآن لـ "ليفيند"، أعتقد أن الجواب على السؤال أصبح واضحاً. إنه مفهومنا أى نحن الباحثين "الكونى" أو العمومى" وذلك لأن هذا المفهوم "الكونى" هو الذى يدل على امتلاكنا وعياً وإقراراً بالتفريق بين مفهومنا الثقافىٍّ - الخصوصية أى الذى تنفرد به الثقافة دون سواها، وهو مفهوم حديث للترجمة وما الذى ننتظر أن نعثر عليه كترجمة فى الثقافة العثمانية، وإذا كان هذا التفريق قد ظل مغفلاً حتى الآن أو مفتقراً إلى الصياغة فى لغة واضحة، فذلك راجعٌ إلى الحقيقة التى تقول إن مصطلح الـ "التركيمى" بصفته مجموع الممارسات الترجمية استمر منزوعاً عنه كل طابع إشكالى.

وأظن أن أحد أهم الأسباب الكامنة وراء ذلك تتمثَّل فى أن الدارسين الأتراك المحدثين بمن فيهم "ليفيند" (الذى اقترب كثيراً من شكل أو آخر من طبع الترجمة بطابعٍ إشكالى، ولو أنه عجز عن توضيح مصطلحاته) قد ساروا وفق مشقٍ أيدولوجيٍ معيَّن فى دراساتهم، وقد استقر هذا الأمر على امتداد سنواتٍ وسنواتٍ نتيجة للدراسات الواسعة التأثير التى قام بها "محمد فؤاد كوبرولو" **Mehmed Fuad Köprülü** **(1890-1966)** وهو مؤرخ معاصر من الرواد وناقد أدبى ودارسٌ غزير الإنتاج، يتمتَّع بسعة اطلاعٍ فريدة، وكان منخرطاً بشكلٍ نشطٍ فى الحركة الثقافية التى قامت على أكتافها عملية بناء - الأمة التركية، فلقد أسس معهد التركيات **Institute of Turcology** وبالتركية **Türkiyat Enstitütü** فى جامعة "إستانبول" فى ١٩٢٤، أى بعد سنة واحدة من تأسيس الجمهورية، وتبنَّت الأجيال اللاحقة المشق القومى الذى وضعه خلال عمله، للدراسات الأدبية العثمانية فى تركيا الجمهورية على المستوى الأيدولوجى والمنهجى. ولقد جرى فحص اللغة السابقة - على - العثمانية والعثمانية فى ضوء التلويث التدريجى خلال تنامى التأثير اللغوى العربى - الفارسى: ساد الاعتقاد أن لغة أدبية مصطنعة قد طُرقت طرْق المعادن خصيصاً للصفوة (فيما سُمى بأدب "الديوان" **Divan**)، وذلك بالتعارض مع خطاب الشعراء الشعبيين، مثل خطاب الشاعر الصوفى "يونس إمرى" **Yunus Emre** الذى عاش فى القرن الثالث عشر. ولقد رأى الباحثون فى شعراء "الديوان"، خلال تكييفهم للغة التركية لقواعد العروض **Aruz** العربى - الفارسى، وسطاء فعالين فى "طرْق" أو صك خطابٍ شعرى عثمانى "متكلَّف". ولو أن الباحثين

الأمريكيين في ميـدان الأدب العثماني "والتر أندروز" (١٩٨٥) و"فيكتوريا هولبروك" Victoria Holbrook (1994) يريان أن الأيدولوجية المبكِّرة للدولة – الأمة التركية هي التي كانت ولا تزال تقف وراء مثل هذه الآراء، التي انعكست في "روايات" (أو في خطابٍ) التي أعادت بناء الثقافة العثمانية في ضوء تشعب إلى شعبتين أي هويّتين منعزلتين وغريبتين الواحدة عن الأخرى (الشعب والبلاط) في سبيل تبرير فك كل صلة بين النزعة الصفْوية (نعت صناعي من صفوة) للماضي العثماني وبين النزعة الشعبية للجمهورية التركية.

في مثل هذا السياق غدا الإبداع أو الابتكار الشعري باللغة التركية من العناصر المهمة للغاية أمام الدراسات الأدبية كي تسعى في أثره وترصد موضعه وتبرزه، بينما جرى تقييم الترجمات التي وصفها مؤلفوها أو التقاليد بأنها "تركيمي" بصورة سطحية في ضوء المفهوم الحديث بشأن الأمانة، وأدى العزوف عن تطبيق قواعد الـ "تركيمي" على تلك الأعمال التي حُكم عليها بأنها أمينة – بل مختلفة – إلى نزع الطابع الإشكالي عن الممارسات الـ "تركيمية" في العصور العثمانية، كما جرى فحص النقل البين-نصوصي أو التناصي من اللغتين العربية والفارسية في الغالب في ضوء "تأثير" منبثق من تراثٍ إسلاميٍ مشترك من التقاليد الثقافية والأدبية واللغوية. (١٥)

لاحظت "إبرو ديريكر" Ebru Diriker خلال عرضها النقدي لكتاب "كوبرولو" "بحث أدبي" Edebiyat Arast irmmalar أن "كوبرولو" استعمل في كتابه ذاك هذه المصطلحات الـ "تركيمي" و "المحاكاة" و"مترجم" (müttercim) ومحاكي/مقلِّد (taklitçi) بالتبادل، المصطلح مع الآخر، وأن اتجاهه تمثَّل في نبذ الـ "تركيمي" "الأمينة" وإعلاء شأن تلك الترجمات سواء الموسَّعة أو المختصرة، بطرقٍ هدفت إلى إثراء الثقافة التركية في لغة تركية رفيعة ("ديريكر" ١٩٩٧: ٩٧) ويرى "كوبرولو" أن تلك الأعمال التي نقلها المترجمون الأتراك – مع أقل قدرٍ من التلوث الفارسي – كانت على جانبٍ كبيرٍ من الجدارة. ولقد كتب "كوبرولو" على سبيل المثال، خلال تقييمه (وليس تقويمه. المترجم) لترجمة "جولشهري" Gülsehri (القرن الرابع عشر) "منطق الطير" للعطار عن الفارسية يقول:

"هذا الشاعر العظيم الذى يبدو أنه لم يُخرج ترجمة عابرة – بل عملاً من إنتاجه الخاص – كان على وعيٍ بأهمية ما يفعل. فلقد قال إن عمله ليس أقل جدارة من العمل الفارسى نفسه "منطق الطير" وإن ما من أحد قبله قد أخرج عملاً يوازى عمله فى لغة تركية رفيعة إلى ذلك الحد. (١٩٦٦: ٢٧٤–٢٧٥، ١٩٩٣: ٢٣٩–٢٤١)

يقبل "كوبرولو" من "جولشهرى" تقييمه لنفسه، لكنه لا يخرطه على وجه خاص فى طبقات المترجمين بل يراه شاعراً قدَّم إسهامًا على جانبٍ كبير من الأهمية للشعر التركى، وخصوصًا إذا تذكرنا استعماله الخلاق لمصادر شعرية إضافية. (المرجع السابق). وبناء عليه وفى عبارة " ديريكر": "لقد كشف "كوبرولو" عن المترجم (فى هذه الحالة" جولشهرى") وجعله "منظوراً" ، لكنه لم يعُد يعترف به كمترجم ("ديريكر"١٩٩٧: ٩٧) ولعل فى هذا تلخيصًا لما أعنيه بـ ("نزع الطابع الإشكالى عن الـ "تركيمى") وإذا ما عقدنا مقارنة بين هذه الآراء وبين "تعليقات "ليفيند" (الواردة أدناه) بشأن نفس الشاعر ونفس الترجمة، فلسوف نكتشف أن عباراته الأخيرة تصورٍ – زيادة على ذلك – محاولة أخرى لنزع ذلك الطابع الإشكالى: على سبيل المثال لا تُعد ترجمة"جولشهرى" لـ "منطق الطير" للعطار و... ترجمات حقة أى بالمعنى الصحيح لكلمة "تشفيرى" çeviri ، ولطالما قدَّم المؤلفون مساهمات كثيرة بكتاباتهم الخاصة خلال الترجمة (çevirirken) ، ولو أنهم وصفوا أعمالهم بأنها "تركيمى" (أم كانت "تركومى") من باب الامتثال لمؤلف النص المصدر الذى رأوا فيه معلمًا ضليعًا" ("ليفيند" ١٩٨٤: ٨١). وقد كتبت "زهرة توسكا"، بالإشارة إلى هذه الأقوال تقول: "مع أن "ليفيند" وصف مثل هذه الأعمال بأنها "ترجمات موسَّعة"، إلاَّ أنه قال أيضًا: "ليس فى وسع المرء أن يسمِّيها ترجمات". كيف نستطيع إذن أن نميِّزها من الأعمال الأصلية؟" (٢٠٠١: ٦٣) ويبدو أن أسئلة مشابهة مما استمرت تشرئب أمام أعيننا بصورة متكررة فى المشروع الذى تكفَّلت به جامعتنا "بوغازتشى" تُثار، ليس بسبب مثل هذا الغموض على مستوى المصطلح والمنهج، كما فى استعمال كلمتىْ terceme وçeviri فى خطاب "ليفيند" وفقط، بل أيضًا ولعله أكثر أهمية من الاندفاع العام الأيدولوجى – الأدبى نحو "حجب" (قارن "تورى" ١٩٩٥) الـ "تركيمى" فى سبيل تسليط الضوء على ما ساد الاعتقاد بأنه تجديدى وأصيل وضاربٍ بسهمٍ وافرٍ فى الشعر والثقافة التركيين.

لا يستطيع أحد أن يقول إن "كوبرولو" انحرف عن الخطاب الأدبى العثمانى الذى يتضمَّن نقداً للممارسات التى تقوم على الانتحال والمحاكاة فى الترجمة إلى جانب التغاضى عن التدخلات التى يقوم بها مترجمون – شعراء بارعون وعلى جانبٍ كبيرٍ من الكفاءة. إلاَّ أن التفريق الذى ابتكره "كوبرولو" بين "المترجمين" كمقلدين من جانبٍ و"الشعراء" من جانبٍ آخرأولئك الذين يوظِّفون ملكاتهم فى إضافة مساهمات فردية جديرة بالإعتبار للنصوص التى يشتغلون عليها، كان فعَّالاً فى (أ) قصر نطاق الباحثين على فحص الممارسة الـ"تركيمية" العثمانية و(ب) نزع الطابع الإشكالى عن تنوُّعها، وبذلك (ج) محو الـ "تركيمى" من الخطاب النقدى – الأدبى التركى كمفهومٍ وظيفىٍ فى التحليل الثقافى والأدبى واللغوى، (١٦) فى هذا السياق يصبح النقد الذى وجَّهته "زهرة توسكا"، وهى دارسة متخصصة فى الأدب العثمانى وترأسست المشروع الثانى الذى نظَّمته جامعة "بوغازتشى" للاتجاهات السائدة فى البحث الراهن التى تنحو نحو القفز على الملامح الترجمية لأعمال الشعراء خلال العصور العثمانية (٢٠٠٢: ٥٩-٦١). ويوازى هذا النقد فى الأهمية أنها لفتت الأنظار إلى الحاجة الماسة لدراسة أعمال كاتبى السير biographers العثمانيين للشعراء كى نرى ما إذا كان فى وسعنا أن نتبنَّى مصطلحاتهم (مثل الـ "نازيرى") فى توصيف الترجمة اليوم (٢٠٠٢: ٦٦)

٥ – مظاهر الطابع الإشكالى لممارسة الترجمة العثمانية فى ضوء نفس المصطلح باللغة الإنجليزية (translation)

فى هذا القسم وفى القسم التالى سوف أركِّز على مقالَيْن صدرا فى الآونة الأخيرة، الأول كتبته "فيكتوريا هولبروك" (٢٠٠٢) والآخر كتبه "وولتر أندروز" (٢٠٠٢) ويؤسس كلاهما حججه فى مفهوم لغة فارسية – عثمانية مشتركة للشعر والثقافة وكلاهما يبرز إلى الصدارة أيضًا الشعراء بصفتهم متكفِّلين بالترجمة ونقل أعمال الإبداع وهاتان النقطتان ساهمتا فى تعزيز الصلة بين المترجمين – الشعراء ، وبين المفهوم الذى يقول بوجود "بين – ثقافة عثمانية" حسب الإطار المفهومى الذى أذهب إليه.

تستعرض "هولبروك" فى مقالها الممارسة الترجمية الأدبية خلال العصور العثمانية فى ضوء مفهومىْ الترجمة "الصريحة" وتلك "المستترة" والسياق الخاص بكليهما مرسومًا فى نقاشٍ حول الأدب نظَّمه أتباع الشاعر الفارسى الصوفى مولانا "جلال الدين الرومى" (تُوفى ١٢٧٣) من أجل نشر مبادئه السلوكية، أى فى مجالٍ بين – ثقافى أو "تثاقف" تشترك فيه كل من اللغات التركية والفارسية والعربية. ويُغطِّى مفهوم الترجمة "المستترة" عند "هولبروك" استراتيجيات النقل التى ظل فيها السياق الثقافى الذى أدى إلى انبثاقها خافيًا، وتعرِّف "هولبروك" الترجمة "الصريحة" بأنها "الترجمة بالمعنى التقليدى" (٢٠٠١: ١٣). وتكشف إشارتها اللاحقة إلى كاتب الوقائع الذى عرفه القرن السادس عشر "نرجسى" أن نعت "الصريحة" إنما يتناظر مع توصيفه للترجمة الحرفية، وقد لاقت كلماته حول الترجمة الحرة – من جانبٍ آخر – تفسيرها على اعتبار أنها "إعادة صياغات للمادة التيمية thematic material التى تُظهر استقلال الأسلوب العثمانى ... وتقابل بالثناء لأصالتها" (المرجع السابق) أىْ كنشاطٍ قريبٍ من ممارسة الـ "نازيرى"/المحاكاة التى سنعرض لها فيما بعد. ولسوف تعيد إلى الأذهان – مع ذلك – أن "نرجسى" وصَّف كل إستراتيجية على نحوٍ خاص بصفتها شكلاً من أشكال الـ تركيمى"، ويتعيَّن ألاّ يغيب هذا لحظة عن بالنا فى الوقت الذى نكون فيه منهمكين فى قراءة أقوال "هولبروك" أدناه، وهو الأمر الذى يتأسس على زعمها بأن الترجمة "الصريحة" سقطت من الممارسة بحلول القرن السادس عشر أى عندما توطَّدت أركان السلطة الإمبراطورية لبنى عثمان:

"طالما استوعبت شريحة كبيرة بدرجة كافية من الناطقين بالتركية، ولو أنها كانت فى نفس الوقت متعددة اللسان، وهى الشريحة التى خرجت منها الطبقات الحاكمة لإمبراطورية أصبحت فى ذلك الوقت شاسعة، انتفى كل سبب للعكوف على ترجمة أى أعمال، إذ كان فى طوع أبناء تلك الشريحة أن يقرأوا الأصول، بل وكان فى وسعهم أن يكتبوا بالعربية والفارسية مثلما يكتبون بالتركية، وكانت التركية قد حققت سلطانًا عريضًا كلغة أدبية. وكفَّت الشروط التى تحبِّذ النقل الثقافى من الفارسية عن الوجود أو كادت، أما الثقافة التى لاقت الاستيعاب فلم يعُد أحد يرى فيها ثقافة أجنبية،

ولكنها كانت عوضًا عن ذلك جزءًا لا يتجزأ من "نظام الحياة" بعبارة "إيفين - زوهر"، وبالتالي فليس هناك حاجة إلى ترجمتها". (٢٠٠٢: ٩٩)

يصعب علينا أن نتبيّن السبب في انعدام الحاجة إلى الترجمة، ما لم نربط "النقل الثقافي" في السياق المذكور أعلاه بالرأي الذي تذهب "هولبروك" إليه بأن "الترجمة في العصور الوسيطة (لأغراض التثاقف) من اللغتين الفارسية والعربية إلى التركية كفّت بصفة عامة، عن الاستمرار كنشاطٍ على جانبٍ من الأهمية بين العثمانيين" بحلول منتصف أو أواخر القرن الخامس عشر (٢٠٠٢: ٩٧)، وعند هذه النقطة تكون أسئلتي الرئيسية هي: هل بوسعنا الافتراض أن كافة الترجمات في الفترة الأولى كانت "صريحة" أو حرفية؟ وحتى لو قبلنا أن "الترجمة الصريحة" انتهت بحلول القرن السادس عشر، فكيف نفسّر وجود نصوصٍ كثيرة عدّها الباحثون "تركيمي" في التقاليد العثمانية حتى مطلع القرن العشرين؟ لما كانت "هولبروك" قد غفلت عن الإشارة إلى ممارسة الترجمة - كما سمّاها العثمانيون - فإن المرء لا يستطيع إلاّ أن يستنتج من الاستشهاد الوارد أعلاه، أن الممارسة الترجمية العثمانية لم تكن خاضعة للفحص في ضوء مفهوم الـ"تركيمي" الثقافيّ - الارتباط، بل في ظل "الترجمة بالمعنى التقليدي" وأن المصطلح الأخير أي "الترجمة" إنما يدل على مفهومٍ يغطّي كلاً من الترجمة الإنجليزية **translation** والتركية في نفس الوقت، وهو الأمر الذي لا يشمل أكثر من النقل الحرفي من لغة إلى أخرى. فلقد محت "هولبروك" من خطابها - سواء عن قصدٍ أو دون قصد - الـ "تركيمي" كممارسة ثقافيّة - الارتباط.

ومع ذلك، فالهم الأساسي لـ "هولبروك" ينصب على أشكالٍ معينة من الترجمة "المستترة" أبرزها - في رأيي - يشمل سياسات الثقافة واللغة العثمانيتين. ففي مناقشتها لنقل التقاليد الصوفية الأدبية لـ "جلال الدين الرومي" شعرًا من الفارسية ترشدنا "هولبروك" إلى إمعان النظر في بعض أشكال "الترجمة المستترة"، وتقول حول أبرز هذه الترجمات المستترة ما يلي:

قد يكون من الصواب أن النصوص التي يُفترض أنها كانت ترجماتٍ في عصرها، تخفي - أيضًا - دون ذكر، أي دون الكشف عن ذلك - ما قد يكون على وجه الترجيح

صراعًا شرسًا (أى بين التركية والفارسية) وراء السلطة والهوية، وهو صراع مرتبطٌ بشكلٍ وثيق باللغة عن طريق تغيير منزلة إحدى اللغتين وشكل السلطة السياسية المرتبطة بها، بالنسبة للغة الأخرى (٢٠٠٢: ٩٤)

تعيد الإشارة اللاحقة لـ "الأحكام الغائية – القومية" (المرجع السابق) التى تجاهلت المعانى الضمنية لمثل ذلك الإخفاء، إلى الأذهان بعض النقط التى نستطيع أن نربط بينها وبين استعمال الفارسية أو العربية فى الترجمات العثمانية، والطريقة التى مال بها الباحثون الأتراك المعاصرون عليها كى يفسِّروها.

قد تساعدنا – فى هذا الصدد – بعض التعليقات التى صدرت عن "كيم ديلتشين" Cim Dilçin على المترجم – الشاعر "هوكا مسعود" Hoca Mesud (تُوفى ١٣٧٠ بالتقريب) على سبيل المثال، فى تصوير هذه النقطة. فيقرر "هوكا مسعود" فى الختام المعهود ("hatm sü-l kitab ve özr averden") لترجمته "سهيل ونيفبهار" Süheyl ü Nevbahar [(١٧)] (النص – المصدر بالفارسية مجهول) أنه "ترجم كلمة – بكلمة lafzen-be-lafz eyledüm tercüme" ("ديلتشين" ١٩٩١: ٥٧٥)، ويشكو "مسعود" أيضًا من الصعاب التى واجهها عند ترجمة الشعر إلى التركية، ويشير على وجه الخصوص إلى القيود التى يفرضها الوزن والأولى البحور الشعرية: "(حرفيًا) عندما ننقل التعبير العربى أو الفارسى إلى شعرٍ تركى، أحيانًا يكون متسقًا مع الأصل وأحيانًا أخرى لا يكون، وذلك لأن البحر لا يقبلها"("ديلتشين" ١٩٩١: ٥٧٤، II.5593:4) . ويرجع "كيم "ديلتشين" فى طبعته النقدية الرائعة لـ "سهيل ونيفبهار" شكاوى "مسعود" وبعض العيوب فى نظمه التركى إلى الحقيقة التى تقول إن الشاعر لم يتوفَّر له "ناصحون أكفاء"(مثل الفرس) كى يسير على هدى نصحهم، ويوضِّح أن "هوكا مسعود"، لو كان قد أفعم ، فى فترة كان للشعراء الفرْس كل ذلك التأثير على الأدب التركى، "لغته بكلماتٍ فارسية وعربية، على نحو ما فعل الشعراء فى القرون اللاحقة، فإن هذه الطريقة، هى الأخرى كانت ستقابل بنقدٍ حادٍ اليوم. إلاَّ أنه أخرج – على النقيض من توقعنا، وعلى نحوٍ لا يخلو من مغزى – أعمالاً مكتوبة بتركية صافية. ("ديلتشين": ١٩٩١: ١٩) غير أن مثل هذا

التفسير يتجاهل تلميحاتٍ ممكنة، فى كلمات "مسعود" إلى وجود صراعٍ على المستوى اللغوى - الشعرى بين النفوذين الفارسى والتركى، وفى نفس الوقت يعطى الانطباع بقدرٍ من الحرص الأيدولوجى على تأكيد أهمية التركية الصافية إزاء تلك "الملوثة بالفارسية والعربية".

لا يُعد "مسعود" الشاعر الوحيد بين الشعراء والكتاب الأوائل الذين شكوا من القيود التى تفرضها لغته التركية على ما يقوم به من عمل. فلقد لفت «ديلتشين» نفسه الأنظار إلى كل من : "جولشهرى" و"شيخوغلو" Seyhoglu، و"أشيك باشا" Asik Pasha و"ساريكا كمال Sarica Kemal (1991: 6-7, 19) ، وكذلك "قاضى - إى مانياس"Kadi-I Manyas Özkan 1993: (10) وليس فى طوعنا أن نصرف النظر عن الحقيقة التى تقول إن الشعراء أنفسهم خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر قابلوا صعوبة فى التعبير عن أنفسهم باللغة التركية. ويستشهد "ليفيند" (١٩٨٤: ٨٣-٨٧) بكثير من الأمثلة معظمها من شعراء القرن السادس عشر،الذين تكبّدوا مشقة كبيرة كى يُظهروا - فى شعرهم - الابتعاد عن سطوة الشعراء الفرس، فلا تصير أعمالهم كما لو كانت مجرد "ترجمة" لهم. ويجدر بنا أن ننظر بصورة أعمق فى مثل هذه الأقوال والأسباب التى يمكن أن تكون كامنة وراءها. ترى ما هو السبب فى حقيقة الأمر، فى أن أولئك الشعراء كانوا كثيرى الاحتجاج؟ هل كان الأمر راجعًا إلى مجرد لفت الأنظار إلى صعوبة العثور على مقابل تركيٍ دقيق للكلمات وعناصر الوزن العربية - الفارسية أم أنهم كانوا يقرّون أيضًا بوجود ضغوطٍ وتوترات معينة فى إطار صراعٍ فى سبيل السيطرة بين الهويتين الثقافيتين واللغويّتين الفارسية والتركية، وهى توترات ظلّت مستترة والأولى محجوبة عن الرؤية حتى استخرجناها إلى النور؟ وهذا ربما ما كانت "هولبروك" ترمى إليه عند إشارتها (أعلاه) إلى ترجمات مستترة، ومع ذلك فالسؤال المتصل بالموضوع حول الرجحان العربى - الفارسى فى الترجمات العثمانية بعد القرن الخامس عشر، وهو ما سوف أصوره فيما يلى ببعض الأمثلة، متصلٌ أيضًا بالحجة التى تسوقها "هولبروك" بشأن انتهاء "الترجمة الصريحة" فى القرن السادس عشر.

يشير كلٌ من "زهرة توسكا" و"ندرت كوران - بورتشوغلو" Nedret Kuran-Burçoglu إلى أن حكاية مأخوذة بشكلٍ عشوائى من الترجمة التى قام بها "ضيفى" Zaifi (القرن السادس عشر) لتحفة "العطار" منطق الطير" أبقت على ما يصل إلى سبعين كلمة من أصل ١٣٦ وردت فى النص - المصدر دون تغيير (عند الترجمة إلى التركية) (١٩٩٦: ٢٥٩) أى ما يزيد على النصف، ولكن يتعيَّن علينا ألاَّ ننسى أن النصوص - المصدر الشعرية الفارسية كانت تحتوى بالفعل على عناصر عربية، وأن عدد المفردات المعجمية "العربية" التى يتضمَّنها السياق النحوى فى أى حكاية تروى نثرًا بـ "الفارسية" (فى "جولستان" لـ "سعدى الشيرازى" على سبيل المثال) يمكن أن يرتفع حتى يبلغ خمسين بالمائة بل وحتى أعلى من ذلك ("أباك" Apak1999: 28، ٣١) وبالتالى فإن المترجمين العثمانيين الذين اشتغلوا على نصوص - مصادر فارسية كانوا يتعاملون مع لغة شعرية مهجَّنة بالفعل، كما تكشف دراسة مقارنة أخرى لحكاية مأخوذة بصورة عشوائية من ست عشرة ترجمة لـ "جولستان" تحفة "سعدى الشيرازى" (توفى ١٢٩١) الكلاسيكية التى تراوحت كتابتها بالفارسية بين الشعر والنثر أن ٢٦ من أصل ٢٨ كلمة عربية، إلى جانب ١٧ من أصل ٢٧ كلمة فارسية فى النص - المصدر نُقلت كما هى فى الترجمات التى يتراوح ظهورها من القرن الخامس عشر حتى العشرين، وأننا وجدنا فى الترجمات التى ظهرت حتى القرن العشرين تناظراتٍ أكثر فى العربية مما فى التركية فى ترجمة العمل الفارسى، وأن العدد الإجمالى للعناصر العربية تجاوزت خمسين بالمائة بين المفردات المعجمية الكلية فى ترجمات القرنين السابع عشر والثامن عشر ("أباك" ١٩٩٩: ٢٨، ٣٢، ٣١٠). ويعيد "كيم ديلتشين" إلى الأذهان، فى دراسته المقارنة لخمس ترجمات لـ "منطق الطير" أنه بينما كان المترجمون الأقدم الذين عرفهم القرنان الرابع عشر والخامس عشر مهمومين إلى حدٍ كبيرٍ بترجمة "المعنى" إلى التركية، حاول الشعراء "قاضى زاده محمد" Kadizade Mehmed و"ضيفى" (القرن السادس عشر) و"فداى ديدى" Fedai Dede (القرن السابع عشر) أن يحافظوا على الملامح السردية والأسلوبية العربية - الفارسية لنصوصهم - المصدر ("ديلتشين" ١٩٩٣: ٣٦).

فى هذا السياق من التهجين الثلاثى الأبعاد - كما هو واضح - قد يكون من الأسهل علينا أن نفهم الأسباب الكامنة وراء زعم "فيكتوريا هولبروك" بأن الترجمة "الصريحة" أى الترجمة الحرفية فقدت أهميتها بحلول القرن السادس عشر.

٦ - طبع الـ نازيرى بطابعٍ إشكالى

تقابل محو الـ "تركيمى" الذى لاحظناه فى خطاب "فيكتوريا هولبروك" أيضًا فى الحجج التى ساقها "وولتر أندروز" فى مقاله المعنون "عودٌ على بدء: بعض الاقتراحات نحو إعادة النظر فى شعر الديوان العثمانى فى سياق الترجمة والنقل" (٢٠٠٢). فهنا نجد طبعًا ساحقًا لـ "نازيرى" أى المحاكاة بطابعٍ إشكالى فى ضوء وظيفتها الترجمية الخلاقة فى الشعر الموازى والشعر المجيب (٢٠٠٢: ١٩). [١٨] ويبدو الـ "نازيرى" بصفته مفهومًا ثقافيً - الارتباط للترجمة بكل معانى العبارة، وذلك بالتعارض، مع "الترجمة الاستبدالية" (substitutive translation) ، التى أرى فيها ترجمة "أندروز" الإنجليزية لـ "تركيمى" (و"الترجمة الصريحة" لـ "هولبروك").

يبدأ "أندروز" بالإشارة إلى المشكلة التى واجهها فى "الفصل بين ما نراه فى العادة كـ ترجمة فى نطاقٍ عريض من الأنشطة، بعضها يمكن أن يتفق مع أى تعريفٍ لأى شخصٍ كان - لـ "ترجمة" - وبعضها الآخر لا يمكن أن يتفق"، ويضيف: "ولعلها بالتحديد تلك الأنشطة التى تبدو أقلها شبهًا بـ "الترجمة" هى التى تهمنى بالدرجة الأولى كأمثلة للترجمة" (٢٠٠٢: ١٥) وهنا أنتبه للتفريق الذى يقول به "أندروز" بين مفهوم حديث للترجمة ومفهومٍ خاص، هو الـ "نازيرى". واستنادًا إلى مفهوم "هارولد بلووم" Harold Bloom حول الـ "بين - قصيدة" أو "التقاصد" inter-poem وربطها بالنطاق الواسع من "القصائد المجيبة أو التنافسية أو الموازية"، و"القصائد المضافة" و"القصائد التلميحية" فى الذخيرة الشعرية العثمانية، يلح "أندروز" فى الدعوة إلى استكشافٍ للترجمة فى ضوء التناص intertextuality ، ويستنتج أن "الاعتراف بالعلاقات بين القصائد "الأصلية" و"الخلاقة" (على نحو ما يتضمنه مفهوم إعادة الكتابة

الذى أصبح شـائعًا الآن بالفعـل) عـلاوة على تلك العـلاقـات التى نظن أنهـا ثانويـة أو إلى حـدٍ ما "استبداليـة"، فإننـا نجـد أنفسنا مدفوعين إلى طرح بعض الأسئلة غير المعتادة إلى حدٍ كبير حول الترجمة" (٢٠٠٢: ١٦-١٧)

يرى "أندروز" أن الـ "نازيرى" أفادت على أوسع نطاقٍ كالوسيلة الممكنة لترجمة الغنائيـات العثمانيـة الأخرى بالإضافة إلى الأشعار الغنائية الفارسية، فيما عدا "السرقة الصريحة" (٢٠٠٢: ٢٥) وفى رأيه أن شكل الـ "نازيرى" يتمتع بجانبٍ كبير من الأهمية أيضًا فى سبيل "فهم كيفية تطور ونقل ونشر "المعرفة" **episteme** العثمانية – الفارسية التى بدأت فى الظهور اعتبارًا من مطلع القرن الخامس عشر فصاعدًا" (٢٠٠٢: ١٩) ولعل من الأهميـة بمكان عند هذه المرحلة أن ننظر إلى الـ "نازيرى" كـ"مجازٍ" فى حد ذاتها:

كامنٌ فى طبيعة الـ"نازيرى" العثمانية (والأعمال الشبيهة بالـ"نازيرى") أن تمحو الحدود (أو تتغاضى عن "الاختلاف" بطريقة متسلِّطة). كما أن الحال، على العكس تمامًا، مع طبيعة "الترجمة" – بأضيق معنى للكلمة – أن تعززها أى تلك الحدود ... ويعكس التشابه الضمنى فى مفهوم الـ "نازيرى" أو يبتكر، أى ذلك التشابه مجازًا لمعنى التشابه الأساسى عند مستوى اللغة الشعرية (أو المتشعِّرة بمعنى المطبوعة بطابع الشعر) التى تمتد عبر لغات المجال المعرفى (٢٠٠٢: ٣٣).

ولما كانت تلك عبارة عن لغاتٍ تنتمى لنفس "المجال المعرفى"، فإن "أندروز" يكتشف أن "العثمانية والفارسية والأردية لغاتٍ شعرية "غير قابلة للترجيم" **untranslatable** فيما بينها بالمعنى الذى يستعمله "ولتر بينيامين" **Walter Benjamin** بالإشارة إلى النصوص "المقدَّسة" (المرجع السابق)، وبالتالى يكون مفهومًا ضمنيًا أنه لا ينبغى لنا أن نفكر فى الترجمات التركية العثمانية للشعر الفارسى، وعوضًا عن ذلك، يرى "أندروز"، أنه ينبغى لنا أن نمعن النظر فى الكيفية التى نُقلت بها اللغة الشعرية العثمانية أو تُرجمت "إلى المجتمعات الصغرى الأخرى الناطقة بالتركية مثال: من تعابير الصفوة إلى تلك التعابير التى تخص الأهالى.

لما كانت لغة الأدب العثمانى هى العامل المنتج المركزى للعالم المعرفى/الثقافى العثمانى، فإن النقل والترجيم من هذه اللغة هو الذى يؤسس شخصية التركية الغربية فى الفترة العثمانية ويصبح بمثابة السلف الأصلى للتركية التى نعرفها اليوم ("أندروز" ٢٠٠٢: ٢٨-٢٩) (الخط المائل تأكيد من عندى. ص.ب).

وهكذا يشير "أندروز" إلى منطقة من النقل بين - اللغوى [١٩] التى غفل عنها النظر النقدى من جراء إيمان قطاعٍ من الباحثين بمفهوم يرى التركية كـ "لغة قومية صرفة"، وتبعًا لذلك تعتبر التركية العثمانية لغة ملوثة بكلٍ من الفارسية والعربية ويفترض أن "طبقة وسيطة من الشعراء والحكائين" الذين بذلوا قصارى جهدهم فى سبيل إدخال التركية إلى بلاط الأمراء الناطقين باللغة الفارسية فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر "مضوا قدمًا فى التوسُّط بين "التركية المتفريسة" Persianized Turkish التى تتحدثها الصفوة وبين لغة الأهالى التى لا تكف عن تخليق (خلال أنواعٍ متعددة من "الترجيم") مفرادتٍ وتعبيراتٍ فى اللغة التركية" (٢٠٠٢: ٣٥)

يرى "أندروز" هذا اللون من الترجمة البين - لغوية (=داخل نطاق نفس اللغة) نوعًا من النشاط (بل ونوعـًا جديـرًا بالدرس بمصطلحات "الترجمة") أكثر مما يسمِّيه بـ "الترجمة الاستبدالية"، ويعيد لأذهاننا أن الترجمة الأخيرة، وهى قريبة من "التقليد المفرط فى الحرْفية" كانت محط ازدراء عددٍ من الشعراء وكتَّاب السِّيَر العثمانيين نتيجة لمعرفتهم بكم هو نحيف ذلك الخط الفاصل بين الشعر العثمانى وذلك الفارسى. (٢٠٠٢: ٣٠) وتوضِّح - وكما هو متوقَّع - الأمثلة التى يستقيها من شعراء معيَّنين ممن أفصحوا عن ازدرائهم، أنهم كانوا يقصدون الـ"تركيمى"، وهو المصطلح الذى لم يستخدمه "أندروز" فعلاً بالمرة. ومن الواضح أن السبب فى ذلك كامنٌ فى أنه يرى فى هذا المصطلح مثالاً على مفهوم التراكم Hrönir "البورخيسى" (= نسبة لـ"بورخيس") وهو المفهوم الذى خلَّدته "تقاليدنا (أى التركية) فى الدرس والبحث، تلك التى أصرَّت - استنادًا إلى الوضوح المزعوم للحاضر - على أنهم أى الشعراء كانوا فى الواقع يترجمون وكانوا فى حقيقة الأمر يقلِّدون" (المرجع السابق) وهنا أظن أن "أندروز" كان

محقًا فى نقده للدارسين والباحثين لعجزهم عن رصد ودرس خصوصيات ثقافية معينة، مثل الـ "نازيرى" فى الترجمة العثمانية. وهذه تعد إحدى النقط الأساسية التى أعتمد عليها فى نقاشى. ولكننى أرى أن "أندروز" بمساواته الـ "تركيمى" (أو أى مصطلح آخر فى التركية يدل على الترجمة) بأى مفهوم حديث للترجمة (فى اللغة الإنجليزية) يشير إليه فى بداية مقاله كـ" أى تعريف لأى شخص كان"، إنما يبدو وقد تجاهل - هو الآخر - ممارسة تمثل خصوصية ثقافية معينة.

وإذا كان لنا أن نعيد فحص افتراضات مستقرة معينة فى ضوء ما قاله العثمانيون عن أنفسهم وعن أعمالهم، فلسوف يلزمنا - أول ذى بدء - أن نضع فى ذهننا أن ما أشار إليه العثمانيون فى الغالب الأعم بالـ "تركيمى" يبدو أنه كان نشاطًا على جانب من الأهمية، استمروا منخرطين فى ممارسته وظلوا يغالبونه طوال حياتهم الثقافية. ثانيًا: يتعين علينا أن نكون على وعى ببعض الغموض الذى ينطوى عليه الخطاب الأدبى - النقدى التركى الحديث. فهذا الخطاب، الذى ينتقده "أندروز" يلقى ثقله فى الاعتماد على الـ "تركيمى"(أو الـ "تركومى") كـ "مصطلح يستعمله عند الإشارة إلى/أو التعرف على بعض الأعمال فى التقاليد العثمانية أو نبذ أعمال معينة وإعلاء شأن أعمال أخرى، ولكن ليس على الـ"تركيمى" كمفهوم وظيفى يمثل خصوصية ثقافية . فلقد نزع الدراسون الأكاديميون الطابع الإشكالى عن المفهوم، فى اتخاذهم المفهوم الحديث للترجمة (أى ما يبدو أن كلمة "تشفيرى" **çeviri** تدل عليه) كأساس ينطلقون منه، وليس الـ "تركيمى" كمفهوم ثقافىٍّ - الارتباط. وبناء عليه - ففى رأيى - أن إصرارهم على مفهوم "الترجمة" **translation** الذى يشير إليه "أندروز" أعلاه، يظل غير منطقى.

موجز القول، تفرض قوة الحجة التى يسوقها "أندروز" لصالح الـ"نازيرى" كممارسة ترجمية خلاقة ومفهوم ثقافىٍّ - الارتباط أن نضعها ضمن إطار مفهومى يهدف إلى توسيع ميدان البحث أمام الدارسين فى تاريخ الترجمة العثمانية، وفى طبعه الـ"نازيرى" بطابع إشكالى بصفتها ترجمة خلاقة، يكون "أندروز" قد أبرز إلى مقدمة الصورة الفاعلية النشطة للشعراء العثمانيين الذين انغمسوا بعمق فى عملية التناص

(= البين – نصوصية) فى فضاء من التثاقف (= البين – ثقافية). وداخل نفس الفضاء لفت الأنظار أيضًا إلى دور المترجمين البين – لغويين intra-lingual (= أى داخل نفس اللغة) كوسطاء بين الشعر الرسمى وذاك الشعبى، كما تصلح الحجج التى ساقها كمقدمة لمفهوم التثاقف.

٧ – التثاقف العثمانى

يلجأ "أنتونى بايم" فى تعريفه الواسع الأوَّلى لـ "التثاقف" (= البين – ثقافى) إلى استعمال المفهوم "فى الإشارة إلى الآراء والممارسات التى نجدها فى التقاطعات والتداخلات التى تقوم بين الثقافات، حيث يضفر الناس شيئًا من ثقافتين أو أكثر فى نفس الوقت" (١٩٩٨: ١٧٧) وفى الآونة الأخيرة، انتصر "بايم" لصالح "تقييديْن تعريفيين على الأقل": ينبغى أن يكون هؤلاء "الناس" مجموعات تنتمى إلى هذا الحد أو ذاك إلى مركزٍ مهنىٍ وأن تلك "التقاطعات" ينبغى النظر إليها هرميًا (= تراتبيًا) بصفتها "ثانوية فى تقسيم الثقافات"، وذلك لأنه "بمجرَّد أن يكف الخط الفاصل بين الثقافات عن التأثير، وبمجرَّد اختفاء كل حاجز وظيفى كان ليحتاج إلى المقاومة والتغلب عليه، فإن التناص يفقد وضعه كمشتق ويتعذَّر علينا عندئذٍ تمييزه عن الممارسة الثقافية العامة" (٢٠٠٢: ٥) ويُبيِّن "بايم" أيضًا أنه مع أن هذه التقييدات فضفاضة، لكن ينبغى لها أن تُحذِّرنا من "أى قاعدة شائعة وعمومية النزعة تشترك فيها الثقافات المختلفة" (المرجع السابق). وبناء عليه، يصير لزامًا على أى تثاقفٍ عثمانى أن يجرى تصوُّره مفهوميًا، فى التقاطع بين ثلاث ثقافات (الفارسية والعربية والتركية) أى المطرح الثلاثىّ اللغات، الثلاثىّ الثقافات الذى عمل فيه المترجمون – الشعراء العثمانيون [٢٠] وبينما يبدو "التثاقف" تركيبًا بسيطًا، فإن فكرة وجود تثاقف عثمانى ليست بكل تأكيد، كذلك. ولعل بساطتها أو مرونتها فى حد ذاتها تنضم إلى نطاقٍ أوسع كثيرًا من الدراسات حول أعمال وممارسات المترجمين – *الشعراء فى العصور العثمانية*، وهو الأمر الذى يوفِّر للباحثين أن يتبنَّوا – إذا شاءوا – داخل إطار "التثاقف"، مثل تلك التراكيب النظرية

المـا – بعد – استعمارية مثلما هو الحال مع "منطقة التماس" (١٩٩٢: ٦–٧) التى قالت بهـا مـارى – لويز برات Mary louise Pratt أو "التـهـجـين" الذى توصَّل إليـه "هومى بهابها" Homi Bhabha(1996: 59) [٢١] .

فى ضوء الأسس المنهجية للإطار المفهومى الذى أحمله فى رأسى، فإن همى عند هذه النقطة يتعلَّق بالسؤال حول ما إذا كنا نستطيع أن نتصوَّر التثاقف العثمانى أيضًا كنسقٍ فى حد ذاته، وهنا يوجِّه "بايم" نقدًا إلى "جديون تورى"، خلال اشتباكه مع إشارته أى "تورى" إلى "التثاقفات" ("تورى" ١٩٩٥: ١٧٢) لعجزه عن تناول هذا المفهوم بصـورة فعالة، ويذهب إلى أن إمعان النظر فى المفهوم كان "ليشيع الاضطراب فى أجزاء كثيرة فى نظريته" (١٩٩٨: ١٨٠) ويلفت "بايم" الأنظار خلال مناقشته إلى نقطة على جانبٍ ما من الأهمية من منظورنا الخاص: (...) يجد "تورى" وهذا أمر طبيعى، "التثاقفية" الضرورية "غير واردة على الإطلاق"، ويعلن "طالما لم يتبلور "تثاقف" (افتراضى) على هيئة كيانٍ مستقل ذاتيًا وشامل (مستهدف!) ... فهو بالضرورة جزء من نسقٍ قائم فى الواقع (مستهدف!) (المرجع السابق). ومع ذلك فالقول الفعلى الذى أرسله "تورى" يحتوى نقطتين حاسمتين (أكَّدت عليهما أدناه)، وهما نقطتان حذفهما "بايم" من الاستشهاد، ولقد كتب "تورى" يقول:

يتلخَّص ماهو غير وارد على الإطلاق فى أن الترجمة قد تحلَّق فيما بين الثقافات، إذا جاز التعبير، طالما لم يتبلور"تثاقف" (افتراضى) على هيئة كيانٍ مستقل ذاتيًا وشامل (مستهدف!) ... مثال، فى عملياتٍ مشابهة للتهجين اللغوى المنخفض pidgini-zation والعالى creolization فهو بالضرورة جزء من نسقٍ قائم فى الواقع (مستهدف!) (١٩٩٥: ٢٨).

ترى هــل يمكننا أن نذهب إلى حــد القــول بأن الأدب والثقافة العثمانيين نجحا فى حقيقة الأمر فى "التبلور على هيئة كيانٍ مستقلٍ ذاتيًا وشامل" خلال عملية شبيهة لتلك التى وصَّفها "وولتر أندروز"؟ وها هو "أندروز"، الذى يأخذ فى هذه الحالة "مفتاحه" أو إشارته من "ريتشارد روترى" Richard Rotry :

(يرى أى "روترى" أن الاستعمالات الجديدة والمعانى الجديدة والكلمات الجديدة تظهر إلى الوجود مع التحوُّل التدريجى الذى يدخل على المجاز (= خيالى) حتى يصبح ملموسًا (= مادى)، وبناء عليه فالاستعمال الأدبى وخصوصًا الشعرى، الذى تُساق خلاله باستمرار الكلمات إلى علاقاتٍ جديدة – ليست سوى مولداتٍ أساسية للغة – إذ تجعل ظروفًا جديدة للمعرفة ممكنة... ويبدو ألاّ نكران فى أن لغاتٍ أدبية جديدة تنهض فى أزمنة التغيُّر الكبير وتتشارك فى خصائص بارزة معينة، وعلى سبيل المثال تُعد اللغة الجديدة تحوُّلاً هائلاً من اللغة الأدبية القديمة (ومعنى ذلك أن مجرَّد التطوُّر عن اللغة القديمة لا يكفى وحده لتفسير الأمر) فاللغة الجديدة عبارة عن "مزنق" مكتظٍ بالعناصر الأجنبية، وتكون فى الغالب نتاجًا لصفوةٍ متعددة اللسان multi-lingual ، وملوَّثة بالـ "ترجمة"، وغير نحوية (فملامحها ليست خاضعة للتثبيت خلال شرحٍ رسمى) ولغة الشعر العثمانى تنتمى – بكل تأكيد – لهذا النوع، ولكن على هذا النحو أيضًا كانت الفارسية الجديدة والعربية والعبرية ، وأسبانية الأندلس والبروفينسالية Provençal والإنجليزية الوسيطة...)

وإذا تبنَّينا موقفًا يقوم على أن اللغة الأدبية العثمانية تطوَّرت (تشبه فى تطوُّرها ذاك الفارسية الجديدة إلى حدٍ بعيد) كلغة مشتركة Lingua Franca لمجالٍ معرفى ولغوى وإقليمى وثقافى جديد، إذن يكون بالتحديد من "طبيعتها" أن تصنع ما صنعته، أن تكتب القصائد التى كتبتها، بالأوزان والكلمات التى استعملتها، والكلمات التى تشترك فيها مع الفارسية والعربية والأولى الكلمات الفارسو – عربية Perso-Arabic (ودع عنك اللغتين اليونانية والإيطالية) كانت كلماتها هى وليست "مستوردة" من أى مكانٍ آخر. ("أندروز" ٢٠٠٢: ٢٧).

فى ضوء الحجج التى يسوقها كلٌ من "تورى" و"أندروز"، تكون الإجابة: نعم: نستطيع أن ننظر إلى المجال المعرفى – الأدبى العثمانى كمجالٍ بين – ثقافى / "تثاقفى" تطوَّر خلال عمليات التهجين التى جرت بحلول القرن السادس عشر.

هل يمكننا أن نفترض أيضاً، إلى ذلك الحد الذى يخص البين - ثقافة العثمانية - كنسق، أن الأدبين والثقافتين العربيين والفارسيين وقفا كـ"مصدرين" للأدب والثقافة العثمانيين، بينما خدم الأدب والثقافة الفارسيان - العثمانيان بالدرجة الأولى فى وظيفة "هدفين" للعربية والفارسية؟ إذا كان لنا أن نقبل الحجة التالية فلسوف يكون جوابنا بالإيجاب هذه المرة أيضاً.

يشمل ويضم نطاق "التركية - العثمانية و"الثقافة العثمانية" والثقافة الفارسية (وفى وقت لاحق الأردية) تماماً مثلما تشمل وتضم الثقافة الفارسية (والأردية) الثقافة العثمانية (و لعله من المهم أن نشير - دون تفصيل - إلى أن هذه التبادلية لا تمتد إلى الأدب العربى، الذى اندمج فى عالم الخطاب الأردى - العثمانى - الفارسى، لكنه لم يشمله أو يشارك فيه). ("أندروز" ٢٠٠٢: ٣٣) (٢٢)

وبناء عليه نجد فى وسعنا أن نتصوّر البين - ثقافة العثمانية كنسق فى حد ذاته، حيث تلقى فى إطاره المترجمون العثمانيون وعالجوا المصادر العربية والفارسية. وفى ضوء الحجج التى ساقها "أندروز"، نستطيع أن نتخيَّل المترجمين - الشعراء العثمانيين وهم يؤدون عملهم فيما يسمِّيه "توري" "ما بين - الثقافات" (أو ما يطلق "بهابها" عليه "ثقافة ما بين - بين) وينتجون أعمالاً، إبداعية أو استبدالية، تمتثل لأعراف التهجين التى تجاوزوها فى الفضاء البين - ثقافى الذى وجدوا - على ما نفترض - أنفسهم فيه. وانطلاقاً من هذا المنظور يستطيع مفهوم البين - ثقافة - العثمانية كنسق أن يساعدنا أيضاً بصفته سياقاً رائعاً لدراسة سير الشعراء العثمانيين، تلك السير الموسوعية والأدبية - النقدية، التى كتبها شعراء امتلكوا أشياء مهمة يستطيعون قولها عن الترجمة والمترجمين خلال تقييماتهم (قارن : "توسكا" ٢٠٠٢: ٦٤-٦٥) (٢٣) وعكست آراؤهم استبصارات (= نظرات ثاقبة) متغيِّرة عن الممارسات الترجمية.

٨ - ختام

خلال الصفحات السابقة رسمت خطوطًا عريضة لإطارٍ مفهومي ، يستند إلى طبع الممارسات الترجمية الأدبية فى العصور العثمانية فى ضوء مصطلحيْ الـ"تركيمى" والـ "نازيرى" بطابعٍ إشكالى، فى ظل سياقٍ بين - ثقافيٍ شامل. وتهدف الحجج التى قادت إلى/ وركّزت على التثاقفية، من وجهة نظرٍ بحثية عامة إلى الدعوة إلى نظرة نقدية أعرض تجاه الممارسات المتنوعة للمترجمين - الشعراء، من الأشكال الحرفية/الاستبدالية إلى الأشكال الإبداعية مثل تلك الأشعار التنافسية والموازية، تلك التى ضمنتُها فى هذه الورقة تحت مفهوم الـ "نازيرى/المحاكاة"، ولكننى لم أحمل التفريق الذى رسمه "وولتر أندروز" بين الترجمة الاستبدالية وتلك الإبداعية على أنه تعارض ثنائى binary بين الـ "نازيرى" والـ"تركيمى" بل باعتباره يشير إلى تشكيلة واسعة من الأنشطة الترجمية الأدبية العثمانية. ويقترح هذا الإطار المفهومى أن يساعد فى تعريف ميدان التقصى إلى حدٍ يساوى التشكك فى النهوج المستقرة إلى الترجمات العثمانية. وتدعو الحجج التى تؤيد طبع الـ تركيمى" والـ"نازيرى" بطابعٍ إشكالى إلى توجيه انتباه خاص إلى تلك المفاهيم التى تسود الخطاب البحثى، سواء باللغة التركية أو الإنجليزية، وذلك لأن إدراك خصوصيتهما الثقافية وبعثهما كمصطلحين وظيفيين صالحين للاستعمال فى الخطاب البحثى الحديث حول تاريخ الترجمة الأدبية، سوف يجلب وضوحًا مصطلحيًا ومفهوميًا إلى ميدان البحث.

وينطوى فحص ممارسات الـ"تركيمى" والـ"نازيرى"، بالضرورة على دراسة المترجمين - الشعراء واستراتيجياتهم المبنية على تفاعلهم الثقافى والأدبى واللغوى مع النصوص - المصادر الفارسية منها و/أو العربية (المفترضة أو الواضحة الهوية) ومؤلفيها، إلى جانب تفاعلهم مع أعمال المترجمين - الشعراء، العثمانيين سواء السابقين منهم أو معاصريهم، ومثل هذا التفاعل قد ينطوى على التنافس أو الانقياد. وفى هذا السياق يكتسب مفهوم البين - ثقافة العثمانية، بصفتها مطرحًا ثلاثىّ الثقافات (التركية والفارسية والعربية) لنشاط المترجمين - الشعراء وأعمالهم أهمية كبرى، وبوسع مقدرة نقدية على رصد المعانى الضمنية لفكرة وجود بين - ثقافة

عثمانية مستمرة حتى أعماق القرن العشرين أن يكون فعَّالاً فى تفكيك مركزية المشق القومى النزعة والمستقر للبحث فى تاريخ الأدب، كما يمكننا فحص التناصية والتهجينية اللغوية بصورة أشد موضوعية فى إطار بين - ثقافة عثمانية، تلك التى يجرى تصوُّرها خلال إدراكها بصورة تدريجية لاستقلالٍ ذاتىٍ شامل، كما يستطيع هذا الإطار أيضاً أن يوفِّق ليس بين الشعراء الرسميين/المعتمدين واشتغالهم الترجمى على المصادر الفارسية والعربية، ولكن أيضاً الشعراء غير الرسميين/غير المعتمدين الذين قد يُفترض أنهم ترجموا من اللغة الفارسو - عثمانية إلى اللغة التركية الشعبية.

على أن البحث عن/و التوصُّل إلى أجوبة على أسئلة من نوع: ما هى الإستراتيجيات الأدبية واللغوية التى تبنَّاها المترجمون - الشعراء؟ كيف جاء رد فعلهم على أعمال غيرهم من الشعراء سواء العثمانيين أو الفرس؟ كيف وصَّف وقيَّم وفسَّر كتَّاب السِّير أعمالهم؟ (قارن "توسكا" ٢٠٠٢: ٦٤-٦٥) سوف يسلِّطان أى البحث عن/ والتوصل إلى ضوء - دون شك - على الكيفية التى مورست خلالها الترجمة بأشكالها المتعددة فى أوقاتٍ محددة على امتداد قرونٍ عديدة. ولسوف يكشف التقصى والتوصيف عن قرب إلى حدٍ يمكن للتفريق الأساسى بين الترجمة الإبداعية والاستبدالية أن يكون مفيداً فى تفسير المظاهر الترجمية للأعمال، كل عمل على حدة، وفى رصد التغيُّرات التى دخلت على مفهوم الـ "تركيمى" (على سبيل المثال ما ألمح إليه كاتبو السِّير) على امتداد الزمن. ولسوف تقف اكتشافاتنا فى هذا الصدد كى تذكِّرنا بأن ممارسة ومفهوم الـ"تركيمى" لا ينبغى بالمرة أن ينظر إليهما أحد على أنهما ثابتان لا يعرفان التغيُّر طوال مئاتٍ عديدة من السنين، بل ولا حتى طوال مائة واحدة ومع أن بعض التعميمات (مثال: اللغوية) بشأن الاختلافات بين - فلنقل - الترجمات القديمة وتلك اللاحقة قد تكون أحياناً مفيدة، إلاَّ أنها تُعمى أبصارنا عن التيَّارات التحتية للتغيُّر الثقافى. وتُعد السمة الشاملة للبين - ثقافية العثمانية على جانبٍ ملحوظٍ من الأهمية فى تذكيرنا بذلك التغيُّر. ولسوف نتحقق من أن الـ"تركيمى" والـ "نازيرى"، بعد درسهما فى سياق بين - ثقافة تطوَّرت إلى نسق ينطوى على علاقات بين طرفيْن: مركز - هامش، مما يستحيل أن يستمر ساكناً أو استاتيكيًا لمدة طويلة، يجيبان على أسئلة أكثر مما استطعنا نحن الباحثين أن نصوغ فى كلماتٍ حتى الآن. (٢٤)

الهوامش

(١) مترجم – شاعر هو الاسم الذى استعمله فى هذه الورقة، ويكتب "لطيفى" Latifi (تُوفى ١٥٨٢) فى قاموسه السيرى – الأدبى للشعراء: "تزكيرى" tezkire حول مترجمين – شعراء متبسِّطى التعبير كثيرين فى (mütercime sade-gu sairler) القرن الخامس عشر (فى "تولازا" Tolasa1983: 276) . ويذكر "لطيفى" أيضًا شعراء سلكوا طريق الترجمة (tariki-i-terceme) – وهو طريق – فى حالة "أحمد باشا" (تُوفى ١٤٩٧)" كان البعض يحبذونه دون البعض الآخر. (المرجع السابق)

(٢) انظر، على سبيل المثال رسائل دكتوراة كلٍ من "أوزليم بيرك" Özlem Berk (1999) و"شيبنيم سوزام – سرايبفا (2002) Sebnem Susam-Sarajeva و"شهناز طاهر – جورتش – اغلار" Sehnaz Ta-hir-Gurçaglar(2001)

(٣) هناك بعض الطبعات النقدية الممتازة من أعمال الشعراء الأوائل الذين ترجموا أشعارًا قصصية فارسية لإمتا ع وتعليم الأمراء الأتراك خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر، فى نفس الوقت التى واصلت اللغة الفارسية سيادتها كلغة الأدب. ولكن الدراسات الأكاديمية لم تركز، بصورة خاصة على مثل هذه الأعمال بصفتها ترجمات، غير أن تلك الفترة تحتفظ – بصفة عامة بأهمية خاصة – لأن أوائل المترجمين – الشعراء – خلالها – الذين كانوا – بعبارة "زهرة توسكا" – خالقى لغة الأدب التركى – وقفوا كنماذج يقتدى بها الشعراء اللاحقون (٢٢١: ٣)

(٤) ينطوى بحث "تقى الدين كاياأوغلو" Taceddin Kayaoglu (1998) حول مؤسسات الترجمة من القرن السابع إلى منتصف القرن العشرين، على أهمية خاصة تتمثَّل فى توفير المعطيات الحالية لأولئك الذين لا يتمكنون من التوصُّل إلى الأبجدية أو القلم script ، ولكنه يظل تاريخًا وثائقيًا دون اكتراث بالتحليل.

(٥) جرى استبدال الأبجدية (القلم) العربية التى كُتبت بها التركية خلال العصور العثمانية بالحروف الرومانية، مع بعض التعديلات الضرورية – بصفة رسمية – عقب الإصلاح الأبجدى الذى أقدم عليه الجمهوريون فى سنة ١٩٢٨ انظر "طاهر – جورتشاغلار" (من ص ٧٨ إلى ٩٢) فى سبيل الاطلاع على نقاش جاد حول النتائج الثقافية التى أسفرت عن تغيير الأبجدية والإصلاح اللغوى اللاحق.

(٦) يصف "وولتر أندروز" Walter Andrews على سبيل المثال الثقافة العثمانية بأنها "ثقافة البدائل"(١٩٩٧: ٨)

(٧) تظهر كلمة "تركيمى" terceme المنحدرة من أصلٍ عربى، كصيغة عتيقة فى اللغة التركية المكتوبة أكثر من "تركومى" tecüme التى تُعد بمثابة بديلها الحديث فى الكتابة. ويمكن استعمالهما فى الخطاب التاريخى – الأدبى الحديث عن الأدب التركى بصورة متبادلة، ولكن "تركومى" تخلَّت عن مكانها بالتدريج لـ çeviri وهى كلمة تركية منحوتة تعنى (مثل tercüme) : مفهوم وعملية ومنتج الترجمة، وهى مشتقة من الفعل çevir-mek (متعدى)، وقد بدأت مثل هذه الكلمات المنحوتة تنتشر على الألسنة مع حركة إصلاح اللغة التركية باتجاه النقاء المعجمى فى الثلاثينات (= الثلاثينيات)، وقد حلَّت "تشفيرى" çerivi محل tercüme

فى الخطاب الحديث عن الترجمة، ولكن tercüme لا تزال رهن الاستعمال أيضًا عند الإشارة إلى الترجمة التجارية، وعند الدلالة على نزعة تقليدية، وهو ما ينطوى أحيانًا - وإن لم يكن دائمًا - على بعض السخط الأيديولوجى على الإصلاحات الجمهورية، ويضفر "ليفيند" Levend فى تاريخ الأدب (١٩٨٤: ٨٠-٩٠) الفصل الذى خصصه للترجمة الكلمات الثلاث العتيقة والحديثة والتقليدية: وهذا الفصل معنون بـ Tercüme ويناقش الترجمة فى ضوء كلٍ من "الـ "تركومى" و"تشفيرى". انظر "طاهر - جورتشاغلار" (ص١٥٤-١٦٧) فى سبيل الاطلاع على أمثلة على فعل "تركومى" فى بدايات الخطاب الجمهورى عن الترجمة.

(٨) الترجمات ووظائفها فى استمرار الثقافة العثمانية: القرون من الرابع عشر حتى التاسع عشر وبدايات الترجمات العثمانية ووظائفها فى تشكيل النماذج الأدبية العثمانية، وقد ترأس كلا المشروعين أعضاء من قسمىْ "الترجمة والترجمة الفورية بالإضافة إلى اللغة التركية والأدب بجامعة "بوغازتشى" وتلقى المشروعان دعم "صندوق البحث بجامعة "بوغازتشى" فى سنتىْ ١٩٩٧-١٩٩٩ و١٩٩٩-٢٠٠١ على التوالى، وقد ساهمت بالورقة التى بين يدىْ القارئ فى كلا المشروعين.

(٩) "مسنيفى" Mesnevi (= مثنوى) مصطلح منحدر من اللغة العربية للشعر القصصى الذى يتفق فيه كل بيتين فى قافية واحدة.

(١٠) للمشروع الأول فحصنا المصادر الثانوية مثل الفهارس المبوَّبة (= الكاتالوجات) وسير الشعراء العثمانيين والتواريخ الأدبية والطبعات النقدية كى نقف على ما إذا كانت هناك أعمالٌ غير محددة الصفة معينة، مما يمكن اعتبارها ترجماتٍ سواء من وجهة نظر التقاليد أو الدراسات الحديثة، وإذا كان فى طوعنا أن نقتفى أثر المصادر أو التوصل إلى أصول بعض ما يُسمَّى بالـ "اقتباسات" أو ما إذا كانت الروايات التى يُزعم بأنها تحمل صفة "الأصول"، تعتبر بأى طريقة كانت ترجمات أو تتصل اتصالاً أو آخر بالممارسة الترجمية.

(١١) كتب كل من "قطب" وسيف السرايى" بلهجاتٍ تركية تختلف عن التركية الأناضولية.

(١٢) انظر هامش رقم ٤

(١٣) للاطلاع على أعمالٍ بين - نصوصية (= متناصة) من الـ "نازيرى" فى الشعر الغنائى انظر نماذج فى اللغة الانجليزية عند "توسكا" (Toska (2002: 67-10 وأندروز (Andrews (2002: 19-24

(١٤) انظر هامش رقم ٤ حول التعايش بين القديم والجديد كـ "تركومى" و"تشفيرى".

(١٥) يتضح هذا النهج الذى يحجب الترجمات بغزارة فى الفصل الذى عنونه "ليفيند"(١٩٨٤: ٤٤-٥١) باسم "الأدب المقارن" حيث ينصب تركيزه على "المحاكاة" و"التأثير" دون أى إشارة إلى الـ "تركيمى".

(١٦) تُعد دراسة "إميل تشلبى - أوغلو" (Amil çelebioglu (1999 حول الروايات التى صيغت فى النوع الشعرى المعروف باسم الـ "مسنيفى" mesnevi ، أحدث مثالٍ على الرؤية المقيَّدة والنازعة للطابع الإشكالى عن ممارسة الـ "تركيمى".

(١٧) فى افادته حول الغرض من وراء عمله يعرِّف "هوكا مسعود" نفسه بشكل محدد كـ "تركيمان" -terce man أى "مترجم": "sebeb-I nazm-I in-kitab" ("ديلتشين" ١٩٩١: ٢١٣) ويعرِّف نشاطه بمصطلحات نستطيع ترجمتها (حرفيًا) على هذا النحو: "إبداء تعليق" "serh eyleyem Türkice" ديلتشين" ١٩٩١: ٢١٨).

(١٨) قارن "ليفيند" (١٩٨٤: ٧٠-٨٠) عن ممارسات الـ "نازيرى" (imitatio) أى: محاكاة وcevap أى: رد و"توسكا" (٢٠٠٢: ٦٥-٦٦) وقد أشرت إليها أعلاه.

(١٩) لا تزال مستمرة الترجمة البين-لغوية (أى داخل نفس اللغة ولكن من مرحلة إلى أخرى أو من مستوى لأخر intra-lingual المترجم) إلى التركية الحديثة للأجيال التى جاءت بعد الجمهورية حتى يكون فى وسعهم أن يفهموا النصوص *باللغة التركية العثمانية*.

(٢٠) تلفت "رينا دروري" Rina Drory الأنظار فى مقال أكثر من شيِّق (عن عمل باللغة العبرية نُمْذِج على نوعٍ أدبى عربى فى المناخ الثقافى الذى كان سائداً فى أسبانيا المسيحية، كتبه "*الهريظى*" Al-Harizi ، وهو كاتبٌ يهودى من القرن الثانى عشر، إلى نقطة غالبًا ما نغفل عنها: " نجد فى الغالب الأعم أن *الديناميات الثقافية* أشد تركيبًا وأكثر إتقانًا، نظراً لأن الاتصالات والعلاقات الأدبية غالبًا ما تنهض بين أكثر من أدبين بشكلٍ متزامن وبطرقٍ أشد براعة وتشابكًا، مما نستطيع تعريفه كـ"تأثير" من أدبٍ على أخر... وفى بعض الأحيان يلزم إعادة بناء سياقٍ ثقافىٍ كاملٍ كى نفهم الظروف الفعلية التى جعلت الكتابة أو إنتاج نصٍ معين عملاً ممكنًا. (١٩٩٤: ٦٦)

(٢١) فى الحقيقة – وفى ضوء المناقشات الحالية – أعتقد أن *الدراسات التى* تتناول *الإستراتيجية الهجينة* (على سبيل المثال: فى الـ "نازيرى" و"تركيمى العثمانيين) أو الخطاب الذى يفتح فضاءً للتفاوض والتجاوز حيث علاقات القوة غير متعادلة ولكن التعبير عنها يكتنفه الغموض، سوف تكون على جانبٍ بارز من الأهمية (بهابها Bhabha 1996: 58) .

(٢٢) يسلِّط هذا التفسير ضوءاً ويعطى توضيحاً وتحديداً أكثر *كثيراً على الرأى الذى* أفصحت عنه "زهرة توسكا" بالعبارة التالية:"مع أن كل أدبٍ يعكس خصائص ثقافية ولغوية خاصة به، إلاَّ أننا لا نبعد عن الصواب إذا قلنا أن الآداب التركية والفارسية والعربية تشكِّل – فى إطار شبكة من العلاقات – نسقًا ثقافيًا مشتركًا يتخذ من *الإسلام* أساسًا *له*. (٢٠٠٢: ٧٢)

(٢٣) يقرر "هارون تولازا" (322 :1983) Harun Tolasa فى دراسته لثلاثة من رواد كُتَّاب السِّير – النقاد العثمانيين من القرن السادس عشر، أنهم كانوا حريصين على الإشارة، ليس إلى اللغة (عربية أو فارسية أو تركية) التى وقع عليها اختيار الشاعر كى يكتب بها، ولكن أيضًا إلى ما إذا كانت كتاباته "أصلية" أم "مترجمة". ومع أن ملاحظاتهم كانت بصفة عامة مختصرة، إلاَّ أن كتَّاب السِّير أولئك أولوا عناية لا تخطئها عين لإبراز ذلك. ويعلِّق "تولازا" هنا بقوله إن كتَّاب السِّير – النقاد الثلاثة، الذين تناولهم بالدرس "لم يعترضوا بشكلٍ أساسىٍ على الترجمة – بل على العكس – أضافوا ملاحظاتٍ مفعمة بالاستحسان على *التدخلات والإضافات إلى* مضمون العمل، وعلى الملامح الأسلوبية الشخصية للمترجم. ومع ذلك فلقد فضحوا أو وجَّهوا نقداً لاذعًا لأولئك الذين ادعوا أو زعموا أن كتاباتهم أصلية أى من ابتكارهم، ثم ظهر أن أعمالهم عبارة عن ترجماتٍ ومحاكاة ونماذج للسرقات" (المرجع السابق)

(٢٤) كافة الترجمات الواردة فى هذه الورقة بقلمى، ما لم أنكر خلاف ذلك فى حينه. وتشكراتى لـ "زهرة توشكا" و"كيم "دلتشين" لمعاونتهما فى ترجمة بعض *الاقتباسات التى* لجأت إليها من "نرجسى" و"هوكا مسعود".

تحليل لثلاثة أعمال كبرى

بقلم مارثا بى .واى .تشونج Martha P.W.Cheung

خلاصة :

ينصب اهتمام هذا المقال/الورقة على تأكيدات الاختلاف والمقاومة ضد الأيدولوجية السائدة فى البحث الترجمى. وتذهب إلى أن التركيز على التتريخ histori-cization والتسييق contextualization ، الذى وسم وميّز العمل فى الآونة الأخيرة فى التاريخ الترجمى يمكن تطبيقه كذلك على العلاقة بين الدراسات الترجمية والبنيات/الهياكل الأيدولوجية والاجتماعية - السياسية. ولسوف أعرض لثلاثة مقالات (جمع مقال. المترجم) صينية ظهرت فى القرن العشرين عن تاريخ الترجمة فى الصين، المقال الأول بقلم "هو شى" Hu Shi وبعنوان "أدب البوذية المترجم" (الجزءان الأول والثانى) الذى نشره فى سنة ١٩٢٨، وهو مقالٌ ينتصر للترجمة إلى اللغة الشعبية الدراجة فى وقتٍ لم تكن الترجمات أو الأنواع الأدبية التى تُكتب بهذه اللغة التى كانت تُعرف باسم "باى - هوا" baihua تشكّل جزءًا من الثقافة المعتمدة أو الرسمية، الثانى: بقلم "قيان زهونج - شو" Qian Zhongshu بعنوان "ترجمات "لين - شو" Lin Shu فى سنة ١٩٦٤ ، بتركيزه على طاقة الإبداع عند "لين - شو" كمترجم، وهو الأمر الذى يشكّل طعنًا فى صحة الإصرار التوجيهى أو الموصوف prescriptive على الدقة، التى كانت أشبه بديانة قويمة الأركان فى ذلك الوقت، والثالث: بقلم "لوو زينز - هانج" Luo Xinzhang وهو بعنوان "نسق فى حد ذاته - نظريات بلادنا الترجمية" (١٩٨٣)

وهو يركّز على تفرُّد التقاليد الترجمية الصينية، وبهذه الصفة يُعد مرانًا على بناء الهوية، إلاّ أنها هوية مختلفة، بكل وضوح - عن تلك التى كانت تروِّج لها الدولة فى ذلك الوقت. فى كل هذه الحالات لم يكن هناك فى موطن الخطر سوى فاعلية الباحث الترجمى بصفته أحد الرعايا السياسيين للحكومة.

ذكرت لى إحدى صديقاتى فى الآونة الأخيرة أن "الأيدولوجيا فكرة استبدادية" وكانت محقة فى ذلك. والأيدولوجيا تمارس تسلطها علينا - سواء أردنا أو لم نرد، سواء كنا واعين لذلك أو لم نكن - طول الوقت - عن طريق الأعراف والقيود والقواعد والمحظورات والعقائد أو الارثوذكسيات. وهدفها هنا لا يزيد ولا يقل عن فرض سلطانها على الفرد خلال صوغ إطارٍ ذهنيٍ خاص له. وما تسعى إليه يتلخَّص فى الاذعان - أو على الأقل - التوافق والقبول أو الامتثال. (1) وبهذا المعنى تكون الأيدولوجيا إستبدادية. لكن المقاومة ممكنة. وتستطيع المقاومة أن تأخذ أشكالاً متعددة : الانشقاق، الاعتراض، التحطيم، الهدم، المعارضة والثورة وحتى الخنوع. وبهذا المعنى تكون الأيدولوجيا فكرة استبدادية. وحقيقة الأمر أننا لا نملك أن نحدد - بالضبط - كيفية عمل الأيدولوجيا على الفرد. ولكننى أجد عدم القدرة على التحديد هنا فكرة خلابة، وذلك لأنها تؤكِّد إمكانية الاختلاف وتعزز ما أذهب إليه من أن الفرد قادر على التفكير والنقد وبالتالى على الاختيار والتصرف. وفى هذه الورقة أعتزم فحص كيف يتحقق تأكيد الاختلاف ومقاومة الأيدولوجيا السائدة فى منطقة محددة من الجهد الإنسانى : البحث الترجمى.

استمر البحث الترجمى فى حقيقة الأمر يمارس تأكيد الاختلاف ومقاومة الأيدولوجيا السائدة طوال العقود (العقد = عشر سنوات) القليلة الماضية، إلاّ أن أيدولوجيا الإذعان، التى ظلَّت تخطئ لعقودٍ من الزمن فى وضعها للترجمة داخل سجون أنساق **disciplines** من نوع اللغويات والأدب المقارن، وتخطئ مرة أخرى بدفع المترجمين إلى الاعتقاد بأن الأمانة مع النص - المصدر موجودة فى طبيعة الأمور، وفطرية ولا تنطوى على أى إشكال، أصبحت عرضة لمطاعن عديدة من زوايا مختلفة .

وفى مقاله الميَّال نحو الاعتماد على القواعد النحوية "اسم وطبيعة الدراسات الترجمية" الذى ظهر سنة ١٩٧٢ ينتصر "جيمس هولمز" James Holmes بمنطقٍ ناصع لصالح الترجمة كنسقٍ أكاديميٍ بحد ذاته. وقد قوبلت مبادرته هذه بمساندة قوية من جانب دارسين ينتمون لمدرسة التعدد النسقى، التى وفَّر البحث الذى خصصته للأدوار التى لعبها الأدب المترجم فى الثقافة المستهدفة فى مختلف الفترات التاريخية دعمًا واسعًا لمشروعية دعوة النسق إلى الاستقلال ("إيفين – زوهر ١٩٧٨). وقد ركَّز باحثون من "مدرسة التحوير" Manipulation School ، وهى مدرسة تتمتع بنفوذٍ ملحوظ جهودها البحثية على الكشف عن كيف أن كل ترجمة، عوضًا عن أن تكون عبارة عن نسخة أمينة للنص الأصلى، فهى تتضمَّن درجة من التحوير للنص – المصدر لغرضٍ أو آخر" ("هولمز" ١٩٨٥: ١١) وهو غرضٌ يتصل فى أغلب الأحيان بإعمال الأيدولوجيا والشَّمل بالرعاية واستلهام فنيات الشعر ("لوفيفر ١٩٩٢) أما الآخرون، مثل "لورنس فينوتى" Laurence Venuti فلقد جادلوا بأن الترجمات التى تتم بأسلوبٍ فصيحٍ وشفاف تكون مريبة أيدولوجيًا، وذلك راجعٌ إلى أن ما تنطوى عليه هذه العملية ليس سوى كبت الاختلاف. ("فينوتى ١٩٩٥،١٩٩٨). كما أن تأكيد الاختلاف والمقاومة للأيدولوجيا السائدة يشكِّلان الغرض وراء البحث الترجمى الذى ينظِّر لكيفية دفع الترجمة فى فترات تاريخية مختلفة، وفى ثقافاتٍ مختلفة إلى خدمة أيدولوجياتٍ مختلفة مثل الإمبريالية (Cheyfitz 1991) والاستعمار (Niranjana 1992) واللامساواة الجنوسية gender inqual-ity (Simon 1996:Flotow 1997) ، وهناك "أجندة" (= جدول أعمال) كامنة وراء البحث الترجمى الذى يدرس الترجمات لقوتها فى عملية التوسُّط للتوفيق والهدم والمعارضة للأيدولوجيا السائدة (Tymoczko 1999) ، و(Bassnett and Trivedi 1999) .

ولما ينطوى على مغزى عميق أن ما من انتباه من هذا النوع قد وُجه للبحث الترجمى فى حد ذاته، مع أن "بيتر فوسيت" ارتاب فى الأيدولوجيا الخفية لأولئك الذين يكتبون حول الأيدولوجيا والترجمة (Fawcett 1998:106-7) ، ولكننى آمل أن أكشف فى هذه الورقة أن بوسع الدراسات الترجمية – كنسق – أن تغتنى بصورة جوهرية فى صلب دراستها. وعلاوة على ذلك فى طوع المنهجيات والنهوج الراهنة، وعلى وجه الخصوص

التأكيـد على التتريـخ والتسييـق أن تنطبـق بصـورة مثمـرة على فحص العلاقـة بين أيديولوجيا الاختلاف والبحث الترجمي.

ومثـل هذا الفحص يجـوز أن يأخـذ مجـراه في البحث الترجمـي الذي يجـري في أي بلدٍ وفي أي مرحلة تاريخية، ولسوف أركِّز على ثلاثة أعمالٍ نُشرت في الصين في القرن العشرين.

- "Fojiao de Fanyi Wexue" "الأدب البوذي المترجم" (الجزءان الأول والثاني) بقلم "هو شي" (في "هو شي" ١٩٢٨)
- "Lin Shu de Fanyi" "ترجمات "لين شو"، بقلم "قيان زهونج – شو"(١٩٦٤)
- "Woguo Zichengtixi de Fanyi Lilan" "نسقٌ في حد ذاته: – نظريات بلادنا الترجمية" بقلم "لو زينز – هانج" (١٩٨٣)

وأسبابي هنا مزدوجة، أولاً: تعرَّضت الصين خلال القرن العشرين لسلسلة من الانقلابات الأيديولوجية الهائلة، وبذلك توفَّرت تربة خصبة لملاحظة الكيفية التي تُخاض بها المعارك – سواء في ميدان الترجمة أو في الممارسات المنطقية وسائر الأنشطة الإنسانية ثانياً: لما كنت أكاديمياً يعيش في جزيرة "هونج كونج" في حقبة era ما بعد – ١٩٩٧، فلقـد صـار لزاماً عليَّ أن أغتنم استراتيجيات المقاومـة وتأكيد الاختلاف، عوضاً عن الاعتماد على ضمان "أمة واحدة ونظامين" الذي وفرته الصين أو حكومة "بكين" فور عودة "الجزيرة" إلى سيادتها. (٢) وبناء عليه بهرتني الاستراتيجيات التي تبناها الباحثون الترجميون في الصين بمعنى خاص من اللياقة والتطابق مع مقتضى الحال، ومع هذين العاملين، فإنني آمل أن تحمل الدراسة التي تنطوي عليها هذه الورقة درجة من الصحة تمكنها من الامتداد إلى ما وراء السياق الصيني، وذلك لأن الورقة تهدف إلى تسليط الضوء على قضيتين تتعلقان بالدراسات الترجمية بصفة عامة – أيديولوجيا البحث الترجمي والترجمة (أي الحمل غير العمدي) للأيديولوجيا في البحث الترجمي. (٣)

١ - هو شى «أدب البوذية» المترجم (الجزءان الأول والثانى) (١٩٢٨)

كان "هو شى" باحثًا ومعلِّمًا وكاتبًا وناقدًا ومترجمًا ومنظِّرًا ومفكِّرًا، (٤) ورجع إليه الفضل فى إطلاق الـ "Xnwenxue yudong" (= حركة الأدب الجديد)، وهى حركة هدفت إلى بعث ثورة أدبية فى الصين كجزء من مجهودٍ شامل يرمى إلى تحديث الأمة الصينية، وكان المقال الذى كتبه "هو" Wenxue Gailiang Chuyi أى "اقتراحات غير ملزمة للإصلاح الأدبى"(١٩١٧) (٥) كانت بمثابة العامل المحفِّز لهذه الحركة بل وأقدم بيان أو "مانيفستو" لها، والعمل الذى أعتزم التركيز عليه "أدب البوذية المترجم" (الجزءان الأول والثانى) يظهر فى فصلين فى كتاب "هو" المنشور سنة ١٩٢٨ بعنوان "تاريخ الأدب الشعبى" ، وهو كتاب يستند إلى سلسلة من المحاضرات كلَّفت وزارة التعليم "هو" بإلقائها فى سنة ١٩٢١ ، وقد تمتَّعت هذه المحاضرات بتأثير واسع بعد أن أصبح "هو" إحدى الشخصيات الأدبية ذات النفوذ بعد سنة ١٩١٧، وقد استجاب عددٌ كبيرٌ من الكتَّاب للدعوة التى طالب فيها بإصلاح الأدب عن طريق الكتابة باللغة الشعبية الدارجة على الألسن فى الحياة اليومية، ولم يكن "أدب البوذية المترجم" جزءًا من مجموعة المحاضرات الأصلية وكان "هو" قد كتبه "خصيصًا كى يضمنَّه فى "تاريخ الأدب الشعبى" (= الدارج) (٦) ويُزوِّدنا الفصلان بتصويرٍ وافر لكيفية استخدام البحث الترجمى كسلاحٍ فى المقاومة الأيدولوجية.

تستحق منا الخطوات التى خطاها "هو" فى "أدب البوذية المترجم" دراسة مدققة فلقد قدَّم ترجمات الـ"سوترات" Sutras (جمع "سوترا" Sutra) (= الـ "سوترا" هى "شرح" الشعائر المقدسة للديانة البوذية، والكلمة تعنى - اشتقاقيًا - "الخيط" بالسنسكريتية. المترجم) كأعمالٍ أدبية وحللها فى ضوء مصطلحات الشكل والأسلوب والملامح النوعية والمجاز والبلاغة وسائر تكنيكات التأليف. وركَّز على وجه الخصوص على الجانبية الأدبية لهذه النصوص وتأثيرها على الفن والأدب فى الصين. وقد ضمَّت هذه الترجمات بعض "أجمل الخراريف" (جمع "خرافة" Fable أى حدوتة "رمزية" تصور فى العادة حيوانات تسلك سلوك البشر، وأشهر ديوان لها هو ديوان "إيسوب"

الذى يرى باحثـون أنه استلهام أو نقل حواديت "تحوتى" فى مصر القديمة.المترجم) فى الأدب العالمى ومارست تـأثيراً كبيراً على الأدب الصينى ("هو"١٩٢٨/١٩٩٨: ٢٣٩). وكانت "السوترا" المعروفة باسم Vimalakirtinidesah عبارة عن "نصف رواية – نصف مسرحية" أو "مسرواية" (١٩٢٨/١٩٩٨) وتحكى قصة خلابة طالما بهرت أجيالاً من الكتاب والرسّامين الصينيين، الذين إما استغلوا نتفًا منها كموضوع للرسومات الجداريـة فى المعابـد أو أرسـلوا تلميحات إليها فى أعمالهم الأدبية، وقد كان لكثير من النصـوص البـوذيـة التى تغتنى بعناصر وأوصاف فوق – طبيعية Supernatural بعد "لضمها" معًا على عجلة الخيال الطليقة "تأثيراً محرراً حقًا" على العقل الصينى. وظهر تأثيرها ملموساً فى الأعمال الأدبية الشعبية مثل Xi You Ji (= رحلة إلى الغرب) وFeng Shen Zhuan (= خلـق الآلهـة) (١٩٢٨/١٩٩٨: ٢٥١) وكانت Buddhacarita (= أعمال "بوذا") وهى تتويج لمنجزات الشاعر البوذى "أسفاغوسا" Asvaghosa عبارة عن ترجمة للغة الصينية قام بها الراهب "دارماراكشا" Dharmaraksha فى سنة ٤٢٠ م.ع.م. (= من العصر المألوف CE أى ب.م) ويصل عدد حروفها إلى ٤٦ ألف حرف صينى، وهو الأمر الذى يجعل منها أول أطول قصيدة فى الأدب الصينى حتى ذلك الوقت (١٩٢٨/١٩٩٨: ٢٤٦) ولقـد أسهمت هذه الأشكال والأنـواع الأدبية الجديدة التى استُوردت إلى اللغة الصينية، فى ارتقاء وتطوير الأدب فى الصين. وكان تجوير النثر مع الشعر فى نفس العمل خاصيـة أسلوبيـة فى الأدب الشفوى الهندى والـ"سوترات" البوذية، عبارة عن تركة تتمتع بـ "نفوذ غير متوقع" (١٩٢٨/١٩٩٨: ٢٤١) وقد استخدم نفس الأسلوب فى الـ "تانسى" Tanci – وهو عبارة عن نوع من العرض المسرحى، يجرى حكْى الحكايات فى إطاره (عادة بلهجات جنوبية متعددة) بمصاحبة الآلات الوترية.

لم يقدِّم "هو" ترجمات الأدب البوذى كأدب وفقط، بل وصاغها فى تقاليد اللغة الشعبية الدارجة أو الـ "باى – هوا" من الكتابة الأدبية فى الصين، وهى التقاليد التى كان يرتأى أنها تملك تاريخًا نستطيع أن نقتفى آثاره إلى الوراء حتى أقدم العصور. وبالنسبة لـ "هو شى" كانت القوة التى تنفرد بها ترجمات الـ "سترات" تكمن فى روح

لغتها الشعبية الدارجة، وقريبها من الطريقة التى يتكلم بها الأهالى. ويرى – استشهاداً بالتعليقات التى أفصح عنها الرهبان البوذيون على امتداد القرون – أن هذه الترجمات التى حازت الاستحسان وتستطيع مقاومة امتحان الزمن كانت تتسم بالبساطة فى الأسلوب والوضوح فى اللغة، الأمر الذى يجعلها فى متناول الصينيين العاديين أو الأهالى. لكن هذه الترجمات لم تكن لتندرج فى التيَّار الرئيسى للكتابة الأدبية التى انجرفت فى ذلك الوقت فى شكلانية عالية الزخرفة وجامدة الروح. ولقد احتلت هذه الترجمات – حتى بعددها وحده – مكانة مرموقة وسرعان ما أصبحت نوعًا أدبيًا جديداً ومستقلاً (١٩٢٨/١٩٩٨: ٢٥٢). ورفع التوقير والتمجيد اللذان حازتهما هذه النصوص الدينية من شأن هذا النوع من الأدب الناطق باللغة الشعبية الدارجة، ومن الأدب الناطق بهذه اللغة ككل. ومع أن هذه الترجمات لم تترك تأثيراً مباشراً على الأدب القومى (= الرسمى) بل ولا عندما بلغت الديانة البوذية ذروة انتشارها بين الصينيين (٣٠٠–٥٠٠ م.ع.م.) إلاَّ أن "هو" يرى أنها كانت أشبه بالبذور التى أنبتت وترعرعت حتى بلغت مرحلة طرح الثمر خلال القرون اللاحقة (١٩٢٨/١٩٩٨: ٢٥٣) ولقد أشار "هو" – على سبيل تصوير حججه – إلى المعابد البوذية والأديرة بصفتها "مساقط رأس" للشعر الشعبى الدارج والكتابات الشعبية بوجه عام (١٩٢٨/١٩٩٨: ٢٥٢).

إذا ما تناولنا الأعمال المترجمة ليس بصفتها أعمالاً معزولة، بل باعتبارها جزءًا مكوِّنًا من الأدب القومى للمرء، وركَّزنا على مناقشة الكيفية التى تتفاعل بها الترجمات مع/ وتؤثِّر على التطورات الأدبية للأدب القومى للمرء – فهذا نهج يحبِّذه منظِّرو مدرسة المنهج المتعدد. ومع ذلك ينبغى علينا أن نلاحظ أن "هو شى" قام ببحثه فى عشرينات (عشرينيات) القرن العشرين وعلاوة على ذلك، فمع أن "هو" أجرى دراساته لدرجة الدكتوراه فى الفلسفة بجامعة كولومبيا بالولايات المتحدة، إلاَّ أنه لم يضع مناقشاته لترجمات الـ "سوترات" البوذية فى إطار خطابه فى الفلسفة أو الدين، أو التاريخ الثقافى، ولكن داخل خطاب التاريخ الأدبى – بل وطلبًا للدقة – فى تاريخ الأدب الناطق باللغة الشعبية الدراجة.

ليس هناك شك كبير فى أن "هو" انخرط فى إعادة توصيف التقاليد الأدبية من ناحية والعمل المنهجى للهدم من ناحية أخرى، فلقد كان يواصل تمرداً أيدولوجياً خلال تأكيد الاختلاف. فالأدب الذى ظلت الشريحة المتعلمة - علماء وأدباء - تنظر إليه طوال قرون على اعتبار أن الأدب الرسمى المعتمد (أى الأدب الناطق باللغة الصينية الكلاسيكية الذى تحكمه شكلانية صارمة القواعد رفيعة المستوى) خُلع عن العرش وبالتالى حظى بالرعاية نوعٌ مختلفٌ من الأدب أقصد أدب الـ "باى - هوا". وفى العادة يُترجم هذا المصطلح كـ "شعبى دارج" ويُستعمل فى الدلالة على اللغة الشعبية الدراجة. ولكن "هو" يورد فى مقدمته لكتابه "تاريخ الأدب الشعبى الدارج" ثلاثة معانى للمصطلح (١) الحرف "باى" bai يعنى عند اتصاله بالحرف "نيان" nian : أن تقرأ بصوتٍ عالٍ فى إشارة إلى الأجزاء المنطوقة فى عملٍ أوبرالى صينى، ولما كان الحرف "هوا" hua يعنى "لغة" فإن "باى - هوا" تعنى "اللغة المنطوقة" أو الشعبية الدارجة. (٢) الحرف "باى" يحمل أحياناً معنى حرفٍ آخر ينتظم معه وهو "قنج" qing (= واضح) وبالتالى فإن مصطلح "باى-هوا" يعنى لغة خالية من الزخارف أو المحسِّنات البديعية. (٣) ينتظم الحرف "باى" أيضاً مع الحرف "مينج" ming (= الضوء) وبالتالى يمكن لـ "باى - هوا" أن تعنى ذلك اللغة التى يسهُل فهمها. (١٩٢٨/١٩٩٨: ١٤٧).

يرى "هو"، داخل نطاق هذا البناء العريض لمصطلح الـ "باى - هوا"، أن أدب الـ "باى - هوا" أدب حى بمعنى الأدب الذى يحوز حيوية وأكثر الآداب الخلاقة والممثلة لعصرها. (٧) وعلاوة على ذلك، كان فى طوعه أن يشير إلى استعمال الـ"باى - هوا" فى الكلاسيكيات القديمة التى تحتل مرتبة أدبية عُليا مثل "شى جى" (= سجلات المؤرخين) و"زو زووان" Zuo Zhuan (= تعليقات "زو") وفى الأغانى الفلكلورية (= الشعبية) والـ "بالاد" (= شكل موسيقى وشعرى يحكى حدوتة موجزة وقد تبلور فى أواخر العصور الوسيطة وأقرب شكلٍ موازٍ له عندنا هو الموال. المترجم.) التى أُلِّفت خلال عهد الأسرة "الهانية" (نسبة إلى "هان"Han) (٢٠٦ ق.ع.م. - ٢٢٠ م.ع.م.) وكذلك فى الـ "جويجو" (٨) التى عُرفت خلال عهد أسرة "تانج" Tang (٦١٨-٩٠٧ م.ع.م.) (١٩٢٨/١٩٩٨: ١٤٧) وبالإضافة إلى ذلك فى وسعه أن يشير إلى استخدام

هذه الترجمات كجزء لا يتجزأ من تقاليد الـ "باى - هوا" من الكتابة الأدبية وبهذه الطريقة الجديدة فى رسم خريطة التقاليد الأدبية مع هذا التركيز الذى جد على أدب حى، استطاع "هو" من صياغة مقولته الراديكالية بأن "تاريخ الأدب الشعبى الدارج الـ "باى - هوا" يقع فى قلب تاريخ الأدب الصينى"(١٩٢٨/١٩٩٨: ١٤٦)

ومن الواضح أن "هو" كان منخرطًا فى القيام بمناورة متقنة لإعادة ترتيب القوى فى المجتمع الصينى. وكانت تلك المناورة شاملة لخطوات معقدة مثل دمج الترجمات الدينية فى مجال أدب الـ "باى - هوا"، وتخليق معتمدية أدبية مضادة وإعادة تفسير التقاليد الأدبية وإعادة كتابة التاريخ الأدبى، فترى ماذا كانت "أجندة" (= جدول أعمال) "هو"؟

ألمحت قبل قليل إلى أن فضلاً كبيراً يعود إلى "هو" باعتباره أحد الذين يقفون وراء إنطلاق "حركة الأدب الجديد" فى الصين. وكانت هذه الحركة مسلحة بالنظريات والبيانات، والشعارات التى دعت إلى استخدام الـ "باى - هوا" وكتابة الأعمال الأدبية بهذه اللغة سبقت ظهور أعمال بهذه اللغة بالفعل، (٩) وحتى عندما كانت الحركة فى ذروتها، كانت نوعية الأعمال الأدبية المكتوبة بالـ "باى - هوا" متواضعة عند المنتج النهائى. (١٠) ولم تلق الحركة سنداً الهم من الترجمات إلى حدٍ كبير. ومع ذلك كانت هذه الترجمات عرضة للاتهام بالخضوع للمصادر الأصلية. ولقد كان الإصلاح الأدبى، كما تصوّره "هو شى" وآخرون جزءاً من برنامج أكبر وأكثر طموحًا لبعث الحيوية من جديد فى شرايين الثقافة القومية. وإذا كان لحركة "الأدب الجديد" أن تستمر فى الاعتماد على/ والخضوع لسيطرة الترجمات، فإنها ستعرض نفسها للاتهام بالجمود والطفيلية، فأىُّ جدوى تعود عندئذٍ من الترجمات على الأدب؟ وألا تؤدى سيطرة الترجمات فى نهاية المطاف إلى تآكل بل وحتى تدمير هوية الأدب القومى؟ وأىُّ حقٍ لأدب يعتمد اعتماداً بالغًا على الترجمات على هذا النحو فى الحلول محل الأدب التقليدى - الذى ظل فخراً للبلاد لما يزيد على ألف سنة من حضارة مجيدة؟ وكيف يستطيع مثل هذا الأدب أن يساهم فى بعث الحيوية مرة أخرى فى الثقافة؟

ومن الواضح أن التحدى الذى واجهه "هو" لم يكن مجرد الترويج لاستعمال الـ "باى - هوا" فى الكتابة الأدبية عن طريق توسيع تعريف أدب الـ "باى - هوا" بحيث يظهر أنه كان يحوز تقاليد طويلة فى أعماق التاريخ. تلك كانت الإستراتيجية التى اعتمدها "هو" فى محاضراته فى سنة ١٩٢١، ولكن هذه الإستراتيجية وفَّرت تبريراً للحركة فى مرحلتها الأولى وحدها، ولكن المسار الفعلى للتطور الذى أخذته هذه الحركة وعدم التناسب فى المخروج output بين الترجمات إلى الـ "بهاى - هوا" والأعمال الأدبية التى أُبدعت بهذه اللغة (وخصوصًا فى الفترة من ١٩١٧ حتى ١٩٢٥) مكَّن المتشككين من الإفصاح عن شكوكهم تجاه استمرار تلك التقاليد الطويلة الأمد. ولكن إذا كان فى وسعنا أن نقيم الدليل على أن الترجمة كانت مكوِّنًا مركزيًا فى تلك التقاليد، فإن الصورة سوف تغدو مختلفة وهنا تكتسب الترجمة معنى فعلٍ ثقافىٍ يملك مشروعية أيدولوجية فى التاريخ. وعلاوة على ذلك تكتسب اللغة الشعبية الدارجة التى استخدمها المترجمون فى ترجماتهم هى الأخرى مشروعية أيدولوجية. وبالتالى ينهض الماضى بتسويغ الحاضر. ولاتشكِّل المواصلة المستمرة للترجمة تحديداً لأدب الأمة، وعوضاً عن ذلك يبذر البذور للتطور الأدبى فى المستقبل. والأهم من ذلك يكون فى وسع هذا الرأى المنادى بالارتقاء بشأن أدب اللغة الشعبية الدارجة أن يدعِّم الهيكل الجديد للسلطة الناجم عن خلع الأدب التقليدى عن عرشه بنهوض حركة "الأدب الجديد". ولطالما أعلن "هو" أنه يسعى إلى ابتعاث "نهضة صينية" (١١) ومنذ وقتٍ مبكر يعود إلى ١٩١٧ قام "هو" بشرح وجهة نظره بأن الترجمة استُخدمت - خلال النهضة الأوروبية - كوسيلة لإعلاء شأن اللغات الشعبية الدارجة إلى نفس منزلة اللغة اللاتينية لغة السلطة، وشحذ أو تطويع اللغات الشعبية الدارجة لإنتاج أدبٍ قومى (١٩١٧/١٩٩١: ١٢) إلاَّ أن الوضع فى الصين فى مطلع عشرينات (= عشرينيات) القرن العشرين كان مختلفًا إختلافًا شاسعًا عن الوضع فى أوروبا، ولم يكن فى طوع "هو" أن يتكهَّن ببساطة بأن الترجمة يمكن أن تساهم فى شحذ أو تطويع اللغة الشعبية الدارجة فى الصين لإنتاج أدبٍ قومى، خصوصاً وأن الصينية الكلاسيكية "وينيان وين" wenyan wen أُستُخدمت أيضاً فى الترجمة وكثير من هذه الترجمات حقق رواجًا واسعًا، وكان ليصير لزامًا على "هو" أن يقدِّم أساسًا جداليًا لتكهُّنه.

كانت حاجة "هو" إلى إيجاد أساسٍ جدالى لتكهُّنه هو مفتاح فهم السبب الذى أخرج مقال "هو" المعنون "أدب البوذية المترجم" (الجزءان ١، ٢) من مجموعة ١٩٢١، كى يظهر فقط فى الطبعة المنقحة التى نُشرت فى سنة ١٩٢٨ . وكان هذان الفصلان إضافة إستراتيجية. فلقد استخدم "هو" البحث الترجمى لغرض محدد: تخويل الترجمة سلطة أيدولوجية. وبقراءته لأداء الأدب المترجم فى النسق المتعدد للأدب الصينى، وخصوصاً للدور المركزى الذى لعبته ترجمات الـ "سترات" البوذية فى تطوير أدب اللغة الشعبية الدارجة فى الصين، كان "هو" يسعى إلى تقديم مسوِّغٍ لاقتناعٍ راسخ عنده بأن الترجمة سوف تستكمل إنجاز مهمتها سواء عاجلاً أو آجلاً: توسيع الآفاق الأدبية وحراثة العقل (= تخصيبه وتثقيفه وتحريره) وفى نهاية المطاف إعادة الحيوية إلى الثقافة والتجديد الأدبى، وكانت محاولته تلك جيدة التصميم نحو كسب المشروعية خلال التتريخ.

٢ - ڤيان زهونج - شو، ترجمات لين شو (١٩٦٤)

كان "ڤيان زهونج - شو" كاتبًا وصاحب مقال ورجلاً على قدرٍ كبير من سعة الاطلاع وفى نفس الوقت أستاذًا يعترف الجميع بأستاذيته فى ميدان الكلاسيكيات الصينية بالإضافة إلى كونه دارسًا مكتمل الأدوات فى الأدب الغربى. (١٢) ويزوِّدنا مقال"ترجمات "لين شو"، (١٣) وهو أحد أهم المقالات عن الترجمة التى نُشرت فى صين القرن العشرين، بتصويرٍ آخر لكيف يمكن للمقاومة الأيدولوجية أن تتم خلال توسيع دائرة البحث الترجمى.

ينبِّهنا العنوان الذى اختاره "ڤيان" لعمله إلى ضرورة النظر إلى البحث الترجمى من الزاوية الأيدولوجية. ولم يكن "لين شو" (١٨٥٢- ١٩٢٤) يعرف أىَّ لغة أجنبية، أى أحادىَّ اللغة ولذلك كان مضطرًا إلى الاعتماد - بكل ثقله - على معاونيه فى عمله فى ميدان الترجمة، ومع ذلك اتضح أنه مترجم غزير الإنتاج وبالغ التأثير للأعمال الأدبية الغربيــة إلى اللغــة الصينيــة. وكانت ترجماته رائجة على نطاقٍ واسع خلال عصره .

ومع ذلك فلقد تعرَّض خلال العقدين الأخيرين من حياته لانتقادٍ عنيفٍ وُجِّه لآرائه السياسية الرجعية (أى: ولائه لأسرة "قنج" المالكة) ودفاعه المستميت عن اللغة الصينية الكلاسيكية فى وجه حملة الترويج لاستعمال اللغة الشعبية الدارجة فى الكتابة وترجماته التى عابتها كثرة الأخطاء. وبعد قيام الجمهورية الشعبية فى الصين فى سنة ١٩٤٩، أصبح الرأى الأرثوذكسى (=القويم) يرى أن "لين" ساهم بصورة جوهرية فى تقديم الأعمال الأدبية الغربية إلى جموع الشعب الصينى، ولكنه كان متهاونًا فى اختياره للنصوص التى تستحق الترجمة، وفى السنوات الأخيرة افتقر موقفه إلى الجدية وأصبحت ترجماته "مطلصقة". (١٤)

لماذا أجرى "قيان زهون – شو" بحثه – إذن – على ترجمات "لين شو" طالما كان مثل ذلك الإجماع قد استقر بالفعل؟ ويغدو هذا السؤال أشد إلحاحًا عنما نأخذ فى اعتبارنا السياق السياسى. عرفت الصين خلال خمسينات أو خمسينيات القرن العشرين انقلابًا سياسيًا هائلاً. كان تأثير الماركسية واللينينية عميقًا، وكانت آراء "ماو تسى تونج" حول ضرورة أن يقوم الفن والأدب بوظائف اجتماعية وسياسية بدلاً من الالتزام بمبدأ الفن للفن أو مبدأ التعبير عن الذات، تلك الآراء التى طرحها فى "أحاديث فى منتدى "ينان" حول الفن والأدب" (١٥) قد تحولت إلى عقيدة جامدة. وفى سنة ١٩٥٤، تعرَّض أحد زملاء "قيان" بمعهد الأدب الصينى التابع لأكاديمية العلوم الاجتماعية، وهو "يو – بنج بو" yu Ping bo للقدح علنًا لعدم تطبيقه المبادئ الماركسية فى النقد الأدبى خلال تحليله لـ" حلم الغرفة الحمراء"، وهو عبارة عن عمل كلاسيكى مشهور، من جانب ولوقوعه فى أسر الفلسفة المثالية التى ترجع إلى الطبقة الرأسمالية ("ماو" ١٩٧٩: ٢٥) وبدأ النضال ضد القوى اليمينية (= هجوم مضاد ضد اليمينيين البورجوازيين فى سنة ١٩٥٧ ("كونج" ١٩٩٢: ١٦)، وخلال نفس السنة أى ١٩٥٧، وُصم والد "قيان" بأنه يمينى، وبعد مرور سنة واحدة واجه "قيان" نفسه انتقاداتٍ عنيفة بسبب عمل قام بإعداده – وفقط – بعنوان "أغانى شى إكسوان زهو" (و هو عبارة عن مختاراتٍ مذيَّلة بتعليقاتٍ وشروحٍ ضافية من شعر الأغانى) (١٩٥٨) ولكنه نجا من مصير والده بعد تدخل شخصياتٍ مؤثرة بالحكومة المركزية ("كونج" ١٩٩٢: ١٦٢).

وبعد وضع هذا السياق فى حسابنا، دعنا الآن ننظر إلى المقال رهن الحديث: (ترجمات "لين شو"). يبدأ "قيان" بالانغماس فى علم الاشتقاق، ويستشهد فى ذلك بحجة فى الموضوع، وهو "إكسو شين" Xu Shen الفقيه اللغوى الذى عاش تحت ظل أسرة "هان"، ويقرر أن الحرف "يى" yi الذى يعنى "ترجم" يرتبط اشتقاقيًا ودلاليًا بحروفٍ أخرى مثل "يو" you الذى يعنى "أغرى وضلل وقاد"، وحرف "مى" mei الذى يعنى "توسَّط وأبرم زواجًا" والحرف "إى" e الذى يعنى "أخطاء وسوء تصورات" و"هوا" بمعنى "حوَّل" (قيان" ١٩٦٤: ١). وبعد ذلك يستعمل هذه الحروف فى طرح آرائه حول وظائف الترجمة والشِّراك والأولى الأفخاخ الكامنة التى يصعب تجنُّبها والمكانة العليا التى تنشد الترجمة الوصول إليها. وهنا يبدأ بحرف "هوا" (= حوَّل بمعنى شامل) الذى يمثِّل بالنسبة له أعلى مستوى تستطيع الترجمة الأدبية أن تبلغه.(المرجع السابق). إذ يكون فى طوعنا أن نقول إن عملاً أدبيًا فى لغة ما قد "حُوِّل" إلى عملٍ أدبيٍ فى لغة أخرى إذا اختفى كل أثر للتكلُّف والعسر اللذين ينجمان عن الاختلاف بين اللغتين، وإذا احتفظ العمل المترجم – بشكلٍ كامل – بطعم وجو العمل الأصلى، ومثل هذه الترجمة يمكن أن يُقال عنها، عندئذٍ أنها بلغت الـ "هوا – جنج" huajing أى أعلى المراتب وأخصبها موهبة وأشدها روعة: التحويل بالمعنى الكامل. مثل هذه الترجمة لن تُقرأ بصفتها ترجمة، وذلك لأن النص الأصلى لن يُقرأ كترجمة فى المقام الأول، وأشار إلى أن "جورج سافيل" George Savile ، ماركيز "هاليفاكس" الأول كان قد طرح فى أوروبا القرن السابع عشر، فكرة مشابهة بشأن الترجمة خلال الاستعارة المجازية "تناسخ الروح" (المرجع السابق) فلقد استُبدل الشكل الخارجى للنص: والجسم قد يختلف، ولكن الروح أى السحر الداخلى يظل هو نفسه دون تغيير.

ومع ذلك يعترف "قيان" أن هذه المرتبة التحويل فى الترجمة يصعب الوصول إليها (١٩٦٤: ٢) ففى رأيه أن "الأخطاء وسوء التصورات" (e) يستحيل تفاديها بحالٍ من الأحوال لكافة أنواع الأسباب. ومع ذلك فهناك أنواعٌ مختلفة من "الأخطاء". فبعض هذه الأخطاء قد تكون تصرفات بحُرية وعن عمدٍ من جانب المترجم تجاه النص الأصلى. وفى حالة ترجمات "لين شو" يمكننا تقسيم "الأخطاء" إلى نوعين: تلك التى تعود إلى غفلة "لين" نفسه،

وتلك التى تعد - بعد تحليل دقيق - إضافات وتعويضات وتزويقات (١٩٦٤: ٦-٩) ولقد كانت "الأخطاء" من النوع الثانى بمثابة "الإسهامات" الخاصة التى أضافها "لين" إلى النص الذى يعكف على ترجمته، نظراً لأنها تضفى لوناً وحيوية وتوقُّداً للعواطف وروحًا فكاهية على الترجمة (١٩٦٤: ٨)، وهو الأمر الذى يرفع النص المترجم إلى مستوى النص الأصلى إن لم يتفوّق عليه. وإذا شئنا الدقة، لا ينبغى لنا أن نشجع أحداً على مثل هذه التدخلات فى أعمال الترجمة، إلاّ أنها غالبًا ما تقوم كمنبع إلهامٍ لأى شخص يكون مهتمًا بالجوانب البلاغية وفن الإنشاء . وحتى "قيان" نفسه يقول إن المترجم الذى يشتغل أيضًا بفن الكتابة أو يتصوّر عن نفسه ذلك، يتعذّر عليه مقاومة الدافع إلى "التصرف باعتباره "الصديق الصدوق والناقد اللدود" للمؤلف الأصلى، عندما يصادف فقراتٍ تبدو فى رأيه الخاص ضعيفة وتحتاج إلى الارتقاء بها . (١٩٦٤: ١٠) وبالإضافة إلى ذلك يرى أن تاريخ الترجمة (وخصوصًا فى مراحلها الأولى) فى أى بلد من بلدان العالم يكشف أن"لين شو" لم يكن منفرداً فى الأمر. [١٦] وتاريخ الترجمة زاخرٌ بأمثلة لمترجمين كانت سيطرتهم على لغاتهم المستهدفة أكبر من سيطرة المؤلف على لغته المصدر [١٧] ، مثلما كان "لين شو" عند مقارنته بكاتب مثل "رايدر هاجارد" Rider Haggard (1964: 25) .

يرى "قيان" أنه نظراً لأن "التحويل" الذى يجرى خلال الأداء الترجمى لا يكون دائمًا دقيقًا ولا مكتملاً - بل يمكن أن يأخذ أشكالاً كثيرة مختلفة - فإن جاذبية الترجمة يمكن أن تأخذ هى الأخرى أشكالاً مختلفة. وعندما تكون الترجمة مكتملة وشاملة، فإن القارئ سوف يجدها مغرية تمامًا "يوو" you ، وهنا يقع فى حب العمل الأصلى. وعندئذٍ تكون الترجمة قد أسفرت عن نشوء نوع من "الحب الأدبى" بين الشعوب وفى ضوء التغيُّر الثقافى سوف تقوم الترجمة عندئذٍ بدور عاقد القران mei ، أما عندما يكون "التحويل" غير مكتمل وجزئيًا، فلسوف يتوصَّل بعض القراء إلى أن الترجمة مضللة you ولسوف يقودهم you حب الاستطلاع فى معرفة الصورة التى عليها الأصل فى حقيقة الأمر، إلى تعلُّم اللغة الأجنبية حتى يتمكّنوا من قراءة الأصل بأنفسهم (١٩٦٤: ٣).

يبدو واضحًا بما لا مزيد عليه، أن مقال "ڤيان" يدور حول ترجمات "لين شو" بنفس القدر الذى يدور به حول آراء "ڤيان" نفسه عن الترجمة. وفى واقع الأمر كان "ڤيان" يستخدم بحثه عن "لين" وعن تاريخ الترجمة فى البلدان الغربية كى يوفِّر أمثلة تكفى لتصوير آرائه الخاصة عن الترجمة. وهى آراء واقعية أكثر من كونها توجيهية prescriptive، وذلك لأن "ڤيان" لا يكشف عن أى إصرار من جانبه على أن تكون الترجمة على ما ينبغى أن تكون عليه مثاليًا (تحويلاً بالمعنى الشامل) بل يقبل الترجمة كما هى عليه فى الواقع العملى: سوء تصوُّر أو تشويه أو تأليف مقنَّع من طبيعة طفيلية أو أداء منمق. وهذه وجهة نظرٍ ترى إمكانية أن تكون الترجمة عبوراً للحدود، وإعادة كتابة وخيانة – والاشارة هنا إلى المثل الإيطالى السائر: "المترجم خائن" (١٩٦٤: ٢) وهى وجهة نظر تتسع للترجمة بكافة تناقضاتها ومفارقاتها: الترجمة ترشد خطانا كما تضللها، وفى طوعها أن تكون أسوأ أو أحسن من الأصل، ولكنها نادراً ما تكون مثلما يتوقع منها كثيرون أن تكون (أى بنفس درجة الجودة التى يحوزها النص الأصلى): ولا ينبغى أن تُقرأ الترجمة على أنها فى الحقيقة ترجمة. والمغزى الضمنى الذى تنطوى عليه العبارة أن خضوع المترجم ومفهوم الأمانة المصاحب لهذا الخضوع ليسا مطلقين أو بديهيين. فبوسع المترجم أن يخون المصدر وأن يتفوق عليه وأن يحوره، بل وأن يلعب عليه ويضمِّن بعض لمحاتٍ من إبداعه فى النص المستهدف، وأن يُبرز شخصيته بين سطوره ويستطيع أن يتلقى الثناء على ذلك. وخشية أن يتبادر إلى ذهن أحد أن حالة "لين" استثنائية، يأخذ "ڤيان" قفزة واسعة فى تاريخ الترجمة ويستشهد بأمثلة من ترجماتٍ أنتجت فى الغرب وحازت الاستحسان لأنها أحسن من الأصل. وبينما ظل عند موقفه الانتقادى للأخطاء التى وقع "لين" فيها، إلاَّ أنه أظهر تقييماً فريداً للمعالجة الأكثر إلهامًا للنص المصدر، ولم يخف غيرته عند الحديث عن "الاسترسال الجرئ" الذى اتبعه "لين شو" فى ترجمته لـ "تشالز ديكنز" (١٩٦٤: ١٠)

إذا ما عزلنا وجهة نظر "ڤيان" وقرأناها منفصلة فإنها قد تكون خلابة نتيجة للاستعمال المبهر للكلمات الدالة فى حمل الحجج التى يسوقها، والعرض الآسر لتبحره العلمى، وقد تكون وجهة نظر "ڤيان" خلاَّبة أيضًا لأنها تجسِّد أفكاراً جذرية ومستفزَّة:

الترجمة بصفتها تجاوزًا وعبورًا للحدود على سبيل المثال. ولكن لما كان "قيان" يحبِّذ الـ huajing (التحويل بالمعنى الشامل) ويرفعه بصفته يمثِّل أعلى مستوى يمكن أن تصل إليه الترجمة الأدبية، ونظرًا لأنه يظل يُقيم توجُّهه إلى النص - المصدر فى تقييمه لترجمات "لين شو" وفى موقفه التقييمى بشكلٍ عام، فإن الطاقة الراديكالية لهذه الآراء تتعرَّض للاحتواء، ما لم نقل للتبديد، بل ويمكن النظر إلى هذه الآراء كآراء حاذقة أكثر من كونها راديكالية.

ومع ذلك إذا ما قاس المرء مقال ("ترجمات "لين شو") على الخطاب الذى كان سائدًا عن الترجمة فى ذلك العصر وإذا ما وضعنا فى الحسبان السياق السياسى التاريخى، فإن "سيناريو" مختلفًا يظهر أمام أعيننا. ففى ستينات القرن العشرين كان الخطاب السائد حول الترجمة، تحت ظل "القيادة المباشرة للحزب" خاضعًا تمامًا لفكرة الأمانة التى كان يحبِّذها "لو إكسون" Lu Xun ، وهو كاتب يسارى واسع النفوذ، خصوصًا بعد أن انتصر علنًا "ماو تسى تونج" لإستراتيجية "لو إكسون" فى الترجمة الصارمة ودافع بصفة شخصية عن أهمية "الدقة" ("تشين" ١٩٩٣: ٣٨٣). ومع ذلك فالملاحظات التى أبداها "قيان" بشأن الأخطاء فى الترجمة، ومهما تميَّزت بالحصافة والتروى، يمكن أن تُفسَّر على وجه الترجيح - باعتبارها مناهضة لـ "أرثوذكسية" الدقة. كما يمكن أن تُفسَّر وجهة نظر "قيان" تجاه الترجمة كخيانة، ومع أنه أفصح عنها بمصطلحات الرفض، على اعتبار وقوفها ضد الولاء الذى تأسس عليه مفهوم الأمانة كأهم مبدأ من مبادئ الترجمة. ومثل هذا الموقف ينطوى على الخطر، فالولاء أمر حاسم لاستمرار الدكتاتورية الديمقراطية للحزب الشيوعى.

وخلال خطاب الستينات (= الستينيات) بشأن الترجمة أسند للترجمة وظائف اجتماعيــة وسياسية، ولكن مقــال"قيان" عن "لين شو" لم يعبأ بذكر أىٍ منها. وعوضًا عن ذلك تحدث بطريقة مفعمة بالسعادة عن وظيفة الترجمة فى أداء دور عاقد القران، مما يخلق نوعًا من "الحب الأدبى" بين الأمم ويُغرى بتعلُّم اللغات الأجنبية. وكان هذا بمثابة فكرٍ مارقٍ من شأنه أن يجعل صاحبه عُرضة للهجوم.

ولا يمكن أن يكون "قيان" غافلاً عن المخاطر التى كان يُعرِّض نفسه لها. ونظراً لأن المجازفة كانت عالية، فلا بد أن محاولته فى طرح وجهة نظر للترجمة "منحرفة" عن تلك السائدة دون السعى إلى لجمها، قد فُسِّرت بأنها تأكيد عنيد، ما لم تكن أيضًا طائشة لموقفه أو مواقفيته positionality ، وعلى أى حال كان موقفه دعوى جريئة للقبول بالاختلافات، سواء أكانت سياسية أو أيدولوجية أو مجرَّد أكاديمية وبالتالى كانت توجهات القوى السياسية فى ذلك العصر محفورة بعمقٍ شديد على بحث "قيان" الترجمى. وفى الواقع لن يظهر المغزى الكامل للبحث الترجمى الذى أجراه "قيان"، إلاّ عندما يفسِّر مقاله، ليس كمجرَّد دراسة مسهبة بسيطة خالية من الغرض ومستقلة بذاتها عن الترجمة، ولكن باعتبارها عملاً من أعمال الاشتباك السياسى. ومع أنه ربما بدا مسايراً للأوضاع على المستوى السطحى، إلاّ أن "قيان" كان - فى حقيقة الأمر - يستغل البحث الترجمى فى تدبير احتجاجٍ هادئ على "الأرثوذكسية" (= أصولية ما قبل الأصولية. المترجم) والعقائدية (= الدوجماطيقية) dogmatism ، وكانت هذه المحاولة كثيفة التمويه ومتخفية بعناية وراء حجاب ومتوارية تحت ثنائية الضدين (= حالة الانجذاب إلى/ النفور من، فى نفس الوقت تجاه شخص ما أو فعل أو اتجاه الخ. المترجم) وبالتالى عُرضة للظنون، ولكنها شهادة قوية على الفرد كعاملٍ مفكر. ولعلها تكشف كيف يتأتى للمسايرة أن تكون شكلاً من أشكال المقاومة.

٣ - لوو إكسينج - هانج، « نسق فى حد ذاته - نظريات الترجمة فى بلادنا » (١٩٨٣)

يُعد "لوو إكسينج - هانج" (١٩٣٦-) مترجماً مرموقًا للأدب الفرنسى إلى اللغة الصينية ودارسًا فى ميدان الترجمة يتمتع بتوقير عالٍ فى الصين (١٨) وقد نُشر لأوَّل مرة مقال "لوو" المعنون "نسق فى حد ذاته - نظريات الترجمة فى بلادنا". وهذه ترجمة كلمية لـ ("Wonguo Zichengtixi de Fanyi Lilun") فى سنة ١٩٨٣ فى دورية تسمَّى "هوامش المترجمين" أو Fanyi Tongxun، التى صدرت فى شهر فبراير/أمشير ١٩٨٠،

وكانت تلك هى المجلة الأولى فى الصين الأم التى تتخصص فى شئون الترجمة ("وو" ١٩٨٠، "تشين" ١٩٩٢: ٤٦٤)، ومن هنا كانت بمثابة المنتدى القومى للمناقشات والمساجلات حول قضايا الترجمة، ويستحق اختيار "لوو" الذى وقع على هذه المجلة – كمطرح للسلطة التعليمية – لنشر المقال بالتالى منا انتباهًا خاصًا. على أن استخدام "لوو" نفس هذا العمل فى سنة ١٩٨٤ كمقالٍ افتتاحيٍ فى الـ Fanyi Lunji (= مختارات من المقالات الترجمية)، تلك المختارات التى حررها ونسَّقها – ينطوى – هو الآخر على أهمية مساوية. ولما كانت تلك المقتطفات تُعد أشمل مجموعة من المقالات عن الترجمة فى ذلك العصر، والأولى من نوعها التى تضم عدة مقالاتٍ حول ترجمة النصوص البوذية، فلقد كان لتلك المقتطفات تأثير عميق عندما ظهرت لأول مرة وظلت بمثابة مجموعة/حجة أى محل ثقة حتى اليوم.

إلى جانب هاتين النقطتين اللتين تدوران حول السياق، نجد أن عنوان المقال ذاته يتفجَّر – هو الآخر – بمغزى أيدولوجى. وفى الحقيقة يُعد هذا المقال بين الأعمال الثلاثة التى تناولتها بالدراسة فى هذه الورقة أكثرها صراحة فى ضوء الأيدولوجيا، حيثما يتعلَّق الأمر بالعنوان: "نسق فى حد ذاته – نظريات الترجمة فى بلادنا". فهنا يتعيَّن قراءة "بلادنا" على اعتبار أنها دعوة لجمع الشمل. و"نسق فى حد ذاته" عبارة عن تأكيد على التفرُّد وعلى التقاليد المتميِّزة. ويتلخَّص ما يصنعه "لوو" خلال مقاله ذاك فى وضع معالم بارزة على مسيرة تطوُّر نظرية الترجمة الصينية عن طريق مصطلحاتٍ مفهومية أساسية، وتقديم المناقشات الصينية حول الترجمة، المختارة من فتراتٍ تاريخية مختلفة، وذلك بطريقة تركِّز على الوراثة الواعية والترابط الوثيق والتماسك والإتقان حتى يأتى هذا الكل كنسقٍ ملموس بحد ذاته.

ويقول "لوو" أن هذا "النسق" يتكوَّن من أربع ضفائر كبرى:

- "تتبع المصدر" الـ "أنبين" anben ، وهذا هو قولٌ مأثور تركه لذريته الراهب البوذى "داو آن" Dao An (٣١٤ – ٣٨٥ م.ع.م.) وأعلى شأنه كثير من مترجمى الـ "سوترات" البوذية. ويقول "لوو"، بينما كانت المناقشات حول صحة

هذا القول المأثور دائرة، ترسَّخت سلطة النص - المصدر بصورة صارمة خلال الموجة الكبرى الأولى من الأنشطة الترجمية فى الصين، تلك التى دامت طوال القرون العشرة الأولى من الحقبة المسيحية. كما يمكننا أيضًا تتبع النظريات الصينية اللاحقة عن الترجمة، وخصوصًا تلك التى تشكِّل الضفائر الكبرى الأخرى من النسق (التى سنناقشها أدناه)، خلال الأصداء الشفوية والترجيعات المفهومية، حتى هذه الفكرة أى الـ "أنبين". وبالتالى، تصبح هذه الفكرة، فى إطار فهم "لوو" للأمور المصدر لكافة النظريات الصينية عن الترجمة. ("لوو" ١٩٨٣/١٩٨٤: ١٩).

- "تشِّن على الأمانة" qiuxin "قيوإكسين" فـ "إكسين" (= الأمانة) كما أن da "دا" (= المفهومية) وyaو "يا" (= الرشاقة) وهى "الصعاب الكبرى الرئيسية" أمام المترجم، وقد ناقشها "يان فو" فى مقدمته لترجمته لكتاب "تى.إتش" هكسلى" المعنون "التطور والأخلاق" (١٨٩٨) (١٩) ويرى "لوو" أن هذه المبادئ الثلاثة ظلت تُشكِّل طوال الشطر الأعظم من القرن العشرين فى الصين الأم الشبكة الرئيسية للمفاهيم التنظيرية فى ميدان الترجمة، ويمضى "لوو" كى يفسِّر كيف كسبت هذه المبادئ الثلاثة أهمية مشقية (= من مشق) نظرًا لما تنطوى عليه من فائدة خاصة فى تقييم الترجمات، كما صارت بمثابة معايير التقييم تكمن فى "قلب" نظرية الترجمة ذاتها (١٩٨٣/١٩٨٤: ٥). وطوال الخمسين سنة التى أعقبت ظهور مقدمة "يان" هذه ظلت كافة المناقشات التى تدور حول وضع معايير لنقد الترجمة تتأسس على هذا المشق. وكانت هناك محاولات نحو إعادة تعريف هذه المصطلحات للبحث فى ترتيبها هرميًا حسب الأهمية، كما كانت هناك محاولاتٍ أخرى نحو الطعن فى صحتها من الأصل، ولكن لم يتوفَّر مشقٌ آخر يصل من القوة حد الإطاحة به أى المشق من موقعه السامق (١٩٨٣/١٩٨٤: ١٠) ويرى "لوو" أن "التفسير الوحيد" لوضع التفوق الذى تمتَّع به المشق (١٩٨٣/١٩٨٤: ٩) "كامنٌ فى أن المبادئ الثلاثة: "إكسين" و"دا" و"يا" تستطيع - إلى حد ما - أن تلخِّص - باقتضاب - الملامح الرئيسية

وأن تُبرز نمطًا منظَّمًا يكمن وراء الترجمة" (المرجع السابق) ويلاحظ "لوو"، بسمة من الاعتزاز أنه "حتى فى بلدانٍ أخرى، ليس من المحتمل فى الغالب أن معياراً للترجمة وُضع فى السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر، يستطيع - بعد مضى ثمانين سنة عليه - أن يظل محتفظًا بصحته، وأن يستمر جاهزًا للاستعمال، كمعيارٍ صالح للتقييم" (١٩٨٣/١٩٨٤: ١٦) وبناء عليه فنظرية "يان فو" "تستحق مكانًا" فى التاريخ العالمى لنظرية الترجمة" (المرجع السابق) وفى العرض "البانورامى" للنظريات الصينية فى الترجمة على امتداد قرون، تكتسب مفاهيم "يان فو" الثلاثة أهمية أيضًا لأنها تشكِّل رابطة مباشرة مع الأفكار عن الترجمة التى تركها وراءهم مترجمو "السوترات" البوذية. واستناداً إلى العمل التفسيرى حول النصوص القديمة الذى أجراه "قيان زهونج - شو"، يشير "لوو" إلى الملاحظة التى أبداها "قيان" بأن المبادئ الثلاثة تبرز بالفعل كمفاهيم للترجمة فى الـ Fa Ju Jing Xu (= مقدمة إلى "الدارمابادا" Dharmapada " ٢٢٤ (م.ع.م.) التى يسود الاعتقاد بأنها أول عملٍ فى الصين يتطرّق لمشاكل الترجمة (١٩٨٣/١٩٨٤: ٢) وعلاوة على ذلك يستشهد "لوو" بحجية البحث الذى أجراه "لو كسون" عن "يان فو" كى يقرر أن "يان" كان قد درس ترجمات الـ"سوترات" البوذية، فى إطار الاستعدادات التى اتخذها لصوغ وجهة نظره تجاه الترجمة، وذلك بهدف الاستشهاد بها واستلهام الأفكار منها (١٩٨٣/١٩٨٤: ٦) ولكن "يان" لم يستشهد فى واقع الأمر بأى مقدمة من المقدمات التى كُتبت خصيصًا للـ"سوترات" فى المقدمة التى كتبها لترجمته لكتاب "التطور والأخلاق". وبدلاً من ذلك استخدم اقتباساتٍ من "كونفوشيوس" (٥٥١-٤٧٩ ق.ع.م. فيلسوف صينى ومؤسس "الكونفوشية" التى تعد منظومة أخلاقية / روحية أكثر من كونها ديانة، وقد ظلت هذه المنظومة العمود الفقرى للتعليم فى الصين لألفىْ سنة، وهو الأمر الذى يجعل منه أحد أعظم من أثروا بالإيجاب فى التاريخ الإنسانى.المترجم) وخصوصاً كتابه "سفر التغيُّرات"، حتى يبيِّن أن مبادئ الترجمة الثلاثة التى قال بها: "الأمانة"

و"المفهومية" و"الرشاقة" ليست قيمًا خاصة به وحده بل تملك وراءها تاريخًا طويلاً وعريقًا، بصفتها قيمًا طالما ركّزت عليها الكتابات الكلاسيكية. وبينما يعترف "لوو" بعدم وجود دليلٍ مباشر على أن "يان" كان قد "ورث" تلك المفاهيم الثلاثة من مترجمى الـ "سوترات" البوذية إلا أنه يخلع عليها - مع ذلك - أهمية تاريخية وسلالية (= صلات قربى) خلال تأصيل جذورها. وتراه يقدم مقال "يان" بصفته تلخيصًا لما توصلت إليه المناقشات النظرية الأسبق عهدًا حول ترجمة الـ"سوترات" البوذية إلى جانب التحضير البرنامجى للتنظيرات اللاحقة عن الترجمة (١٩٨٣/١٩٨٤: ٦). والنقطة التى تتمتّع بصحة مساوية وتتمثّل فى أن "يان فو" ربما يكون قد استلهم القوانين العامة الثلاثة للترجمة التى اقترحها "ألكساندر فريزر تيتلر" Alexander Frazer Tytler (1747-1814) لم يرد لها ذكر، مع أن "لوو" أدرج فى مقتطفاته المقال الذى كتبه "وو ليفو" Wuu Lifu، الذى أكد هذا الاستلهام (١٩٨٣/١٩٨٤: ٤٦١). وعندما يشير "لوو" إلى "تيتلر" فى المقال أو المقدمة التى كتبها، فلقد كان ذلك بهدف الإشارة إلى أن الدراسة التى كتبها "تيتلر" نُشرت فى الصين فى عشرينات (= عشرينيات) القرن العشرين، ولكن قوانين "تيتلر" الثلاثة لم تصادف رواجًا، مع أنها تكاد أن تكون مماثلة لمبادئ "يان" الثلاثة: "الأمانة" و"المفهومية" و"الرشاقة" (ذ١٩٨٣/١٩٨٤: ١٥-١٦) [٢٠]

- "تشابه الروح" (Shesi) كان "فو لى" Fu Lie (1908-66) هو الذى انتصر فى سنة ١٩٥١ لصالح أهمية التوصُّل لـ "تشابهٍ فى الروح" [٢١] إذ يقول: "عند الحديث عن الأثر، ينبغى أن تكون الترجمة أشبه بنسخ لوحة مرسومة فلا يكون الهدف مجرَّد إنتاج تشابه فى الشكل وحده بل وتشابه فى "الروح" (استشهد "لوو" بهذا النص (١٩٨٣/١٩٨٤: ١٠ الترجمة ترجمتى). ولقد كان الرسام "جو كايزى" Gu Kaizhi هو أول من طرح أهمية نقل الروح (chuanshen) فى (٣٤٨-٤٠٩ بالتقريب) كمبدأٍ لاغنى عنه عند رسم الصور الشخصية "البورتريهات"، ونمت هذه الأهمية حتى أصبحت بمثابة مفهومٍ رئيسى

فى الجماليات (= علم الجمال) التقليدى، وكان "فو لى" هو الذى حوله إلى مبدأ فى الترجمة (١٩٨٣/١٩٨٤: ١٥) وبذلك يكون "فو لى" قد رفع الترجمة إلى منزلة الفن ورسم لها هدفًا أسمى من مجرد نقل الأفكار (١٩٨٣/١٩٨٤: ١٣). وكان "يان فو" قد وصف ترجمته لكتاب "هكسلى" (التطور والأخلاق) بـ dazhi أو "أفكار منقولة"، وفى إطار الـ "نسق" الذى رسم "لوو" خطوطه العريضة، فإن "تشابه الروح" يُعد علامة مهمة على الطريق ومؤشرًا على "التقدم" الذى نجم عن نصف قرنٍ من التفكير النقدى فى المفاهيم الثلاثة التى دعا إليها "يان فو" (١٩٨٣/١٩٨٤: ١٣). ويرى "لوو" أن نمط مثل هذا التفكير يُعد آية على حسن التقدير والتعمُّق المتزايديْن. وخلال الفترة الأولى قوبلت المفاهيم الثلاثة بترحيب واسع بصفتها القواعد الذهبية للترجمة، ثم حدث أن ثارت شكوك حول صحة الـ "يا" (= الرشاقة) كمبدأٍ للترجمة، وبعد ذلك خضعت العلاقة بين الـ "إكسين" (= الأمانة) وبين الـ "دا" (= المفهومية) لمبدأ الجدل، ثم حازت الـ "إكسين" مكانة أولى وهبطت كلٌ من الـ " دا" والـ "يا" إلى منزلة ثانوية، ونتج عن مزيدٍ من التعمُّق فى مثل هذا التفكير الاستنتاج الذى يقول إن الأمانة المطلقة ليست أكثر من مثال منشود، ولكن فى طوع الترجمة أن تبلغ – فى أحسن الأحوال – "تشابهًا" مع الأصل (١٩٨٣/١٩٨٤: ٩) بمعنى "تشابهًا فى الروح" إذا شئنا الدقة.

حالة التحويل الكامل" huajing – كما سبق لنا أن ذكرنا فى الفقرة السابقة – كان "قيان زهونج – شو" هو الذى طرح هذا المبدأ فى سنة ١٩٦٤ بصفته أسمى مستوى يمكن بلوغه فى الترجمة الأدبية. وفى رأى "لوو"، عند مقارنته مع الـ "تشابه فى الروح" فإن "حالة التحويل الكامل" تُعد خطوة أخرى إلى الأمام" وتصل "حتى إلى مستوى أعمق" فى ضوء ما تتطلبه من المترجم ودرجة الصعوبة التى ينطوى عليها ذلك (١٩٨٣/١٩٨٤: ١٤) ومع ذلك فالتحويل الكامل والتام ليس سوى مثالٍ لا يمكن بلوغه، ولكن وضع مثل هذا المقياس أدى إلى الحث على نشدان الكمال فى الترجمة الأدبية.

لعله من الواضح ان "لوو"، فى رسمه لخريطة تقاليد التفكير التنظيرى حول الترجمة فى الصين، قد استخدم عدداً من الإستراتيجيات. وهذه تشمل تحديد موضع المصدر وكشف الستار عن العلاقة الوطيدة بين شعريات (كالمجاز والجناس والإيقاع إلخ) الترجمة وشعريات الكتابة والفن الكلاسيكيين، وتخليق صلات قربى (خلال تأصيل الجذور) ورسم مسار التطور لمجرى يتميَّز بالتقدُّم. وقد وفَّر تحديد موضع مصدر نظريات الترجمة الصينية، بتعبير "داو أن" Dao An ، عوضاً عن تعبير "زهى قيان" وهو راهب غير صينى علَّق هو الآخر على أهمية "تتبع المصدر" لـ "لوو" أن يحافظ – كما كان عليه – على "نقاء" التقاليد الصينية. [٢٢] ولقد تمكَّن – خلال تصويره للنظريات الصينية عن الترجمة كانبثاقات من الخطاب حول التأليف الأدبى والرسم ومختلف الأنشطة الثقافية الأخرى – من الإلحاح على وجهة نظره التى ترى أن التقاليد الصينية منفصلة ومستقلة عن كافة التقاليد الأخرى للنظرية الترجمية. كما وفَّر التركيز على وجود علاقات قربى باستمرار خلال تتبع صلة القربى – حتى ولو كانت تنتمى أكثر لتشابه مظنون وذكريات كامنة وأصداء شفوية وترجيعات مفهومية عوضاً عن دليل تجريبى صلب – لـ "لوو" أن يسلِّط الأضواء على الاستمرار والتماسك الداخلى لهذه التقاليد العريقة. ومكَّن الرسم الدقيق لخريطة التقدم "لوو" من استنتاج "أننا" – نحن الصينيين – قد ورثنا تركة غنية من نظريات الترجمة وأن الطريق إلى الأمام يكمن "فى أن نفسِّر بدقة فائقة العلاقات المتبادلة بين هذه النظريات (١٩٨٣/١٩٨٤: ٥) أن ونبنى "نسقًا يتمتَّع بخصائص فريدة تخصُّنا دون سوانا (١٩٨٣/١٩٨٤: ١٩) مثل هذه الملحوظة تُعد فى نفس الوقت دعوة للعمل ومحاولة من جانب "لوو" فى السعى وراء التصديق على مشروعية ما قدمه خلال بحثه فى ميدان الترجمة.

يعتبر مقال "لوو" محاولة فى سبيل بناء الهوية. وينبغى لنا أن نلاحظ – مع ذلك – أنها هوية مختلفة بشكل متميِّز عما كانت "تطحنه" الماكينة الدعائية للدولة (الصينية) فى مطلع الثمانينات ، نظراً لأن المقال خال بصورة لا تخطئها عين من بلاغة الحزب الحاكم ورطانته، وتكشف نظرة أخرى إلى الخلفية الثقافية أن محاولة "لوو" نحو بناء الهوية وتطويع الإستراتيجيات التى استخدمها فى رسم خريطة

لتقاليد الترجمة كانت حقًا جهداً يبذله مثقفٌ يستجيب للوضع فى عصره، وهو وضعٌ يجد أحسن وصفٍ له فى سطور "ييتس" Yeats (1865-1939) ، (أحد أعظم شعراء أيرلندا فى العصر الحديث وكان بالإضافة إلى ذلك مسرحيًا وسياسيًا تملكت فؤاده القومية الأيرلندية، وقد حصل على جائز نوبل فى الأدب سنة ١٩٢٣ . المترجم) "تتداعى الأشياء، ليس بوسع القلب أن يستمر صامداً"، كان مطلع الثمانينات وقتًا عصيبًا بالنسبة للمثقفين، ففى أعقاب "الثورة الثقافية" مباشرة ساد شعور بالخراب والإفلاس الروحى، ومع انتهاج سياسات "الانفتاح" والإصلاح الاقتصادى، حدث تدفُّق مفاجئ لأفكارٍ جديدة وقيمٍ جديدة ومبادراتٍ جديدة ومثيراتٍ جديدة وإغراءاتٍ جديدة وكذلك تهديداتٍ جديدة، وقد حاول مقال "لوو" أن يثير قوة تلاحمٍ جديدة. وحدد مطرح هذه القوة فى التقاليد والتراث والثقافة، وكان يستخدم البحث الترجمى فى الابتكار الأيدولوجى لنظامٍ روحىٍ جديد، ومن جاء هنا تركيزه على بناء "نسقٍ خاصٍ بنا" (نحن الصينيين) .

٤ - استنتاج

بوسع الباحثين الأفراد أن يستخدموا البحث الترجمى - على نحو ما يتضح لنا من هذا النقاش - لأغراضٍ أيدولوجية مختلفة عن تلك التى تصدِّق عليها الأيدولوجيا السائدة، بل وكسبيل للتدخل فى سياسات السلطة و/أو السياسات الثقافية للعصر. ومع أن اليوم يشهد إعفاء كثيرٍ من الأشخاص من الاضطرار إلى إجراء بحوثهم فى ظل وضعٍ من ذلك النوع المتخشِّب أيدولوجيًا الذى عرضنا له للتو بالتحليل، فليس هناك سبب يدعو للرضى. ودخولنا إلى عصر المعلومات الفائق السرعة، الذى زلل الصعوبة التى كانت تشكِّلها الحدود الجغرافية والثقافية أمام انتقال كلٍ من الأفكار والأيدولوجيات بنفس الدرجة وجعل من احتمال قيام سلطة شمولية للأيدولوجيا أقل احتمالاً والأولى أقل إرعابًا من أى وقتٍ مضى، ولكن هذا يعنى أيضًا أن أفرادًا أكثر وأكثر سوف يواجهون أيدولوجياتٍ متنافسة ولسوف يضطرون إلى الاعتراف بهذا الأمر

كحقيقة فى صميم وعيهم، وبالتالى فإن من المهم أهمية فائقة كيف يتأتى للإصرار على الاختلاف ومقاومة الثقافة السائدة أن يتحقق، ليس كغاية فى حد ذاته، بل كوسيلة لتمكين الذات من القوة، وضمان أننا نظل مواطنين مفكرين وقادرين على الاشتباك بصورة نقدية مع الأيدولوجيات الحاكمة.

ومع أننى لا أحبِّذ أن يكون البحث أيدولوجيا بصورة سافرة، ومع وعيى بأن الحالات التى تطرَّقت إليها بالدرس هذه الورقة محدودة للغاية أو من القلَّة فى العدد بحيث لا تكفى لدعم أى تعميمات، إلاَّ أننى أجد فى الاكتشافات التى توصلت إليها ما يحمِّسنى للدعوة إلى عبور الحدود، وبالتحديد الحدود بين مستوى – الموضوع object-level وما وراء – المستوى meta-level للدراسات الترجمية. وعوضاً عن الإبقاء على البحث الترجمى – بشكله المعتاد من الحديث عن الترجمة – داخل نطاق ماوراء – المستوى، يمكن للبحث الترجمى أن يؤخذ كموضوع مشروع للدرس. ومن شأن هذا الأمر أن يركِّز الانتباه على ما رأى فيه "ثيو هيرمانز" منذ وقت قريب لا يبعد عن سنة ١٩٩٩ "مشكلة" تتعلَّق بالدراسات الترجمية الوصفية، مشير إلى أن المناقشات حول تعذُّر الدفاع عن وجهة نظر تتسم باللامبالاة وتخلو – من – القيمة " لم تكد تبدأ" ("هرمانز"١٩٩٩: ١٤٦) ولسوف تبدأ المناقشات أو تغدو غير ضرورية، عندما ينشأ اشتباك جاد مع القضيتين اللتين حاولت هذه الورقة، على ماهى عليه من انغماسٍ فى الأيدولوجيا، أن تسلِّط عليهما الضوء وهما: أيدولوجيا البحث الترجمى وحمل الترجمة للأيدولوجيا إلى البحث الترجمى.

الهوامش

(*) هذه نسخة موسَّعة ومنقحة من ورقة قدمتها لأول مرة فى المؤتمر الدولى حول "نماذج البحث فى الدراسات الترجمية" الذى انعقد فى مدينة "مانشستر" بإنجلترا فى أبريل/برمودة سنة ٢٠٠٢، ولعلى أشعر بالامتنان لجامعة "هونج كونج" المعمودية لتوفيرها منحة الكلية للبحث Faculty Research Grant (FRG/97 98/II-49)، كى أجرى بحثًا فى الموضوع. كما أننى ممتنة كذلك للبروفيسور "جين لاى" Jane Lai ود. "ستوارت كريستى" Stuart Christie ود.تان زيكى Tan Zaixi للتعليقات والاقتراحات التى طرحوها.

(١) فى سبيل الاطلاع على معالجة مضيئة للأيديولوجية بصفتها مفهومًا يتطلَّب التنظير له إطارًا متعدد النسق multidisciplinary، يجمع بين استبصارات علم المعرفة وعلم الاجتماع وتحليل الخطاب، انظرTeun A.Van Dijk (1998).

(٢) أعادت بريطانيا جزيرة "هونج كونج"، إلى الصين الشيوعية فى سنة ١٩٩٧، بعد ظلَّت مستعمرة بريطانية منذ سنة ١٨٤٢، ولتبديد مخاوف شعب الجزيرة أعطت الصين هونج كونج ضمانًا بأن تستمر "هونج كونج" مجتمعًا رأسماليًا لمدة خمسين سنة ويستمر سكانها يتمتَّعون طوال هذه الفترة بالحريات وأساليب الحياة التى كانوا يألفونها تحت ظل الحكم البريطانى. ومن هنا جاء التعبير "أمةٌ واحدة ونظامان".

(٣) استلهمت هذين التعبيرين من التعبيرات التى استخدمها كلٌ من "باسل حاتم" Basil Hatim و"إيان ماسون" فى مناقشتهما للأيديولوجيا والخطاب – "أيدولوجيا التترجيم" و"ترجمة الأيدولوجيا" ("حاتم" و"ماسون" ١٩٩٧: ١٤٥، ١٤٦)

(٤) نظرًا لما تمتَّع به "هو" من تأثيرٍ واسع على مثقفى وكتَّاب عصره، أولاً فى الصين ثم فى "تايوان" بالإضافة إلى العالم الخارجى – كما نستطيع أن نستدل من شهادات الدكتوراه الفخرية الخمس والثلاثين التى حصل عليها وهو لا يزال على قيد الحياة ("يى" Yi 1987: 104 – ونظرًا لموقفه المناهض للشيوعية، فإن قصة حياته تُعد محل نزاعٍ حاد بين كُتَّاب السِّير الذين ينتمون إلى مذاهب سياسية وأيدولوجية مختلفة، وللاطلاع على سيرة شخصية موجزة لـ "هو" انظر "هو شى" (١٩٦٨). وفى سبيل الاطلاع على سيرة تجتهد – بدرجات متفاوتة من النجاح – من أجل رسم صورة لـ "هو" خالية نسبيًا من تحيزُّات السياسات الشيوعية، انظر "يى" Yi (1987). وتكشف الدراسة التى كتبها "جيروم بى. جريدر" Jerome b. Grieder بعنوان "هو شى وعصر النهضة الصينى: الليبرالية فى الثورة الصينية ١٩١٧-١٩٣٧ (١٩٧٠) ميولاً أيدولوجية مختلفة. فالدراسة تنتمى لتصنيف السِّيرة المثقَّفة وهى تقدِّم "أفكار "هو" وجهوده نحو تشكيل الاستجابة الثقافية فى الصين للعالم الحديث"، وتنطوى ضمنًا على موقف مناهض للشيوعية (IX) وهناك أيضًا سير ذاتية كتبها عن نفسه. انظر على سبيل المثال "سيشى زيشو" Sishi Zishu "سيرة ذاتية عند

الأربعين من العمر"("هو"١٩٣٩/١٩٩٣) انظر كذلك: "هو شى كوشو زيزهوان" Hu Shi Koushu Zizhuan (= ذكريات د. "هو شى" الشخصية) (١٩٨٣) أو النص الأصلى المكتوب باللغة الإنجليزية المحفوظ على هيئة مخطوط بالآلة الكاتبة فى أرشيف "مشروع التاريخ الشفوى" بجامعة كولومبيا.

(٥) نُشر هذا المقال لأول مرة فى الدورية الصينية البارزة للآراء الراديكالية زين قينج – نيان"Xin Qingnian أى "الشباب الجديد" فى يناير/طوبة ١٩١٧، انظر "هو" (١٩١٧/١٩٩١). وقد نُشرت أجزاء من هذا المقال فى "دى بارى" (De Barry (1960: 820-4 .

(٦) فى "المقدمة" التى كتبها "هو" لكتابه "تاريخ الأدب الشعبى (148-141 : 1928/1998) " Baihua، يروى القصة الغريبة لنشر الكتاب، فلقد دأب على مراجعة المحاضرات قبل إلقائها فى كل مرة بعد سنة ١٩٢١، وكان قد عقد العزم على القيام بمراجعة أكثر تدقيقًا، ولكنه لم يجد الوقت لذلك، وفى سنة ١٩٢٧ – وخلال زيارته لليابان – أبلغته أسرته أن تلك المحاضرات جُمعت على هيئة كتاب، جرى نشره بمقدمة طويلة كتبها صديقه "لى شا – وكسى" Li Shaoxi . كما علم أيضًا أن دار النشر التى نشرت الكتاب التى يديرها طلاب "لى" لم يطبعوا أكثر من ألف نسخة من الكتاب، وقد هدفوا من وراء هذا النشر الضيق النطاق توفير مادة مرجعية للطلاب الذين يحضرون دروسًا حول تاريخ الأدب الصينى. ولما شعر بالحرج لأن بعض الآراء التى أفصح عنها فى هذه المحاضرات لم تكن "ناضجة" (١٩٢٨/١٩٩٨: ١٤٤) ووجد تشجيعًا كبيرًا باكتشاف وثائق تاريخية ومواد جديدة تدعم التفسير الذى قدَّمه للتاريخ الأدبى فى محاضراته، فلم يسمح لنفسه بالتأخُّر أكثر من ذلك فى مراجعة محاضراته. كما أعد أيضًا "أدب البوذية المترجم"(الجزءان الأول والثانى) لضمهما لهذه الطبعة المنقحة، وتكشف مقارنة بين عنوان طبعة سنة ١٩٢٧ التى أعدها "لى" ونشرها باسم "تاريخ "جويو" Guoyu (لغة قومية) وبين عنوان الطبعة التى أعدها "هو" بنفسه فى سنة ١٩٢٨ وهو "تاريخ أدب "باى – هوا" أى الشعبى أو الدارج" عن أن "هو" لم يكن فى البداية يضع الترجمة فى الحسبان عند رسم خريطة تاريخ الأدب.

(٧) تجدر الإشارة إلى أن العنوان الذى وضعه "هو" للكتاب باللغة – الإنجليزية هو:History of the Living Chinese Literature أى "تاريخ الأدب الصينى الحى" ("hu" 1983: iii) ولا يحتاج منا المغزى الأيدولوجى لهذه الترجمة من جانب "هو" لعنوان كتابه إلى تأكيد مزيد.

(٨) "جويجو" Jueju هو اسم الشكل الشعرى، وهو يدل على قصيدة من أربعة سطور، كل سطر منها يضم خمسة حروف أو سبعة، مع نمطٍ نغمىٍ صارم ونسقٍ خاص للقافية.

(٩) علَّق "وانج كسيا – أومنج" Wang Xiaoming ، وهو ناقد يعيش فى الصين الأم، خلال نقد قوى ومحرك للذهن لـ "حركة الأدب الجديد"، على "الفرق الجوهرى" بين نشأة الأدب الحديث فى الصين ونشأته فى أوروبا. فى حالة الصين سبقت النظرية الممارسة (وانج ١٩٩٣: ١٧١)، وشكَّلت النظرية الكتابة الأدبية. وعلى ذلك جاءت الأعمال الأدبية التى كتبها أصحابها كمنتجاتٍ لبرنامج عقلانى سابق الإعداد. هكذا استهواه القول" (١٩٩٣: ١٧٢)

(١٠) ينطبق ما قلناه على الأعمال الأدبية التى كتبها "هو" نفسه. فبينما كان قويًا فى كتاباته الأكاديمية وصياغته للبيانات كان ضعيفًا فى التأليف الأدبى وجاءت كتاباته الأدبية هزيلة، على نحو ما يعترف هو نفسه دون حرج ("يى" ١٩٨٧: ١٨٠، "جريدر" ١٩٧٠:٨٦) ولقد علَّق أيضًا كلٌ من "لو كسون"Lu Xun

و"ماو دوون" Mao Dun ، وهما من أبرز الشخصيات في "حركة الأدب الجديد" على "العزلة" التي يعاني منها الكتّاب الذين يكتبون بالـ "باي - هوا"، وعلى وجهٍ خاص خلال السنوات الخمس الأولى للحركة ("ماو" ١٩٣٥/١٩٨٠: ٤، "لو" ١٩٣٥/١٩٨٠: ٨). بل ومنذ ما يرجع إلى سنة ١٩٢٥، وجد "كسو زيمو" Xu Zhimu ، وهو شاعر مشهور كتب باللغة الشعبية الدارجة، ووجد في النجاح الذي حققته إعادة إصدار "جيا يين" Jia Yin ، (= النمر) وهي مجلة أسبوعية باللغة الصينية القديمة وناطقة باسم منتقدي "حركة الأدب الجديد"، ما حفّزه على أن يعلّق بأن "النمر" أوسع انتشاراً في ضوء أرقام التوزيع على الأقل من مجلات الـ "باي - هوا" الأخرى ذات التوجه المشابه في المضامين("كسو" ١٩٣٥/١٩٨٠: ٢٣٠-١)

(١١) تُرجمت كلمة الـ "رينيسسانس" (= نهضة) Renaissance في أول الأمر في الصين إلى"كسين شاؤو" Xin chao أي (= تيارات جديدة) أو"زين سيشارو" Xin sichao (= تيارات جديدة في الفكر). وما كان يعنيه بـ "نهضة صينية" أوضحه الرجل في مقاله المعنون بـ"معاني الـ زين سيشاؤو" Xinsishao de Yiyi " ("هو" ١٩١٩/١٩٥٢). كما أعطى عدداً من المحاضرات، باللغة الإنجليزية حول الموضوع. انظر "هو"(١٩٢٦/١٩٩٥) و"هو" (١٩٣٤). والسبب الذي يقف - وهو سبب أيديولوجي إلى حدٍ كبير - وراء تفضيل "هو" لوصف ما يريد أن يحدث في الصين بمصطلح "نهضة صينية" بدلاً من أي وصفٍ آخر من الأوصاف التي كانت جارية في ذلك الوقت مثل "زين وينهوا يوندونج" Xin wenhua yundong(أي "الحركة الثورية الجديدة") أو "وينزوي جيمنج" wenxue geming (= "الثورة الأدبية") تجده مشروحاً في"زهونججو ويني دي فكسينج Zhongguo Wenyifuxing (= النهضة الصينية: أربعة أبعاد للمدلول") ("هو" ١٩٨٣: ١٧٥-١٧٦)

(١٢) ينبغي أن نشير هنا إلى أن النقاد ظلوا لسنواتٍ طويلة لا يعترفون بالكتابات التي أنجزها "قيان" في ميدان الأدب القصصي في الصين الأم، إلى حدٍ كبير نظراً لأن "قيان" لم يضع أدبه في خدمة القضايا السياسية والاجتماعية، والحقيقة أن البروفيسور "سي. في. هسيا"، وهو صيني الذي يعيش في الولايات المتحدة هو الذي "اكتشف" مواهب "قيان" ككاتب روائي، وقدّر أن رواية "قيان" المعنونة باسم "القلعة المحاصرة" weicheng التي نشرت أول مرة في سنة ١٩٤٦، "ربما" تُعد "أعظم رواية" في الصين الحديثة، وذلك في كتابه الحجة "تاريخ الرواية الصينية الحديثة" ١٩١٧-١٩٥٧"(١٩٦١: ٤٤١) ولم يُنشر العمل الضخم الذي كتبه "قيان" يقع في أربعة مجلّدات باسم "جوان زهوي بيان" Guan Zhui Bian (= آراء مقيّدة: مقالات حول أفكار وخطابات) إلاّ في سنة ١٩٧٩، وهنا بدأ النقاد في الصين الأم يولون أعماله عناية جادة وأصبح "قيان" شخصية أدبية معتمدة، وفي سبيل الاطلاع على سرد سيَري مفصّل باللغة الصينية، انظر "كونج" (1992) Kong وللاطلاع على سرد ملخّص للسيرة باللغة الإنجليزية انظر مقدمة المترجمين لـ "القلعة المحاصرة" Fortress Besieged ("كيلي" و"ماو" ١٩٧٩)

(١٣) نُشر كتاب "ترجمات "لين شو" لأول مرة في Wexue Yanjiu Jian (مختارات من الدراسات الأدبية) الجزء الأول في ١٩٦٤ وقد ترجم "جورج كاو" George Kao الجزء الأكبر من هذا المقال إلى الإنجليزية ونشره بعنوان "عودة إلى لين تشين - نان"، أو "قينان" Quinan - وفقاً للنسق الكتابي المعرف باسم "بينين" Pinyin المستعمل في هذا المقال - وهذا هو اللقب الفخري لـ "لين شو" ("قيان" ١٩٧٥) وأنا أعتمد هنا على الطبعة التي صدرت في سنة ١٩٦٤ بدلاً من الطبعات اللاحقة (التي نقّحها "قيان" بشكلٍ طفيف) في مناقشتي هنا نظراً لأهمية قراءة النص في سياق عصره، الأيديولوجي والسياسي والتاريخي.

(١٤) هذا هو التقييم الذى أعطاه "ماو دون" Mao Dun فى التقرير الذى قدمه – بوصفه وزير الثقافة – فى المؤتمر القومى حول الترجمة الأدبية الذى انعقد فى سنة ١٩٥٤ ("ماو" ١٩٥٤/١٩٨٤: ٢).

(١٥) هذا هو عنوان الترجمة إلى اللغة الإنجليزية لهذه الأحاديث التى نشرتها دار نشر اللغات الأجنبية فى سنة ١٩٥٦ .

(١٦) يذكر أيضاً "رباعيات عمر الخيام" التى ترجمها "إدوارد فيتزجيرالد" إلى الإنجليزية عن الفارسية وحظيت بشهرة واسعة فى الصين فى وقتٍ من الأوقات.

(١٧) يسوق "قيان" هذه الأمثلة: تفضيل "وولتر هوراشيو باتر" للترجمة التى أبدعها "شارل بودلير" إلى الفرنسية لمجموعة القصص القصيرة التى كتبها "إدجار ألان بو" على الأصل الإنجليزى الذى كتبه "بو" نفسه بالإنجليزية والتفضيل " المنسوب لـ"يوهان ولفانج فون جوته" للترجمة التى قام بها "جيرار دى نرفال" لمسرحيته أى مسرحية "جوته" إلى الفرنسية على عمله هو نفسه، واعتراف "وولت ويتمان" بأن الترجمة التى جادت بها يدا "إف. فريليجراث" إلى الألمانية لمجموعته الشعرية "أوراق العشب" قد تكون فى الحقيقة أحسن من الأصل الإنجليزى. (١٩٦٤: ٢٥)

(١٨) لمزيدٍ من الاطلاع على معلوماتٍ سيرية biographical عن "لوو" انظر "لوو اكسينو – هانج" (١٩٨٨) و"وو" (١٩٩٧).

(١٩) نشر "سى. واى. هسيو" ترجمة إلى اللغة الإنجليزية لهذه المقدمة بعنوان "ملاحظات عامة حول الترجمة" فى سنة ١٩٧٣، انظر "يان" ١٩٧٣).

(٢٠) يكشف "لوو" فى مقال نشره بعنوان ("فن الترجمة عند "قيان زهونج – شو") فى سنة ١٩٩٠ أن "قيان" أبلغه فى رسالة أرسلها إليه أن مفاهيم "يان فو" الثلاثة "الأمانة" و"المفهومية" و"الرشاقة" مستمدة من بحثٍ لـ"تيتلر" نشره بعنوان "مقال حول مبادئ الترجمة" (١٧٩١) وأن "قيان" سلّمه مصدر هذه المعلومة (١٩٩٠/١٩٩٦: ١٤٧) ولكن "لوو" لم يذكر تاريخ هذه الرسالة بالضبط، واكتفى بالقول بأنه تلقاها بعد أربع سنوات من نشر "قيان" لكتابه المعنون بـ "آراء مقيَّدة: مقالات حول أفكارٍ وخطابات". وقد نُشرت الطبعة الأولى لهذا العمل فى أربعة مجلدات فى الفترة من أغسطس/أبيب حتى أكتوبر/بابة ١٩٧٩ . أما مقال "نسق فى حد ذاته – نظريات بلادنا الترجمية" فنشر لأول مرة فى كتاب "ملاحظات المترجمين" فى ١٥ يوليو/بؤونة ١٩٨٣ و١٥ أغسطس/أبيب ١٩٨٣ . وقد ظهر هذا المقال نفسه كمقدمة لكتاب "مقتطفات لمقالات حول الترجمة" الذى نُشر فى مايو/بشنس ١٩٨٤ ، وتشير هذه التواريخ إلى أن "قيان" ربما يكون قد أرسل رسالته إلى "لوو" بعد أن قرأ مقال "لوو" فى ١٩٨٣ ، وينبغى أن نلاحظ هنا – بالتالى – أن "لوو" ظل يلزم الصمت تجاه هذه النقطة حتى سنة ١٩٩٠، عندما طرح موضوع نشأة مفاهيم "يان فو" للنقاش مرة أخرى فى مقال ("فن الترجمة عند "قيان زهونج – شو") وحتى عندئذٍ اختار أن يقدم الموضوع على اعتبار أنه قضية لم تُحسم بعد فى تاريخ الترجمة فى الصين (١٩٩٠/١٩٩٦: ١٤٧) وينطوى مثل هذا التقديم على مغزى، نظراً لأن "لوو" أفصح فى كتاباته عن توقير بالغ لـ "قيان"، ونادراً – لو كان قد حدث – ما شكك فى النتائج التى يتوصل إليها فى أبحاثه. والحقيقة أن "لوو" اعتمد على حجية شغل "قيان"، المرة تلو المرة فى مقاله "نسق فى حد ذاته – نظريات بلادنا الترجمية".

(٢١) كان "فو لى" Fu Lei مترجماً عريض الصيت للأدب الفرنسى إلى اللغة الصينية ومعلّماً لـ "لوو اكسنج – هانج" وكان قد بدأ يمعن النظر فى "تشابه الروح" كالأثر الذى يتعيّن أن يصبو إليه المترجمون فى مقدمته لترجمته لرواية "الآب جوريو" Le Père Goriot لـ "أونوريه دو بلزاك" Honoré de Bahzac (روائى فرنسى مشهور من أعماله الأساسية "الكوميديا الإنسانية" ١٧٩٩–١٨٥٠ .المترجم)

(٢٢)"زهى قيان"، مواطنٌ من "ييشى" Yueshi عاش فى القرن الثالث من العصر المألوف أو الحقبة المسيحية، وكان قد تطرّق بالنقاش لمزايا وعيوب فكرة "تتبع المصدر" باعتبارها المبدأ الأسمى فى الترجمة فى المقدمة التى كتبها لـ "دارمابادا" Dharmapada فى سنة ٢٢٤ م.ع.م. أى قبل أن يعلّق "داو أن" على نفس الموضوع بما يزيد على مائة وخمسين سنة. ("تشين" Chen 1992: 15) ولقد أدرج "لوو" مقدمة "زهى قيان" لـ "دارمابادا" أيضاً فى "مقتطف لمقالات عن الترجمة"(زهى ٢٢٤/١٩٨٤) وبالتالى فإن تفضيله لتعبير "داو أن" يكون عن قصد.

الفصل العاشر "تلالوك" يزأر

أمريكا الأصلية والغرب والترجمة الأدبية

جوردون برذرستون Gordon Brotherston

خلاصة :

قبلت المواجهة مع تحديات النصوص الأمريكية الأصلية النماذج التى تصطنعها الدراسات الترجمية. والمترجمون الغربيون الذين يتصدّون للنصوص الأصلية يواجهون مشاكل لا تتعلق وحسب بالأبنية اللغوية المختلفة بصورة جذرية عما ألفوه، ولكن أيضًا القحط فى وجود تقاليد أدبية معروفة أو حتى الطمس المتعمد لمثل هذه التقاليد. وهذه بدورها قد تنطوى على عمليات نسخ اللغات الأمريكية الأصلية بحروفٍ لاتينية، ليس من الأداءات الشفوية وحدها ولكن من الأنساق السابقة للغة المرئية التى كشفت الفلسفة الغربية عن عجز مفجع عن فهمها حق الفهم.

ويتمثّل نسق الاختلاف أفضل ما يتمثّل فى تلك الكتب المزدوجة الصُّفح المعروفة عن أمريكا الوسطى mesoamerica التى تستخدم نسقًا من العرض يسمّى قلم الـ "تلاكويلولى" tlacuilolli بلغة "النهواتلى" Nahuatl وقد تسجّل لغة الـ"تلاكويلولى"، وهى لغة تفتقر إلى الصوائت vowels المفاهيم الصوتية عندما نريد منها ذلك، وهى إلى جانب ذلك غاية فى المرونة، إذ تتكيّف بالتناوب مع سرد حكاية أو رسم أيقونة أو خريطة أو جدولٍ رياضى. ولما كانت تدمج فى كلٍ واحد بين ما نرى فيه نحن مفاهيم منفصلة للحرف والصورة والرقم الحسابى، فهى تزدرى المفاهيم الغربية للكتابة والأدب. وتنطوى قراءة وترجمة هذه والنصوص الأمريكية المشابهة على إعادة - تفكير جذرية فيما كان

ليبيو، لولا إعادة التفكير هذه، أشد المقولات الغربية صلابة وأكثرها جدارة بالاعتماد عليها، ومغامرة فلسفية قد تكشف بدورها عن ثوابت جديدة وتقترح نماذج جديدة للدراسات الترجمية.

عشية الذكرى الخمسمائة، أى بعد مرور خمسة قرون على الفتح/اللقاء/ الغزو الذى بدأه "كولومبوس"، فكَّرت "اليونسكو" (المنظمة العالمية للتعليم والعلوم والثقافة United Nation Educational,Sceintific and Cultural organization) فى تعزيز فهم أكمل للسكان الأصليين للقارة عن طريق نشر بعض المعلومات الموثقة على هيئة مقال عن المكسيك فى دورية "كوريير" Courier ، وكان المقال - وهو بالإسبانية - بقلم الحجة البارز "ميجيل ليون - بورتليا Miguel León-Portilla ، ويدور حول فكرة وجود ثقافة مكسيكية أعمق، بتواريخ غنية وعريقة لشعوبها، وهى تواريخ معروفة بصفة جزئية، والفضل فى ذلك راجعٌ إلى السجلات المحلية التى ترجع إلى الوراء إلى عدة آلاف من السنين. وبذلك يكون من الغريب حقًا أن نقول - بطريقة أو أخرى - أن تاريخ المكسيك بدأ فقط بعد وصول "كريستوفر كولومبوس" و"كورتيس" (الماركيز "هرماناندو كورتيس" ١٤٨٥-١٥٤٧ هو الفاتح الإسبانى الذى قاد قوات غزو المكسيك كى يطيح بإمبراطورية "الأزتيك" فى الفترة من ١٥١٩-١٥٢١ ويضمها إلى التاج الإسبانى. المترجم). وبجوار مقال "ليون - بورتيليا" ظهرت ترجمة إنجليزية مصاحبة، وفى هذه الترجمة تعدَّلت بعض المصطلحات الرئيسية - كلمة memoria - على سبيل المثال - التى يمكن أن تعنى بالإسبانية إما "ذاكرة" أو "وثيقة أشبه بالسيرة الذاتية"، ولكن جوهر القضية ظل بصورة ملموسة، على ماهو عليه.

وبالتالى كم كان من المستغرب أن هذه المحاولة الحسنة - الطوية - فيما بدا واضحًا - من جانب منظمة "اليونسكو" نحو تعزيز فهم أعمق للسكان الأصليين للعالم الجديد، يمكن أن تصطدم بواحدٍ من أعظم المعلقين المعروفين على الترجمة اليوم، فلقد مضى "لورنس فينوتى" بالاعتماد على تحليل بارع سابق لـ "إيان ماسون" Ian Mason (1994) فى اتجاهٍ مستقلٍ بذاته، كى يكتشف أن الترجمة الإنجليزية للمقال الإسبانى -

المكسيكى تبعث على الرثاء ، وقد سلّط الضوء عليها فى الصفحات الافتتاحية لكتابه المعنون "فضائح الترجمة" The Scandals of Translation (1998) . والمجال هنا ليس مجال الخوض فى تفاصيل الاعتراضات التى أفصح عنها "فينوتى" أو الدخول فى مماحكة حول فهمه للإسبانية – المكسيكية، وكل ما يهمنا هنا هو المقدمة اللغوية – الاجتماعية التى ترتكز عليها تعليقات "فينوتى". فـ "فينوتى" يعنِّف – بعد – تأسيس ثنائية واضحة بين الثقافتين الغازية والمستقرة فى المكسيك على أساس المكتوب والشفوى المترجم الناطق باللغة الإنجليزية لتحبيذه – بصورة خبيثة – الثقافة الأولى على حساب الثانية، ولتقليله من شأن المكسيكيين الأصليين،الذين كانوا يعيشون فى البلاد قبل وصول "كولومبوس"، والذين تُقدم ثقافتهم الشفوية بصفتها أدنى، وخصوصاً كوسيلة لسرد أحداث الماضى"(١٩٩٨: ٣).

ولسوف يكون هذا النوع من قراءة الكيفية التى اقتحمت بها الإمبريالية الغربية غير – الشفوية الأمريكيتين مألوف تماماً. فهذه القراءة موجودة بالفعل فى "مقالات" "مونتانيى" Montaigne (1533-1592 (أحد رجال البلاط الفرنسى خلال عهد "شارل" التاسع، ومؤلف Essais وهى المقالات التى عكست نزعة الشك وتعليماً كلاسيكيًا باللغة اللاتينية وأسست لنوع أدبى جديد.المترجم) حيث أفصح عن تعاطفه مع السكان الأصليين لـ "عالم جديد لم يغادر مرحلة الطفولة بعد حتى يتمكّن من تعلم أبجديته" ("برذرستون ١٩٩٢: ٤١). (١) وعبر "روسو" Roussaeu (٢٨ يونيو/بؤونة ١٧١٢ – ٢ يوليو/أبيب ١٧٧٨ فيلسوف ومنظر سياسى فرنسى ألهمت كتاباته ورواياته زعماء الثورة الفرنسية ورواد الحركة الرومانسية. أشهر كتبه هو "العقد الاجتماعى. المترجم) و"دو سوسير" De Saussure (٢٦ نوفمبر/بابة ١٨٥٧ – ٢٢ فبراير/أمشير ١٩١١، وهو أعظم علماء اللغويات فى النصف الأول من القرن العشرين، وقد أصدر تلاميذه أهم كتاب له وهو "محاضرات فى اللغويات العامة" فى "جنيف" فى سنة ١٩١٦ المترجم) جاءت – أى هذه القراءة – كى تدعِّم – بصورة عميقة – بنيوية "ليفى – اشتراوس"، بتركيزها المكثّف والكلى على ما راج عنها اسم "أمريكا الشفوية"، وأشير هنا إلى المجلدات الضافية الأربعة التى كتبها "ليفى – اشتراوس" بعنوان "أساطير"(1967-74) Mythologies .

وخلاصة القول مثل هذه القراءة تنبهنا - بحق - إلى الدور الذى لعبته الأبجدية نفسها كسلاحٍ فر التوسع التاريخى للإمبريالية.

ومع ذلك فما تتجاهله هذه القراءة يتمثّل فى تفكيك "دريدا" لكل ذلك، خلال برهنته الدقيقة على الكيفية التى يمكن للقلم script أن يُشفِّر بأكثر الأساليب والوسائل الإعلامية تعدداً، بما يشمل فى نهاية المطاف الكلام نفسه، وهو الأمر الذى هرأ كثيراً من الحدود الحاسمة - فيما يفترض - بين ما هو مكتوب وما هو شفوى، ويرى "دريدا - وما - بعد - البنيويين معه - أن الاعتماد - بشكلٍ مطلقٍ إلى ذلك الحد - على تلك الثنائية بين المكتوب والشفوى يتعيَّن أن يكون محل تشكك، إذ يشير إلى نوع من "المركزية -الصوتية" phonocentrism ، التى قد يتضح فى الممارسة أنها ربما تكون من الناحية الأيدولوجية أكثر شؤماً من نشر أبجدية ما.

فى نطاق مجالنا - أى الترجمة - وإذا أسسنا حكمنا على التركيز المعلن للأعمال التى ظهرت على امتداد العقود الأخيرة، فقد يتضح لنا أن مثل هذه "المركزية - الصوتية" تمثِّل العرف المعمول به تماماً. وحيثما أو عندما نقابل فحوصاتٍ عن قربٍ للمسألة الهائلة الغنى للقلم والترجمة - من تاريخ التدوين بين مختلف أنساق الكتابة إلى نوع من الاهتمام باللغة المرئية التى نمَّطها، فلنقل "أبوللونير" Apollonaire فى كتابه Calligrammes أو "الشعر المجسَّم" Concrete Poetry ("هيريك" Hereck 1975 "كامبوس" Campos 1975) . وعندما قررت - بجسارة واضحة - مؤتمرات الترجمة الأدبية افتتاح "ورشة للكتابة" Atelier d'écriture فى سنة ١٩٩٦، اتضح أن الورشة مشدودة كلية إلى الاختلافات بين الفرنسية المنطوقة وتلك المكتوبة - دون أى اهتمام - حتى تاريخه بقضية اللغة المرئية بصفتها تلك (فولكوفيتش Volkovitch 1997) .

وعلى أى حال - فى الحالة الراهنة من الثقافات المحلية للمكسيك - يجب أن يلوح النقد الذى ساقه "لورنس فينوتى" لترجمة "اليونسكو" فى غير محله فى أحسن الأحوال، فالعبارات نفسها التى توقف عندها باعتبارها "سوء ترجمة" إلى الإنجليزية تحمل فى طياتها من اللغة الإسبانية سلسلة من الإشارات المباشرة إلى ثروة الماضى

المدوَّن (= المكتوب) للمكسيك: جسمور النقوش والتواريخ المحلية والقومية للسكان الأصليين للبلاد، ومع ذلك فلقد عجز على نحوٍ أو آخر عن رصد ما تقوله الاقتباسات في الواقع الفعلى، فى ظل استحواذ ثنائية المكتوب/الشفوى عليه.

وذلك لأن فى تاريخ الكوكب الأرضى، تُعد المكسيك أو أمريكا الوسطى - دون منازع - إحدى بلدان الكتب الـ "أموكستلى" Amoxtli بلغة الـ "نهواتلى" و"أوه" uoh بلغة الـ "مايا"، أى النصوص المرقمة الصفحات المصنوعة من الجلود والورق/ والمعروفة على وجه العموم بالـ "مخطوطات"("ماركوس" Marcus 1992 : "بوون" Boone و"مانيولو" Magnolo 1994 ، و"برذرستون" ١٩٩٥) فقبل الغزو الأوروبى بوقت طويل كان وعى الفرد بما إذا كان أميًا أم لا جزءًا لا يتجزأ من التجربة المحلية. ويستمتع "ميجيل ليون - بورتيليا" من ترديد القصة التى تقول إن نيكارجويًا كان يعيش فى شرق أمريكا الوسطى فى القرن السادس عشر دخل على أحد الإسبان بينما كان يقرأ فى كتابٍ بين يديه فقال له بدهشة وبهجة:

- أواه! ها أنتم أيضًا تعرفون الكتب.

وقد توسَّل كهنة "الأزتيك" فى رفضهم لبعثة "الفرنسيسكان" التى توجهت إليهم كى تحوِّلهم إلى الديانة المسيحية فى سنة ١٥٢٤ بالحقيقة التى تقول إن الكتاب المقدس ليس بحد ذاته، بالضرورة - مبررًا للإنفراد بالسلطة طالما كانت لهم كتبهم المقدسة الخاصة بهم ("ليون - بورتليا" ١٩٨٦، ١٩٨٩) وقد اعتمد المؤرخ "تشيمالباهين" Chimalpahin على هذه التقاليد نفسها، عندما كتب - بعد ذلك بقرن من الزمن - باللغة المعروفة باسم "الناهواتلى"، فى إطار محاولته للربط بين مطلع التقاليد المسيحية والتقويم الأزتيكى - على سبيل المثال تدمير "فيسباسيان" (٩-٧٩ م.ع.م. إمبراطور رومانى حكم من ٦٩ حتى ٧٩ أسس أسرة "فلافيوس" المالكة بعد الحرب الأهلية التى تفجَّرت عقب رحيل "بيرون" سنة ٦٨ م.ع.م.المترجم) لـ "أورشليم" فى سنة ٧٠ م.ع.م. (برذرستون ٢٠٠٢: ٢٤٤) وقد اختار مؤلفو المخطوطات المكسيكية لحظة الإصلاح الذى أدخله جريجورى (قام البابا "جريجورى" الثالث عشر بتصحيح التقويم اليوليانى الذى حسب طول السنة

الشمسية بـ ٣٦٥ يومًا وربع فى حين أن هناك فارقًا بسيطًا يتحول إلى يوم كل قرن، فالسنة بالدقة تتكون من ٣٦٥يوماً وخمس ساعات و٤٨ دقيقة و٤٦ ثانية.المترجم) فى سنة ١٥٨٢ – الذى اجتهد بصورة متأخرة نوعًا ما فى تحسين التقويم الرومانى العاجز بصورة فادحة – كى يشرعوا فى إجراء مقارنة شاملة بين النسق المستورد أى الأوروبى ونسقهم المحلى فى مجال التأريخ، وفى نفس الوقت كانوا يقيِّمون بشكلٍ نقدى – دائمًا داخل نطاق القلم الأيقونى المكسيكى – نموذج "العناصر" الأربعة التى قال بها "أرسطو" (٣٨٤-٣٢٢ ق.ع.م. فيلسوف يونانى يراه كثيرون قمة ما أبدعه العقل اليونانى القديم، من أشهر كتبه "عن فن الشعر" الذى حاول العرب ترجمته فى العصور الوسيطة. المترجم) وعلى المستوى الكمى وحده – ليس فى وسع مثل هذا العدد – إلاَّ أن يرفع هذا السؤال: "ترى فى سنة ١٤٩٢ من الذى دخل تاريخ من؟"

يعود بى كل ذلك إلى نقطتى الرئيسية الأولى: فى التاريخ العام لقصة العلاقات بين الغرب ومايسمِّيه "إريك وولف" Eric Wolf بـ "شعب بلا تاريخ" (١٩٨٤) بين أوروبا و"الآخرين" من وجهة نظرها، ونوع النموذج الذى أصبح بارزًا للعيان من واقع الاهتمام بالتغلغل الفرنسى والبريطانى اللاحق فى أفريقيا – أى الـ tiers monde الأصلى بالفرنسية أو الـ Third World كما يقول الإنجليز (= العالم الثالث) – قد لا يكون غير ملائم إلى ذلك الحد الذى يكون عنده مضللاً عند تطبيقه على الأمريكيين الأصليين. فأعراف "الكومونولث" (كيان سياسى يتأسس بموجب القانون لرعاية الصالح العام، وقد استعمل مفكرو القرن السابع عشر وخصوصًا "توماس هوبز" و"جون لوك" المصطلح فى الدلالة على مفهوم الجماعة السياسية المنظمة، ولكن الاستعمال الحديث توسع فى معناه. المترجم) يمكن أن يتضح – على سبيل المثال – اعتراضها طريق الاستبصار الذى انتهجه "جاك جودى" Jack Goody، عندما شرع فى الحديث عن معرفة القراءة والكتابة فى المجتمعات التقليدية مثل مجتمع الـ "مايا" ("ليس واضحًا على وجه التحديد من كان يعرف القراءة والكتابة فى تلك اللغة"، ١٩٦٨: ٦) وعودٌ على بدء – مع أن خط الرؤية تعرَّض للانعكاس – إلاَّ أن كثيرًا من نهج "جودى" استمر على قيد البقاء بصورة فعَّالة فى كتاب "جوردون كولييه" Gordon Collier المعنون "نحن/هم، الترجمة والنسخ

الصوتى (= كتابة اللغة بحروف أدق فى تمثيل الأصوات من الحروف الأبجدية المعروفة. المترجم) والهوية فى الثقافات الأدبية فيما - بعد - الاستعمار" ,Us/Them. Translation "Transcription and Identity in Post-Colonial Literary Cultures (1992) إلى ذلك الحد الذى يُشار فيه إلى "النسخ الصوتى"، فإن هذا النسخ الصوتى يبرهن فى الممارسة باستمرار أنه نسخٌ من مصادر منطوقة (الكاريبية أو لغة سكان جزر البحر الكاريبى والأمريكية الأصلية) إلى الأبجدية الرومانية أو اللاتينية المستوردة. هذا، بصرف النظر عن السؤال الذى لا يزال أكبر وأكثر إلحاحًا حول مالذى يمكن أن يعنيه على وجه التحديد مفهوم "الما - بعد - استعمارى" فى عالم تسيطر عليه الإمبراطورية فى الحقيقة بصورة أشد إحكامًا من أى وقتٍ مضى. وفى سياقٍ أسسه كلٌ من "تياسوينى نيرانيانا" (1992) Tejaswini Niranjana ، و"ديلزلى" Delisle و"ودزورث" (1995) Woodsworth، و"باسنيت" Bassnett و"تريفيدى" (1999)Trivedi وآخرون، أخذت هذه النقطة حقها من النقاش، من جانب كلٍ من "إلزى فيرا" Else Vieira "سجلاتٌ جديدة للترجمة فى أمريكا اللاتينية" -New Registrers for Translation in Latin Ameri ca (1998) ، و"فرانسيس كارتونين" (1994) Frances Kartunen مع إشارة خاصة إلى الأمريكيين الأصليين.

وبتعبير آخر نجد أن الترجمة فى أمريكا الأصلية فى واقع الأمر، يمكن وينبغى لها أن تسير فى "كلا الاتجاهين"، داخل نطاق مفهوم "بورديو" Bourdieu (1988 لـ "الميدان" الأدبى، فبينما أخذ الغرب - دون شك - ولا يزال يأخذ ما يقع عليه اختياره، خلال التجوال الطمَّاع الولوع بالكسب للغازى/الفاتح القديم أو جامع المقتطفات الحديث، إلاَّ أن هناك الجانب الآخر للموضوع، وهو الاستجابة المحلية المستمرة من جانب الأمريكيين الأصليين. وتشمل الأمثلة البارزة فى هذا الصدد إعادة صياغة "فاوست"، حسب الأعراف والمنطق الداخلى لنسق التسجيل المعروف عند قبائل "الإنكا" Inca باسم الـ "كيبو" quipu ، كما جرى تكييف "سندريلا" للتقويم الشهرى المعروف عند الـ "مابوتشى" فى المخروط الجنوبى Southern Cone ، ولفلسفة "ناباخو" Navajo فى استئناس وتربية الديك الرومى، و"إيسوب الأزتيكى" Aztec Aesop و"كولدرون

الأزتيكي" Aztec Calderón وروايات الـ"المايا" لـ "ألف ليلة وليلة"("برذرستون" ١٩٩٢: ٣١١-٤٠) وفي أمريكا الأصلية نظَّر المنظرون للترجمة بل وأدرجوها في مفاهيم عامة، تماماً مثلما انتشرت على مستوى الممارسة، قبل مجئ "كولومبوس" بوقتٍ طويلٍ، وعلى وجهٍ خاص في بلاطيْ كلٍ من مملكة "تنوشتيتلان" Tenochtitlan و"كوزكو" Cuzco . وإذا عدنا إلى نقوش اللغة الـ"مايانية" الكلاسيكية، لوجدنا عباراتٍ موحية من نوع النصوص الموازية مكتوبة أو منقوشة بالهيروغليفية الـ"مايانية" والقلم الأيقوني المكسيكي، مما وجده المستكشفون في "كوبان" Copan (= مدينة قديمة مايانية كانت مركزاً مهماً للفنون وعلم الفلك وقد ازدهرت في الفترة الكلاسيكية من ٣٠٠ - ٩٠٠ م.ع.م. وهي تقع حالياً في غرب "هوندوراس" قرب الحدود مع "جواتيمالا" بأمريكا الوسطى. المترجم) التي ترجع إلى القرن الثامن م.ع.م.

أشار "جيمس كليفورد" James Clifford ، في إطار الجدال حول "الثقافة المدوَّنة" (١٩٨٨) إلى مشكلة "التشويش" التي تدور حول كيف ما يُشار إليه بشكلٍ عام، بنصوصٍ إثنوجرافية سوف يتعرَّض للتشويه دائماً، على نحو أو آخر خلال مقدمات و"أجندات" المراقب أو الجامع "الغربي". وفي هذه الأضواء تقوم النصوص المؤلفة باللغات المرئية وأقلام العالم الجديد - على النقيض من ذلك - مقام طاق (= شبَّاك) مباشر. وتشكِّل هذه النصوص الأمريكية مصدراً نفيساً ينطوي على أهمية نظرية كبرى لدارسي الترجمة، إذا نظرنا إليها في حد ذاتها وربطنا بينها كما ينبغي، وهو الأمر الذي ندر ما حدث معها في الممارسة العملية.

يمكننا ويجدر بنا أن يمضي بنا التفكير، طالما كانت "أمريكا الوسطى" تعتمد - كما كانت عليه في الواقع - على قلم نستطيع من الناحية الوظيفية أن نقارن بينه وبين قلم أوروبا الغازية - في ضوء أنساق متكافئة وأن نحترس باستمرار من الافتراض الغربي السهل بالتفوق الثقافي - ليس في الوقت الحاضر وحده - وهو أمرٌ سيِّئ بما فيه الكفاية، بل وعند إسقاطه أيضاً على الماضي، وهو أمرٌ غريب، ومع ذلك فهو لا يزال سائداً بصورة غالبة ، وفي القرن السادس عشر، وبينما كان الراهب الفرنسيسكاني

"برناردينو دى ساهاجون" Bernardino de Sahagún يصنِّف كتابه الموسوعى "تاريخ المسمَّيات فى إسبانيا الجديدة" Historia de las cosas en Nueva España نجده يستعير قطْع النص الموازى: النص الـ "ناهواتلى" على الصفحة اليسرى وترجمته الإسبانية على الصفحة اليُمنى المقابلة. وهنا لا يصعب علينا أن نرى إلى أى حدٍ يقلِّص النص الإسبانى فى الحقيقة ويُحقِّر النص الـ "ناهواتلى"، ولكن ما هو جدير أكثر بالملاحظة كم كان من النادر أن يؤخذ مثل هذا التقليص على أنه تناظر ليس مع الإستراتيجية المرسومة بتحقير السكان الأصليين بقدر المحدودية الثقافية التامة للنهضة الأوروبية – وبكل تأكيد – فى إسبانيا التى كانت تمر بالفترة المعروفة فى تاريخها بـ "مناهضة – الإصلاح" Counter-Reformation ، فى أمورٍ أساسية كإنتاج المحاصيل (معظم أجود الأغذية جرى تخليقها جينيًا قبل آلاف السنين فى المناطق الاستوائية والمدارية فى الأمريكيتين) والفلك (التقويم "المايانى" يتمتَّع بقدرة لا تُضارع فى توحيد الإيقاعات السماوية والأرضية) قصة نشأة النوع البشرى (وهى القصة التى يرويها "بوبول فوه" Popol Vuh قبل "دارون" بثلاثة قرون) عمر الصخور على سطح الأرض (قيست بملايين السنين فى المخطوطات) وهكذا.

ولكى نرى أى معنى يمكن أن ينطوى عليه هذا النهج، أستدير الآن إلى مثالَيْن محددَيْن، ورد كلٌ منهما فى صفحة منفصلة من كتابٍ يرجع إلى ما قبل وصول الغازى/الفاتح "كورتيس"، وذلك لكى نرى كيف تُرجمت كل صفحة وكيف يُمكن أن تُترجم كلٌ منهما. وكل هذا يأتى – بطبيعة الحال – فى إطار السياق المقترح حتى الآن وبهدف رؤية ما حدث للأعراف والمقولات التى يأخذها معظمنا فى غالب الأحيان كأمور مسلَّمٍ بها فى ميدان الترجمة، حتى فيما كان ليعتبر لولا ذلك، إعادة صياغة بشكلٍ جذرىٍ للنص. وهنا تكون بارزة، تلك "الإشارية" Deictics (= اعتماد الجملة والأدق المنطوق على السياق. المترجم) والوضوح الزمنى والمكانى وكل ما يتصل بأسماء الأعلام والشعوب والمواضع.

تستخدم كل صفحة من الصفحتين ذلك النوع من الكتابة أو القلم الأيقونى المعروف باسم "تلاكويلولى" باللغة الـ"ناهواتلى" التى تتصل اتصالاً وثيقًا بالأقلام الصوتية (ذلك النوع

من الكتابة الذى لا يُهمل أى صوت سواء أكان ساكنًا consonant أو صائتًا vowel فى رسمه كاليونانية واللاتينية إلخ. المترجم) التى طوَّرها الناطقون بكلٍ من الـ "زابوتيكية" Zapotic والـ "مايانية" وغيرهما من اللغات منذ وقتٍ طويل فى أمريكا الوسطى ("نووتنى" Nowotny 1961) وخلافًا لما يُقبل – عادة – كـ "تقدم" ضرورى نحو قلمٍ صوتى، فإن الـ "تلاكويلولى" ليست مرتبطة بأصوات أى لغة محددة دون سواها من لغات أمريكا الوسطى، وذلك لأنها مفهومة فيها كلها دون استثناء. ومع ذلك ففى سياقاتٍ معيَّنة تستطيع الـ "تلاكويلولى" أن تنشد رسم الصوتيات. كما تستطيع أيضًا أن تستخدم اللون استخدامًا دلاليًا، وهذا بعدٌ مفقود فى الصفحتين المقتبستيْن هنا، وهما صفحتان خُفِّض لونهما الأصلى إلى الأسود والأبيض وحدهما (فى سبيل الاطلاع على الألوان المستخدمة فى النسخ انظر "برزرستون" ١٩٩٢، اللوحتان رقم ٤ ، ١٦أ).

كلتا الصفحتين مأخوذتان من الكتب المتعددة الطى screenfold المصنوعة من الجلود، وتُقرأ من اليمين إلى اليسار وتمثِّل النوعيْن الأدبيين اللذين تنتمى إليهما تلك الكتب (الشكلان ١، ٢ أدناه). الصفحة الأولى من الـ "فيندوبونينسيس" Vindobonensis . ص ٣٢/٢١ ترقيم مصحَّح للصفحات) تمثِّل التوع الأدبى المعروف باسم الحوليات الذى يعنى بالـ "ناهواتلى: "إكسوتلابواتاللى" xiuhtlapoualli . وفى هذا النوع يتحرَّك سياق القراءة باستمرار إلى الأمام خلال الزمن ويقوده فى ذلك تعاقب تواريخ السنين. أما الصفحة الأخرى فهى الصفحة الأخيرة فى الـ "لود" Laud (ص ٤٥ ترقيم مصحَّح للصفحات) وهو واحدٌ من الكتب القليلة التى ظلت على قيد البقاء من النوع المعروف باسمَ كتب "الطقوس" أو "الأحلام"، وهنا على النقيض مما سبق يتقدَّم داخل نطاق فصولٍ يستقل كلٌ منها بموضوع خاص ثم من فصلٍ للتالى.

والآن بعد أن استقر المقام بسجلات الـ "فيندوبونينسيس" فى "فيينا" (ومن هنا جاء اسمها) فإننا نجد على الوجه المقابل لكل صفحة، حولياتٍ تغطى أطول مدة زمنية لوجود هذا النوع، وهى تصل بصفة رسمية لعدة آلاف من السنين. وفى إطار عملية أوسع من النسخ الصوتى للمخطوطات حظيت الحوليات باهتمامٍ أكبر من أى شىء

آخر، والفضل فى ذلك راجعٌ بصفة أساسية إلى الحقيقة التى تقول إن سياق قراءتها يتحركُ إلى الأمام من تاريخ إلى تاريخ، وهو السياق الذى يتناظر بصورة وثيقة للغاية من حيث المبدأ، مع حوليات العالم القديم (قبل اكتشاف العالم الجديد) وعلى هذا النحو أصبحت النصوص المكتوبة بالقلم المحلى من كافة أرجاء المكسيك سوابق زمنية على جسمورٍ كاملٍ من التواريخ مكتوبة باللغات القومية إلى جانب الإسبانية واللاتينية.

يروى النص المحفوظ فى "فيينا" تاريخًا طويلاً لمنطقة تقع فى جنوب أواسط المكسيك تتمركز حول مدينة "تيبيكسيك" Tepexic الصغيرة، التى تقع اليوم فى "إستادو دى بويلا" Estado de Puebla ، ولقد أصبح النص موضوعًا لكثير من التعليقات ("يانسن" Jansen 1992) ، وهى تعليقات تنبِّهنا منذ البداية إلى الكم الهائل من المعلومات التى يحتوى عليها النص وإلى صعوبة نقلها إلى نثر سردى. ولكن الطبعات الأحدث عهدًا لهذه التعليقات والحوليات التى تتصل بها اتصالاً وثيقًا، وهى الطبعات والحوليات التى قام بها الباحث الهولندى "مارتن يانسن" Martin Jansen تشمل رسمًا بيانيًا لكل صفحة بالإضافة إلى ترجمة إلى الـ "ميكستيك" Mixtec ، وهى اللغة التى يفترض الباحثون أن المؤلِّفين الأصليين كانوا يتحدَّثونها، وعلى نحو ما تفعل سائر اللغات فى أمريكا الوسطى الأخرى لا تزال "الميكستيك" لغة حية فى الحديث اليومى حتى اليوم، وتتمتَّع بصورة مباشرة بقدرتها على نقل مصطلحات التقويم وسائر المصطلحات الفنية الأخرى، المستخدمة باستمرار فى الأصل – إلينا الآن – تلك المصطلحات التى يصعب فى الغالب إيجاد مقابل لها فى اللغات الأوروبية المتداولة فى الحديث اليوم. وعلى سبيل المثال العلامة السابعة عشرة من العلامات العشرين، الـ "أولين" Ollin فى لغة الـ "ناهواتلى" (نستطيع رؤيتها إلى يسار يد "التلالوك" المدفوعة إلى الأمام فى الشكل رقم ٢) وهى العلامة التى تعنى فى نفس الوقت المطاط (الذى لم يكن معروفًا فى أوروبا قبل "كولومبوس") والزلزال وحركة جرمٍ سماويٍ فى عرض السماء.

والحادث الرئيسى الذى ترويه خلال التصوير صفحة الـ "فيندوبونينسيس" عبارة عن احتفال شعائرى بالنار الجديدة New Fire ceremony (انظر الشكل الأول) وبقراءة

النص المدون بالـ "بوسروفيدون" boustrophedon من جهة اليمين السفلية فى الصفحة السابقة (ص٣١) نجد الاستعدادات تجرى على قدمٍ وساق لـ "ترويض – النار"، تجربه شخصية تدعى "السحليات الخمس" تحت إشراف "الكلب المزدوج" Two Dog (فى أواسط الهامش الأيمن). ويخرج الدخان واللهب من النار الجديدة على هيئة التفافات حلزونية، وما قد يعنى أيضًا "الحديث المنطوق". والتاريخ (المذكور إلى اليسار من ترويض – النار مباشرة) السنة الخامسة، عن طريق الرمز "بيت" اليوم الخامس عن طريق الرمز الثعبان (و هو التاريخ الذى يشير على وجه الاحتمال إلى مطلع القرن التاسع م.ع.م. بالتقريب) ويُشار هنا إلى كلمة "ألسنة" بشعاعٍ شمسى على شكل حرف A الإنجليزى (فى منتصف الجانب الأيمن تحت سفح الجبل) والمكان هو "فلق – جبل الـ "تيبيكسيك" Tepexic والمدن الصغيرة (فى مَنتصف السجل) مجمَّعة فى ثلاثة أزواج من أسماء الأماكن التى تتميَّز بصورٍ جانبية لجبل (تيبتل tepetl بلغة الـ "ناهواتلى"، وقد عُثر عليها بالفعل فى نقوش ترجع إلى الألف الأول ق.ع.م. وخلال قراءتنا للنص من اليمين تتجمَّع الـ "تيبيكسيك" نفسها فى أزواجٍ مع مكان يمثِّل رقعة "الداما" أو "التلتيتبيكست" Tliltepexitic ، ثم يأتى بعد ذلك "هويهويتلان" Huehuetlan ، المدن المزدوجة من تلك "المدن القديمة" – الذكر والأنثى – وأخيرًا تأتى أماكن القرع العسلى ونبات الـ "ماجى" maguey وتنعكس "موتيفات" الأول والأخير من الأزواج الثلاثة فى سطر البيوت أو القصور المرسومة أعلاه، ومن جانبها فإن الشفرة ثلاثة ترمز لعدد أحجار الموقد والبيت.

وبصفته قرارًا سياسيًا على جانبٍ عالٍ من الأهمية، يستلزم احتفال "النار الجديدة" الشعائرى تسليم مكوس أو ضريبة السلع – وتكشف الصفحة السابقة أن هذه السلع تشمل الكاكاو والكعك المصنوع من دقيق الذرة والمنسوجات الفاخرة – بالإضافة إلى الضريبة على الشغل، وهى محددة بالشغل فى تشييد الأهرامات والمعابد (الجانب السفلى يسارًا) وخصوصًا فى المحاجر طلبًا للمواد الخام أو الأحجار وإحضارها من أماكن أخرى (لاحظ القدمين البشريتين اللتين تحملان كتلة من حجر متعدد الألوان فى الجانب السفلى يسارًا. وفى نفس الوقت تدخل تعديلاتٌ على التقويم

لضمان قياساتٍ دقيقة للسنة، على نحو ما هو الحال مع الحبل الذى يشد شخصين من خصريهما. (وسط الهامش السفلى)

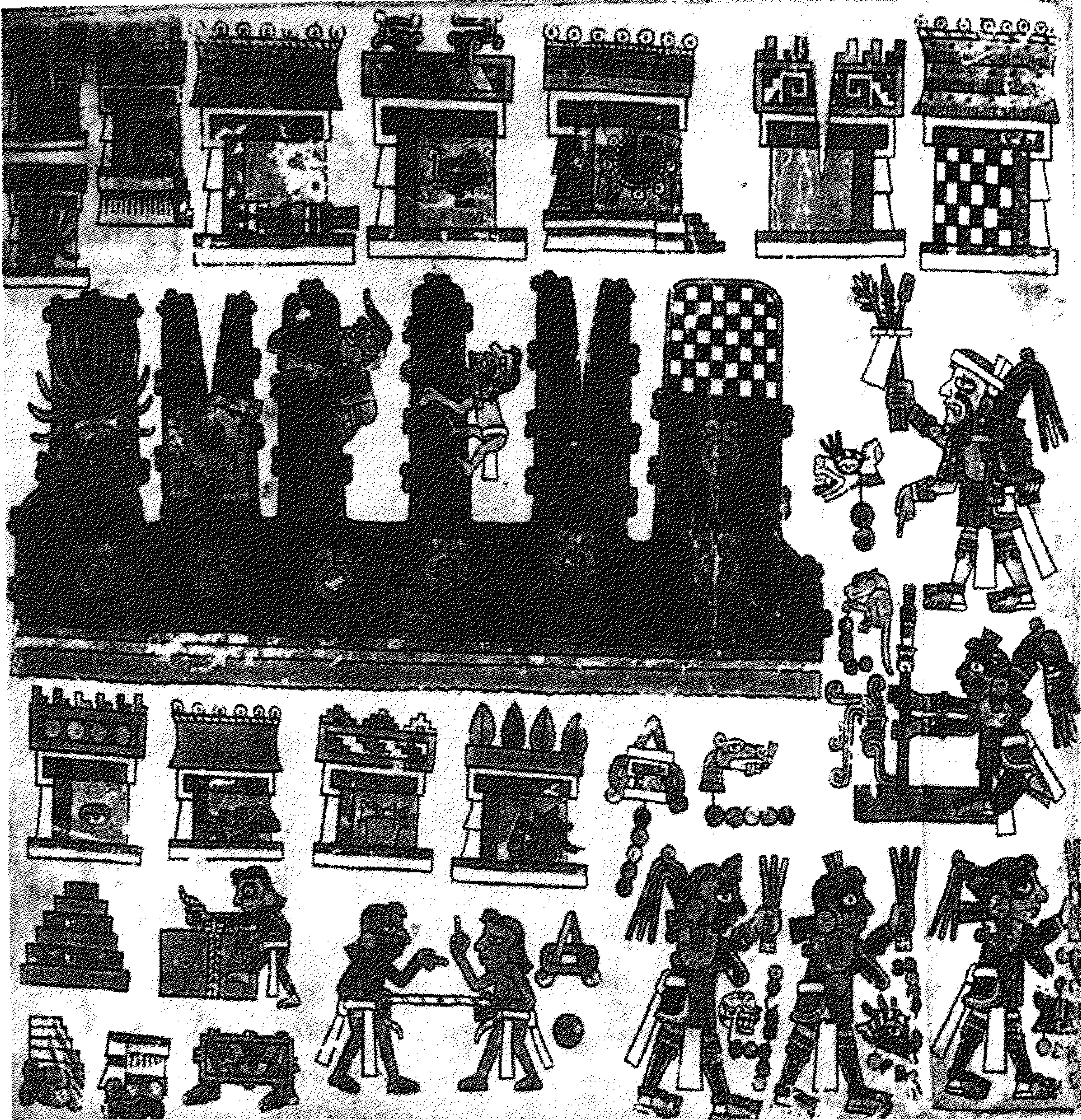
يعد هذا هو أشد التقارير صراحة عن الحدث، الذى يتجنّب معظم التفاصيل المهمة فمثل هذه التفاصيل مشفَّرة فى معالم مثل أسماء الأماكن. فالأقراص السبعة – على سبيل المثال – المقحمة داخل جبل الـ "تيبيكسيك" يعيد إلى الأذهان تاريخًا معينًا، هو تاريخ الـ "تشيشيميكيين" Chichimecs ، الذين خرجوا من الكهوف السبعة Seven Caves (= الأقراص السبعة) فى أعماق الشمال الغربى قبل ذلك بمائتىْ سنة كى يحوزوا تأثيرًا محليًا عميقًا فى منطقة الـ "تيبيكسيك". وفى سبيل التعريف بالفتحات السبع للرأس، فالكهوف ملوَّنة باللون الأحمر، كما لو كانت مغروزة فى جلد أو أديم الجبل. وفى نفس الوقت فى السجل الجيولوجى الذى حرصت المخطوطات أيضًا على إظهاره خلال الطبقات المتعددة الألوان للحجر المنتزع من المحجر/ فاللون الأحمر قد يعنى "تزانتلى" tezantli ، وهو نوع من الصخور البركانية.

تحمل إشارات الأيدى والملابس والشارات – وقبل كل ذلك – الأسماء التقويمية calendrical للشخصيات المشاركة فى الاحتفال محتوى دلاليًا مشابهًا. فأسماء مثل الـ "كلب" والـ"ريح" تنتمى إلى نفس مجموعة "العلامات العشرين"، مثل تلك التى تسمِّى السنة واليوم الذى جرى فيه الحدث أو الاحتفال ("البيت" و"الثعبان") وكل علامة منها تحمل مجموعة معقَّدة والأولى كُدْية set من الارتباطات التى يمكن بعد ذلك إدخال مزيدٍ من البلورة عليها فى مجرى أى نص مفرد، وهى ارتباطاتٌ تصل من القوة بين بعضها البعض الآخر حدًا قد تستطيع معه وقف عمل/أو الهروب من الهواجس الديكارتية Cartesian 1596-1650 ، (يعد "رينيه ديكارت" مؤسس الفلسفة الحديثة نتيجة للانقطاع الذى أحدثه مع الفلسفة القديمة التى كانت تعتمد على كلٍ من "أرسطو" و"توما الأكوينى"، كى يؤسس فلسفته على هذا المبدأ: Cogito, ergo sum = "أنا أفكر، إذن أنا موجود". المترجم) حول الهوية الفردية التى لعبت ذلك الدور الضخم فى الفهم الغربى للسرد. أمّا الـ "كلبان" The Two Dog اللذان نراهما هنا فيعودان للظهور على امتداد

مساحات واسعة من الزمن، ومع ذلك يرتديان زيًا مختلفًا فى كل مناسبة، وهذه اختلافاتٌ قد يشعر مترجم غربى معها على وجه الافتراض أنه مضطر إلى إسباغ مضمون عليها، أو على الأقل الربط بينها وبين موكب الناس الذين تصادف أن حملوا نفس أسماء العلم proper names .

ولما كانت كتب أمريكا الوسطى المزدوجة الطى، مرقَّمة الصفحات على غرار الكتب الأوروبية فلقد كان من الممكن، علاوة على ذلك - فتحها جزئيًا أو على طولها الكامل، وهو الأمر الذى يوفِّر إمكانية إجراء المقارنات فى نفس الوقت بين فقرتين أو أكثر من سرد ما، بطريقة تستحيل مع الكتب الأوروبية المشدودة الكعوب، وكان نص "تيبيكسيك" مكتوبًا بمرونة عقلية، فالشطر الأكبر من المعنى المراد مرسوم أو منقوش على هذه الصفحة أو تلك، اعتمادًا على علاقته التكوينية وسائر علاقاته الأخرى مع الصفحات المشابهة الأخرى، وينطبق كل ما قلناه سابقًا - إلى حدٍ كبيرٍ - على منظر "النار الجديدة" خصوصًا وأنه الثانى فى إطار عشرة من مثل هذه الاحتفالات الشعائرية التى جرى سردها ككل، والأول من خمسة احتفالات من هذا النوع (داخل نطاق العشرة) الذى يعطيه الكاتب/الراسم مطرحًا جغرافيًا محددًا. وليس فى وسعنا أن نقيِّم - حق التقييم - خصوصية هذا الاحتفال، إلا عن طريق إمعان النظر فى نفس الوقت فى الاحتفالات الأخرى لترويض - النار، وخصوصًا الأربعة الأخرى التى يُحدد، هى الأخرى - مطارحها بأسماء أماكن.

والمطارح الجغرافية الخمسة الظاهرة فى الاحتفالات الشعائرية لترويض "النار الجديدة" (انظر شكل ١) أى الثانى (هذا المطرح رهن الحديث) والرابع والسادس والتاسع والعاشر مسجَّلة كما هو الحال هنا مصحوبة بأسماء الأماكن، عن طريق علامات - مكانية خاصة ترتفع من منظر جبلىٍ مشترك، وكلها قابلة من حيث المبدأ لتحديد أماكنها على الخرائط المعاصرة ويُشار إلى الاتجاهية directionality سواء نحو الشرق أو الجنوب أو الشمال أو الغرب خلال تفصيلة من العلامات - المكانية (مثال: شمس تُشرق فى الأفق الشرقى) ومقدار علو الصفحة التى تحتلها هذه العلامات، إذ تنخفض



شكل رقم ١ : النار الجديدة فى تيبيكسيك مخطوطات فيينا ص ٣٢ (٢١) برز بستون ١٩٩٥ : ١٨

فى الجنوب (وكذلك العالم السفلى "ميكتلان" Mictlan) وتعلو فى الشمال (وكذلك مسكن رب المطر "تلالوك"). وعلى هذا النحو يلتزم السياق بمشق الخارطة الرباعية الطى لأنحاء القرابين الأربعة، تلك التى كانت قد وجدت تعريفها بالفعل فى الثقافة الأولمكية Olmec التى ظهرت على هذا النحو فى كتب الأحلام وكانت إلى جانب احتفال "النار الجديدة"، موضوعًا لفصلٍ متكرر، ويظهر اسم المكان الأول المصاحب أى الـ"تيبيكسيك" بين الأسماء الخمسة – فى قلب العاصمة – سابقًا ومسيطرًا على الأسماء الأربعة التالية خلال حقيقة انفراده بالاستناد إلى قاعدة مرتفعة أما باقى الأربعة فتستقر على الحافة السفلى للصفحة. وفى سبيل الوصول إلى درجة ما من الوفاء بالحاجة يلزم أى ترجمة سردية نثرية لهذه الحوليات إلى هذا الحد أو ذاك وسيلة ما للإشارة إلى هذه الأسبقية منذ البداية – طالما يبدو على الصفحة – أن التفوق المحلى أحد الهموم، إن لم نقل الهم الأكبر لمؤلفى هذه الحوليات التى تتركز حول الـ"تيبيكسيك".

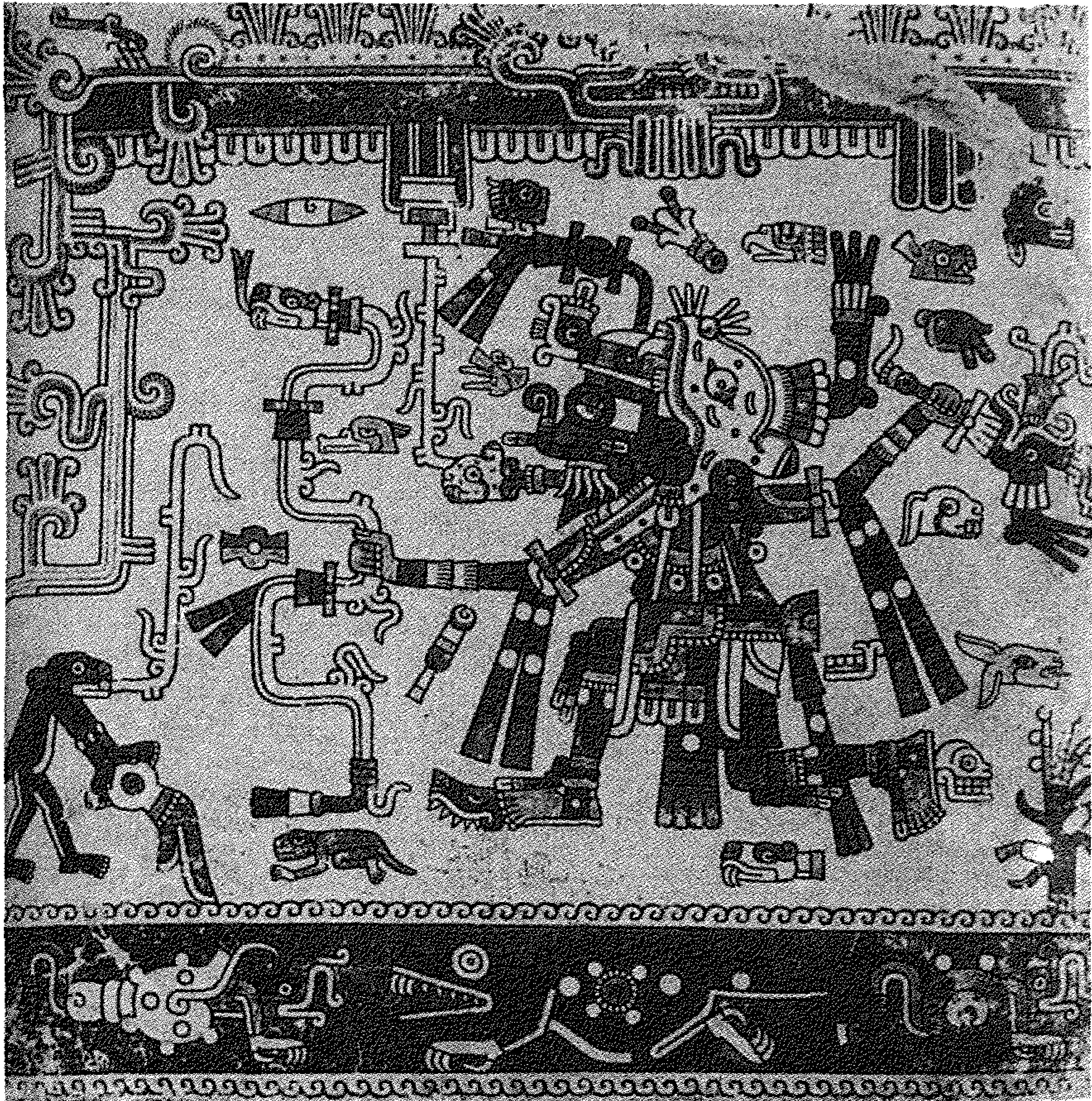
على غرار الحوليات الأخرى المزدوجة الطى، ينصب اهتمام نص الـ"تيبيكسيك" بصفة كاملة على مرور الوقت والتاريخ المادى لمكانٍ محدد. ومع ذلك فالعناصر ذاتها التى تُرى خلالها هذه القصة فى حد ذاتها تسمح باستنتاج منطق خاص بها. وهذا يصْدُق على المعجم المعقد المستخدم للزى والإشارة وأسماء الأماكن وفوق كل شىء آخر: التقويم. وعلى سبيل المثال الدورة التى تنتمى إليها علامة البيت أى السنة الخامسة لـ "النار الجديدة" تتكون من اثنتين وخمسين سنة، وهذا هو أيضًا العدد الإجمالى لعدد الصفحات فى هذا النص المزدوج الطى، وعلى نفس المنوال، نجد أن العلامة داخل كُدْية العلامات العشرين، التى تعيِّن شخصية "الكلب المزدوج"، هى العلامة العاشرة، وهذا هو عدد المرات التى تظهر فيها شخصية تحمل ذلك الاسم التقويمى (calendric) على امتداد النص ككل، وبعبارة أخرى بينما يستمر هذا التاريخ تاريخًا كما هو عليه، إلاَّ أن مثل هذا التاريخ يتطلَّب فهمًا شعريًا و"شعائريًا" ويستوجب انتباهًا خاصًا فى حد ذاته.

عادت إلى الظهور من جديد كثير من المفاهيم التى تتصل بحدود النسخ الصوتى والترجمة كلما أمعنا النظر فى صفحة الـ"تيبيكسيك"، ولكن أكثر حدة فى صفحة "لوود" Laud

(انظر شكل رقم ٢). وهذه صفحة من كتابٍ معروف باسم "لوود"، على اسم الأسقف التابع لـ "تشالز" الأول، وهو أحد الكتب المكسيكية الخمسة، التى انضمَّت أول الأمر إلى مكتبة "بودليان" التابعة لجامعة "أكسفورد" (كتاب آخر منها وبالتحديد الحوليات الميكستيكية Mixtec مثل الـ "فينوبونينسيس" تحمل فى الواقع اسم "توماس بودلى" Thomas Bodley . وبصفته نصًا "شعائريًا" أو نص "أحلام" فهو رفيع المستوى إلى درجة عالية سواء فى تنسيق الفصول أو الطريقة التى يُنظِّم بها حججه، وبصفة عامة نجد أن النوع الأدبى فى كل صفحة وفى كل فصلٍ يستمر من الناحية الدلالية على نحوٍ أشد كثافة ويستجيب لمبدأ القراءة المتعددة أو استنباط معانى متعددة.

وتعد الصفحة المقتبسة الأولى من صفحتين مخصصتين لقوى المطر والشمس، تختمان النص عند نهاية الجانب المقابل للمزدوج الطى (ص ٤٥، ٤٦). وهما لا تشيران، من الناحية التأريخية إلى دورات الطقس السنوية، ولكن عند زمن أعمق كثيراً، إلى زوجٍ من الكوارث: الفيضان والكسوف، اللذين يؤكدان قصة الخلق وأعمار العالم عند الأمريكيين الأصليين. ويسعى إله المطر "تلالوك" خلال الركوع بين المياه العليا والمياه السفلى (الشريطان الأفقيان عند القاع والقمة) إلى الجمع بينهما، تحت نفوذه وإلى البهجة البرمائية، فالسحب تصب إلى أسفل وسطح الماء يفور إلى أعلى، وهو يمسك بصولجانٍ متعرِّجٍ فى يده اليُمنى وفى اليسرى بلطةٌ مشتعلة باللُّهب حيث تتداخل ومضات النحاس الأحمر مع الصلب الذى لم يكن معروفًا وقت ذاك إلاّ من النيازك المتساقطة من أجواز الفضاء. ويمكننا أن نقرأ حد البلطة بلفاتها الحلزونية قراءة أخرى كلسانٍ فى الرأس التى أقحم فيها. ولون "تلالوك" الرمزى هو الأزرق، الذى يلقى التبجيل خلال ظلالٍ لونية متميِّزة بصورة بارعة، فالأزرق "الأخضراوى" للتمساح الأمريكى إلى الناحية السفلى تؤكده علامة الزمردة المدوَّرة المغروزة فى جسمه.

تجد قوى الـ "تلالوك" فى هذا الدور تعبيرها فى العلامات العشرين المنسقة حول جسمه ("برنرستون" ١٩٧٩: ١٠٢-٣) وأولى هذه العلامات هى "التمساح الأمريكى" (العلامة رقم ١ فى الرسم) الذى يمثِّل - بصفة تقليدية - باعتباره فقاريًا بالغ القدم،



شكل رقم ٢ : تلاكوك .. مخطوطات "لورد" صـ ٤٥ برزستون ١٩٩٥ " ١٣٥

الأرض: هنا لا نجده قائمًا تحت قدم "تلالوك" بل معلّقًا بجوارها (يبدو وكأنه يمتد من قدم "تلالوك" الممدودة إلى الأمام) كما لو كان طافيًا مثل التمساح الأمريكي في الماء إلى الجهة السفلى. والعلامة الثانية وهى "الريح" (العلامة رقم ٢) فتظهر كفكيْن مفتوحين لقناعٍ تلبسه شخصياتٍ مثل "إيكاتل" Eecatl و"كيتزالكوتل" Quetzalcoatl ، وهنا نراه واقعًا فى فخ أمام أنف "تلالوك"، كما هو الحال فى المقدمة الحارة الرطبة أو الحر – طبة التى تسبق هبوب عاصفة. والعلامة الثالثة عبارة عن "بيت" (العلامة رقم ٣) وتبدو من المنظور الجانبى وهى موضوعة فوق السحب (أعلى الشريط يسار الوسط) حيث نجد "تلالوك". وهكذا. وفى أيقوناتٍ مشابهة لأربابٍ أخرى، نجد على سبيل المثال، أن الإله "تيزكاتليبوكا" Tezcatlipoca المولع بالحرب (مخطوطات "بورخيا"-Borgia codex ص ١٧) فإننا نجد نفس العلامات العشرين منسّقة بصورة مختلفة حتى تنتج تعريفاتٍ جديدة. هناك نجد "التمساح الأمريكى" يرتعش مباشرة تحت قدم "تيزكاتليبوكا"، و"الريح" تشير إلى سرعة انتقال الفكر والقوة التى تتدفق وراءه، وجسمه يقوم مقام درع يحمى بيت أو قصر المجتمع. وبوسعنا أن نجد مفاتيح إلى المعانى التى تبنيها كوادى (جمع كدية) العلامات تلك، فيما يتعلّق بهوية هذه الأرباب وسواها من الآلهة فى مخطوطة بالـ "نهواتلى" معروفة باسم "الترانيم المقدسة العشرين" Twenty Sacred Hymns، التى تشمل الأغانى التى كانت تُغنى ذات يوم لتبجيلها، ولقد تركها – خشية قوتها الشيطانية – الراهب الفرنسيسكانى "ساهاجون" الذى قام بجمعها ونسخها صوتيًا، بلغتها الـ "نهواتلى" دون ترجمة فى ملحقٍ للسفر الثانى من موسوعته "تاريخ" Historia .

ونجد ثلاث علامات من العلامات العشرين تتزى بنفس زى "تلالوك" ومرسومة بشكلٍ منسقٍ حوله وقد تكررت بصورةٍ أضخم كثيرًا "الثعبان" (العلامة رقم ٥ تحت ركبته السفلى) كما تقف على رأس الصولجان المعوّج الذى يمسكه بيده اليُمنى، وفى هذا الوضع يمثّل البرق الذى يقذف به من السماء. ويعود "الجاجوار" أو "الفهد الأمريكى" للظهور (العلامة رقم ١٤) وقد تحددت صفته الآن كمُطلقٍ لصوت الرعد الذى يخرج من فمه على هيئة دوامتين حلزونيتين ويأتى ظهوره هذه المرة على هيئة غطاء رأسه.

وكذلك الأمر مع المطر (العلامة رقم ١٩ إلى يمين البيت فى قلب السحب) الذى يبدو هو الآخر كقناع لـ "تلالوك" - جاحظ العينين وطويل الأنياب - وهو قناعه الحرفى أى نسخة طبق الأصل منه. ولقد عرَّف الكتبة باللغة الـ "تبيبولكو" Tepepulco الذين اشتغلوا مع الراهب "ساهاجون" فى الطبعة الأولى لموسوعته "تلالوك" خلال هذه المفاهيم الثلاثة وحسب : -quiaui, tlatlat zinia, tlauitequi (= يمطر ويرعد ويصعق بالبرق) ("ساهاجون" ١٩٩٧: ١٢١).

تغدو النقطة الخاصة بنسخ العلامات المناظرة الثلاث بصفة أساسية هنا، فى مجموعة "لوود" أشد وضوحًا عندما نرجع إلى مخطوطة الترانيم المقدسة العشرين، حيث يُشار إلى "تلالوك"، خالق المطر (quiauhtli) بصفة إضافية هى ocelo-coatl التى تعنى حرفيًا بالـ "نهواتلى" "الفهد - الثعبان"، وبعبارة أخرى يأتى إعلان ظاهرة المطر خلال البرق (الثعبان = البرق) والرعد أو "زئير الجاجوار أو الفهد الأمريكى". وأخيرًا - ونظرًا لأن كل علامة من العلامات العشرين تحمل قيمة عددية داخلية - فإن تعريف "تلالوك" بالصورة (مجموعة "لوود") والكلمة (الترنيمة المقدسة) لا ينطوى على مجرَّد معان ظـواهراتيـة بل وأيضًا حسابية. وذلك لأنه، وفقًا لمنطقٍ أشبه بمنطق "كابَّالا" Kabbala الـ tlacuilolli فإن المطر يمكن بالمثل أن يكون نتيجة حسابية أى حاصل جمع الرعد (الجاجوار أو الفهد الأمريكى،العلامة رقم ١٤) والبرق (الثعبان، العلامة رقم ٥).

تبرز صفحاتٌ مثل هذه الدرجة التى تركب عندها "الأرباب" فى المخطوطات عن قصد من "كُدىٌ" محددة ومحدودة من العناصر والعوامل. ويُعد "تلالوك" الذى يظهر هنا كصانع للمطر ومقرونًا بالشمس (فى الصفحة التالية مباشرة) واحدًا من الأبطال الثلاثة عشرة الذين ينظِّمون الزراعة ضمن ما يقومون به من أنشطة. وفى سياقاتٍ أخرى نجده مصبوبًا فى قالب "السيد" Lord التاسع من "أسياد" الليل التسعة (Youallitecutin) الذين يُشرفون على الحمل والولادة عند البشر: العنصر المائى لايزال موجودًا هناك (فى المياه التى تنزل مع الجنين عند الوضع) ومع ذلك فالوظيفة وإلى هذا الحد الهوية، ليست واحدة. وفى سياقاتٍ أخرى إلى جانب ذلك نجد أن "تيلالوك" قد يغيِّر فى الواقع جنسه (من ذكرٍ إلى أنثى مثلاً).

ومن هنا، ففى جسمور كتب الأحلام، نكون بعيدين كثيراً بالمفاهيم الأوروبية الكلاسيكية عن وجود "بانثيون" أو مجمع للآلهة، لكلٍ منها أنطولوجيته (وجوده الميتافزيقى) واستقلاله الذاتى، ونكون أكثر بعداً عن التفريق بين الخير والشر. فالأمر هنا أقرب إلى التحالفات والتعارضات التى تتغيَّر حسب الموقف والغرض. ونبات الذرة الذى يظهر مع "تيلالوك" (الجانب السفلى إلى اليمين) قد يعتمد على ما يصدر عنه من رعد ومطر، ولكنه يمكن أيضاً أن يهلك بسهولة بالمزيد منهما، عن طريق ضعفٍ يطرأ على الشمس أو الريح، والفصل المتكرر فى كتب الأحلام، والمخصص لزراعة الذرة يُظهر مثل هذا النبات وهو يغرق فى فيضان "تيلالوك"، مع أذرع مرفوعة إلى أعلى كما لو كانت تتضرَّع كما يتضرَّع البشر سواء بسواء.

قد يطرح هذا الموقف من وجهة نظر المترجم - ولأول نظرة - مشاكل ضخمة فى التنسيق والترتيب، وأحياناً طرقاً جديدة تماماً فى التفكير. ومع ذلك فمتى أدخل المرء النسق وآلياته إلى حدٍ ما فى الأمر، فعندئذٍ قد تصبح عملية الترجمة فى الواقع العملى أكثر قابلية للتحقق، حتى إلى اللغات الأوروبية - بالتحديد فى ضوء المقاومة الفطرية التى تبديها للمفاهيم الغرائبية quiddity والغوص وراء كنه الأشياء.

قوبل القلم الـ "تلاكويلولى" فى الغالب الأعم - فى التاريخ العام للأقلام - بالتجاهل أو النبذ باعتباره مجرَّد "كتابة صُوَرية" (أى بالصورة). وحتى هذه النظرة الموجزة إلى الصفحات المكتوبة بها يجب أن تكفى للدلالة على كم، هو حجم المعلومات والمناقشات فى الحقيقة التى تتجسَّد فى صورٍ معزولة أو كُدىً من الصور. فمع أنها قد تكون "صورة"، إلاَّ أنها صورة تستجيب داخليًا لآلياتٍ أساسية للصورة ومجاميع الشخصيات والمنطق الرمزى والعددى.

وبهذا المعنى ربما نكون هنا قد افتدينا مصطلح "كتابة صورة" من التهمة الضمنية بأنها غير راقية وأقل تطوُّراً، وذلك حتى يُفهم أن عبقرية القلم الـ "تلاكويلولى" كامنة، بالتحديد فى البراعة التى يعرِّف وينسِّق بها صوراً غير - صوتية على الصفحة. وفى السفر السادس من موسوعته "تاريخ" يكشف "ساهاجون" كيف يُمكن لهذه الإجراءات

أن تكون متقنة وواعية عن طريق تسجيل أمثلة من لغة "ملغزة" تعكس معانى متعددة خلال صور الـ "تلاكويلولى"، وتتمثل إحدى مثل هذه الصور فيما سبق أن رأيناه أعلاه فى حد البلطة الذى يعنى أيضًا لسان.

على طول الخط الذى يمتد من الشرق الأوسط حتى اليونان وروما، تعرَّض القلم script بصورة متزايدة للتحييد والتشيئ. وفى "الميدان" المناظر للأدب (إذا ما لجأنا للمصطلح الذى استخدمه "بورديو") لم يثر نسق القوة الأساسية الكامن الـ "تلاكويلولى"، ربما لهذا السبب إلاَّ أقل قدرٍ من الاهتمام النظرى وغفل عنه - بكل تأكيد - نطاق السيميوطيقا واللغويات "السوسيرية" (نسبة إلى العالم السويسرى المشهور "فردناند دى سوسير") معًا، فيما يتعلَّق بالصورة والكلمة، وأقرب لازمة متاحة سوف تأتى على نحوٍ عاجلٍ فى عمل بعض النقاد - الشعراء الذين واجهوا تلك التقارير "العلمية" الفضولية للغة التى تصر على الفصل بين المجاز والعرف السائد. ولقد تصوًّر "عزرا باوند"(٣٠ أكتوبر/بابة - ١٨٨٥ نوفمبر/هاتور ١٩٧٢ شاعر وناقد أمريكى المولد بارز. يعد أحد أكبر شعراء القرن العشرين الذين أثَّروا على الشعر الحديث. أيَّد الفاشية الإيطالية. المترجم) بما تمتع به من مقدرة هائلة على الاستبصار كيف يستطيع الخطاب الغربى أن يتجدد وتدب فيه حياة جديدة خلال مرجعية منطق الأقلام غير-الصوتية كالقلم الصينى ("باوند" ١٩٦٩، "أوسيكى - دبريه" Oseki-Dépré 1999) ولقد سار "هورالدو دى كامبوس" Horaldo de Campos ، البرازيلى الجنسية وفق خطوطٍ مشابهة فى تخليق ومناقشة ما يُسمى بـ "الشعر المجسَّد" (١٩٧٥).

وفى حالة الصفحات المقتبسة هنا من كتب أمريكا الوسطى، يمكن للترجمة إلى الإنجليزية أن ترتقى إلى مرتبة الشعر، وبذلك تكسب أكثر مما تخسر على مستوى الدقة ذاتها. وقد توحى صفحة الـ"تيبيكسيك" بعبارات مثل:

- حواضر "تيبيكسيك" الإقليمية تقف بارزة برفعها أمام حليتها المعمارية الرباعية الفصوص.
- تنطق كتلة - الترويض: "النار الجديدة" الخاصة بالمجمرة وباليبيت.

• تقيس السنة طولها بحبلٍ مشدود.

إلى جانب اللعب بزئير الفهد الأمريكي (= الجاجوار) وبرق الثعبان، تشفِّر الصفحة المأخوذة من مجموعة "لوود" مثل هذه القراءات الممكنة مثل:

• التموُّج على هيئة بخار والمطر الناعم يتدفق من السحب.

• ينطق لسان البلطة النيْزكية بعلم الأرصاد الجوية.

• يستحم التمساح الأمريكي ذو اللون الأزرق الأخضراوى فى ماء أزرق سماوى.

ارتأينا – بعد أن أخذنا مفتاحنا من المقال الذى كتبه "ليون – بورتليا" عن التاريخ المتراكم لأمريكا – أن التجربة المسجلة للقارة تلاقى الطمس غالبًا من جانب افتراضٍ سهلٍ بالتفوق الثقافى للغرب، وهذا الافتراض يضرب بجذوره بصفة جزئية فى ثنائية المكتوب/الشفوى المنتشرة فى كل مكان – وهى ثنائية يمكن للمرء أن يفككها – أكثر مما يبدو أن حدث من تفكيك معها، فى الميدان الخاص للدراسات الترجمية. ويمكن لإمعان النظر فى تقاليد الكتب الأصلية فى المكسيك أو أمريكا الوسطى أن يقودنا إلى مزيدٍ من الاستبصارات فى نسقٍ نظرىٍ إلى جانب كونه ثقافىٍ، فى ضوء خصائص القلم الـ "تلاكويلولى" الذى كتبت به هذه الكتب، وهذه تشمل بناء الهوية: أسماء الأعلام سواء بالنسبة للأشخاص أو الأماكن – خلال العناصر المكونة القابلة للترجمة – وتعريف المعنى خلال عناصر مثل اللون والتنسيق على وجه الصفحة واللعب على التوقع المخلَّق.

على أن المفاهيم الكامنة فى المخطوطات التى لم أتطرَّق إليها لا تقل أهمية لسبب واضح يتعلق بالحيِّز المتاح. وذلك لأن هناك المسألة الكاملة التى تدور حول تصميم الصفحة والتفاعل الدقيق بين التصميمات التى تأخذ شكلاً جانبيًا (مثلما هو الحال فى هذه الصفحات) وتلك التى فى الخريطة (مثل الخارطة الرباعية الطى على سبيل المثال) والميل المنعكس بصورة قوية لقلم الـ "تلاكويلولى"، الذى يصوِّر عملية الكتابة نفسها، على صفحة من جلد الغزال مرسومة على رقعة من جلد الغزال فى الكتاب الفعلى.

ولقد تعدَّل بصفة مستمرة هذا القلم الذى يضرب بجذوره فى النقوش التى ترجع إلى أعماق الألف الأول ق.ع.م. مع الظروف التاريخية التى تجد - بما فى ذلك الغزو الأوروبى. ومن وجهة نظر الترجمة - نجد أن جسمور النصوص التى كُتبت بعد وصول "كورتيس" بالقلم الـ "تلاكويلولى" يستدعى الانتباه للطريقة التى تحتوى بها الأعراف المحلية وتتكيَّف معها، بعد سنة ١٥١٩، غدت الطرق التى انطبعت عليها حدوات الخيول، بعد أن كانت لا تعرف فى الماضى سوى أقدام البشر، والعملات المسكوكة من النحاس الأحمر كى تُسعَّر بعد دخولها إلى الاقتصاد فى سنة ١٥٣٦، وفقًا لمعدلات أسعار الصرف الراهنة بالملابس وبالكاكاو وبصلب الأسلحة الغازية أصبح يمثِّل فى القلم المحلى ذاك باللون الأزرق المعدنى الثقيل، ذلك اللون الذى كان فى الماضى مخصصًا للبلطة النيزكية أو المصنوعة من نيزك سقط من عرض السماء ، التى يمسك بها "تلالوك". وهكذا وحتى الصوتيات الغريبة لأسماء الأعلام اقتنصها القلم على نحو ما احتاجت من علامات: "جاليجوس" Gallegos يصبح "بيت" (كالى) Calli والفول (إى - تل) e-tl أما "كورتيس" (الغازى) فلا يستحق سوى أن يكون "ثعبانًا". وفى حوليات "تلاتيلولكو" Tlatelolco نجد أن "بيرو" تُترجم ببراعة عن طريق نقشٍ هجين يتكوَّن من كلب وهو يعنى بالإسبانية "بيرو" perro وكرة من المطاط بالـ "ناهواتلى" أى "أولين" Ollin .

فى نفس الوقت نجد أن هذه النصوص التى ترجع إلى أمريكا الوسطى - فى ضوء الجغرافيا الثقافية - تقف كمرجع أساسى للكثير من المعلومات عن القارة. ويمتد النوع الأدبى المعروف باسم "الحوليات" التى مثلناها هنا بالصفحة التى ترجع إلى الـ "تيبيكسيك" بعيدًا فى أعماق الشمال، وهو يعدَّل بالتعاقب وفقًا للسنة وحسابات الشتاء لـ "بيما" Pima ،الذين يضمون الـ "كيووا" Kiowa والـ "سيوكس" Sioux . وتكرر الخارطة الرباعية الطى، تلك التى يستند عليها نظام القرابين فى "تيبيكسيك"، حرفًا بحرف، على هذا الحد أو ذاك بتقاليد الرسم الجاف المعروف باسم الـ "أناسازى" Ana-sazi . وإذا ما التفتنا إلى الاتجاه الآخر، فإننا نجد أن الدمج الوثيق للكتابة بالأرقام يمكن أن يوجد بالمثل فى القلم الـ "كيبو" الذى يعرفه أبناء قبيلة الـ "إنكا"، بينما نجد أن الصور المجازية لأمريكا الإستوائية والمدارية ككل، لا تكف عن الظهور ومعاودة الظهور على صفحة المخطوط، على الأقل خلال الرعد أى زئير "الجاجوار" أو الفهد الأمريكى.

الهوامش

(١) يستكشف هذا المصدر فى فصله الثانى باستفاضة ملحوظة مسألة الشفوية وأمريكا (= الأمريكيتين) مثلما هو الحال مع تفاصيل النصوص الأمريكية الأصلية، التى ما كانت لتصادف لولا ذلك وصفًا وتحديداً أدناه. والورقة الحالية مدينة بالكثير للنهوج التى توصل إليها قسم الأدب بجامعة إكسس، فى سلسلة المحاضرات التى يوفرها تمهيداً للحصول على درجة الماجستير، بعنوان "الترجمة الأدبية نظرياً وعمليًا"(١٩٦٥–)، وبين أقطاب هذا القسم الأكثر نفوذًا نعُد "أندريه لوفيفر" André Lefevre . كما أود أن أشكر أيضًا "إيان ماسون" و"ثيو هيرمانز" للعون الذى قدماه لى.

الفصل الحادى عشر الثقافة كترجمة وما بعد النماذج الإثنوجرافية للتصوير فى الدراسات الترجمية

ميخائيلا وولف Michaela Wolf

خلاصة:

لا يبدو الآخر الثقافى لا فى الإثنوجرافيات (= دراسة وصفية لمجتمع بشرى معيَّن أو لعملية القيام بهذه الدراسة .المترجم) ولا فى الترجمة بالمعنى التقليدى للكلمة فى عبارات مباشرة بل بصورة غير مباشرة، وقد فلترها filter ونظَّمها وعى الإثنوجرافى أو المترجم. والاعتراف بالصلة التى تحمل طابعًا إشكاليًا بين إدراج الثقافة فى نصوص وإدراجها فى سياقات قد أثار "أزمة خاصة بالتصوير" فى الدراسات الأدبية والتاريخوجرافيا (= تدوين الوقائع التاريخية) والإثنوجرافيا، ولقد حاولت النهوج الإثنوجرافية الأخيرة أن تتجاوز التعارضات الثنائية binary مثل تلك التى تقوم بين الملاحظ (بكسر الحاء) والملاحظ (بفتحها) وتركز عوضًا عن ذلك على منظور للثقافة يتميَّز بالتعددية، وأرى إمكانية أن يُحرز التصوير الثقافى خلال الترجمة دوافع مهمة من وراء الدراسات الثقافية. وتناقش الورقة بعض هذه النهوج إلى الترجمة وتتوصل إلى علاقاتها مع غيرها من النهوج التى تتناول التصوير الثقافى إلى جانب الدراسات الترجمية الحالية، وتستكشف قابلية التطبيق لمثل هذه النماذج فى دراسة الترجمة. كما تكشف الدراسة أن هذا النموذج الترجمى الموَجَّه نحو التعليم الذتى يمدنا بنظرة ثاقبة (= استبصار) فى علاقات القوة بين الثقافات المتضمنة وتساعد فى التعرُّف على العلاقات المتبادلة بين مستويات ثقافية متعددة.

مقدمة :

بوسعنا النظر إلى مفاهيم الغيرية (= نسبة للغير أو الآخر.المترجم) كما جرى تصورها فى الأصل فى الدراسات الثقافية كمكون فى الدراسات الترجمية طالما رأينا فى الترجمة كممارسة ثقافية ولغوية تنتج فى الواقع "الآخر"، ولو أن مفهوم "الآخر" الثقافى، الذى يتضمن قضية قابلية الثقافات للترجمة، لم يحظ - إلاَّ فى الآونة الأخيرة - بالمعالجة بصورة موسَّعة فى الدراسات الترجمية، ولسوف يكون من المفيد أن نتذكَّر هذا الأمر - مع ذلك - طالما صار قبول الاختلاف فى المجتمعات الغربية مطلبًا أخلاقيًا على درجة قصوى من الأهمية ("أسمان" Assman 1999: 99) . ويتميَّز عبر-التقييم للقيم وهو ما يرتبط على وجه العموم بما - بعد - الحداثة بتأصيل fundamentalization أو إضفاء طابعٍ أصولى على التعددية" (المرجع السابق) وبناء عليه تواجه قيمة "الآخر" بصفتها إحدى أهم القيم المركزية فى ثقافة ما بعد - الحداثة بخطر التخفى على هيئة أصولية أخرى كما قد تُلصق عليها بطاقة تقول إنها أداة تنطوى على "نزعة فرض التماثل" uniformitarianism ("بديك" Budick 1996: 2) وربما يكون هذا أحد الأسباب التى جعلت المفهوم عرضة للتشكك فى أنساقٍ أخرى مثل الإثنوجرافيا أو الدراسات الأدبية، قبل النظر إلى درسه بصفته مؤديًا إلى نهج قيِّم فى الترجمة. ومنذ نهوض التفكير التفكيكى أصبح أى نوع من أنواع النقد النصوصى المستند إلى تعارضاتٍ ثنائيةٍ يُواجه بالاتهام بالانحياز الأيديولوجى. أضف إلى ذلك أن إيجاد حدود ثابتة بين "الذات" و"الآخر" ينطوى على إضفاء طابعٍ جوهرى على/ والأولى "تجوهير" essentialization الخلاف الثقافى. وتجسِّد نهوجٌ مثل نهج "كريستيفا" Kristeva "غرباء على أنفسنا" Etrangers à nous memes ("كريستيفا" ١٩٨٨) هذه الأزمة وتساعد فى تجاوز تلك الثنائية بالتركيز على ظاهرة "الاغتراب" كمقولة نفسية - تحليلية يجرى خلالها استكشاف سمات "الآخر" داخل "الذات". ويتضمَّن هذا الاستكشاف أن "الذات" ليست كلاً مخلوقًا مستقلاً بذاته، بل هى نتاجٌ لتأملاتٍ واستيعاباتٍ وتحولاتٍ. وبوسع مفهوم التناص intertextuality ، وهو مفهوم أصيل ضمن هذا النهج وفى سياق الترجمة يُمكن أن يُفسَّر باعتباره نتيجة لصفقة بين الثقافات التى تتميَّز بالفعل بالتعددية.

إزاء هذه الخلفية ينهض سؤال حول ما هى المنهجية التى تستطيع التعامل مع مشكل الثنائيات فى سياق "الذات" و"الآخر". ومتى اعترفنا باستحالة التغاضى كلية عن التعارضات الثنائية (خذ مثلاً ثنائية ذكر/أنثى) فإن أحد الاختيارات أمامنا يمكن أن يكون تركيزًا أدق على الآليات الوظيفية للصور المتباينة. ولقد شهدت الإثنوجرافيا خلال السنوات القليلة الأخيرة مناقشة حية حول هذه القضية. ففى الإثنوجرافيات - على نحو ما هو الحال فى الترجمة بالمعنى التقليدى للكلمة - نجد أن "الآخر" الثقافى لا يظهر فى عبارات مباشرة بل بصورة غير مباشرة، وقد فلترها filter ونظّمها وعى الإثنوجرافى أو المترجم. وكانت الصلة بين إدراج الثقافة فى نصوص وادراجها فى سياقات وقد فلترها filter ونظّمها وعى الإثنوجرافى أو المترجم قد ظلت لمدة طويلة تُؤخذ كبديهية ويُنظر إليها بصفتها خالية من الإشكالات. وأثار هذا الأمر ما يُسمّى بـ "أزمة التصوير" فى أنساق مثل الدراسات الأدبية والتاريخوجرافيا والإثنوجرافيا. وقد حاولت مساجلة "ثقافة الكتابة/التدوين" ("كليفورد" و"ماركوس" Clifford&Marcus 1986) التى أعقبت نهوض مفهوم "الثقافة كنص" كما نشأت وتطورت فى الإنثروبولوجيا التفسيرية، أن تنظر إلى التصوير الإثنوجرافى، ليس بصفته تفكيكًا لحقيقة واقعية ما، بل باعتباره مركبًا أدبيًا، ومثل هذه النظرة للتمثيل الثقافى يساعد على التركيز على سمات عملية الترجمة وإنتاجها. (١)

بوسع التصوير الثقافى أن يكسب - خلال الترجمة - دوافع مهمة من الاستبصارات الإثنوجرافية و لسوف أناقش خلال الصفحات التالية نهوجًا متعددة إلى الترجمة وأسس علاقاتها بالنهوج الأخرى التى تتناول التصوير الثقافى بالإضافة إلى الدراسات الترجمية الجارية حاليًا. ولسوف تكشف المناقشة أن هذا النموذج الترجمى الموجَّه نحو أغراض التعليم الذاتى يوفِّر استبصارًا فى علاقات القوة بين الثقافات المختلفة وتساعد فى التعرُّف على العلاقات المتبادلة بين مستويات متنوعة فى السياق الثقافى المتبادل. ويقوم هذا النهج مقام منظور يحاول تجاوز تحليل بنود ثقافية محددة (مثال: المستوى المعجمى) وتعزز - بدلاً عن ذلك - تحليلاً يشتغل على مستوى الخطاب والسياق الاجتماعى.

٢ - نهوجٌ إثنوجرافية فى الدراسات الترجمية

إذا كان الترجيم بين الثقافات يعنى فى ميدان الإثنوجرافيا - مثلما هو الحال فى الترجمة - التفاعل بين الثقافات، فيكون مهمًا أهمية قصوى أن نتعرفً على الفاعليات النشطة خلف هذا التفاعل سواء فى السياقات التاريخية أو المعاصرة على حدٍ سواء، وإذا ما عدنا إلى الوراء إلى خمسينات القرن العشرين لوجدنا "جودفرى لينهارت" Godfrey Lienhardt مهمة الإثنوجرافيا كمهمة الترجمة سواء بسواء:

عندئذٍ بدأت مشكلة وصف كيف يفكِّر أبناء قبيلة نائية، للآخرين تظهر إلى حدٍ كبير وكأنها مشكلة ترجمية، مشكلة جعل التماسك الذى يحوزه الفكر البدائى فى اللغة التى يتنفس خلالها، واضحًا قدر الامكان فى لغتنا نحن. ("لينهارت" ١٩٥٤: ٩٧، العبارة مقتبسة من "أسد"١٩٨٦: ١٤٢)

و"لينهارت" فى استخدامه لمصطلح "ترجمة" هنا لا يشير إلى مجرَّد مسألة اللغة، بل بصفة أولية إلى "أنماط الفكر" فى سياقٍ ترجمى وعبر علاقات قوة. وفى قائمة أصحاب التقارير الأنثروبولوجية التى أوردها "طلال أسد" عن الترجمة نجد باحثًا جديراً بالذكر هو "إدموند ليخ" Edmund Leach الذى ذهب فى سبعينات القرن العشرين إلى أن "ترجمة مرضية بشكلٍ مقبول تكون ممكنة بصفة دائمة للأغراض العملية"، وأن "الإنثروبولوجيين الاجتماعيين مشغولون فى بناء منهجية لترجمة اللغة الثقافية" ("ليخ" العبارة مقتبسة من "أسد" ١٩٨٦: ١٤٢). والاشتباك مع مسألة الترجمة، التى مضت بالفعل إلى أبعد من مجرد رؤية مجازية للنقل بين الثقافات واضحٌ بدرجة كافية هنا، مع أن متطلباتها المنهجية تبدو متفائلة أكثر من اللازم إلى حد ما. ومع ذلك يجب أن يكون واضحًا بنفس الدرجة أن مفهوم الترجمة كما استخدمه أنثروبولوجيون من أمثال "لينهارت" و"ليخ" وآخرون (أنظر "أسد" ١٩٨٦: ١٤٢ ff) يصل إلى حد "الرغبة فى "*بناء" العالم البدائى* و" "تصويره" و"*التحدث نيابة عنه*" ("تياسوينى نيرانيانا"١٩٩٢: ٧٠ والتأكيد عن طريق الخط المائل من عندها) وتبرز "نيرانيانا" فى أحد الهوامش فى كتابها توازياتٍ مع كتاب "إدوارد سعيد" المعنون بـ "الاستشراق" (المرجع السابق)

خلال الإشارة إلى نقص الوعى عند أولئك الإنثروبولوجيين فيما يتعلق بعلاقات القوة غير المتوازنة بين الثقافات المشاركة فى الأمر.

يوحى المجاز الذى ينطوى عليه تعبير "ترجمة الثقافة" إلى أن ترجمة الثقافات فى الواقع العملى ومن حيث المبدأ ممكنة، وهذا القول إشكالى، ليس لمجرد أنه يفترض مسبقًا وجود وحدات ثقافية ثابتة يمكن نقلها من ثقافة "أصلية" إلى ثقافة "مستهدفة"، ولكن أيضًا لأن مثل هذه الترجمة كان يتضح فى التحليل الأخير أنها عملية مركزية – عرقية ethnocentric ، وليس فى طوع الإثنوجرافيين (أى المترجمين) أن يقاوموا استخدام مقولات لغاتهم الأم وثقافتهم القومية فى "تصوير" ما يلاحظونه (أى ما يترجمونه من نص أجنبى) ولما كانت هذه مشكلة لا يمكن الوصول إلى حل كامل لها، فلقد ذكر "كليفورد جيرتز" Clifford Geertz أننا لا نستطيع مساواة الإثنوجرافيا بـ "ترجمة الثقافات"، طالما أن ذلك يعنى نقل ثقافة أجنبية إلى مفاهيم مناظرة. وهذا بدوره يسير فى اتجاه مضاد لسعى الإنثروبولوجيا فى سبيل فهم وتوصيف الثقافات الأجنبية من منظور أبنائها أنفسهم ("جيرتز"١٩٩٧: ٢٩٠). ترى هل نجد أنفسنا هنا فى طريق مسدود cul-de-sac ؟

يبدو جديراً بالذكر – إلى الحد الذى يتعلق بالتداخل بين الإثنوجرافيا والترجمة – أنه يتعين على أول قراء للثقافات الأخرى، وهم المترجمون والإثنوجرافيون أن "يصوروا" "الآخر" فى عملية أولية ("فاليرو جارسيس" Valero-Garcés 1995: 556) وكلٌ من هؤلاء وأولئك يمكن أن نطلق عليهم مفسرين لـ"الثقافة" رهن الحديث، إلاَّ أن الإثنوجرافيين يفسرون تجارب وإشارات وملاحظات بينما يفسر المترجمون نصًا سابق الإعداد. وفى سبيل ترجماتهم، يجد كلاً من هؤلاء وأولئك نطاقًا واسعًا من الأجوبة والحلول لتفسيراتهم – كلٌ منهم فيما يخصه – فى لغته الأم. وينخرط الإثنوجرافى فى "ملاحظة مشتركة" واتصال مباشر، وبذلك يجد نفسه مواجهًا بتوقعات ثقافية ، وهنا تكون عملية الترجمة مزدوجة. ففى خطوة أولى يجد الإثنوجرافى نفسه مضطراً إلى تفسير الخطاب الاجتماعى لمخبريها من أبناء البلاد الأصليين. وفى خطوة ثانية يجرى

تنظيم وإدراج هذا التفسير فى سياق واضح لصالح جمهور المتلقين المستهدف فى "العالم الأول" وتوقعاتهم، ولكى "يُصوِّر" ملاحظاته فى اللغة والثقافة المستهدفتين، يصير لزامًا على الإثنوجرافى أن يساير إستراتيجيات الخطاب الأكاديمى (الغربى) لجمهور المتلقين المقصود، وينتج الإثنوجرافى - بذلك - نصًا جديدًا بهدف الاندماج فى الذخيرة للثقافة الغربية المستهدفة (الغربية). ("وولف"1997 Wolf أ).

أما المترجم فيواجه نمطيًا - من جانبٍ آخر - نصًا سابق الوجود، يكون عليه أن ينقله عبر عملية معقدة إلى جمهوره المستهدف، والسؤال الذى يدور حول ما إذا كان المترجم يخلق - هو الآخر - نصًا جديدًا خلال الترجمة طالما نوقش على نطاقٍ واسع فى إطار نهوجٍ بعد - حداثية (انظر على سبيل المثال "وولف"١٩٩٧ب)، وهو، أى ذلك السؤال مرتبطٌ بالضرورة بذلك السؤال الذى يعرض لإنتاج المعنى. وينبغى لنا أن نركِّز فى هذا السياق على أن الإثنوجرافيا تتخذ موقعها بالضرورة، كما تفعل الترجمة سواء بسواء بين أنساق المعنى التى تتميَّز بعلاقات قوى. وبناء عليه فـ"الترجمة بين الثقافات" تعنى أن معانى "الآخر" يجرى نقلها إلى ممارسات ثقافية، تكون هى ذاتها مطمورة فى المؤسسات والتقاليد مثال: التاريخ، وخاضعة لتشكيلها أى تلك المؤسسات والتقاليد. وترى "نيرانيانا" أن الدراسات الترجمية العامة فشلت حتى الآن فى تقديم مساهمة بناءة إلى تاريخ الترجمة البعد - حداثية لسبب محدد يتمثَّل فى انشغالها العميق بفكرة "المعنى الخالص" ("نيرانيانا ١٩٩٢: ٥٥). وعلى نحو ما ذكَّرتنا "كيت ستيرج" Kate Sturge تقول البحوث التى أجرتها "نيرانيانا" بـ"التدقيق فى النظر إلى العلاقة (غير المتكافئة) بين الثقافة - المصدر والثقافة - المستهدفة والطرق التى تعزز خلالها "ممارسات التصوير، هذه العلاقات أو تقوِّضها" ("ستيرج"١٩٩٧: ٢٣-٢٤). وعندما نتحقق - بالإضافة إلى ذلك - من أن الترجمة - كالكتابة الإثنوجرافية سواء بسواء - تعنى أن صوت "الآخر" تجرى "فلترته" باستمرار خلال وعى المترجم أو الإثنوجرافى، فليس من الصعب أن نرى أن التصوير الترجمى والإثنوجرافى لـ"الآخر" مقرر له أن يُرى كتصويرٍ إشكالى بدرجة عالية. والرأى التقليدى الذى يقول إن الترجمة والإثنوجرافيا ليستا سوى محاولتين لجعل "الآخر" مكملاً للذات بطريقة موضوعية لم يعد فى طوع

أحد أن يدافع عنه، فحقيقة الأمر أن بوسعنا أن نرى فى كل "تصوير" عملاً من أعمال الاضطهاد السياسى("تايلر" ١٩٩٣: ٢٨٨). (٢)

من بين المحاولات الأولى لمعالجة "أزمة التصوير" هذه كانت ما يُسمَّى بمجادلة "ثقافة الكتابة/التدوين" التى بدأها فى ١٩٨٦ كلٌ من "جيمس كليفورد" و"جورج إى. ماركوس" اللذين اقترحا أن ننظر إلى "التصويرات الثقافية" بصفها تراكيب أدبية. وفى نهاية سبعينيات القرن العشرين كشف عدد من الإنثروبولوجيين المرموقين، بينهم "كلود ليفى – شتراوس" Claude Lévi-Straus و"مارى دوجلاس" Mary Douglas و"كليفورد جيرتز" Clifford Geertz عن اهتمامٍ بالغ بكلٍ من النظرية والممارسة الأدبية. كما كشف "المنعطف الأدبى" فى الإثنوجرافيا، الذى شاع أيضًا فى التاريخوجرافيا ("هوايت" White 1978) أن الصيغ الأدبية مثل المجاز والاستعارة والسرد تؤثِّر على الطرق التى يجرى خلالها تسجيل الظواهر الثقافية. ونتيجة لذلك، فليس بوسع الشغل الإثنوجرافى أن يتجنب "الليجوريات" والمجازات والصور: "السلطة والتاريخ يعملان خلال (النصوص الإثنوجرافية) بطرق لا يستطيع مؤلفوها أن يحكموها كل الأحكام ("كليفورد ١٩٨٦: ٧) وبالتالى فإن نظرتنا إلى الإثنوجرافيات بصفتها روايات أدبية توحى بانحياز الحقائق التاريخية والثقافية. (٣)

كما أنها تتجاوز أيضًا صورة – الذات عند الإثنوجرافى الذى يطرح نفسه ليس كمجرد مترجمٍ بل أيضًا كوقائعى وناطقٍ باسم الثقافة رهن الملاحظة أو الخاضعة للملاحظة (انظر "مالينوفيسكى" Malinowiski 1979: 25 وفى مواضع أخرى من النص).

تضرب أزمة "التصوير"، كما يراها باحثون من أمثال "كليفورد" و"ماركوس" (١٩٨٦) أو "إدوارد سعيد" (١٩٨٩) فى أعماق مشكلة إضفاء النصوص لطابعٍ موضوعىٍ على "الآخر"، كما لا يزال يخوضها بعض الإثنوجرافيين وفى نهاية الأمر أيضًا المترجمون بالمعنى التقليدى للكلمة. وقد تصلح هنا الملاحظة التى تقول بأن: "الحديث عن الآخرين يعنى الحديث عن النفس" ("بيرج" Berg و"فخس" Fuchs 1993: 11) الترجمة هنا ترجمتى" م.و.) فى تذكيرنا بأن بناء "الآخر" ينطوى فى نفس الوقت

على بنــاء الذات، وهو الأمــر الذى يركّز على الطابع العلاقاتى لكلٍ من الذات والآخر. غير أن هذه العلاقات لامتوازنة بحكم طبيعتها ذاتها. وعلى نحو ما يرى "مايكل فيرنر" Michael Werner فـإن نشوء علاقـات مـتوازنة بين المجـتمـعـات والثـقـافـات هـو أمـر مسـتـحيل، لأن ذلك يفـترض وجـود "تطوراتٍ" متـجانسة للثقافات. وتواجـه المقـارنة باسـتـمـرار بين الثـقـافـات والمجـتمـعـات عناقـيد من اللاتوازن التـى "تروغ من أدوات التوصيف الموحَّدة" ("فيرنر" ١٩٩٧: ٨٩، الترجمة هنا ترجمتى. م. و.)

وفـى ظل الطابع اللامـتـوازن للعـلاقـات بين الثـقـافـات، فـإن الاسـتـيـلاء والأولى الاستلاب الثقافى لـ "الآخر" يقع فى تبعياتٍ اقتصادية وسياسية تعترف بها، بصفة رئيسية الحقائق البعد - استعمارية اليوم، وتنطق الشكوك التى يبديها "إدوارد سعيد" تجاه بعض المصطلحات التى تتصل بالموقف البـعـد - اسـتـعـمـارى مثل "التصـوير" و"الإنثروبولوجيـا" بلغة واضـحـة فـيمـا يـتعلق بـأن هذه المصطلحـات متـأثرة بالقـيود والضـغـوط التى تنبع من كونـها "متـجذّرة فى أوضـاع لا يسـتطيع أى قدرٍ من العنف الأيدولوجى أن يهزّها" ("سعيد"١٩٨٩: ٢١٢) وتعتمد "التصويرات" الإنثروبولوجية على عـالم "المصورَ" بنفس الدرجـة التى تعـتـمـد بهـا علـى من أو مـاذا يُصـوِّر. وبالتـالى فالمصطلحات تتذبذب بين إمكانياتٍ متعددةٍ للدلالة حسب المنظور الذى تُدرس وفقًا له، فتستطيـع أن تحمل معانى أسـاسية أو ثابتة. ونتيجـة لذلك، يلاحظ "سعيد" أن "هناك أيضًا مخاوف (مبررة) من أن يكون الإنثروبولوجيون اليوم، قد فقدوا القدرة على طرق الميـدان البـعـد - اسـتـعـمـارى بنفس السـهـولة ذاتـهـا مثلمـا كـانوا يفعلون فـى الأوقـات السـابقة" (المرجـع السـابق: ٢٠٩) ونفس الأمر ينطبق بنفس القوة على المترجمين فى السـيـاق البـعـد - اسـتـعمارى، حيث تكون الحساسية تجاه المضـامين الأيدولوجية أو السياسية مطلوبة بإلحاح شديد.

لم تعد عملية الكتابة ذاتها أى الإنتاج الفعلى للنص، نشاطًا هامشيًا، كما كان يفُـتـرض فـى الماضـى، بل نشـاطًا، على حـد تعـبـيـر "كليـفـورد" "مركـزيًا لما يقـوم بـه الإثنوجرافى سواء فى الميدان أو فيما بعد ذلك (١٩٨٦: ٢) والحقيـقة التى تقول إن

النص لم يجد من يُصوِّره أو يناقشه مناقشة جادة إلاَّ فى الآونة الأخيرة، يعكس فى رأى "كليفورد"، الإصرار على أيدولوجية تدَّعى شفافية "التصوير" وطزوجة التجربة" (المرجع السابق) إلاَّ أن هذه الأيدولوجيا تداعت فى ميدان الإنثروجرافيا مثلما تداعت فى ميدان الدراسات الترجمية، ولم يعد أحد ينظر إلى المعانى بصفتها متماثلة إلى هذا الحد أو ذلك عبر الثقافات المختلفة، ولكن باعتبارها أشياء تحتاج إلى "تصوير" فى شفراتٍ ورموزٍ ترتبط بذاتية المترجم والإثنوجرافى وخلفيتهما. ولقد سلَّطت هذه النظرة المعدَّلة ضوءاً جديداً فى ميدان الدراسات الترجمية على قضية "تخفِّى" المترجم (فى ثنايا عمله) وأثارت السؤال تلو السؤال حول مدى سلطة المترجم ("ستيرج" ١٩٩٧: ٣٤) فلم تعُد الترجمة تُفهم على وجه الحصر فى ضوء النقل من "ذات" ثقافية إلى "آخر" ثقافى، ولكن أيضًا – وحتى بالدرجة الأولى فى ضوء التأثير المنسَّق، مثلما هو الحال على سبيل المثال مع انتشار الترجمة فى سياق السيطرة الاستعمارية.

٣ – المعاني الضمنية للنهوج الثقافية في الدراسات الترجمية

نستطيع أن ننظر، فى إطار الدراسات الترجمية – إلى أصداء المناقشات التى دارت حول "ثقافة الكتابة/ التدوين" writing culture، واستكشفتها بصورة أساسية "دوريس باخمان – ميديك" Doris Bachmann-Medeck (انظر على سبيل المثال "باخمان – ميديك" ١٩٩٧) باعتبارها تشكِّل جزءًا لا يتجزأ من "كدية" التطورات التى تندرج تحت "المنعطف الثقافى" ("باسنيت" و"لوفيفر" ١٩٩٠، ١٩٩٨) حتى ولو لم يحدث، فى نطاق علمى – أن وردت بصورة صريحة تحت هذا العنوان أو هذه البطاقة. ولقد بدأت الدراسات الترجمية قرب نهاية ثمانينات القرن الماضى تأخذ قضايا السياق والتاريخ والعرف فى الحسبان، وتحوَّل التركيز فى التفكير الترجمى من مسائل اللغة واللغويات إلى مسائل الثقافة. وبطبيعة الحال كانت دراسة الترجمة قد حازت الاهتمام مراراً فى الدراسة الترجمية، منذ وقتٍ مبكِّر يرجع إلى شغل "يوجين نيدا" Eugene Nida على ترجمات الكتاب المقدس (حيث بدأ "نيدا" شغله فى سنة ١٩٤٥) ولكن معظم

تلك النهوج كانت لا تزال تشى بنوعٍ من الإنثروبولوجيا المنحازة على أساس المركزية - العرقية. وفى أعقاب انفتاح النسق على السياقات الثقافية الأوسع للترجمة، مهَّد مفهوم التعددية الثقافية، كما تُفهم على وجهٍ خاص فى الدراسات الترجمية المعتمدة على الجنوسة gender ، وتلك الدراسات البعد - استعمارية (انظر على سبيل المثال "سيمون" Simon 1996) الطريق فى نهاية المطاف إلى مفهومٍ ديناميٍ توجهه العملية الترجمية ذاتها ويلهم التفكير فى ميدان الترجمة.

وقد كشف لنا "المنعطف الثقافى" - بين ما كشف - أن أحسن تصورٍ للثقافة، لا يكون باعتبارها كتلة ثابتة، بل بصفتها عملية دينامية تنطوى باستمرار على الاختلاف والنقص (دون التماثل والكمال) وبصفتنا مترجمين وباحثين فى ميدان الترجمة أخذنا نكتسب وعيًا متزايداً بأن الترجمة ليست مسألة مجرَّد "نقل بين الثقافات" بل هى مطرح تمتزج فيه الثقافات كى تخلق فضاءاتٍ جديدة. وفى سياق التفاعل بين الثقافات اللامتوازنة، لا تعزز الترجمة الحدود ولا تعمِّق الانقسام الثنائى بين "مركز" ضد "طرف"، وبدلاً من ذلك تعيِّن "المراكز - المتعددة" حيث يجرى فى إطارها - بصفة دائمة - تجاوز الخلافات الثقافية. وفى ضوء هذه النظرة، لا تلوح الثقافة كـ"عوالم - حياتية أصلية" ولكن كترجماتٍ بمعنى أنها نتائج بالفعل لأنشطة ترجمية ("باخمان" - ميديك"١٩٩٧: ١٤). وعلى هذا النحو فإن مفهوم "الثقافة كترجمة" يبرز الثقافة كمطرح التفاعل بين مكوِّنات العمليات الترجمية وكفضاءٍ نستطيع فيه تصوُّر الترجمة كتفسير متبادل بين الذات والآخر. ومع تبنى هذا المنظور يصبح واضحًا أن المجتمعات البعد - استعمارية مثل "الثقافات المختلطة" والمجتمعات التوفيقية فى أمريكا اللاتينية تعتمد على الترجمة، ليس فى ضوء النصوص وحدها بل أيضًا فى ضوء التقاليد البين - ثقافية والأعراف والممارسات الثقافية.

كيف تستطيع هذه الاعتبارات أن تفيد استبصارنا فى العلاقات المتبادلة بين الثقافات المنخرطة فى ميدان الترجمة؟ وما هو تأثيرها على نماذج البحث الترجمى؟ ومن هو الفاعل وما هى الفاعلية وراء "تصوير" الثقافى الذى يجرى خلال الترجمة؟

سوف أعرض لهذه الأسئلة بالنقاش فى الفقرات التالية على أساس الفرضية التى تقول بأن مفهوم "المراكز المتعددة" تُمثِّل منعطفًا مشقيًا فى مناقشة قابلية الثقافات للترجمة.

٤ - الـ بين - بين

تُعد وظيفة الترجمة بالغة الأهمية فى سياق منظورٍ لـ "المراكز الثقافية"، يسعى إلى تفكيك فكرة وجود ثقافاتٍ ثابتة يساعد وسطاء ثقافيون كالمترجمين أو الإثنوجرافيين على عبور ما بينها من فجوة أو فجوات. وكان التحوُّل عن الأنماط المركزية - العرقية للتفسير الثقافى فى ضوء أنماط الإدراك والسلوك السائديْن فى الثقافة التى ينتمى إليها المترجم أو الإثنوجرافى، والتوجُّه نحو ثقافة تركِّز على الإفصاح الرمزى للخطابات (٤) الاجتماعية، ينطويان بالضرورة على ممارسة كتابية أو تدوينية تضع إنتاج المعرفة عند الآخر موضع التساؤل. وتسلط بعض نماذج "التصوير" التى تؤكِّد ما يُسمَّى بـ (الفضاء الـ"بين - بين") على هذا التغيُّر فى المشق. ولقد انتصرت بالفعل "مارجريت ميد" Margaret Mead ، قبل خمسين سنة، لصالح "تصوير" أنثربولوجى سوف ينبثق من فضاء يقع فى مكانٍ ما بين ملاحظاتها والعبارة اللاحقة منها أى من هذه الملاحظات وبين نظرة القارئ:

أود لو أستطيع التدخل بين عبارتى وبين نظرة القارئ لهذه العبارة للحظة، ليس لكى أتحقق مما إذا كنت أملك الحق الحاسم فى قول ما قلت، ولكن بدلاً من ذلك كى أرى كيف وصلت إلى ما هى عليه العملية الأنثروبولوجية. ("ميد" ١٩٧٤: ٥٣ f)

ترى "ميد" أن اللقاء بين الثقافة بصفتها موضوعًا للملاحظة تمهيداً لتصويرها خلال إلباسها ثوب النص على أيدى الإثنوجرافى من ناحية وبين الاستقبال (الأكاديمى) لذلك "التصوير" الذى ارتدى ثوب النص من ناحية أخرى، ما هو إلاَّ وسيلة لإمعان النظر فى عملية "التصوير" الثقافى عند اللحظة بالذات التى يتحد فيها منظورا الملاحِظ (بكسر الحاء) والموضوع الملاحَظ (بفتح الحاء) وعلى هذا النحو يتحقق تجاوز الانقسام بين العاملين الفاعلين فى العملية (انظر أيضًا "وولف" ٢٠٠٠: ١٣٦).

وتمضى "أنورادا دينجوانى" Anuradha Dingwaney خطوات عديدة أبعد، فى مقدمتها إلى مجموعة المقالات المعنونة "بين اللغات والثقافات" Between Languages and Cultures (1995) ، وتعرِّف لفظ "بين" فى سياق الترجمة البعد - استعمارية بأنه "ذلك الفضاء الذى يخطئ المستعمر (بفتح الميم) الحسن الطوية عن عمدٍ فى ترجمة نص المستعمر (بكسر الميم) وهو الخطأ الذى يقصى ويقوِّض سلطته - أى سلطة هذا النص - منطلقاً من الوعى بفاعلية "الآخر" وأشكال ذاتيته، التى تُعيد "الآخر" إلى تاريخ كان قد انتُزع منه بالقوة" ("دينجوانى" ١٩٩٥: ٩) وخلال رؤية الفضاء الـ"بين - بين" كأرضٍ خصبة وفى نفس الوقت مثيرة للقلق حيث يحدث التفاعل الدينامى بين ثقافتين اثنتين على الأقل، فإن نهج "دينجوانى" لا يُعد مجرد مساهمة أخرى مهمة لمفهوم "المراكز - الثقافية - المتعددة"، الذى ورد ذكره عاليه، بل ويكشف أيضاً ملمحاً آخر يخص "الترجمة بين الثقافات"، ويزيح الستار عن علاقات القوة الكامنة فى أى عملية ترجمة.

أصبح إمعان النظر فى المعانى الضمنية لعلاقات القوة فى العملية الترجمية جزءاً أساسياً من معظم نهوج "المنعطف الثقافى". وهذه العلاقات اللامتوازنة بين الثقافات الوثيقة الصلة بتلك القوة تعمل بصفة دائمة فى أى عملية نقل بين الثقافات، سواء أكانت هذه العملية على مستوى اجتماعى أو اقتصادى. وإذا كان لنا أن نرى القوة / السلطة بصورة تتمشى مع "ميشيل فوكو" Michel Foucault أى بصفتها وسيلة للسيطرة والإخضاع والقمع، وهى الوسيلة التى أصبحت تظهر فى المجتمعات الحديثة كشبكة من الممارسات التى "يجوِّنها" internalize (من ظرف المكان "جوانى") البشر كجزءٍ لا يتجزأ من عملية التحوُّل إلى أعضاء فى مجتمعاتٍ، وهى العملية التى تصبح حيوية على نحوٍ خاص فى التفاعل مع غيرهم من أناسٍ آخرين. ("فوكو" ١٩٧٥: ٤٣) وعندئذٍ تغدو كافة الأنواع المتعددة لعلاقات القوة / السلطة التى تعمل فى عملية الترجمة غاية فى الوضوح وواقع الأمر أن القوة تعمل على مستوياتٍ مختلفة، فى الأداء الترجمى أى فى كافة الفاعليات المسئولة عن الإنتاج الترجمى، مثلما هو الحال فى وظيفة الترجمة فى الثقافات المنخرطة فى الأمر.

ما يلزمنا هنا علاوة على ذلك هو مساهمتها أي الترجمة المعرفية (= الإبستمولوجية) في النقاش. ففي السياق الاستعماري تكون علاقات القوة واضحة على وجهٍ خاص. فنقاشات المؤسسات الغربية - على سبيل المثال - تستمر في مجتمعات "العالم الثالث" وبالتالي تخلِّد الهياكل الاستعمارية (أنظر "نيرانيانا" ١٩٩٢: ٣). وإلى نفس الدرجة لا يكاد أحد يستطيع نكران أن العولمة اليوم على المستوى الاتصالاتي communicational والاقتصادي تؤدي إلى استبدال والأولى الحلول محل "الآخر" من ناحية وتسوية levelling out الخلافات الثقافية، وفي مواقف مثل هذه يكون دور الترجمة حاسماً. إذ يمكننا أن نفسِّر الترجمة بصفتها إستراتيجية لتدعيم "الآخر" الثقافي، وعملية لا تنطوي على مجرد تثبيت الأيدولوجيات السائدة أو تثبيت الفلاتر (= جمع فلتر) الثقافية، ولكن أيضاً على عرقلة أي ديناميات مستقلة استقلالاً ذاتيًا للتصوير الثقافي. وبوسعنا أن نلاحظ هذه الظاهرة - على سبيل المثال على مستوياتٍ متعددة من *إنتاج الترجمات* - من *اختيار النصوص المرشحة للترجمة إلى أساليب* التوزيع، وكل ذلك خاضع لعلاقات القوى بما في ذلك الإستراتيجيات المتبنَّاة.

يحملنا هذا إلى نقطة أخرى تبدو مركزية في النقاش الدائر: دور الفاعلين المنخرطين في عملية الترجمة أي الأفراد و/أوالمؤسسات الواقعة في سياقاتٍ ثقافية مختلفة. ولعل علاقات القوة الكامنة في إنتاج واستقبال الترجمة، وهي العلاقات التي تنعكس بصورة بارزة في أنشطة الفاعلين تحتل أهمية خاصة، وفي سياقٍ مثل هذا تثور أسئلة عديدة، من هو المسئول عن اختيار النصوص للترجمة؟ من هو المسئول عن نشرها؟ من الذي يختار المترجم؟ ما هي العلاقات بين هذه العوامل والعوامل المناظرة فيما يسمَّى بالثقافة المصدر؟ ما هي المعايير اللازمة لـ"توسيم" marking النص المترجم، على سبيل المثال إدراج الكتاب في سلسلة معينة أو إضافة نصٍ موازٍ للترجمة؟

يبدو أن هذه الاعتبارات الموجزة لبعض المظاهر الاجتماعية قد حرفتنا عن مجرى نقاشنا الأول للنهوج الإثنوجرافية في الدراسات الترجمية. ومع ذلك إذا ما ألقينا نظرة عن قربٍ على العمليات التي تناولناها في أطرها العامة أعلاه، فإننا نتحقق من أن

علاقات القوى الكامنة فى اللقاء بين الثقافات لا تميِّز مجرَّد السيطرة على أساليب "التصوير"، ولكن أيضًا تؤثِّر على التفاعل بين الفاعلين المختلفين، وبعبارة أخرى عن طريق التركيز على الفاعليات المختلفة المنخرطة فى العملية الترجمية،نكون قد تحركنا بالفعل فى محاولتنا تجاوز نموذج النقل الأحادى - الاتجاه بين ثقافة - مصدر وأخرى مستهدفة. وفى الخطوة التالية سوف نحاول أن نتحرَّك فيما وراء هذا بتسليط الضوء على إمكانيات الفضاء القائم بين الفاعليات المختلفة.

٥ - تدخُّل من جانب فضاء ثالث

يغدو الفضاء الـ"بين - بين" بصفته مطرحًا للقاء بين الثقافات المختلفة لازمًا بصفة خاصة فى سياق النزعة البعد - استعمارية والنزوح من بلدٍ لآخر، ويرى "هومى بهابها" أن الثقافات يستحيل أن تكون متوحِّدة فى حد ذاتها ولا ثنائية ببساطة، كما هو الحال فى العلاقة بين "الذات" و"الآخر". وعوضًا عن ذلك هناك "فضاء ثالث" لا يمكننا إرجاعه، لا إلى "الذات" ولا إلى "الآخر"، لا إلى "الأصل" ولا إلى "النص المستهدف". وفى ضوء هذا المنظور المهجَّن للثقافة، لا تُعد الترجمة نشاطًا حاسمًا ولكن، كما يقول "بهابها" "الفضاء الثالث" وهو الموقع المفعم بالإمكانيات ونقطة - البدء للإستراتيجيات الترجمية فى العصر البعد - استعمارى:

قل هو "الفضاء الثالث" الذى يشكِّل - مع عدم قابليته لـ"التصوير" فى حد ذاته - الشروط المتغيِّرة للتصريح الذى يضمن عدم حيازة معانى أو رموز الثقافة لأى توحُّد أو ثباتٍ أزليين، وأن نفس العلامات، حتى نفس العلامات يمكن استلابها وترجمتها وإعادة تتريخها بمعنى إدراجها فى تواريخ وقراءتها من جديد. ("بهابها"١٩٩٤: ٣٧)

وعندما نستكشف هذا "الفضاء الثالث"، فإن بوسعنا أن نتجنَّب الاستقطاب، ويمكن للذات أن يمر كالآخر ("بهابها"١٩٩٤: ٣٩) وعلى هذا النحو نبرز أشكال الاتصال كالترجمة ونركز على طابعها متعدد المركز pluricentric . ونتيجة لذلك يكون

الحوار negotiation مطلوباً لمناقشة الاختلاف فى الثقافة والهوية. وهذا الحوار الذى يُعد الوسيلة الوحيدة لاحتضان مفهوم قابلية الثقافات للترجمة ("زيجلر" Ziegler 18 :1999)، يُفسَّر على اعتبار أنه مرادفٌ للترجمة، إلى ذلك الحد الذى يحتاج معه مجهود التترجيم لتجاوز التناقضات الثقافية وأخطاء الفهم (انظر "باخمان - ميديك" ١٩٩٧: ١٥ ff) وبطبيعة الحال لا ينبغى لـ "الفضاء الثالث" وهو الموضع حيث يحدث فيه التجاوز، وهو الاسم المستعار للتترجيم، أن يرى فيه أحد فضاءً حيث نستطيع أن نشهد فيه لقاءً منسجمًا بين الثقافات المرشَّحة للترجمة أو إنتاجية غير محدودة ووفرة فى منابع الإلهام الخلاَّق ("باخمان - ميديك" ١٩٩: ٥٢٥) ومع ذلك يجعل المفهوم من الممكن أن ننظر إلى النشاط الترجمى، باعتباره عملية تفاعل وساحة لقاء حيث تجرى تصفية الصراعات وتُستكشف هوامش التعاون. كما يمكننا فى إطار سياقٍ ترجمىٍ أوثق أن نرى الحوار فى "الفضاء الثالث" كالمطرح الذى يناقش فيه المترجمون بصفتهم وسطاء ثقافيين وسائر الفاعلين المنخرطين فى العملية الترجمية، ويُعدّون الترجمة لمستقبليها بما فى ذلك كل الوسائل المتخيَّلة مثل العروض فى الدوريات والمقالات النقدية أو المقتطفات.

ولسوف يعتمد نموذج البحث الذى يضع فى حسابه المظاهر التى نوقشت حتى الآن فى هذه الورقة على الافتراض الذى يقول بأن الثقافة لا ينبغى النظر إليها على أنها مجرَّد عملية ديناميية تشير إلى الاختلاف والنقص، ولكن أيضًا وبالدرجة الأولى كنقطة تلاقى حيث تعتبر الترجمة تفسيراً لكلٍ من "الذات" و"الآخر". وفى ضوء هذه النظرة للثقافة باعتبارها مطرحاً للترجمة، يمكننا أن نتصوَّر أى نوعٍ من أنواع النقل الثقافى، بما فى ذلك العمليات الاثنوجرافية كـ"ترجمة بين الثقافات". وبذلك فأى عملية ترجمية تكون مقوِّمًا من مقومات النقل الثقافى. وأستطيع هنا أن أسوق على سبيل الحجة لصالح هذا الافتراض تلك الحقيقة التى تقول بأن الترجمة ليست بحالٍ من الأحوال نقلاً أحادىً - الاتجاه - كالاستيراد على سبيل المثال ولكن عملية متعددة الطبقات من الشغل والاتصال تحدث داخل شبكاتٍ اجتماعية وثقافية معقدة.

تحت ظل مثل هذه الظروف، يمكننا أن نأخذ عوامل عديدة فى الحسبان داخل نطاق مفهوم النقل الثقافى منظوراً إليه كترجمة بين ثقافاتٍ مهجَّنة بالفعل. وكل عاملٍ من هذه العوامل مطمور فى عملياتٍ يُنظر إليها باعتبارها عمليات ترجمة، أولاً: يتعيَّن درسُ معايير اختيار النصوص للترجمة: أى درجة من المشروعية نستطيع إسباغها على المنتج الثقافى أى الترجمة وما هى النتائج المترتبة على العمليات التى تخص الموافقات (لنقل الأدبية) ؟ على أن الدافع لقبول سلعٍ ثقافية كالترجمات يرتبط بشكلٍ وثيق بالاختيار، وبوسعنا أن نتصوَّره كرد فعلٍ للاستبصار أو النظرة الثاقبة التى ترى أن هناك فجواتٍ بنيوية، تستطيع الترجمة أن تنهض عندئذٍ كى تملأها (انظر أيضًا "تورى" ١٩٩٥: ٧٠ ff ومواضع أخرى فى النص) هناك عامل آخر مهم يتمثَّل فى الأعراف التى يمكن أن تكون مؤثرة فى كل مرحلة على حدة من عملية الترجمة. فالأعراف تحدد الاختيار وكذلك شخصية المترجم، فهى تفترض عملية سبغ طابع مؤسسى، ومن هنا تحدد الآليات اللازمة لقبول المنتجات الثقافية، كما تحدد المعايير التى تحكم عملية تشكيل الهوية خلال الترجمة إلى جانب طبيعة العلاقات بين الثقافات المنخرطة فى الأمر. (٥) وبناء عليه تؤثِّر الأعراف على كل أنواع عمليات اتخاذ القرار فى الوقت الذى يتجاوز فيه الفاعلون كافة هذه العوامل المتعددة، ومع ذلك فمما ينطوى على أهمية كبرى أن كل هؤلاء الفاعلين، سواء أكانوا أفراداً أو مؤسساتٍ يمكن أن ننظر إليهم بصفتهم يشتغلون عند الحدود الثقافية الفاصلة ويعملون بصورة رمزية – وكما سبق لنا القول أعلاه – فى "فضاء ثالث"، حيث يجرى تجاوز الصراعات الناشئة عن الاختلاف الثقافى والخطابات الثقافية المختلفة المنخرطة فى هذه الصراعات. وفى حالة النظر إلى هذا "الفضاء" كشكلٍ مفعمٍ بالإمكانيات للتفاعل الاجتماعى والبين – ثقافى، فإن هذا الفضاء يغدو وسيلة للتعليم الذاتى بهدف تصوُّر وتوقُّع عمليات النقل والتغيرات السياقية التى تصاحبها، بالإضافة إلى الشروط العلاقاتية relational التى تنطوى عليها عمليات النقل هذه.

وعلى هذا النحو يسفر تبنِّى "الفضاء الثالث" الذى يعتمد على مفهوم "الثقافة كترجمة" عن استبصاراتٍ فى تطوير عملية الترجمة. وعندما تدعو "سوزان باسنيت" Susan Bassnet إلى "تمحيص أعمق لعملية التثاقف التى تحدث بين الثقافات"

وإلى "تمحيص أكبر لما سمّاه "فينوتى" Venuti فى وقت سابق بـ"عنف المركزية العرقية ethnocentric لعملية التترجيم" ("باسنيت" ١٩٩٨: ١٣٨) فإننا نكون بذلك قد خطونا خطوة هائلة فى النقاش الأنطولوجى" حول الكيفية التى يمكننا أن نتناول بها "الترجمة بين الثقافات، وإذا كانت الترجمة شىء أكبر من نقل بين أنساق لغوية، ونظرنا لها عوضًا عن ذلك بصفتها "تصويرًا للتصويرات" ("باخمان – ميديك" ١٩٩٧: ٧) باعتبار أن تصوير الثقافات بحد ذاته يعتمد على الترجمة والديناميات التى ينطوى عليها هذا المفهوم للترجمة تفسح الطريق أمام نموذج لـ"الترجمة الثقافية" التى تحاول الإفلات من الانحياز "الجوهرى النزعة" essentialist . وهذا النهج لن يعود بمجرد استبصار أو نظرة ثاقبة على علاقات القوى بين الثقافات المنخرطة فى الأمر وفاعليها الخصوصيين، لكنها يوسّع حدقة العين ويشحذ البصر على التعددية الثقافية، ليس أقلها خلال إدخال نقاشات متعددة النسق .. وأخيرًا فهى تلبى الاحتياجات اللازمة للمجتمعات المتعددة المركزية الناشئة والهويات المهجّنة، حيث يُدعى المترجمون لأن يكونوا على وعى بموقفهم الذى يكتنفه الغموض بين العمليات السياسية التى تتبنى التماثل – انظر إلى "العولمة" والحاجة الماسة إلى المرونة العبر – ثقافية أو المتجاوزة للثقافات. ونتيجة لذلك تواجه الترجمة تحديًا يتمثّل فى المساهمة فى مصالحة (نقدية) وفى نفس الوقت اعترافًا بالاختلاف الثقافى فى العالم حيث أصبح فعل التترجيم فى حد ذاته ملمحًا مكوِّنًا.

الهوامش

(١) يمكننا تتبع المفهوم أيضًا فى النقد التريخى الجديد، حيث يتبدى التركيز على تتريخية النصوص وتنصيصية التاريخ كليهما، انظر "مونتروز" (١٩٨٦).

(٢) يمضى "تايلر" حتى إلى أبعد من ذلك: "نظرًا لأن النص لا يستطيع أن يستأصل لا الغموض ولا الذاتية سواء ما يخص منهما المؤلفين أو القراء، يكون من المحتم أن تُساء قراءته، إلى ذلك الحد الذى يجعلنا نخلص إلى أن معنى أى نص هو حاصل إساءة قراءاته" ("تايلر"١٩٨٦: ١٣٥) وقد تعرض أيضًا "هانز بيتر دوير" Hans Peter Duerr الذى يرى فى الترجمة عملية تسلب الثقافة المستهدفة خلالها "الآخر" وتدعى امتلاكه وبالتالى يتم تحييده، بالنقد لمجاز الترجمة ("دوير"١٩٨٥: ١٥٢)

(٣) ليس بالمرة – دون سبب – إذ "يصوِّر" "فينسنت كرابانزانو" Vincent Crapanzano الإثنوجرافيين بصفتهم "محتالين" (١٩٨٦: ٥٢ .ff) .

(٤) يجب أن نفهم الخطاب الاجتماعى هنا بصفته "أى شىء يصلح أو يمكن أن يصلح لأن يقال أو يكتب أو يُعرض فى مجتمع معيَّن فى لحظة معينة، مما يُمكن أن يُسرد أو يُناقش، طبقًا لـ "كلية" متغيِّرة من الأعراف" ("روبنز" Robyns 1992: 214) .

(٥) داخل نطاق هذا الإطار العمومى نوعًا ما لنموذج البحث، لا نستطيع التطرق لمفهوم الأعراف بتفصيل ولمزيد من القراءات فى هذا الصدد انظر على وجه الخصوص "تورى" (١٩٩٨) و"هيرمانز" (١٩٩٩: ٧٢-٩٠) .

الفصل الثانى عشر الدراسات الترجمية "العالمية" و"المتعددة اللغات"

شيبنيم سوزام - سرايبفا Sebnem Susam-Sarajeva

خلاصة :

تُخضع هذه الورقة للبحث عدداً من علاقات الاستيراد/التصدير بين المركز والطرف من ناحية والدراسات الترجمية من ناحية أخرى. وتركز على التوقع المشترك من دور الباحثين الذى يتمركز فى الطرف كموردين لـ"المواد الخام" فى شكل نصوص مترجمة ونصوص موازية وسلوكٍ ترجمي وتواريخ للترجمة. وترتأى هذه الورقة أنه إذا استمر اعتبار النظرية شيئًا ينتجه المركز كى يستهلكه الطرف، إذن لن يكون بوسع أحد أن يطرح تحديًا حقيقيًا للنظريات التى يوفرها المركز، بمجرد اختبار صحتها بتطبيقها على معطياتٍ يوفرُها الطرف. وتتساءل الورقة عما إذا كان ينبغى لنا أن نقبل الوهم بأننا جميعًا ننتج مساهماتٍ متكافئة للوصول إلى هدفٍ مشترك يتمثّل فى تقدم الدراسات الترجمية كنسقٍ أكاديمى. وألا نستفيد من إمعان النظر بشكلٍ أكثر جراءة على النقد، فى مناهجنا التى نُعملها فى بحوثنا وفى علاقتنا بالنظريات والنماذج والأدوات والمواد التى نستعملها ونسعى لتطويرها؟

بدأت هذه الورقة والأولى هذا المقال حياته كورقة قدمتها إلى مؤتمر "نماذج البحث فى الدراسات الترجمية" الذى انعقد فى مدينة "مانشستر" بإنجلترا فى أبريل/برمودة ٢٠٠٠ ، وكان أحد الأهداف والمقاصد التى وضعها ذلك المؤتمر نصب عينيه يتمثّل فى رؤية "مصير النماذج الغربية عندما تواجه أنماطًا غير - غربية من الفكر والتعبير" وطبقًا لذلك كان من بين الموضوعات المقترحة لأوراق المؤتمر موضوع "نماذج البحث والثقافات غير - الغربية"، وينطوى "التجوير" juxtaposition أو لنقل المواجهة فى هذا

المؤتمر على تقريظ والأولى امتداح يعيد أيضًا إلى الأذهان نمطًا سائدًا هو نمط استيراد/تصدير، وهو النمط الذى نجده فى كثير من المناهج المعاصرة، بما ذلك الدراسات الترجمية، بالإضافة إلى بعض علاقات القوى التى تؤخذ عادة كبديهيات ومن هنا يسكت عنها الجميع.

ولعله من الصعب نوعًا ما أن نشتغل بمصطلحىْ "غربى" و"غير - غربى"، فأى نعت أو محمول يصف موضوعه فى حالة النفى على هذا النحو "غير - س" مشتقٌ من نقطة استشراف هذا النعت أو المحمول أى "س". وفى ظل مصطلح "غير - غربى" نجد أن الأغلبية الساحقة من العالم تُعرَّف هنا باعتبارها كلاً "غير - س"، مع أن هذه الأغلبية الساحقة لا تعرِّف نفسها بالتعارض - بصورة ضرورية، أو بصورة مطلقة - مع "الغرب". ولقد أصبح فى ظل هذا الوضع وصف أو نعت "غير - غربى"، فيما هو واضح، هو الاسم المشترك والوحيد الذى يقف وراء ما كان يمكن أن يكون - لولاه - لغاتٍ وثقافاتٍ بالغة التعدد، تمتد من اليابان إلى الهند ومن الشرق الأوسط إلى الصين ومن روسيا إلى أفريقيا، ويقول "بيرى أندرسون" Perry Anderson (فى كتابه "شجرة أنساب الدولة المطلقة" Lineages of the Absolutist State : "فى ظلام جهلنا - ليس إلاَّ - تأخذ كل الأشكال المغايرة لما ألفناه نفس اللون"، وهذه العبارة مقتبسة فى (جياترى سبيفاك" Gayatri Spivak 1999: 89) . ومن جانبٍ آخر، نجد أن نفس هذه الثنائية تطرح "الغرب" أكثر تجانسًا مما هو عليه فى واقع الأمر ("كرونين" Cronin 1999: 89) . وهى لا تضع فى حسابها المواضع المختلفة للثقافات واللغات الأيرلندية والهولندية والسلافية أو الفنلندية، على سبيل المثال لا الحصر - أضف إلى ذلك أن هذين المصطلحين لا يقدمان أى عونٍ للباحث الذى يشتغل على معطياتٍ معاصرة، حيث نجد الحدود قد تآكلت إلى حدٍ كبير واقتفاء "التأثيرات" أمر بعيد - فى الغالب - عن متناول اليد.

ومع ذلك يجب على المرء أن يكون قادرًا على الحديث عن التفاضلات الأسِّية والأولى تفاضلات القوة Power differentials داخل النسق، وإذا كان هذان المصطلحان مضلليْن إلى هذا الحد أو ذاك، فإننا نستطيع اقتراح مصطلحاتٍ أخرى. وفى هذه

الورقة سوف أستخدم تلك الثنائية الأكثر تجريداً إلى حدٍ ما وهي: "المركز" والطرف"، اللهم فيما عدا مناسباتٍ محدودة، ولا ينبغي لصيغة المفرد هنا أن تضلل القارئ. فليس هناك "مركز" واحد في الدراسات الترجمية، وليس هناك كذلك "طرف" واحد. وفي سائر الأحوال ليس هناك طريقة لقياس "المركزية" أو "الطرفية". ومع ذلك ففي سبيل امتلاك القدرة على مناقشة بعض المواضيع، يحتاج المرء أن يبدأ ببعض المصطلحات، مع كل ما يكتنف هذه المصطلحات من دواعي القلق والاضطراب. وعلى نحو ما سنرى أدناه يحوز مصطلحا "المركز" و"الطرف" ميزة خاصة تتمثّل في تجنيبنا التراكيب الشمولية الضخمة، مثل تلك التي توحي بها ثنائية (غرب/غير - غرب)، طالما يسمحان ببناء تركيب معارض من "مركز - طرف" أيضاً داخل نطاق كلٍ من الطرف والمركز.

١ - علاقات مركز - طرف داخل نطاق الدراسات الترجمية

لا يتناظر كلٌ من المركز والطرف في الدراسات الترجمية على وجه التحديد بمقابلهما في الوضع الجغرافي في العالم اليوم. ونتيجة لطبيعة الموضوع الخاصة بالنسق، فإنهما أكثر ارتباطًا باللغة، فامتلاك كفاءة عالية في لغة أو أكثر من اللغات السائدة (الإنجليزية والفرنسية والألمانية والآن ومن وقتٍ لآخر، الإسبانية) واختيار مواد البحث من هذه اللغات و/أو نشر البحث بإحداها تُعد عوامل أساسية في الغالب في وصول صوت المرء إلى الآذان. أما الشغل في، و/أو الكتابة بإحدى اللغات "الغريبة"، من جانبٍ آخر فيبدو أنه يشير إلى موضعٍ"طرفي" نوعًا ما، وأولئك الذين يلجأون إلى هذا العمل يجدون أنفسهم مضطرين إلى خوض صراع طويل في سبيل شق طريقهم نحو الفوز باعترافٍ عالمي، وفي الغالب تأتي القوة الاقتصادية - الاجتماعية لبلد المنشأ أو الإقامة في المرتبة الثانية بالنسبة لقوة اللغة التي يكتب بها ويشتغل فيها.

قد يكون هناك شخصياتٌ "مركزية" داخل "الأطراف" وشخصياتٌ "طرفية" داخل مواقع "مركزية". ولا يزال بوسع بعض الباحثين الذين يشتغلون على بحوثهم في بلدانٍ أقل شهرة نوعًا ما أن يُنظر إليهم كشخصياتٍ "مركزية" بفضل لغاتهم الأم أو اللغات

السائدة التى يكتبون بها (مثال: الروائية الكشميرية "نينا سيبال" Nina Sibal التى كتبت باللغة الإنجليزية. المترجم). ومع ذلك فطالما بدأ الباحث الذى يعيش فى بلدٍ قوىٍ من الناحية الاقتصادية - الاجتماعية يشتغل على معطياتٍ حصل عليها من لغاتٍ أقل شيوعًا، فسرعان ما قد يشعر بأنه أصبح"طرفيًا" إلى حدٍ ما. ومع ذلك يظل الموقع المادى الفعلى للباحث عاملاً حاسمًا. وتلعب المظاهر المؤسسية والرعاية عاملاً بارزًا فى نشر المعرفة بين أعضاء أى مجتمعٍ علمى. فالموضع الذى ينشر فيه المرء بحثه وما إذا كان دورياتٍ أو كتبًا (محلية/عالمية، محلية ولكن معروفة جيدًا ويسهُل الوصول إليها إلخ) وعند أى دور نشر، يُعد عاملاً حاسمًا، تمامًا مثل قرب المرء من مؤسسات البحث المركزية.

إذا بدت النقط التى أثرتها حتى الآن مجرد "بديهيات" أو "معلوماتٍ عامة"، فإنها لا تزال تستحق - فى رأيى - أن نذكِّر بها، وخصوصًا وأن المرء يسمع كثيرًا من يزعم أن المركز يمكن أن يقوم فى أى مكان ينتج فرضياتٍ ونماذج ونظرياتٍ مهمة ومفيدة، فمثل هذا النهج يقلل من وطأة المعتمدية canonzation كعملية تسير جنبًا إلى جنب مع الإمبريالية الاقتصادية والثقافية واللغوية.

٢ - العمومية

تتمثل إحدى الخصائص الرئيسية للمركز فى إرادته الفعلية فى السلوك بصفته المركز (وليس مجرد"مركز" من مراكز. المترجم) وفى غالب الأحيان يدَّعى العمومية أو الشمولية الكلية. ومنذ مرحلة نشوء الدراسات الترجمية فى سبعينات وثمانينات القرن العشرين جرى تصورها كنظامٍ شامل. ولقد طرح "جيمس هولمز" (١٩٧٢) فى مقاله الذى يستشهد به كثيرٌ من الباحثين "اسم وطبيعة الدراسات الترجمية" أن الهدف النهائى للمنظِّر الترجمى، يتمثَّل فى "بناء نظرية كاملة شاملة تجمع كثيرًا من العناصر التى تستطيع العمل على تفسير/و التنبؤ بكافة الظواهر الداخلة فى نطاق ميدان الترجمة والترجيم، مع استبعاد كل الظواهر الواقعة خارجها" (١٩٨٨: ٧٣).

أما "النظريات الترجمية الجزئية" فلقد استقر النظر إليها وقت ذاك بصفتها أكبر قليلاً وحسب من مقدمة إلى مثل تلك النظرية الترجمية العامة" (المرجع السابق) ويقود هذا - لحدٍ شامل - إلى الجهود المتزايدة فى الوقت الراهن نحو تعريف القواعد والقوانين التى ترى فى الظواهر الترجمية تنوعًا على قدر ما نستطيع. وتتردد على نطاق واسع دعوات إلى بذل جهودٍ مشتركة فى سبيل وضع مجموعة والأولى "كُدية" متماسكة من المفاهيم والنماذج التى تصلح للتطبيق دون تردد على كافة أنواع النصوص الممكنة المكتوبة فى كل اللغات الممكنة فى أى لحظة فى تاريخ الإنسان.

مع أن هذه المشاريع قد تبدو جديرة بالإعجاب، إلا أنها محفوفة بعيوبٍ معينة فالنماذج والأدوات، وكما قيل مرارًا - تلك التى تنبع من "المركز" وتتخلَّق فى البداية اعتمادًا على معطياتٍ "مركزية" لا تثبُت كفاءتها بالضرورة عندما تنتزع من سياقاتها وتُجبر على الشغل على معطياتٍ "طرفية" (انظر على سبيل المثال "دارووِدكر" -Dharwad-ker 1999: 125-30 ، ١٢٤-٥ و"كرونين" Cronin 1998: 147) وليس من الصعب العثور على أمثلة فى هذا الصدد. ولقد أشار كثيرٌ من الباحثين إلى أن التفكير "المركزى" فى الترجمة يرتكز على منظورٍ أحادى اللغة، وبالتالى لا يستطيع أن يُفسِّر مواقف تتعدد فيها اللغات مثلما هو الحال فى الهند ("ديفى" Devy 1999: 185، "فيسواناثا" Viswanatha و"سيمون" Simon 1999: 164) وتدين كثيرٌ للغاية من الدراسات الترجمية "المركزية" للدراسات التى جرت على "الكتاب المقدس"، وكثيرٌ من الافتراضات المسبقة لهذه الدراسات لا تروق وبالتالى لا تفلح فى التطبيق فى الثقافات غير - المسيحية، نظرًا لأن الديانات والفلسفات الميتافيزيقية المختلفة تُحدث تأثيرات مختلفة على إنتاج واستقبال الترجمة (فى سبيل الاطلاع على مقارنة موجزة بين الميتافيزيقيات الهندية وتلك الغربية وتأثيرها على فهم الترجمة انظر "ديفى" ١٩٩٩). أما عن شغل الباحثين الأفراد الذين ينتمون إلى "المركز"، فآراء "لورنس فينوتى" عن العلاقة بين الطلاقة والإمبريالية - على سبيل المثال - طالما واجهت الانتقاد لعدم قابليتها للتطبيق خارج نطاق السياق الأنجلو - أمريكى (مثال: "تيموكسيكو" ٢٠٠٠: ٣٩) وغيرها من المراجع التى تذكرها فى كتاباتها، "بالوبوسكى" Paloposki و"أويتنين" Oittinen 2000) .

موجز القول أنه يمكن أن يكون هناك خيطٌ نحيل بين فائدة النظريات والأدوات والنماذج المستوردة وبين محدوديتها أو طابعها غير الملائم للمواد التى في متناول أيدينا.

٣ - الاختبار

يعد هذا العيب على وجه التحديد السبب فى أن كثيراً من النماذج والنظريات المعروفة على نطاقٍ واسعٍ اليوم، تتطلب - عن حق وبروح علمية خالصة تمامًا - الاختبار على مواد مستقاة من لغاتٍ وثقافاتٍ مختلفة حتى يتمكن الباحثون من تقييم لزوميتها وفاعليتها. والحقيقة أن أحد الدوافع الكامنة وراء الرغبة فى التوصل إلى الشمولية أو الكلية التى ورد ذكرها أعلاه كان همًا مشابهًا لتأسيس منهجٍ علمي. ولقد قيل أن النظريات والتعميمات ينبغى فى سبيل استحقاقها لاسمها، أن تكون قابلة للتطبيق على أى حالة جزافية، وإذا كانت هناك نظرية "لا تستطيع مواجهة مثل ذلك الاختبار، صار لزامًا عليها أن تخضع للتعديل وإعادة الصياغة" ("تيموكسيكو ١٩٩٩ب: ٣٢). وطبقًا لذلك فالنظريات التى لا تقوم ولا يجرى تطبيقها إلا على عدد محدود من النصوص والأنواع الأدبية والفترات الزمنية واللغات أو الأنساق، مما يمثِّل - على نحو ما كان عليه الحال فى الماضى - ثقافاتٍ عالية و/مكتوبة غربية معاصرة فى الغالب الأعم، لن تكون، بكل بساطة - سليمة ولا سارية المفعول (المرجع السابق) وعندما تفشل نظرية ما فى أن تُعمم بشكلٍ كاملٍ على مثل هذا النحو، فلقد "لزم تحديد مجالها بشكلٍ واضح...) ("تيموكسيكو" ١٩٩٩ب: ٣٣)

وبالتالى صار لزامًا أن نزيد تنوع المواد المتاحة للتمحيص، ولقد كانت الأنساق الطرفية هى المصادر الواضحة. ولفت الباحثون النظر إلى الظواهر الترجمية فى اللغات والثقافات "الأقل شيوعًا" (انظر على سبيل المثال "باسنيت" ١٩٩٣، "كرونين" ١٩٩٨، "لفيفر" ١٩٩٨). ومن جانب آخر بدأ الباحثون من الأطراف يستخدمون بالفعل النماذج والنظريات المركزية فى بحوثهم على المعطيات المحلية، مثل النصوص المترجمة والنصوص الموازية والأداء الترجمى والتاريخ الترجمى وهو الأمر الذى حسَّن - بالتالى -

فرص نشرهم لدراسات ترجمية باللغات السائدة. ونتيجة لذلك أخذنا نسمع أنباء طيبة اليوم عن توسيع المنهج لآفاقه، ومع ذلك فهذا التوسع يحتفظ بتشابه مخيف مع "النهج المستعيد – للمعلومات" الذى اتسم بالحماس نحو أدب "العالم الثالث" ...، ذاك الذى يتحدث عنه "سبيفاك" (١٩٩٩: ١١٤، ١١٨) وهناك آلية سائدة اليوم التى يُنتظر من النماذج والنظريات المركزية خلالها أن تتغذى على الثقافات الطرفية والمعطيات التى توفرها هذه الثقافات.

أولئك الذين يستطيعون أن ينهضوا بهذا الاختبار هم بطبيعة الحال أولئك الذين يملكون الكفاءة فى اللغات الطرفية وهم الذين يختارون أن يشتغلوا عليها – ومن هنا، ووفقًا للتعريف الذى سقناه عاليه، فهم الباحثون الطرفيون. ومسار العمل المنتظر بصفة عامة من هؤلاء الباحثين أن يطبقوا النظريات التى وفرها المركز لـ "المواد الخام" التى وردها الطرف، مع الهدفين التوأم اللذين يتمثلان فى شرح الممارسات الترجمية المحلية واختبار متانة وشمولية النظريات المستوردة. وفى الغالب يبدأ الجيل الجديد من الباحثين الذين ينتمون إلى الطرف مسيرتهم المهنية باستيعاب كل ما كتبه المركز عن الترجمة. وإذا كان هناك مساهمة أصيلة متوقعة منهم، فليس بوسعها أن تزيد عن "السير فى أعقاب" عملية "التعوليم" Internationalization للنظريات الترجمية التى أنتجها المركز بصفته المورِّد المتصوَّر والمشروع الوحيد للنماذج فى الدراسات الترجمية المعاصرة. وبالتالى فإن أى نقل للأمشاق السائدة لا تستطيع أن يأتى إلا من الداخل، أى من التطبيق "بتاع" النماذج الخاصة "على" التقاليد الطرفية، وهكذا تتحول الأدوات والنماذج والنظريات التى كان المراد منها أن تكون فى خدمة هؤلاء الباحثين إلى وضع النظار المستبدين.

وهذا نمطٌ واسع الانتشار بطبيعة الحال وليس مقصورًا على الدراسات الترجمية وحدها. فهو يؤخذ فى العادة كجزء، ليس إلاَّ "من عملية التلقين المبدئى والتخريط الأولى فى مجتمعٍ socialization أكاديمى"، وهى عملية يتعارف عليها الجميع، ولا غرابة بالتالى فى أن يكون "الاختبار" هو موضوع البحث الذى يحظى بأقوى تحبيذٍ للحصول

على الدرجات العلمية عقب التخرج مباشرة (انظر على سبيل المثال "فيليب" Philip و"بوف" Pugh 1995: 49) فهذا النوع من البحث يحاول "التوصل إلى حدود التعميمات التى سبق اقتراحها" وبالتالى فهو يطرح "إطاراً مستقراً" وبيئة توفِّر "درجة من الحماية من جانب الطابع المستقر لكثير من الأفكار والحجج ... إلخ ("فيليب" و"بوف" ١٩٩٥: ٥١) وفى كتابهما الموجز المشترك الواسع الانتشار عن البحث للخريجين الجدد، وهو الكتاب الذى صدرت له طبعتان منقحتان فضلاً عن إحدى عشرة طبعة أخرى فى أقل من عشر سنوات، يحذر فيه كلٌ من "فيليب" و"بوف" القادمين الجدد على هذا النحو:

بطبيعة الحال سوف يتعيَّن عليكم أن تقدموا مساهمتكم الأصيلة ومجرَّد تكرار ما سبق للآخرين أن عملوه ليس كافياً. وبالتالى، وعلى سبيل المثال، ستضطرون إلى تطبيق منهجية ما على موضوع جديد لم يسبق لأحد أن طبق عليه أى منهجية من قبل، وبالتالى تكشفون عن قوتها فى إنتاج معرفة جديدة واستبصارات نظرية جديدة، أو أنكم سوف تلجأون إلى تطبيق نظريتين متضاربتين على موقف جديد حتى تروا أيهما أقوى، أو تصممون تجربة حاسمة لإنتاج أدلة كى تختاروا من بينها. ونتيجة لهذا قد تنتجون نسخة مجددة من المنهجية أو النظرية ... والاختبار هو مهمة الاحتراف الأساسية الجارية حاليًا فى البحث الأكاديمى، والشغل على رسالة الدكتوراة الذى يجرى خصيصًا فى هذا الإطار يُعد أكثر احتمالاً، بصورة كبيرة لأن يكون مفيداً وبالتالى قابلاً للنشر وقابلاً للاقتباس. ("فيليب" و"بوف" ١٩٩٥: ٥١)

العبارتان الرئيسيتان هنا – هما بكل وضوح – "قابلاً للنشر" و"قابلاً للاقتباس" ولكن هناك أمراً آخر يجدر بنا ألاّ نهمل الإشارة إليه: "يقدم الاختيار" بصفته "مهمة الاحتراف الأساسية الجارية حاليًا فى البحث الأكاديمى" فى كافة البحوث وليس مجرَّد نوع واحد: بحث الخريجين الجدد، وعندئذٍ تصبح المساهمة المتوقعة من الباحث أن يدعِّم وينقد و/أو يعيد تشكيل النظريات والأدوات والنماذج الموجودة والمشهورة ، طالما كانت هى دون سواها التى ستوفِّر "الإطار المستقر" و"الحماية" الضروريين للبحث الناجح. وخلال الدليل الذى يقود من نظرية الخلفية عبر "مسح الأدب" إلى "الحالة

الراهنة للفن" التى يتعيّن على كل باحث أن يكون على معرفة وثيقة بها إلى حدٍ مثالى، فإن آلية النسق الذاتية – التوالد والذاتية – الديمومة تكون قد وُضعت موضع التشغيل.

٤ – وماذا، إذن، عن المعارف الأخري؟

يصير لزامًا على الأنساق الأضعف أن "تقلد وتعيد إنتاج" النماذج التى تنتمى للأنساق السائدة، إذا رغبت تلك الأنساق فى أن تصبح جزءًا من المجتمع الدولى" وفقًا لما ذكره "طلال أسد" (١٩٨٦: ١٥٨). وفى الغالب الأعم تغدو معرفة هذه الأنساق "شرطًا مسبقًا لإنتاج معرفة أزيد" (المرجع السابق). وفى الحالات التى يكون فيها تدفُّق المعارف *أحادىّ الاتجاه* بصورة غالبة، يصبح احتمال نهوض منبر للنقاش أو النقد المتبادل أو تداول الآراء والحوار ضئيلاً، إذ يغدو الأمر أمر من ينتج "المعرفة المرغوبة" (المرجع السابق) ومن هو "صاحب وحارس" هذه المعرفة المرغوبة ("أروخو" Arrojo 1999: 143) ومن الذى يستفيد منها. [(١)] وعند هذه النقطة لا يصبح المهم هو النوعية الداخلية – كاللزومية والفاعلية والنفعية – *للنماذج والأدوات أو النظريات التى يصدِّرها المركز، ولكن السلطة والسطوة اللتين* ترافقان هذه العملية. فحالة "الاستعمار – الذاتى"، كما تحددها مصطلحيًا "ليديا. إتش. ليو" (١٩٩٥: ٢٣٦) هى الحالة التى يجد الجزء الأكبر من العالم نفسه فيها اليوم. وتكون النتيجة هى ذلك الجهد المبذول على نطاقٍ واسع والطوعى فى معظمه نحو تقليد القوى السائدة ونحو صوغ كافة أنواع الخطاب المحلى أو القومى فى نموذج المعرفة المستوردة، وذلك بهدفٍ نهائى *يتمثَّل فى الاندماج فى العالم "الحديث"* ("فيليبسون" ١٩٩٢: ٦٥)

إذا كان "المركز" هو الذى يورِّد باستمرار المدرسين وتعريف ما هو جدير بالتدريس(من أناجيل المسيحية إلى "أناجيل" التكنولوجيا والعلم، والطرف هو الذى ينتج دائمًا المتعلمين، إذن هناك نمط للإمبريالية ... نمطٌ من "كذا" فريق علمى يتوجهون من المركز إلى بلدان الطرف كى يجمعوا المعطيات (المواد الخام) فى شكل رواسب وكُدىً

النباتات والحيوانات والمكتشفات الأركيولوجية (= الأثرية) والمواقف والآراء وأنماط السلوك وهكذا، وذلك في سبيل معالجة هذه المعطيات وتحليلها وتكوين النظريات (مثلما يحدث في المعالجة الصناعية بصفة عامة). ويجري ذلك في جامعات المركز (المصانع) كي ترسل المنتج النهائي، سواء أكان دورية أو كتابًا (السلع المصنَّعة) مرة أخرى للاستهلاك في مركز الطرف، بعد أن تكون قد خلقت أولاً طلبًا عليها خلال مفعول التطبيق والتدريب في البلد المركز ودرجة ما من مشاركة على مستوى منخفض في فريق جمع – المعطيات. ومثل هذا التوازي ليس مجرَّد مزاح، بل بنية ("يوهان جلتونج" Johan Galtung "العوالم الحقيقية: منظور عابر للقوميات" The True Worlds: A Transnational Persepective ، والنص مقفبس عند "فيليبسون" ١٩٩٣: ٥٧)

يكاد أن يكون من المستحيل على المرء أن يجري اليوم بحثًا ما دون استخدام نظرياتٍ ونماذج "مركز"ية، ولقد اكتسبت هذه النظريات والنماذج هالة "العمومية"، طالما غادرت خلال التجريد والتعميم، ما هو محلي وخاص وراءها واجتهدت في سبيل أن تصبح خالية – القيمة خالية – الثقافة وخالية – السياق ومحايدة، ونجد حالة جيدة ينطبق عليها ما قلناه في الرياضيات، ومع ذلك فبوسعنا أن نرى – كم هو حجم الرياضيات، كما نعرفها اليوم – التي أسسها أناس من ثقافات معينة دون ثقافات أخرى، وكم هي البدائل الأخرى التي قُمعت ودخلت بالتدريج غياهب النسيان، في شغل الدارسين الذين ينصب اهتمامهم على ما يسمُّونه "الرياضيات – العرقية" ethno-mathematics ، ويشير "آلان جي. بيشوب" Allan J. Bishop إلى دراساتٍ حول أنساق حسابية مختلفة في العالم – نحو ٦٠٠ نسق في "غينيا الجديدة – بابوا" وحدها، حيث يتكلم الأهالي أكثر من ٧٠٠ لغة – وتراهم يستعملون وسائل أخرى مختلفة عن النسق العشري بل وحتى عن الأرقام. (١٩٩٧: ٧٢). وهناك أيضًا مفاهيم متعددة للهندسة يستغني بعضها عن الأفكار "التذريرية" atomistic والموجهة – شيئيًا object-oriented ، عن النقطة والخط والسطح والفراغ" (المرجع السابق)، وهي الأفكار المأخوذة كبديهيات في الرياضيات الغربية ويجري تدريسها في العالم أجمع. ويلاحظ "بيشوب" أن "الرياضيات – العرقية" تبرهن اليوم كيف ساهمت الرياضيات الغربية في العملية الاستعمارية تحت قناع "العمومية".

إذن ماذا حدث للمعارف السابقة أو البديلة – وهى عبارة عن شكل متعدد، لا يحوز – بالمناسبة – أى قبول فى اللغة الإنجليزية – جرى إنتاجه عن الترجمة فى/و على أيدى "الطرف"؟ ويمرور الوقت اكتسب الباحثون الذين ينتمون إلى أصول "طرفية" نضجًا فى تدريباتهم وبدأوا ينظرون إلى المفاهيم التقليدية (العتيقة) عن/ والتفكير التقليدى فى الترجمة والترجيم الموجود فى ثقافاتهم بصفتها "أدنى" و"عقيمة" وتبسيطية" و"مفتقرة إلى أى لزومية"، ونحوها جانبًا لصالح نظرية الترجمة بمعناها "الحديث" و"الغربى". وتراهم ينظرون – عادة – إلى التنظير فى لغاتهم وثقافاتهم باعتباره أقل قليلاً من أن يقدم ينابيع تستطيع أن تقوم مقام روافد تغذى شغلهم الراهن بل كدراسات حالة تاريخية، لا تصلح إلاَّ للوضع تحت تمحيص النماذج السائدة. هولاء الباحثون فصلهم تعليمُهم educated away عن ثقافتهم ومجتمعهم. وحتى لو كانت نقطة انطلاقهم وهدفهم الذى رصدوه لأنفسهم أول الأمر هما أن يستوعبوا وأن يفسِّروا الظواهر الترجمية – وربما بالتالى، الاجتماعية والثقافية – فى الأنساق التى يرجع إليها أصلهم، فكلما اشتغلوا بالنماذج والأدوات المركزية، كلما صار عليهم أن يعملوا من أجلها. ويبدو أن ذلك أمر محتوم لا مناص منه، نظراً – وكما سبق لى أن أشرت أعلاه – لأنه يجرى عميقًا فى شرايين عملية الاعتماد والتأهيل، وأى عملٍ "نافع" و"قابل للنشر" و"قابل للاقتباس"، بما فى ذلك هذا العمل الذى بين يدى القارئ الآن، ينبغى أن يرجع إلى الأطر المستقرة والمقروءة"مركزيًا".

٥ – عواقب

أود الآن أن أركز بإيجاز على بعض العواقب الناجمة عن هذه العلاقات اللامتوازنة بين المركز والطرف، كما انعكست فى بحثنا هذا عن الترجمة، ولكننى أحتاج قبل أن أقوم بذلك أن أعود باختصار إلى كتاب "ماريا تيموكسيكو" المعنون بالـ "الترجمة فى سياقٍ بعد – استعمارى" (١٩٩٩ب) فـ "تيموكسيكو" تؤكد أن الترجمة التى يُنظر إليها تقليدياً بصفتها واقفة فى علاقة مجازية مع نصٍ مصدر، تحوز أيضاً

سمات متونيمية (metonymy = استخدام اسم للدلالة على اسم آخر يرتبط به بعض الارتباط، مثال: الصولجان/الحكم. المترجم.) مهمة: "بالنسبة لجمهور المتلقين تبنى الترجمة "ميتونيميًا" نصًا مصدر وتقاليد أدبية وثقافة بل وشعبًا، وذلك عن طريق التقاط أجزاء وملامح وصفات كى تُمثل كليات" (١٩٩٩ب: ٥٧). وترى "تيموكسيكو" أن هذه السمات "الميتونيمية"، إذا ما انضفرت مع مفهوم "أندريه لوفيفر" للترجمة كـ "إعادة كتابة"، فإنها تخلق مشكلة ضخمة فى ترجمة الآداب غير المعتمدة أو المهمشة (١٩٩٩: ٤٧). وبينما نجد أن النص فى ثقافة مهمشة يشكل للمتلقين الأصليين إعادة حكى أو إعادة كتابة لمواد سابقة الوجود، إلاً أن هذا النص عندما يُترجم فإنه لا يكون هنا لا إعادة حكى ولا إعادة كتابة بالنسبة لجمهور المتلقين. وعندئذٍ يجد المترجم نفسه فى موقف ينطوى على مفارقة "أن يحكى قصة جديدة" للمتلقين... وكلما كانت الثقافة والأدب – المصدران بعيدين، كلما كانت القصة الجديدة أكثر جذرية بالنسبة لجمهور المتلقين" (المرجع السابق).

يُعد الباحثون الذين يكتبون بحوثهم باللغات السائدة ولجمهور "عالمى" فى عداد "المترجمين" بلا استثناء، فهم يترجمون موادهم – ومعظمها من ثقافتهم الأصلية الخاصة – إلى الأمشاق وأنواع الخطاب السائدة للدراسات الترجمية. وفى سبيل تسويغ النتائج التى يتوصلون إليها تراهم يحتاجون إلى "تسييق (= إدراج فى سياق) الترجمات التى يتحدثون عنها، وكلما كان هذا السياق غير معروفٍ بالنسبة لجمهور المتلقين "العالمى"، كلما كانت القصص التى يحكونها "أجدد". وليس فى طوع الباحثين الذين ينتمون إلى أصل – طرفى أن يتحمَّلوا إيراد أى معلومة سياسية أو اجتماعية أو أدبية أو تاريخية معينة فى صورة ضمنية فى شغلهم، نظرًا لأنهم لا يستطيعون افتراض مثل ذلك الاطلاع الواسع من جانب جمهورهم – مع أن اطلاعًا واسعًا من نفس ذلك النوع على ممارسات وتقاليد الترجمة المركزية يكون – فى الغالب – متوقعًا من جانبهم. وبناء عليه فالبحث فى الأنساق الطرفية يكون – فى الغالب – مملوءًا "حتى الزرار" بمعلوماتٍ عن الخلفية الثقافية، وهو الأمر الذى لا يكون ضروريًا بأى حال، إلى ذلك الحد مع البحث فى الأنساق المركزية، ولقد أشارت "تيموكسيكو"، فى مقالٍ سابق

إلى ظاهرة مشابهة فى الكتابات البعد – استعمارية باعتبارها "تحميلاً جبهوياً" front-loading (١٩٩٩ أ : ٢٩) وفى الكتابة الأكاديمية – أيضًا – أود أن أقول، إن معظم وقت وطاقة الباحثين الذين ينتمون إلى الطرف يذهب إلى مثل هذا "التحميل الجبهوى".

وبالمفارقة – بطريقة مشابهة للترجمة الأدبية البين – لغوية والكتابة البعد – استعمارية – نجد أن باحثى "الطرف" مضطرون إلى تبسيط موادهم. وتلاحظ "تيموكسيكو" أن المسافة كلما اتسعت بين الثقافة – المصدر للمؤلف أو المترجم وبين الثقافة المستقبلة التى يستهدفها العمل رهن الحديث، كلما كان الدافع إلى التبسيط أكبر. وذلك لأن المؤلف/المترجم الذى ينتمى إلى الطرف، سوف يشعر فى محاولته عبور الفجوة الثقافية، بالحاجة إلى أن يكون انتقائيًا إلى حدٍ عالٍ لا يلتقط إلاَّ بعض السمات "كى ينقل ويؤكِّد، وخصوصًا إذا كان الجمهور المقصود يضم كمكوِّن ملحوظ الحجم قراء عالميين أو ممن ينتمون إلى الثقافة السائدة" (١٩٩٩ أ: ٢٣–٤)

وبناء عليه فالباحثون الذين ينتمون لـ "الطرف" يترجمون باستمرار ويعملون على جعل موادهم أقرب منالاً لـ "القراء الدوليين أو قراء الثقافة – السائدة" داخل الدراسات الترجمية. والحقيقة أنهم مضطرون لترجمة "موادهم الخام" إلى اللغات السائدة التى يكتبون بها، مثلما هو الحال مع ترجمة الاقتباسات والمفاهيم والجدالات والأمثلة وعناوين الكتب إلخ. والباحثون من الطرف لا يكتبون بلغتهم الأم، وأحيانًا حتى وهم يُجرون بحوثهم فى بلدانهم الأصلية. فالمعايير، سواء فى مؤسسات الطرف أو مؤسسات المركز لقبول الانضمام إلى العالم "الحديث" للدراسات الترجمية بل ودنيا الأكاديميين بأسرها متشابهة إلى حدٍ كبير. وفى غالب الأحيان نجد أن الباحثين بحاجة ماسة لتحقيق اعترافٍ دولى أول الأمر حتى فى سبيل التوظُّف عقب عودتهم إلى بلدانهم الأم. ومعنى ذلك فى الواقع العملى أنهم مضطرون إلى الكتابة باللغات السائدة.

تُعد مواد البحث فى الدراسات الترجمية متعددة اللغات بالضرورة، ولكن المعرفة عن هذه المواد تنتج أكثر فأكثر وتُخزَّن فقط باللغة الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية (قارن "أحمد" Ahmad1992: 245-252) ونجد على وجه الخصوص أن الوضع الراهن

اللغة الإنجليزية بصفتها "اللغة المشتركة" Lingua Franca المسيطرة فى العالم الأكاديمى يخلق توقعاتٍ عند القارئ بنظرية "عالمية" أو "عمومية"، وأولئك الذين يقومون ببحوثهم فى لغاتٍ "أقل شيوعًا" لا يستفيدون فى الغالب من وسائل الاتصال التى يركِّز عليها النسق ذاته: نصوص البحوث الترجمية ليس بين أولويات المترجمين الذين يكوِّنون فى البحث عن وسيلة لكسب قوتهم، ولا يكاد الباحثون فى ميدان الترجمة أنفسهم أن يحفلوا بترجمة بحوث بعضهم البعض الآخر. وهذا يقود - فى الغالب - إلى عزلة التنظير "الطرفى"، كما هو الأمر مع حالة، على سبيل المثال - نظريات أوروبا الشرقية وروسيا (انظر على سبيل الثال "يانيس" Jönis 2000 ، "زلاتيفا" Zlateva 2000 انظر أيضًا "منظورات" Perspectives 5 : 1، ١٩٩٧) [٢]

٦ - غير - غربي = طرفي = بعد - استعماري ؟

يعدد "أندرو تشيسترمان" Andrew Chesterman أهداف البحث التجريبى على النحو التالى: [٣]

(أ) أن يوفِّر مواد جديدة (حقائق/جسمورات/دراسات حالة أى معطيات، نستطيع أن نختبر عن طريقها فرضيات قائمة.

(ب) أن يطبِّق ويختبر صحة فرضياتٍ موجودة "فى سبيل بناء تسويغٍ مزيدٍ أو نقد جديد لها".

(ج) أن يقترح فكرة جديدة أو أداة مفاهيمية جديدة أو فرضية جديدة، من أجل "توفير طريقة أحسن لتوصيف أو تفسير معطياتٍ موجودة".

(د) أن يقترح منهجية بحثية جديدة أو أداة جديدة أى طريقة لاختبار(أو توليد) فرضية".

(هـ) أن يقترح نظرية جديدة أو صياغة أحسن لنظرية موجودة" ("تشيسترمان" ٢٠٠٠ : ١١).

وبوسعى أن أحتج بأن الباحث "الطرفى"، فى ظل القيود التى نوقشت أعلاه والوضع الراهن فى الدراسات الترجمية، يُتوقَّع منه - عادة - ألاَّ يحفل إلا بالهدفين الأولين من أهداف البحث التجريبى. أما الأهداف الثلاثة الأخيرة فبوسع الباحثين "الطرفيين" ألاَّ يحفلوا بها إلاَّ بصورة أقل تواتراً، طالما يشتغلون داخل الأمشاق السائدة للدراسات الترجمية.

ولكن هذا لا يعنى بالمرة أن "الطرف" لا يقترح نظرياتٍ أو منهجياتٍ أو أدواتٍ مفاهيمية جديدة. على العكس، فهناك فى الوقت الحاضر شغل هائل يجرى حاليًا فى "الطرف" فيما يتعلَّق بالتنظير الترجمى. ومع ذلك فعندما تتمتع هذه الأعمال بالنشر تحت رعاية المؤسسات الدولية، فإن ميلاً يلاحقها فى سبيل رؤيتها وقد انتمت إلى إطار "بعد - استعمارى"، أن تصنَّف تحت عنوان "الدراسات الترجمية بعد - الاستعمارية"، التى لا تزال تحتل حتى الآن موقعًا هامشيًا داخل النسق ككل. (٤) وفى بعض الحالات يرجع ذلك بصفة جزئية إلى الاهتمامات البحثية للباحثين أنفسهم. وفضلاً عن ذلك فإنهم عندما يكتبون عن الترجمة، فإن أعمالهم تظل خاضعة للعلاقات اللامتوازنة بين لغاتهم وثقافاتهم وبين تلك التى تحوزها لغات وثقافات "المركز". ومع ذلك فهذا التصنيف قد يكون راجعًا إلى توقعٍ معيَّن بأن التجديد أو الهدم فى الدراسات الترجمية اليوم لا يملك أن يأتى إلا من النزعة البعد-استعمارية لسببٍ محددٍ يتمثَّل فى أن وضعها لا يزال هامشيًا نوعًا ما داخل النسق، بالمقارنة مع "مركزيتها" أو وضعها "المركزى" - الذى قد يكون بالفعل مترديًا - فى ميادين بحثية أخرى مثل النظرية الأدبية.

ما هى بالتحديد تلك الصفة أو الصفات التى تجعل نهجًا ما أو جزءًا من بحث فى الدراسات الترجمية يندرج فى "البعد - استعمارى"؟ ترى هل يكمن المعيار الأكثر بروزًا فى الالتزام السياسى أم التوجُّه السياسى؟ ما هى المرجعيات المستخدمة فى ذلك؟ هل كلماتٌ رئيسية أو كلمات/مفاتيح معينة" ؟ أم أن العوامل الحاسمة كامنة فى هوية الباحث مثل بلده الأصلى أو بلد التبنى (بالهجرة مثلاً) أو اللغة الأم أو اللغة الأولى (و ليس اللغة التى أجرى بها البحث) و/أو أصل المواد التى خضعت للدرس؟

حقيقة الأمر أن نقاد الثقافة والأدب وجدوا من الصعب عليهم إلى أعلى درجة تعريف "ما يشكِّل منهجية النظرية البعد - استعمارية و"هدف الدرس" الذى تضعه نُصب عينيها ("مونجيا"(Mongia 1996: 2) وفى الدراسات الترجمية أيضًا سرعان ما تُدرَج (بفتح الراء) النهوج والممارسات المتعددة التى تُنتج عن "الطرف" تحت مصطلح "البعد - استعمارى". وعلى نفس النول أو المنوال ما الذى يشكِّل نهجًا "غير - غربى" فى الترجمة؟ هل هو، عودًا على بدء - هوية الباحث حتى ولو كان هذا الباحث يستخدم بصفة أساسية نماذج "مركزية" للتطبيق على معطياتٍ "طرفية"؟ أم أن هذا العنوان الشامل يلزم لصقه على أى موضوع يتصل بصورة أو أخرى بالثقافات واللغات "الطرفية"؟

ينبغى للمرء أن يلزم جانب التدقيق فى وضع هذه التفريقات والأهم من ذلك بما لا يُقاس ينبغى ألاَّ يغيب عن باله بالمرة أن أولئك الباحثين "الطرفيين" الذين يستطيعون - فضلاً عن ذلك - إسماع آرائهم - إلى حدٍ ما على الأقل - هم الذين يكتبون باللغات السائدة والأفضل، أولئك الذين يتمكنون من نشر أعمالهم خلال دور نشر ذائعة الصيت، كما هى الحال مع الكاتب(ة) الحالى(ة) بالنسبة لهذه الورقة على وجه الخصوص فى هذا الكتاب بشكلٍ خاص. أما الباحثون الآخرون الذين يكتبون بصفة رئيسية بلغاتهم الأصلية وداخل بلدانهم الأصلية فمصيرهم ألا يستطيعون إسماع أصواتهم إلاَّ لجمهورهم المحلى ليس إلاَّ، بصرف النظر عما يمكن أن يكون عليه عملهم من النفع والأهمية بالنسبة لبقية العالم. وهذه نقطة تستحق إعادة التأكيد طالما - وكما لاحظت "جاياترى سبيفاك" - أن "نصف - الأجنبى - الشتيت" يقف (فى الغالب) ممثِّلاً للمخبر المحلى أو القومى" (١٩٩٩: ١٦٩) (٥)

بدأت الأعمال فى الترجمات الإنجليزية غير المهمة فى الغالب أو الأعمال المكتوبة باللغة الإنجليزية أو اللغات الأوروبية فى المناطق التى خرجت فى الآونة الأخيرة من دائرة الدول المستعمرة (بفتح الميم) على نطاق العالم أو يكتبها أناسٌ ممن يسمَّون "من ذوى أصول عرقية" فى فضاء العالم الأول، تشكِّل ما يطلق عليه "أدب العالم الثالث".

وداخل هذه المنطقة من التعليم الثلاثى فى الأدب، يمكن للهامش السابق الذى يتحرك صاعداً إلى أعلى - فى سعيه المشروع للفوز بالاعتماد - أن يساعد فى تسليع com-modify الهامشية. ("سبيفاك" ١٩٩٩: ١٧٠) (٦)

وفى أسلوب مفعم بالفوضى على نفس النحو، نجد أن مصطلح "البعد - استعمارى يجرى استخدامه بصورة أكثر فوضوية قليلاً فى الدراسات الترجمية اليوم. وكما أشارت بصدق "ماريا "تيموكسيكو" هناك سوء فهم للبعد - استعمارية بصفتها مقولة أونطولوجية ontological (نسبة لعلم الأونطولوجيا الذى يدرس الوجود من حيث الخصائص الأساسية للوجود الواقعى ، ويُعد هذا العلم مرادفاً للميتافزيقيا، أو الفلسفة الأولى كما حددها "أرسطو"، لكنه لا يشمل مثلهما درس نشأة الكون أو السيكولوجيا (المترجم) أكثر من كونها كدية مركّبة من الظروف التى تستجيب لشروطٍ تاريخية محددة ترتبط بالعصر الأوروبى من الاكتشاف والتوسع والإمبريالية" (٢٠٠٠: ٣٢). ولما كانت النظرية البعد - استعمارية "تُعد فى الوقت الحاضر واحدة من النُّهوج النظرية القليلة القابلة للتطبيق التى تستطيع بصورة مباشرة معالجة المشاكل والتغيرات الجيو-سياسية للسلطة التى سيطرت على القرن العشرين"، كما تُعد أيضاً واحدة من الخطابات القليلة التى تنتمى للسلطة التى دعّمت نفسها منذ خرجت الماركسية من دائرة التعاطف ولاقت الإهمال على نطاقٍ واسعٍ فى الدوائر الأكاديمية" (المرجع السابق) فإنها تبدو وكأنها الاختيار الوحيد الذى بقى فى أيدينا إذا ما رغب المرء فى مناقشة مسائل السلطة، ومع ذلك ترى "تيموكسيكو":

أننا نقدِّم لميدان الدراسات الترجمية ... أفضل خدمة بوضع قضايا السلطة فى سياقاتها المكانية - الزمنية الخاصة، مع الالتفات إلى الاختلافات إلى جانب التشابهات... وبناء عليه يكون من المهم أن نميِّز بين الصراعات التى تنتمى للسلطة الملازمة لأولئك الذين خضعوا للاستعمار بحد ذاته per se وبين الصراعات التى تتصل بأولئك الذين يعانون من الاضطهاد لأسبابٍ أخرى، تماماً مثلما هو من الأهمية إلى أبعد حدٍ فى الدراسات البعد - استعمارية أن نفرِّق بين التجليات الخاصة للاستعمار

الذى جربته الشعوب العديدة التى خضعت للاستعمار. وفى سبيل أن نخطو هذه الخطوة، سوف يكون مما يقدم يد العون لنا - مع ذلك - أن نتوصل إلى تنظير تفصيلى للسلطة فى اتصالها بالترجمة. (٢٠٠: ٣٢-٣٣)

ويوسع مثل هذا "التنظير التفصيلى للسلطة" - بكل تأكيد - أن يكون فعالاً عندما يأتى الأمر إلى فحص علاقات السلطة الموجودة فى النسق نفسه.

٧ - ختام

أرى أنه فى الوقت الذى يستطيع فيه المرء بل ويجب عليه أن ينظر إلى اتساع نطاق الدراسات الترجمية كى يشمل المواد غير - المعتمدة وغير - الأوروبية كخطوة كبرى إلى الأمام، فلفت النظر إلى مثل هذه المواد ليس كافياً لتأسيس دراساتٍ ترجميةٍ "متعددة اللغات" و"عالمية" حقيقية، فالأهم من ذلك هو نلم بالـ "تفكير" فى "الطرف" عن الممارسات الترجمية، وليس لمجرد مقارنتها بالنظريات السائدة كى نتوصل إلى أنها ناقصة، بل وليس كافياً هو الآخر أن نقدم تجارب الأنساق "الطرفية" بصفتها مصادر قيمة للحلول التى تتطلبها المشاكل التى تتفجر داخل الأنساق "السائدة، ومن هنا تكتسب جدارة الانتباه إليها. (٧)

وهذا لا يعنى بالضرورة أنه ينبغى علينا أن نكافح فى سبيل توزيعٍ "ديمقراطى" أكبر للنماذج والتأثيرات البحثية، فالدراسات الترجمية تعد أحد الأنساق التى تتمتع على الأقل بطاقة كامنة لمزيدٍ من التفاعل والقبول المتبادل بين الثقافات والآراء الأقل "مركزية - عرقية" والروح العلمية الأكثر انفتاحاً. وعلاوة على ذلك ، فلما كانت لا تزال نسقاً فتياً بصورة نسبية فلربما لا يزال يتمتع بتلك المرونة التى تسبق التكلس فى مصطلحات المصادر التى تمده بالأدوات والنظريات والمعطيات، وإذا ارتأينا ضرورة التحرك خارج الهيكل الذى وصفه "يوهان جلتونج" أعلاه، لكان من المتعين على الباحثين أن ينقطعوا لبعض الوقت عن جمع - المعطيات ويركزوا على ما يجرى وما جرى من

بحوث في اللغات والثقافات "الطرفية" في ضوء النظرية الترجمية. وإذا واصلنا النظر إلى النظرية بصفتها نسقًا يورِّده "المركز" بصورة دائمة كي يستهلكه "الطرف"، فلن يكون بوسع النظريات الترجمية أن تواجه تحديًا جديًا بمجرَّد اختبار صحتها بتطبيقها على معطيات يوفِّرها "الطرف".

مثل هذا التحوُّل في المواقف سوف يحتاج إلى أن يعيد كل منا النظر بدوره فيما يعنيه مصطلح "نظرية"، ومم تتكوَّن، إذ بوسع التنظير - إن لم نقل النظرية - أن يوجد في العديد من الأشكال والسياقات. وبطوع المرء أن ينظِّر دون الحاجة إلى "الأشكال الغربية للمنطق المجرد"، وذلك خلال تجنب "العبارات القاطعة" والعزوف حتى عن محاولة إنتاج نظرية ضخمة و"شاملة" ("كريستيان"Christian 1996) . فالنظرية لا تزيد عن كونها فهمٌ وتفسيرٌ وليست مجرد "شيء قائم هناك وراسخ" ("جيلهام"٢٠٠٠: ١٢). والتنظير للترجمة ليس شيئًا "جديدًا" على "الطرف"، حيث ظل التترجيم جاريًا على قدمٍ وساق طوال قرون، دون أن يخلو الأمر من أن يصاحبه تعليقاتٌ ونصوص - بعدية metatexts أخرى، ولو أن مثل هذا التنظير لا يدَّعي تفسير الترجمة في عموميتها - بطبيعة الحال - فمهمة من هذا النوع لا تقع ضمن اهتماماته، بل ولا يدَّعي بالضرورة تماسكًا أو قابلية عامة للتطبيق، وهو الأمر الذى كان ليجعل منه مرشَّحًا مقبولاً للإدراج في مقررات الجامعة في سائر أرجاء العالم - على سبيل المثال - ومع ذلك فليس معنى هذا القول أن مثل هذا التنظير يمكن أن يكون خاليًا من استبصارات (= نظرات ثاقبة) فما أهدف إليه ليس "نظرية جامعة - كلية"، بل ربما يكون فهمًا مختلفًا لـ "نظرية"، أو طريقة أخرى مختلفة للتفكير لن يكون من السهل عليها اتخاذ موقع الهيمنة.

ولأختم حديثي هنا بالعودة إلى قضية جمهور المتلقين. فلقد أصبح اليوم اتخاذ المرء لنفسه وضعًا خاصًا ومسألة جمهور المتلقين الذين يقصدهم بعمله يُطرحان - في الغالب - كقضيتين من القضايا الكبرى التي تدخل في ميادين مختلفة للبحث، فلقد أخذ نقاد الأدب يتساءلون عن أولئك الذى يكتبون لهم نقدهم، ومن الذى يقصده الكاتب البعد - استعماري بكتاباته؟ هل للمستعمر (بكسر الميم) أو للمستعمر

(بفتح الميم) أو لجمهور عالمى من المتلقين؟ ولمن يترجم المترجم؟ ولمن نتوجه نحن كباحثين فى ميدان الترجمة ببحوثنا؟ هل ينبغى لنا أن نمد الوهم المستديم بأننا فى مسعانا وراء "الحكمة والمعرفة الخالصتين" نقدم جميعاً مساهمات متساوية فى سبيل هدف مشترك، وهو تقدم الدراسات الترجمية كنسق بحثى أو علمى؟ أو أننا سوف نستفيد من التفكير بصورة أعمق نقداً فى مناهجنا التى نشتغل وفقًا لها ذاتها وعلاقاتنا نفسها بالنظريات والنماذج والأدوات والمواد التى نستخدمها ونطورها؟

الهوامش

(١) لا تنطوى علاقة الاستيراد/التصدير الأحادية الاتجاه إلى حدٍ كبيرٍ هذه، بالضرورة على سلبية من جانب "الطرف". فالنظرية الترجمية، على سبيل المثال لا يمكن ولا تستطيع الإفلات من الحظوظ المشتركة التى تصادف مثيلاتها من "النظريات المرتحلة" travelling theories (انظر على سبيل المثال "سعيد" Said 1983، "ميلر" Miller 1996) . وعلى نحو ما يحدث فى معظم عمليات النقل والارتحال الأخرى، فإن النظريات والنماذج المستوردة تتعرض للتغير والتبدُّل عند وخلال وصولها إلى وجهاتها. وبالتالى يغدو من المهم أن (نتجنب النزعة الاختزالية عن طريق الاعتراف بأن ما يحدث فى "الطرف" ليس محكوماً على صورة لا نقض فيها ولا إبرام بـ"المركز") ("فيليبسون" Philipson 1993: 63) .

(٢) مع أن "هولمز" كان قد أشار بالفعل فى كتابه "مستقبل نظرية الترجمة: حفنة من الرسائل العلمية" (١٩٧٨) إلى ضرورة بدء الشغل على نظرية الترجمة فى الاتحاد السوفييتى (١٩٨٨: ١٠٢) فإن العقدين من الزمن اللذين مضيا لم يشهدا سوى تقدم بطيء فى هذا الصدد.

(٣) مع أن البحث التجريبى ليس بكل تأكيد النوع الوحيد للبحث الذى ينهض به الباحثون الترجميون، إلاَّ أنه أحد البحوث الذى نؤكد عليه هنا نتيجة للجهود المنهجية الرامية لإثبات منزلته بين الدراسات العلمية.

(٤) يعد المقال الذى كتبه "فيناى دارووبكر" (١٩٩٨) عن نظرية "إيه. كى. رامانويان" A.K.Ramanujan وأدائه فى ميدان الترجمة حالة ينطبق عليها ما قلناه.

(٥) يتمثَّل هدف "سبيفاك" فى كتابها أن "تقتفى أثر شخصية المخبر المحلى" native informant (شخص يستأجره الباحث الأجنبى من المواطنين المحليين كى يؤدى له أعمالاً ثانوية تتصل ببحثه كترجمة وتفسير وجمع كوامن وشوارد وشواذ المواد التى يشتغل عليها. المترجم) خلال الفلسفة والأدب والتاريخ والثقافة (١٩٩٩: ix) . ومع ذلك فهذا الاقتفاء يكشف أول الأمر عن مواطن من المستعمرين (بفتح الميم) يفصل نفسه عن "المخبر المحلى أو القومى" ثم عن مواطنٍ معيَّن من بين هؤلاء المواطنين أنفسهم ولكنه ينتمى للمرحلة البعد – استعمارية،... وهو الأمر الذى يعيد تشفير المواطن الاستعمارى ويختلس وضع المخبر المحلى" (المرجع السابق) وتلاحظ "سبيفاك" أن "المخبر المحلى" هو شخصية، فى الإثنوجرافيا لا يستطيع سوى توفير معطياتٍ كى يترجمها المواطن الواسع الاطلاع للقراءة" (١٩٩٩: ٤٩) وفى سبيل الأهداف التى تتوخاها مجادلاتى فإننى بطبيعة الحال أتبنى مفهوم "سبيفاك" لـ "المخبر المحلى"، وعلى نحو ما أشارت – بصدق – فإن أولئك الذين واتاهم حظٌ كافٍ كى يكتبوا ويشتغلوا على بحوثهم وينشروا، إلخ ينتمون إلى "المركز" فى بلدانهم الأصلية وبالتالى ليسوا "مخبرين محليين" بالمعنى الدقيق للعبارة، ومع ذلك فأنا أجد التناظر جديراً بالتتبع.

(٦) تلاحظ "سبيفاك" بنبرة تهكمية: "يُضفى الراديكالى المسيطر على المقيم المحظوظ فى فضاءٍ بعد - استعمارى فى الغالب وضع - المواطن بصفته آخَر جيو - سياسى. (وهذا ما يصطدم به المرء الصدمة الأكبر عندما يخطط لـ أو يشارك فى مؤتمرات دولية) (١٩٩٩ك ٣٣٩)

(٧) على سبيل المثال يلاحظ "مايكل كرونين": من المهم أن نركز على الدينامية العلاقاتية للغات الأقليات ولو لم يكن ذلك إلاّ لمجرَّد إبراز أهمية لغات الأقليات تلك للنظرية والممارسة الترجمية، وهذه الأهمية تتصل بثلاثة عوامل، الأول: اللغات والظروف السياسية تتغيَّر، ووضع الأغلبية بالنسبة لأى لغة مرهونٌ بقوى ثقافية واقتصادية وسياسية، وهى قوى نادراً ما تقف جامدة أو إستاتيكية وبالتالى فإن كل اللغات لغات أقليات على وجه الاحتمال، وينتج عن ذلك أن التجربة التاريخية للغة أقلية تستطيع أن توفِّر استبصاراتٍ فى المصير الذى ستؤول إليه الترجمة إذا ما تغيَّرت السياقات" (١٩٩٥: ٨٧-٨٨) وفى موضعٍ آخر يقول: قضية الترجمة ولغات الأقليات ليست اهتماماً مقصوراً على "الطرف" لهواةٍ محاصرين من شعوبٍ غريبة تغمغم بألسنة غير مفهومة، ولكنها القضية الفرد التى تحوز أقصى درجة من الأهمية فى الدراسات الترجمية اليوم. ولا تعنى هيمنة اللغة الإنجليزية فى أسرع المناطق نمواً فى مجال التطور التكنولوجى، (التلى - إتصالات أو الاتصالات البعيدة telecommunications) فى هذا السياق، سوى أن كل اللغات الأخرى أصبحت لغات أقليات... ولكن هناك الكثير مما تستطيع اللغات الكبرى أن تتعلمه من لغات الأقليات. ولما كانت اللغة الإنجليزية تضع ضغوطاً على مستوى المفردات والنحويات syntax والذاكرة الثقافية، فإن اللغات السائدة تشرب الآن من نفس الكأس الذى ظلت لغات الأقليات تشرب منه لقرونٍ عديدة، ولسوف يكون من المفيد للغات السائدة أن تدرس استجابات لغات الأقليات للنزعة التدميجية assimilationist للضغوط فى ميدان الترجمة، وهذا بدوره يضع عبئاً على الدارسين الترجميين فى لغات الأقليات كى تصبح أى هذه اللغات أكثر بروزاً فى المساجلات الدائرة فى الدراسات الترجمية" (١٩٩٨: ١٥١).

معجم خاص Glossary

Field	ميدان
Domain	مجال
Type	نوع
Approach (es)	نهج (نهوج)
Model (-lled)	نموذج (نمذج)
Paradigm	مشق
Habitus	بيئة
crosscultural	عبر – ثقافى
Non-essentialist	لا – ماهوية
Metalanguages	ما – بعد – اللغات
Trajectory	سيرورة
subtext	شبه – نص
deployment	تخديم
Corpus Linguistics	لغويات جسمورى (علم)
Historiography	تاريخو – جرافيا
Checklist	قائمة تمحيص
Policitization	تسييس

Intracultural	ثقافى - داخلى
Humanities	إنسانيات
Sub-atomic	تحت - ذرى
Syntax	نحويات
Grammar	نحو
Idiom	كا - تعبير
Gender	جنوسة
Accessiblity	مدروكية
epistemological skepticism	شكية إبستمولوجية (= معرفية)
Sophistication	مصقولية
Translability	ترجومية
Poststructualism	نزعة ما - بعد - بنيوية
Prescription	توجيه
Corpus (Corpora)	جسمور (جسمورات)
Homophobia	رهاب الجنسية المثلية
Trans-individual	عابر - للفرد
Bowdlerization	تبدلير
Euphemism	تلطيف
Poeticizing	تشعير
Archaizing	تعتيق
Readability	مقروئية
Peritext	نص هامشى

Epitext	نص فوقى
Paratext	نص موازى
Pseudotranslation	ترجمة زائفة
Polysystem	تعدد – نسقى
Determinist	حتموى
Dualistic	ثنائى
intelligibility	مفهومية
Arbitrary	جزافى
Ultra-conservative	فائق – المحافظة
juxtaposing	تجوير
canonicity	معتمدية
intersubjectivel	بين – ذاتى
attitudinal ephithets	نعوت مواقفية
ideational	أفكارية
interpersonal	بين – شخصية
Structuralist Constructivism	تركيبية بنيوية
Translation Studies	دراسات ترجمية
Translating	تترجيم
Periodization	تمرحيل
Historicized subjectivity	ذاتية متترِّخة
Subjectified historicity	تتريخية متذيتة
Permeability	مسامية (مجازًا)

Contrastive analysis	تحليل تباينى
Exhaussement	إعلاء
Continuity	إتّصال
Discontinuity	إنقطاع
Aggregate	مجمول
Mathematical scheme	منظومة رياضية
normal science	علم معيارى
Moral élite	صفوة أخلاقية
Standardization	تقييس
Miniaturize	نمنم
Semiology	علم العلامات
Semiotics	مبحث العلامات
scatological	دنسى
Hierarchy	هرمية
Culture-specific	مفهوم ثقافىّ – الخصوصية
Assumption	افتراض
Hypothesis	فرضية
Pidginization	تهجين – لغوى – منخفض
Creolization	تهجين – لغوى – عالى
Interdisciplinary	بين – منهجى
Contextualization	تسييق
Dogmatism	عقائدية

Positionality	مواقفية
Phonocentrism	مركزية - صوتية
Directionality	اتجاهية
Assessment	تقييم
Calendar	تقويم
Fundamentalization	تأصيل
Ethnocentric	مركزية - عرقية
Internalize	جوّن (يجوّن)
Pluricentric	متعدد المركز
Essentialization	تجوهير
Relational	علاقاتى
Uniformitarianism	تماثل
Fundamentalization	تأصيل
Atomistic	تذريرى
commodify	سلّع

قائمة المراجع

الفصل الأول

References

Drake, Stillman (1980) *Galileo,* Oxford: Oxford University Press.
Encyclopedia Britannica (1974) 15th ed, Chicago: Helen Hemingway Benton.
Gorlée, Dinda (1994) *Semiotics and the Problem of Translation, with Special Reference to the Semiotics of Charles S. Peirce,* Amsterdam: Rodopi.
Hermans, Theo (1999) *Translation in Systems: Descriptive and Systemic Approaches Explained,* Manchester: St. Jerome.
Kuhn, Thomas (1962) *The Structure of Scientific Revolutions,* Chicago: University of Chicago Press.

Tymoczko: Connecting the Two Infinite Orders

in Two Worlds', in Susan Bassnett and André Lefevere (eds) *Translation, History and Culture,* London: Pinter, 56-63.
----- (1995) 'Translation as Manipulation: The Power of Images and Images of Power', in Anuradha Dingwaney and Carol Maier (eds) *Between Languages and Cultures: Translation and Cross-cultural Texts,* Pittsburgh: University of Pittsburgh Press, 159-74.
Toury, Gideon (1980) *In Search of a Theory of Translation,* Tel Aviv: Porter Institute for Poetics and Semiotics.
----- (1982) 'A Rationale for Descriptive Translation Studies', *Dispositio* 7 (special issue *The Art and Science of Translation,* ed. André Lefevere and Kenneth David Jackson), 22-39.
Tymoczko, Maria (1999) *Translation in a Postcolonial Context: Early Irish Literature in English Translation,* Manchester: St. Jerome.

Baker, Mona (1993) 'Corpus Linguistics and Translation studies. Implications and Applications', in Mona Baker, Gill Francis and Elena Tognini Bonelli (eds) *Text and Technology: In Honour of John Sinclair*, Amsterdam & Philadelphia: John Benjamins, 233-50.
----- (1996) 'Corpus-based Translation Studies: the Challenges that Lie Ahead', in Harold Somers (ed) *Terminology, LSP and Translation*, Amsterdam & Philadelphia: John Benjamins, 175-86.
----- (1998) 'Translation Studies' in Mona Baker (ed) *Routledge Encyclopedia of Translation Studies*, London & New York: Routledge, 277-80.
Bassnett, Susan (1991) *Translation Studies*, London & New York: Routledge.
Cameron, Deborah (1995) *Verbal Hygiene*, London & New York: Routledge.
Crisafulli, Edoardo (1996) 'Dante's Puns in English and the Question of Compensation', *The Translator* 2(2): 259-76.
----- (1997) 'Taboo Language in Translation', *Perspectives* 5(2): 237-56.
----- (1999) 'The Translator as Textual Critic and the Potential of Transparent Discourse', *The Translator* 5(1): 83-107.
----- (2000) '*The Divine Comedy*', in Olive Classe (ed) *Encyclopedia of Literary Translation into English*, London: Fitzroy Dearborn, 339-44.
Delabastita, Dirk (1991) 'A False Opposition in Translation Studies: Theoretical versus/ and Historical Approaches', *Target* 3(2): 137-52.
----- (1994) 'Focus on the Pun: Wordplay as a Special Problem in Translation Studies', *Target* 6(2): 223-43.
Gentzler, Edwin (1993) *Contemporary Translation Studies*, London & New York: Routledge
Haack, Susan (1993) *Evidence and Inquiry*, Oxford: Blackwell.
Harvey, Keith (1995) 'A Descriptive Framework for Compensation', *The Translator* 1(1): 65-86.
Hermans, Theo (1985) 'Introduction. Translation Studies and a New Paradigm', in Theo Hermans (ed) *The Manipulation of Literature. Studies in Literary Translation*, London & Sydney: Croom Helm, 7-15.
----- (1995) 'Toury's Empiricism Version One', *The Translator* 1(2): 215-23.
----- (1999) *Translation in Systems*, Manchester: St. Jerome.
Holmes, James (1988) *Translated! Papers on Literary Translation and Translation Studies*, Amsterdam: Rodopi.
Lambert, José (1991) 'Shifts, Oppositions and Goals in Translation Studies: Towards a Genealogy of Concepts', in Kitty M. van Leuven-Zwart and Ton Naaijkens (eds)

Translation Studies: The State of the Art, Amsterdam & Atlanta: Rodopi, 25-37.
Lefevere, André (1992) *Translation, Rewriting and the Manipulation of Literary Fame*, London & New York: Routledge.
Milroy, J. (1992) *Language, Variation and Change*, Oxford: Blackwell.

Crisafulli: The Quest for an Eclectic Methodology

Pym, Anthony (1998) *Method in Translation History*, Manchester: St. Jerome.
Taylor, Talbot J. (1990) 'Which is to be Master? The Institutionalization of Authority in the Science of Language', in John E. Joseph and Talbot J. Taylor (eds) *Ideologies of Language*, London & New York: Routledge, 9-26.
Toury, Gideon (1995) *Descriptive Translation Studies and Beyond*, Amsterdam & Philadelphia: John Benjamins.
Venuti, Lawrence (1995) *The Translator's Invisibility*, London & New York: Routledge.
----- (1998) *The Scandals of Translation*, London & New York: Routledge.

الفصل الثالث

Benjamin, Walter (1968) 'The Task of the Translator' [1923], in *Illuminations*, trans. Harry Zohn, London: Jonathan Cape, 69-82.
Bogenç Demirel, Emine and Hülya Yılmaz (1998) Tercüme Dergisinde Çeviri Eleştirisi' (Translation Criticism at the Tercüme Journal), *Çeviribilim ve Uygulamaları* (Translation Studies and Its Applications), December 1998, Ankara: Hacettepe Üniversitesi, 93-106.
Conan Doyle, Arthur (1981) 'His Last Bow', in *The Penguin Complete Sherlock Holmes*, London: Penguin Books.
Denizaltının Planı (1944) Istanbul: Güven Yayınevi.
Genette, Gerard (1997) *Paratexts: Thresholds of Interpretation*, trans. Jane E. Lewin, Cambridge: Cambridge University Press.
Hermans, Theo (1999) *Translation in Systems*, Manchester: St. Jerome.
İnönü, İsmet (1941) Preface to translations by the Translation Bureau.
Kovala, Urpo (1996) 'Translations, Paratextual Mediation and Ideological Closure', *Target* 8(1): 119-47.
Lefevere, André (1992) *Translation, Rewriting and the Manipulation of Literary Fame*, London & New York: Routledge.
Mann, Thomas (1945) *Tonio Kröger*, trans. Mehmet Karasan, Ankara: Milli Eğitim Basımevi.

Niranjana, Tejaswini (1992) *Siting Translation: History, Post-Structuralism and the Colonial Context*, Berkeley: University of California Press.
Pym, Anthony (1998) *Method in Translation History*, Manchester: St. Jerome.
Roberts, Thomas J. (1990) *Aesthetics of Junk Fiction*, Athens: University of Georgia Press.
Stevenson, R.L. (1944) *Dr. Jekyll ile Mr. Hyde*, trans. Zarife Laçiner, Ankara: Milli Eğitim Basımevi.
Stoker, Bram (1940). *Drakyola, Kan İçen Adam*, trans. Selami Münir Yurdatap, Istanbul: Güven Basimevi.
Swift, Jonathan (1946) *Gulliver'in Seyahatleri I-II*, trans. İrfan Şahinbaş, Ankara: Milli Eğitim Basimevi.
Toury, Gideon (1995) *Descriptive Translation Studies and Beyond*, Amsterdam: John Benjamins.
Yücel, Hasan Âli (1940) 'Önsöz' (Preface), *Tercüme*, No. 1, May 1940, 1-2.
----- (1941) First Preface to translations by the Translation Bureau.
----- (1944) Second Preface to translations by the Translation Bureau.
Yurdatap, Selami Münir (1943) *Baytekin ile Tarzan*, Istanbul: Güven Basımevi.

helping his monolingual and chauvinistic countrymen to realize that there were indeed civilized, perhaps even 'fitter', cultures and literatures in other parts of the world. Lawrence Venuti has suggested that the two translators were also guardians of the emperor but unexpectedly eroded the authority of imperial culture (1998: 189). He ought to have pointed out as well that these patriotic translators, especially Yan, had wished for a constitutional monarchy and other institutional reforms to reinvigorate China; they did not consider the time was ripe to overthrow the Qing Dynasty and replace it with a Republican government.

But history played tricks on the translators' political agendas. Their reformist translations unexpectedly contributed to the revolutionary ferment, a result they could not have envisaged in their wildest dreams. Lin and especially Yan's acculturating translations attracted a much wider audience than expected; ironically, they were most influential among the not so cultured younger generation whom Yan had scorned. Yan's appeal lay mainly in the imported innovative ideas and in his determined effort to relate them to local conditions. His translations affected the common intellectuals far more significantly than those in power. His work was among the factors leading to the overthrow of the monarchy in 1911 and helped to ignite the May Fourth national protest of 1919 which finally broke with the old institutions, literature and culture.

Chang, Nam Fung (1998) '*Yi "zhongshi" wei mubiaode yingyong fanyixue – Zhongguo yilun chuantong chutan* [An Applied Discipline Obsessed with 'Loyalty' – On the Chinese Tradition of Translation Studies]', *Journal of Translation Studies* 2: 29-41.

----- (ed) (2000) *Translation Quarterly* 15, Special Issue on Translation Studies in China: Past and Future.

Chau, Simon S. C. (1986) 'Fanyide zhunze yu mubiao [Standards and Goals of Translation]', *Zhongguo fanyi* [*Chinese Translators Journal*] 3: 46-50.

Chen, Fukang (1992) *Zhongguo yixue lilun shigao* [*A History of Chinese Translation Theory*], Shanghai: Waiyu jiaoyu chubenshe.

Chu, Chi Yu (2000) 'Lun "xin da ya" shuo zai Zhongguo chuantong fanyi lilun zhongde weizhi [The Place of 'xin-da-ya' in Chinese Translation History]', *Translation Quarterly* 15: 1-18.

Even-Zohar, Itamar (1990) *Polysystem Studies* [*Poetics Today* 11, 1], Durham: Duke University Press.

----- (1997) 'Factors and Dependencies in Culture: A Revised Draft for Polysystem Culture Research', *Canadian Review of Comparative Literature* 24(1): 15-34.

Hermans, Theo (1999) *Translation in Systems: Descriptive and Systemic Approaches Explained,* Manchester: St. Jerome.

Hu Shi (1979), '*Wushi nianlai Zhongguozhi wenxue* [Chinese Literature over the Past Fifty Years]', in *Hu Shi Wencun* [*Essays by Hu Shi*], 4 vols., Taipei: Yuandong tushu gongsi, II, 180-261, first published 1922.

Lambert, José (1997) 'Itamar Even-Zohar's Polysystem Studies: An Interdisciplinary Perspective on Culture Research', *Canadian Review of Comparative Literature* 24(1): 7-14.

Lefevere, André (1992) *Translation, Rewriting, and the Manipulation of Literary Fame*, London: Routledge.

----- (1999) 'Composing the Other', in Susan Bassnett and Harish Trivedi (eds) *Post-Colonial Translation,* London: Routledge, 75-94.

Liang, Qichao (1988) *Zhongguo fojiao yanjiu shi* [*History of Chinese Buddhist Studies*], Shanghai: Sanlian shudian, first published 1920-4.

----- (1990) '*Jieshao xinzhu "Yuanku"* [Introducing the New Translation of "Origin of Wealth"]', in Niu and Sun (eds), 266-8, first published 1902.

----- (1998) *Qingdai xueshu gailun* [*Introduction to Qing Scholarship*], Shanghai: Guji chubenshe, first published 1921.

Liu, Ching-chih (1981) *Fanyi lunji* [*Essays on Translation*], Hong Kong: Sanlian shudian.

Luo, Xinzhang (1984) *Fanyi lunji* [*An Anthology of Translation Theory*], Beijing:

Shangwu yingshu guan.
Ma, Zuyi (1984) *Zhongguo fanyi jianshi – wusi yiqian bufan* [*A Concise History of Translation in China: Before the May Fourth Movement*], Beijing: Duiwai fanyi chubenshe.
Niu, Yangshang, and Sun, Hongni (eds) (1990) *Yan Fu yanjiu ziliao* [*Research Materials on Yan Fu*], Fuzhou: Haixia wenyi chubenshe.
Qian Zhongshu (1979) '*Lin Shude fanyi* [Lin Shu's Translations]', in *Jiuwen Sibian* [*Four Old Essays*], Shanghai: Guji chubenshe, 62-95.
Schwartz, Benjamin (1964) *In Search of Wealth and Power: Yen Fu and the West*, Cambridge, Mass: Belknap Press.
Shen, Suru (1998) *Lun "xin da ya" – Yan Fu fanyi liluan yanjiu* [*On Xin, Da, Ya: Study on Yan Fu's Translation Theories*], Beijing: Shangwu yingshu guan.
Shuttleworth, Mark and Moira Cowie (1997) *Dictionary of Translation Studies*, Manchester: St. Jerome.
Toury, Gideon (1995) *Descriptive Translation Studies and Beyond*, Amsterdam: John Benjamins.
Venuti, Lawrence (1998) *The Scandals of Translation: Towards a Ethics of Difference*, London: Routledge.
Wang, Dongfeng (1999) '*Zhongguo yixue yanjiu: shiji mode sikao* [Chinese Translation Studies: Century-end Contemplation]', *Zhongguo fanyi* [*Chinese Translators Journal*] 1: 7-11, 2: 21-23.
Wang, Zuoliang (1982) '*Yan Fude Yongxin* [Yan Fu's Intentions]', in *Yan Fu yu Yanyi mingzhu* [*On Yan Fu and His Famous Translations*] (eds. *Shangwu yingshu guan bianji bu* [Commercial Press Editors], Beijing: Shangwu yingshu guan, 22-27.
Wong, Wang Chi (1997) '*Chongshi "xin da ya" – lun Yan Fu de fanyi lilun*' ['Xin, Da, Ya': On Yan Fu's Translation Theories], *Journal of Translation Studies* 1: 36-62.
Yan, Fu (1973) 'General Remarks on Translation' [in *Tianyanlun*, 1898], trans. C. Y. Hsu, *Renditions* 1: 4-6.
----- (1990) '*Yu Liang Rengong lun suoyi "Yuanku" shu* [Reply to Liang Qichao's Critique on the translation of "Origin of Wealth"]', in Niu and Sun (eds), 123-5; first published 1902.
----- (1998) *Tianyanlun* [*On Evolution*], Zhengzhou: Zhongzhou guji; first woodblock print 1898.

الفصل الخامس

Baker, Mona (1992) *In Other Words: A Coursebook on Translation*, London & New York: Routledge.

----- (1995) 'Corpora in Translation Studies: An Overview and Suggestions for Future Research', *Target* 7(2): 223-43.

Blum-Kulka, Shoshana (1986) 'Shifts of Cohesion and Coherence in Translation', in J. House and S. Blum-Kulka (eds) *Interlingual and Intercultural Communication*, Tübingen: Gunter Narr:,17-35.

Brown, M. (1994) *The Reception of Spanish American Fiction in West Germany 1981-91*, Tübingen: Niemeyer.

García Márquez, Gabriel (2000a) 'Náufrago en tierra firme', *El País* 19.3.2000: 6-7.

----- (2000b) 'Torn in the USA', *The Guardian Review* 25.3.2000: 1-2.

----- (2000c) 'Shipwrecked on dry land', *The New York Times* 29.3.2000: Op. Ed.

----- (2000d) 'Shipwreck on dry land', *Granma International Digital Edition*, 21.3.2000.

Halliday, M.A.K. (1978) *Language as Social Semiotic*, London & New York: Edward Arnold.

----- (1985, 2nd edition 1994) *An Introduction to Functional Grammar*, London: Edward Arnold.

Hatim, Basil and Ian Mason (1990) *Discourse and the Translator*, London & New York: Longman.

----- (1997) *The Translator as Communicator*, London & New York: Routledge.

Hermans, Theo (1995) 'Toury's Empiricism Version One', *The Translator* 1(2): 215-23.

Holmes, J.S. (1988) *Translated! Papers on Literary Translation and Translation Studies*, Amsterdam: Rodopi.

House, Juliane (1977) *A Model for Translation Quality Assessment*, Tübingen: Gunter Narr.

----- (1997) *Translation Quality Assessment: A Model Revisited*, Tübingen: Gunter Narr.

Jones, S. (1991) *Text and Context: Document Processing and Storage*, London: Springer.

Lambert, José and Hendrik van Gorp (1985) 'On Describing Translations', in T. Hermans (ed) *The Manipulation of Literature: Studies in Literary Translation*, London & Sydney: Croom Helm, 42-53.

Leuven-Zwart, Kitty van (1989) 'Translation and Original: Similarities and Dissimilarities, I', *Target* 1(2): 151-181.

----- (1990) 'Translation and Original: Similarities and Dissimilarities, II', *Target* 2(1): 69-95.

Munday, Jeremy (1997) *Systems in Translation*. Unpublished PhD thesis. University of Bradford.

Nord, Christiane (1991) *Text Analysis in Translation*, trans. C. Nord and P. Sparrow, Amsterdam: Rodopi, originally published 1988

Scott, M. (1999) *Wordsmith* (software), 3rd edition, Oxford: Oxford University Press.

Simpson, P. (1993) *Language, Ideology and Point of View*, London & New York: Routledge.

Sinclair, J.M. (1991) *Corpus, Concordance, Collocation*, Oxford: Oxford University Press.

Taylor, C. (1990) *Aspects of Language and Translation: Approaches for Italian-English Translation*, Udine: Camponette.

Toury, Gideon (1980) *In Search of a Theory of Translation*, Tel Aviv: Porter Institute.

----- (1995) *Descriptive Translation Studies and Beyond*, Amsterdam & Philadelphia: John Benjamins.

Vinay, J-P. and J. Darbelnet (1958/1977) *Stylistique comparée du français et de l'anglais. Méthode de traduction*, Paris: Didier.

الفصل السادس

Berman, Antoine (1986) 'L'essence platonicienne de la traduction', *Revue d'esthétique*, Nouvelle série 12: 63-73.

Bourdieu, Pierre (1983) 'The Field of Cultural Production, or: The Economic World Reversed', trans. Richard Nice, *Poetics* 12: 311-56.

----- (1989) 'Social Space and Symbolic Power', trans. Loïc J. D. Wacquant, *Sociological Theory* VII(1): 14-25.

----- (1990) *The Logic of Practice*, trans. Richard Nice, Cambridge: Polity Press.

----- (2000) *Pascalian Meditations*, trans. Richard Nice,Cambridge: Polity Press.

Chapdelaine, Annick (1994) 'Transparence et retraduction des sociolectes dans *The Hamlet* de Faulkner', *TTR/Études sur le texte et ses transformations* VII(2): 11-33.

Coindreau, Maurice-Edgar (1974) *Mémoires d'un traducteur. Entretiens avec Christian Giudicelli*, Paris: Gallimard.

Duhamel, Marcel (1972) *Raconte pas ta vie*, Paris: Mercure de France.

Gouanvic, Jean-Marc (1999) *Sociologie de la traduction: La science-fiction américaine dans l'espace culturel français des années 1950*. Arras: Artois Presses Université.

----- (2000) '*Polemos* et la traduction: la traduction de *The Grapes of Wrath* de John Steinbeck', *Athanor*, new series, X(2): 268-79.

Hermans, Theo (1999) *Translation in Systems*, Manchester: St. Jerome.

Holmes, James S (1988) 'The Name and Nature of Translation Studies' [1972], in his *Translated! Papers on Literary Translation and Translation Studies* (ed. R. van den Broeck), Amsterdam: Rodopi, 67-80.

Lefevere, André (1998) 'Translation Practice(s) and the Circulation of Cultural Capital. Some Aeneids in English', in S. Bassnett and A. Lefevere (eds) *Constructing Cultures. Essays on Literary Translation*, Clevedon: Multilingual Matters, 25-40.

Siméoni, Daniel (1998) 'The Pivotal Status of the Translator's Habitus', *Target* 10(1): 1-39.

Venuti, Lawrence (1995) *The Translator's Invisibility. A History of Translation*, London & New York: Routledge.

Bobbio, N. (1998) 'Croce maestro di vita morale. Conversazione con Norberto Bobbio', in P. Bonetti (ed.) *Per conoscere Croce*, Napoli: Edizioni Scientifiche Italiane, 35-43.
Boothman, Derek (1999) 'Ipotesi linguistiche sui *Quaderni del Carcere*', in R. Medici (ed.) *Gramsci e i linguaggi della politica*, Bologna: CLUEB, 39-62.
---- (2000) 'L'Uomo' (editorial title), supplement to *Rinascita della Sinistra*, II (12): xvii.
Butterfield, Herbert (1949) *The Origins of Modern Science 1300-1800*, London: Bell.
Caponigri, A. Robert (1955) *History and Liberty, the Historical Writings of Benedetto Croce*, London: Routledge & Kegan Paul.
Carr, H. Wildon (1917) *The Philosophy of Benedetto Croce*, London: Macmillan.
Cospito, G. (1990) *Struttura-sovrastruttura nel pensiero di Gramsci. Variazioni sul 'problema fondamentale' della filosofia della praxis*, unpublished degree dissertation (supervisor Eduardo Sanguineti), University of Genova.
Croce, Benedetto (1917) *Materialismo Storico ed Economia Marxistica* (3rd edition), Bari: Laterza. English version (1966 reprint) *Historical Materialism and the Economics of Karl Marx*, trans. C.M. Meredith, London: Cass.
----(1920) *Nuori Saggi di Estetica*, Bari: Laterza. English version *The Essence of Aesthetics* (1921), trans. D. Ainslie, London: Heinemann.
----- (1926) *Cultura e Vita Morale* (2nd edition), Bari: Laterza.
----- (1946) 'Economico-Political History and Ethico-Political Hiltory' and 'The Unending Struggle between State and Church', in *Politics and Morals*, trans. S.J. Castiglione, London: Allen and Unwin, 67-77 and 125-30.
----- (1950, 4th ed.) 'Reminiscenze ed interpretazioni', in *Conversazioni Critiche*, Second Series, Bari: Laterza, 291-302.
Engels, Friedrich (1967) *Preface* to Vol. III of Marx's *Capital*, New York: International Publishers.
Francioni, G. (1984) *L'Officina Gramsciana*, Napoli: Bibliopolis.
Gensini, Stefano (1991) 'Modernità e linguaggio in Gramsci'. in V. Calzolaio (ed.) *Gramsci e la modernità*, Napoli: Cuen, 71-81.
Goldmann, Lucien (1977) *Lukács and Heidegger*, trans. W.C. Boelhower, London: Routledge & Kegan Paul.
Gramsci, Antonio (1957) 'Translation of Scientific and Philosophic Idioms', in *The Open Marxism of Antonio Gramsci*, trans. C. Marzani, New York: Cameron Associates, 59-64.
----- (1971) *Selections from the Prison Notebooks*, eds. and trans. Q. Hoare and G. Nowell Smith, London: Lawrence & Wishart, and New York: International Publishers.
----- (1975) *Quaderni del carcere*, ed. V. Gerratana, Torino: Einaudi.
----- (1984) 'Notes on Language: Translatability of scientific and philosophical language

(linguaggi)', trans. Steven R. Mansfield, in *Telos* 59, 136-40.
----- (1985) *Selections from Cultural Writings*, eds. David Forgacs and G. Nowell Smith, trans. Boelhower, W.Q, London: Lawrence & Wishart.
----- (1995) *Further Selections from the Prison Notebooks*, ed. and trans. Derek Boothman, London: Lawrence & Wishart, and Minneapolis: Minnesota University Press.
Halliday, M.A.K. and J.R. Martin (1993) 'Some Grammatical Problems in Scientific English' in *Writing Science: Literary and Discursive Power*, London & Washington D.C.: The Falmer Press, 69-85.
Jakobson, Roman (1971) 'On linguistic aspects of translation', *Selected Writings Vol. II*, The Hague & Paris: Mouton, 261-66.
Kuhn, Thomas (1970), *The Structure of Scientific Revolutions*, Chicago: Chicago University Press (2nd ed.).
----- (1974), 'Logic of discovery or psychology of research?' and 'Reflections on my Critics', in A. Musgrave and I. Lakatos (eds.) *Criticism and the Growth of Knowledge*, London & New York: Cambridge University Press (corrected edition), 1-23 and 231-78.
Laclau, E. and C. Mouffe (1985) *Hegemony and Socialist Strategy*, London: Verso.
Marx, Karl (1970) '1859 Preface' to *A Contribution to the Critique of Political Economy*, trans. S.W. Ryazanskaya, London: Lawrence & Wishart, 19-23.
Mure, G.R.G. (1967) 'The Economic and the Moral in the Philosophy of Benedetto Croce', occasional paper, Centre for the Advanced Study of Italian Society, University of Reading.
Orsini, Gian N.G. (1961) *Benedetto Croce, Philosopher of Art and Literary Critic*, Carbondale: Southern Illinois University Press.
Passerini, Luisa (2000) 'Discontinuity of history and diaspora of languages', *New Left Review (II)* 1: 137-144.
Ponzio, A. (1976) 'Introduzione' to V.N. Vološinov, *Il marxismo e la filosofia del linguaggio*, trans. N. Cuscito and R. Bruzzese, Bari: Dedalo.
Putnam, Hilary (1975) 'Is Semantics Possible?', in *Mind, Language and Reality (Philosophical Papers Vol. II)*, Cambridge: Cambridge University Press, 139-52.
Ravà, Adolfo (1909) *Introduzione allo studio della filosofia di Fichte*, Modena: Formiggini.
Roberts, D.D. (1987) *Benedetto Croce and the Uses of Historicism*, Berkeley & Los Angeles: California University Press.
Roll, E. (1949) *A History of Economic Thought*, London: Faber & Faber.
Romagnuolo, M.R. (1987-8) 'Questioni di nomenclatura: Materialismo storico e filosofia della prassi nei Quaderni del Carcere', *Studi filosofici* X-XI, Napoli: Bibliopolis.

Rossi-Landi, F. (1983) *Language as Work and Trade*, trans. M. Galli Adams *et al.*, South Hadley (Mass.): Bergin & Garvey.
Vološinov, V. N. (1973), *Marxism and the Philosophy of Language*, ed. and trans. L. Matejka and I.R.Titunik, New York: Seminar Press, (first published Leningrad, 1929 and 1930).
West, C. (1997) *La filosofia americana*, trans. F.R. Recchia Luciani, Roma: Editori Riuniti; originally *The American Evasion of Philosophy. A Genealogy of Pragmatism* (1989).

الفصل الثامن

Andrews, Walter G. (1985) *Poetry's Voice, Society's Song, Ottoman Lyric Poetry*, Seattle & London: University of Washington Press.
----- (1997) 'Ottoman Lyrics: Introductory Essay', in Walter G. Andrews, Najaat Black, Mehmet Kalpakli (ed. & trans.) *Ottoman Lyric Poetry. An Anthology*, Austin: University of Texas Press, 3-23.
----- (2002) 'Starting Over Again: Some Suggestions for Rethinking Ottoman Divan Poetry in the Context of Translation and Transmission', in Paker (2002:15-40).
Apak, Fundagül (1999) *Gülistan'ın "Gemideki Köle" Hikayesi: Tercümelerdeki Bağlaçlar* (The tale of 'The slave on the boat" in *Gülistan*: conjunctions in the translations), unpublished M.A. thesis, Boğaziçi University, Istanbul.
Berk, Özlem (1999) *Translation and Westernisation in Turkey (from the 1840s to the 1980s)*, unpublished Ph.D. thesis, Centre for British and Comparative Cultural Studies, University of Warwick.
Bhabha, Homi K. (1996) 'Culture, In-Between', in Stuart Hall and Paul Du Gay (eds) *Questions of Cultural Identity*, Sage Publications, 53-60.
Bloom, Harold (1983) *Kabbalah and Criticism*, New York: Continuum.
Çelebioğlu, Amil (1999) *Türk Edebiyatında Mesnevi – XV. yüzyila kadar* (The *Mesnevi* in Turkish Literature – to the fifteenth century), İstanbul: Kitabevi.
Dilçin, Cem (1991) *Mes'ud bin Ahmed, Süheyl ü Nev-bahar, İnceleme-Metin-Sözlük*, (Critical edition of Mes'ud bin Ahmed's *Süheyl ü Nev-bahar*) Ankara: Atatürk Kültür Merkezi Yayınları.
----- (1993) '*Mantıku't-Tayr*'ın Manzum Çevirileri Üzerine Bir Karşılaştırma' (A comparison of the verse translations of *Mantıku't-Tayr*), *Fakülte Dergisi* Sayı 369, Ankara: Ankara Üniversitesi, Dil ve Tarih-Coğrafya Fakültesi.
Diriker, Ebru (1997) 'Mehmed Fuad Köprülü: Tarih Boyunca Çeviri ve Çeviri Eserlere bir Bakış' (Mehmed Fuad Köprülü's views on translation and translated literature), in Hasan Anamur (ed) *Hommage a Hasan Ali Yücel / Anma Kitabı*, İstanbul: Yıldız Teknik Üniversitesi, 89-98.

Drory, Rina (1994) 'Al-Harizi's *Maqamat*: A Tricultural Literary Product?' in Roger Ellis and Ruth Evans (eds) *The Medieval Translator 4*, Exeter: University of Exeter Press, 66-85.

Hermans, Theo (1995) 'Toury's Empiricism Version One', *The Translator* 1(2): 215-23.

Holbrook, Victoria R. (1994), *The Unreadable Shores of Love, Turkish Modernity and Mystic Romance*, Austin: University of Texas Press.

----- (2002) 'Concealed Facts, Translation and the Turkish Literary Past', in Paker (2002:77-107).

Kafadar, Cemal (1995) *Between Two Worlds, The Construction of the Ottoman State*, Berkeley & Los Angeles & London: University of California Press.

Kayaoğlu, Taceddin (1998) *Türkiye'de Tercüme Müesseseleri* (Translation Institutions in Turkey), İstanbul: Kitabevi.

Köprülü, Mehmed Fuad (1966) *Edebiyat Araştırmaları* (Studies in Literature) Vols. I-II, İstanbul: Ötüken.

---- (1993) *Türk Edebiyatında İlk Mutasavvıflar* (The first mystics in Turkish literature) Ankara: Diyanet İşleri Başkanlığı. (first published 1934).

Lefevere, André (1990) 'Translation: Its Genealogy in the West', in Susan Bassnett and Andre Lefevere (eds) *Translation, History and Culture*, London & New York: Cassell, 14-28.

Levend, Agah Sirri (1984) *Türk Edebiyatı Tarihi* (History of Turkish literature) Vol.I (Introduction), Ankara: Türk Tarih Kurumu (first published 1971).

Özkan, Mustafa (1993) *Mahmud b. Kadi-i Manyas, Gülistan Tercümesi* (Critical edition of Mahmud b. Kadi-i Manyas' translation of *Gülistan*) Ankara: Türk Dil Kurumu Yayınları.

Paker, Saliha (2002) (ed) *Translations: (re)shaping of literature and culture*, Istanbul: Boğaziçi University Press.

----- and Zehra Toska (1997) 'A Call for descriptive Translation Studies on the Turkish Tradition of Rewrites', in Mary Snell-Hornby, Zuzana Jettmarova and Klaus Kaindl (eds) *Translation as Intercultural Communication*, Amsterdam and Philadelphia: John Benjamins, 79-88.

Pratt, Mary Louise (1992) *Imperial Eyes: Travel Writing and Transculturation*, London & New York: Routledge.

Pym, Anthony (1998) *Method in Translation History*, Manchester: St. Jerome.

----- (2000) *Negotiating the Frontier. Translators and Intercultures in Hispanic History*, Manchester: St.Jerome.

Rorty, Richard (1989) *Contingency, Irony and Solidarity*, Cambridge, Cambridge University Press.

Susam-Sarajeva, Şebnem (2002) *Translation and Travelling Theory. The Role of Translation in the Migration of Literary Theories Across Culture and Power Differentials*, Doctoral thesis in Comparative Literature, University College London.
Tahir-Gürçağlar, Şehnaz (2001) *The Politics and Poetics of Translation in Turkey: 1923-1960*, Doctoral thesis in Translation Studies, Boğaziçi University, Istanbul.
Timurtaş, Faruk K. (1980) *Şeyhi ve Hüsrev ü Şirin, İnceleme – Metin* (Critical edition of Şeyhi's *Hüsrev ü Şirin*), İstanbul: İstanbul Üniversitesi Yayınları No.2670.
Tolasa, Harun (1983) *Sehi, Latifi, Aşık Çelebi Tezkirelerine göre 16.yy'da Edebiyat Araştırma ve Eleştirisi I*, (Literary enquiry and criticism in the 16th century according to the critical biographies of Sehi, Latifi and Aşık Çelebi), İzmir: Ege Üniversitesi Edebiyat Fakültesi Yayınları No.4.
Toska, Zehra (2002) 'Evaluative Approaches to Translated Ottoman Turkish Literature in Future Research', in Paker (2002:58-76).
----- and Kuran-Burçoğlu, Nedret (1996) *'Ferideddin-i Attar'ın Mantıku't-Tayr'ının* 14., 16., 17., 20. Yüzyıllarda Yapılmış Türkçe Yeniden Yazımları' (14th, 16th, 17th and 20th century rewrites of Ferideddin-i Attar's *Mantıku't Tayr*), *Journal of Turkish Studies= Türklük Bilgisi Araştırmaları*: Abdülbaki Gölpınarlı Hatıra Sayısı 20(2), 251-65.
Toury, Gideon (1995) *Descriptive Translation Studies and beyond*, Amsterdam & Philadelphia: John Benjamins.

الفصل التاسع

(1968) 'Hu Shi', in Howard L. Boorman (ed) *Biographical Dictionary of Republican China*, New York: Columbia University Press, Vol. II, 167-74.
(1988) 'Luo Xinzhang', in Lin Hui (ed) *Zhongguo Fanyijia Cidian* [Dictionary of Chinese Translators], Beijing: China Translation and Publishing Corporation, 420-1.
Baker, Mona (ed) (1998) *Routledge Encyclopedia of Translation Studies*, London & New York: Routledge.
Bassnett, Susan and Harish Trivedi (eds) (1999) *Post-Colonial Translation: Theory and Practice*, London & New York: Routledge.
Chen, Fukang (1992) *Zhongguo Yixue Lilun Shigao* [Draft History of Chinese Translation Theory], Shanghai: Shanghai Foreign Language Education Press.
Cheyfitz, Eric (1991) *The Poetics of Imperialism: Translation and Colonization from* The Tempest *to* Tarzan, New York: Oxford University Press.
de Barry, William Theodore (ed) (1960) *Sources of Chinese Tradition*, New York: Columbia University Press.
Even-Zohar, Itamar (1978) 'The position of translated literature within the literary polysystem', in his *Papers in Historical Poetics*, Tel Aviv: Porter Institute for Poetics and Semiotics.

Fawcett, Peter (1998) 'Ideology and Translation', in Baker (ed), 106-7.
Flotow, Luise von (1997) *Translation and Gender: Translation in the 'Era of Feminism'*, Manchester: St. Jerome.
Grieder, Jerome B. (1970) *Hu Shih and the Chinese Renaissance: Liberalism in the Chinese Revolution, 1917-1937*, Cambridge: Harvard University Press.
Hatim, Basil and Ian Mason (1997) *The Translator as Communicator*, London & New York: Routledge.
Hermans, Theo (1985) 'Introduction. Translation Studies and a New Paradigm', in T. Hermans (ed) *The Manipulation of Literature, Studies in Literary Translation*, London & Sydney: Croom Helm, 7-15.
----- (1999) *Translation in Systems. Descriptive and Systemic Approaches Explained*, Manchester: St Jerome.
Holmes, James S. (1988) 'The Name and Nature of Translation Studies' [1972], in *Translated! Papers on Literary Translation and Translation Studies* (ed. R. van den Broeck), Amsterdam: Rodopi, 67-80.
Hsia, C. T. (1961) *A History of Modern Chinese Fiction 1917-1957*, New Haven & London: Yale University Press.
Hu, Shi (1917/1991) 'Wenxue Gailiang Chuyi' [Tentative suggestions for literary reform], in Yang Li (ed) *Hu Shi Wencui* [A Selection of Hu Shi's Writings], Beijing: Zuojia Chubanshe, 3-13.
----- (1919/1953) 'Xinsichao de Yiyi' [The meanings of *xin sichao*], in *Hu Shi Wencun* [Collected Essays of Hu Shi], Vol.1, Taipei: Yuandong Tushu Gongsi, 727-36.
----- (1926/1995) 'The Renaissance in China', in Zhou Zhiping (ed) *A Collection of Hu Shih's English Writings*, Taipei: Yuanliu Chuban, 197-217.
----- (1927/1998) *Guoyu Wenxue Shi* [A History of *Guoyu* [national language] Literature], in Ou-yang Zhesheng (ed), Vol. 8, 3-137.
----- (1928/1998) *Baihua Wenxue Shi* [A History of *Baihua* [vernacular] Literature], in Ou-yang Zhesheng (ed), Vol. 8, 139-390.
----- (1934) *The Chinese Renaissance: the Haskell Lectures*, Chicago: The University of Chicago Press.
----- (1939/1993) *Sishi Zishu* [A Self-account at Forty], Beijing: Zhongguo Wenlian Chubanshe.
----- (1983) *Hu Shi Koushu Zizhuan* [Dr. Hu Shi's Personal Reminiscences] (Interviews, compiled, edited and translated, with a translator's preface, by Tang Degang), Taipei: Zhuanji Wenxue Chubanshe.
Kelly, Jeanne and Nathan K. Mao (1979) 'Translators' preface', in Qian Zhongshu *Fortress Besieged*, trans. Jeanne Kelly and Nathan K. Mao, Bloomington/London: Indiana University Press, xi.

Kong, Qingmao (1992) *Qian Zhongshu Zhuan* [Biography of Qian Zhongshu], Nanjing: Jiangsu Wenyi.
Lefevere, André (1992) *Translation, Rewriting and the Manipulation of Literary Fame*, London & New York: Routledge.
Lu, Xun (1935/1980) 'Introduction', in Zhao Jiabi (ed), Vol. 4, 1-17.
Luo, Xinzhang (1983/1984) 'Woguo Zichengtixi de Fanyi Lilun' [A system of its own – our country's translation theories], in Luo Xinzhang (ed), 1-19.
----- (ed) (1984) *Fanyi Lunji* [An Anthology of Essays on Translation], Beijing: Commercial Press.
----- (1990/1996) 'Qian Zhongshu de Yiyitan' [Qian Zhongshu's art of translation], in Fan Xulun and Li Hongyan (eds) *Ch'ien Chung-shu Survey 1996*, Beijing: Social Sciences Documents Publishing House, 144-68.
Mao, Dun (1935/1980) 'Introduction', in Zhao Jiabi (ed), Vol. 3, 1-32.
---- (1954/1984) 'Wei Fazhan Wenxue Fanyi Shiye he Tigao Fanyi Zhiliang er Fendou' [Let us work hard for the development of literary translation and for the improvement of quality and increase in output], in *Translators' Notes*, Editorial Department (ed), 1-16.
Mao, Nathan K. (1979) 'Introduction', in Qian Zhongshu *Fortress Besieged*, trans. Jeanne Kelly and Nathan K. Mao, Bloomington/London: Indiana University Press, xiii-xxix.
Mao, Zedong (1956) *Talks at the Yenan Forum on Art and Literature*, trans. Editorial Department of Foreign Languages Press, Beijing: Foreign Languages Press.
Niranjana, Tejaswini (1992) *Siting Translation. History, Post-Structuralism and the Colonial Context*, Berkeley: University of California Press.
Ou-yang, Zhesheng (ed) (1998) *Hu Shi Wenji* [Collected Works of Hu Shi], Beijing: Peking University Press.
Qian, Zhongshu (1964) 'Lin Shu de Fanyi' [The Translations of Lin Shu], in *Wenxue Yanjiu Jikan* [Anthology of Literary Studies], Vol. 1, Renmin Wenxue Chubanshe, 267-295.
----- (1975) 'Lin Ch'in-nan Revisited', trans. George Kao, *Renditions* 5 (Autumn 1975): 8-21.
Simon, Sherry (1996) *Gender in Translation: Cultural Identity and the Politics of Transmission*, London & New York: Routledge.
Translators' Notes, Editorial Department (ed) *Fanyi Yanjiu Lunwenji: 1949-1983* [Selected Papers in Translation Studies: 1949-1983], Beijing: Foreign Language Teaching and Research Press.
Tymoczko, Maria (1999) *Translation in a Postcolonial Context. Early Irish Literature in English Translation*, Manchester: St Jerome.
van Dijk, Teun A. (1998) *Ideology: A Multidisciplinary Approach*, London: Sage Publications Ltd.
Venuti, Lawrence (1995) *The Translator's Invisibility. A History of Translation*, Lon-

don & New York: Routledge.
----- (1998) *The Scandals of Translation: Towards an ethics of difference*, London & New York: Routledge.
Wang, Xiaoming (1993) 'Yifen Zazhi he Yige "Shetuan" – Lun "Wusi" Wenxue chuantong' [A magazine and an 'organization' – on the 'May Fourth' literary tradition], in Chen Guoqiu (ed) *Zhongguo Wenxueshi de Xingsi* [Reflections on Chinese Literary History], Hong Kong: Joint Publishing, 149-85.
Wu, Lianghuan (1980) 'Letter to the Editors', *Fanyi Tongxun* [Translators' Notes] 1980(2): 25.
Wu, Ming (1997) 'Luo Xinzhang', in Lin Huangtian (ed) *Zhongguo Fanyi Cidian* [A Companion for Chinese Translators], Wuhan: Hubei Jiaoyu Chubanshe, 452.
Xu, Zhimo (1935/1980) 'Shoujiu yu "Wan" Jiu' [Abiding by tradition and flirting with tradition], in Zhao Jiabi (ed), Vol. 2, 227-33.
Yan, Fu (1973) 'General Remarks on Translation', trans. C. Y. Hsu, *Renditions* 1 (Autumn 1973): 4-6.
Yi, Zhuxian (1987) *Hu Shi Zhuan* [Biography of Hu Shi], Hubei: Renmin Chubanshe.
Zhao, Jiabi (ed) *Zhongguo Xinwenxue Daxi* [Anthology of Modern Chinese Literature], 10 Vols., Shanghai: Liangyou Tushu Gongsi.
Zhi, Qian (224/1984) 'Fa Ju Jing Xu' [Preface to the *Dharmapada*], in Luo Xinzhang (ed), 22.

الفصل العاشر

Bassnett, Susan and Harish Trivedi (eds) (1999) *Post-colonial Translation: Theory and Practice*, London & New York: Routledge.
Boone, E. and W. Mignolo (1994) *Writing without Words: Alternative Literacies in Mesoamerica and the Andes*, Durham: Duke University Press.
Bourdieu, Pierre (1996) *The Rules of Art: Genesis and Structure of the Literary Field* Cambridge: Polity.
Brotherston, Gordon (1979) *Image of the New World: The American Continent Portrayed in Native Texts*, London: Thames & Hudson.
----- (1992) *Book of the Fourth World: Reading the Native Americas through their Literature*, Cambridge: Cambridge University Press.
----- (1995) *Painted Books from Mexico*, London: British Museum Press.
----- (2000) 'Indigenous Intelligence in Spain's American Colony', *Forum for Modern Language Studies* xxxvi: 241-253
Campos, Haroldo de (1975) *A arte no horizonte do provável*, São Paulo: Perspectiva 3rd ed.
Clifford, James (1988) *The Predicament of Culture: 20th-Century Ethnography, Lit*

erature and Art, Cambridge (MA): Harvard University Press.
Collier, Gordon (1992) *Us/Them: Translation, Transcription and Identity in Post-Colonial Literary Culture*, Amsterdam: Rodopi.
Delisle, Jean and Judith Woodsworth (eds) (1995) *Translators Through History*, Amsterdam: John Benjamins.
Derrida, Jacques (1967) *De la Grammatologie*, Paris: Minuit.
Goody, Jack (1968) *Literacy in Traditional Societies*, Cambridge: Cambridge University Press.
Herrick, E. M. (1975) 'A Taxonomy of Alphabets and Scripts', *Visible Language* 8: 5-32.
Jansen, Martin (1992) *Origen e historia de los reyes mixtecos* [Vienna Codex], Mexico: FCE.
Karttunen, Frances (1994) *Between Worlds: Interpreters, Guides and Survivors*, New Brunswick: Rutgers University Press.
León-Portilla, Miguel (1986) *Coloquios y Doctrina Cristiana*, Mexico: UNAM.
----- (1989) 'Have we really Translated the Mesoamerican "Ancient Word"?', in Swann (ed), 313-338.
Lévi-Strauss, Claude (1967-74) *Mythologiques*, 4 vols. Paris: Plon.
Marcus, J. (1992) *Mesoamerican Writing Systems: Propaganda, History and Myth in Four Ancient Civilizations*, Princeton: Princeton University Press.
Mason, Ian (1994) 'Discourse, Ideology and Translation', in R. de Beaugrande, A. Shunaq and M. H. Heliel (eds) *Language, Discourse and Translation in the West and Middle East*, Amsterdam & Philadelphia: John Benjamns, 23-34.
Niranjana, Tejaswini (1992) *Siting Translation: History, Post-Structuralism and the Colonial Context*, Berkeley: University of California Press.
Nowotny, K. A. (1961) *Tlacuilolli: Die mexikanischen Bilderhandschriften, Stil und Inhalt*, Berlin: Gebr. Mann.
Oseki-Dépré, I. (1999) *Théories et pratiques de la traduction littéraire*, Paris: Colin.
Pound, Ezra (ed) (1969) *Fenollosa. The Chinese Written Character as a Medium for Poetry* [1936], San Francisco: City Lights.
Sahagún, Bernardino de (1997) *Primeros memoriales*, ed. by T. Sullivan, H.B.Nicholson. A.J.O. Anderson, C.E. Dibble, E. Quiñones K., W. Ruwet, Norman: University of Oklahoma Press.
Swann, B. (ed) (1992) *On the Translation of Native American Literatures*, Washington: Smithsonian Institution.
Venuti, Lawrence (1998) *The Scandals of Translation. Towards an Ethics of Difference*, London: Routledge.
Vieira, Else (1998) 'New Registers for Translation in Latin America', in P. Bush and K. Malmkjaer (eds) *Rimbaud's Rainbow. Literary Translation in Higher Education*.

Amsterdam: John Benjamins, 171-95.
Volkovitch, M. (1997) 'Atelier d'écriture', *Assises de la traduction littéraire XIV.*
Wolf, E. (1984) *Europe and the People without History*, Berkeley & Los Angeles: University of California Press.

الفصل الحادي عشر

Asad, Talal (1986) 'The Concept of Cultural Translation in British Social Anthropology', in Clifford and Marcus (eds), 141-64.
Assmann, Aleida (1996) 'The Curse and Blessing of Babel; or, Looking Back on Universalisms', in Budick and Iser (eds), 85-100.
Bachmann-Medick, Doris (1999) '1 + 1 = 3? Interkulturelle Beziehungen als "dritter Raum"', *Weimarer Beiträge* 45(4): 518-31.
----- (ed) (1997) *Übersetzung als Repräsentation fremder Kulturen*, Berlin: Schmidt.
Bassnett, Susan (1998) 'The Translation Turn in Cultural Studies', in Bassnett and Lefevere (eds), 123-40.
----- and A. Lefevere (eds) (1990) *Translation, History and Culture*, London & New York: Pinter.
----- and A. Lefevere (eds) (1998) *Constructing Cultures: Essays on Literary Translation*, Clevedon etc.: Multilingual Matters.
Berg, Eberhard and M. Fuchs (1993) 'Phänomenologie der Differenz. Reflexionsstufen ethnographischer Repräsentation', in Berg and Fuchs (eds), 11-108.
----- (eds) (1993) *Kultur, soziale Praxis, Text: Die Krise der ethnographischen Repräsentation*, Frankfurt/M.: Suhrkamp.
Bhabha, Homi K. (1994) *The Location of Culture*, London & New York: Routledge.
Budick, Sanford (1996) 'Crises of Alterity: Cultural Untranslatability and the Experience of Secondary Otherness', in Budick and Iser (eds), 1-22.
----- and W. Iser (eds) (1996) *The Translatability of Cultures: Figurations of the Space Between*, Stanford: Stanford University Press.
Clifford, James (1986) 'Introduction: Partial Truths', in Clifford and Marcus (eds), 1-26.
----- and G. E. Marcus (eds) (1986) *Writing Culture. The Poetics and Politics of Ethnography*, Berkeley etc.: University of California Press.
Crapanzano, Vincent (1986) 'Hermes' Dilemma: The Masking of Subversion in Ethnographic Description', in Clifford and Marcus (eds), 51-76.
Dingwaney, Anuradha (1995) 'Introduction: Translating ,Third World ,Cultures', in A. Dingwaney and C. Maier (eds) *Between Languages and Cultures. Translation and Cross-Cultural Texts*, Pittsburgh and London: University of Pittsburgh Press, 3-15.
Duerr, Hans Peter (1985) *Traumzeit. Über die Grenze zwischen Wildnis und Zivilisation*, Frankfurt/M.: Suhrkamp.
Foucault, Michel (1975) *Surveiller et punir. La naissance de la prison*, Paris: Gallimard.

Geertz, Clifford (1997) 'Aus der Perspektive des Eingeborenen'. Zum Problem des ethnologischen Verstehens', in Geertz, Clifford: *Dichte Beschreibung. Beiträge zum Verstehen kultureller Systeme*, übersetzt von Brigitte Luchesi und Rolf Bindemann, Frankfurt/M.: Suhrkamp, 289-309.

Hermans, Theo (1999) *Translation in Systems. Descriptive and Systemic Approaches Explained*, Manchester: St. Jerome.

Kristeva, Julia (1988) *Etrangers à nous-mêmes*, Paris: Fayard. *Strangers to Ourselves*, translated by Leon Roudiez, New York: Columbia University Press, 1991.

Malinowski, Bronislaw (1979) *Argonauten des westlichen Pazifik. Ein Bericht über Unternehmungen und Abenteuer der Eingeborenen in den Inselwelten von Melanesisch-Neuguinea*, hg. von Fritz Kramer, Schriften, Bd.1, Frankfurt/M.: Syndikat.

Mead, Margaret (1974) *Male and Female. A Study of the Sexes in a Changing World*, Harmondsworth: Penguin Books. [first publ. 1950].

Montrose, Louis (1986) 'Renaissance literary studies and the subject of history', *English Literary Renaissance* 11(1): 5-12.

Nida, Eugene (1945) 'Linguistics and ethnology in translation problems', *Word* 1: 194-208.

Niranjana, Tejaswini (1992) *Siting Translation: History, Post-structuralism, and the Colonial Context*, Berkeley etc.: University of California Press.

Robyns, Clem (1992) 'Towards a Sociosemiotics of Translation', *Romanistische Zeitschrift für Literaturgeschichte. Cahiers d'Histoire des Littératures Romanes* 16: 211-226.

Said, Edward W. (1989) 'Representing the Colonized: Anthropology's Interlocutors', *Critical Inquiry* 15: 205-25.

Simon, Sherry (1996) *Gender in Translation. Cultural Identity and the Politics of Transmission*, London & New York: Routledge.

Sturge, Kate (1997) 'Translation Strategies in Ethnography', *The Translator* 3(1): 21-38.

Toury, Gideon (1995) *Descriptive Translation Studies and Beyond*, Amsterdam & Philadelphia: Benjamins.

----- (1998) 'A Handful of Paragraphs on 'Translation' and 'Norms'', in C. Schäffner (ed) *Translation and Norms*, Clevedon etc.: Multilingual Matters, 9-31.

Tyler, Stephen (1986) 'Post-Modern Ethnography: From Document of the Occult to Occult Document', in Clifford and Marcus (eds), 122-40.

----- (1993) 'Zum, "Be-/Abschreiben" als "Sprechen für". Ein Kommentar', übersetzt von Ulrike Bischoff, in Berg and Fuchs (eds), 288-296.

Valero-Garcés, Carmen (1995) 'Modes of Translating Culture: Ethnography and Translation', *Meta* XL: 556-63.

Werner, Michael (1997) 'Dissymmetrien und symmetrische Modellbildungen in der Forschung zum Kulturtransfer', in H.-J. Lüsebrink and R. Reichardt (eds)

Kulturtransfer im Epochenumbruch. Frankreich-Deutschland 1770-1815, Leipzig: Leipziger Universitätsverlag, 87-101.
White, Hayden (1978) *Tropics of Discourse*, Baltimore: Johns Hopkins University Press.
Wolf, Michaela (1997a) 'Translation as a Process of Power: Aspects of Cultural Anthropology in Translation', in M. Snell-Hornby, Z. Jettmarová and K. Kaindl (eds) *Translation as intercultural communication: selected papers from the EST Congress, Prague 1995*, Amsterdam & Philadelphia: Benjamins, 123-33.
----- (ed) (1997b) *Übersetzungswissenschaft in Brasilien. Beiträge zum Status von ,Original' und ,Übersetzung'*, Tübingen: Stauffenburg.
----- (2000)'The *Third Space* in Postcolonial Representation', in S. Simon and P. St-Pierre (eds) *Changing the Terms: Translating in the Postcolonial Era*, Ottawa: University of Ottawa Press, 127-45.
Ziegler, Heide (1999) 'Introduction. The Translatability of Cultures', in Stuttgart Seminar in Cultural Studies: *The Translatability of Cultures. Proceedings of the Fifth Stuttgart Seminar in Cultural Studies 03.08.-14.08.1998*, Stuttgart & Weimar: Metzler, 7-19.

الفصل الثاني عشر

Ahmad, Aijaz (1992) *In Theory: Classes, Nations, Literatures*, Bombay: Oxford University Press.
Arrojo, Rosemary (1999) 'Interpretation as Possessive Love: Hélène Cixous, Clarice Lispector and the Ambivalence of Fidelity', in Bassnett and Trivedi (eds), 141-61.
Asad, Talal (1986) 'The Concept of Cultural Translation in British Social Anthropology', in James Clifford and George E. Marcus (eds) *Writing Culture: The Poetics and Politics of Ethnography*, Berkeley/London: University of California Press, 141-64.
Bassnett, Susan (1993) *Comparative Literature: A Critical Introduction*, Oxford & Cambridge Mass.: Blackwell.
----- and Harish Trivedi (eds) (1999) *Post-Colonial Translation: Theory and Practice*. London & New York. Routledge.
Bishop, Alan J. (1990) 'Western Mathematics: The Secret Weapon of Cultural Imperialism', *Race and Class* 32:2. ; reprinted in Bill Ashcroft, Gareth Griffiths and Helen Tiffin (eds.) (1997) *The Post-Colonial Studies Reader*, London & New York: Routledge, 71-6.
Chesterman, Andrew (2000) 'Empirical Research Methods in Translation Studies', *Erikoiskielet ja käännösteoria (VAKKI-symposiumi XX)* 27, 9-22.
Christian, Barbara (1987) 'The Race for Theory', *Cultural Critique* 6; reprinted in Padmini Mongia (ed) (1996) *Contemporary Postcolonial Theory. A Reader*, London & New York: Arnold, 148-57.
Cronin, Michael (1995) 'Altered States: Translation and Minority Languages', *TTR* 8(1): 85-103.

----- (1998) 'The Cracked Looking Glass of Servants: Translation and Minority Languages in a Global Age', *The Translator* 4(2): 145-62.

Devy, Ganesh (1999) 'Translation and Literary History – an Indian View', in Bassnett and Trivedi (eds), 182-8.

Dharwadker, Vinay (1999) 'A.K. Ramanujan's Theory and Practice of Translation', in Bassnett and Trivedi (eds), 114-40.

Gillham, Bill (2000) *Case Study Research Methods*, London & New York: Continuum.

Holmes, James S. (1988) *Translated! Papers on Literary Translation and Translation Studies*, Amsterdam: Rodopi.

Jänis, Marja (2000) Review of Vilén N. Komissarov's Теоретические основы мето ики обучения перево у (1997), *Across Languages and Cultures* 1(1): 133-6.

Lefevere, André (1998) 'Chinese and Western Thinking on Translation', in Susan Bassnett and André Lefevere (eds) *Constructing Cultures: Essays on Literary Translation*, Clevedon: Multilingual Matters, 12-24.

Liu, Lydia H. (1995) *Translingual Practice. Literature, National Culture, and Translated Modernity – China 1900-1937*, Stanford: Stanford University Press.

Miller, Hillis J. (1996) 'Border Crossings, Translating Theory: Ruth', in Sanford Budick and Wolfgang Iser (eds) *The Translatability of Cultures: Figurations of the Space Between*. Stanford: Stanford University Press, 207-23.

Mongia, Padmini. (1996) 'Introduction', in Padmini Mongia (ed) *Contemporary Postcolonial Theory. A Reader*, London & New York: Arnold, 1-18.

Paloposki, Outi and Riitta Oittinen (2000) 'The Domesticated Foreign', in Andrew Chesterman, Natividad Gallardo San Salvador and Yves Gambier (eds) *Translation in Context: Selected Papers from the EST Congress, Granada 1998*, Amsterdam & Philadelphia: John Benjamins, 373-90.

Perspectives: Studies in Translatology 5(1) (1997) Russian Translation Studies special issue.

Phillips, Estelle M. and D. S. Pugh (1995) *How to Get a PhD: A Handbook for Students and Their Supervisors*, Buckingham & Philadelphia: Open University Press.

Phillipson, Robert (1993) *Linguistic Imperialism*, Oxford: Oxford University Press.

Said, Edward (1983) 'Travelling Theory', in *The World, the Text and the Critic*, Cambridge (Mass.): Harvard University Press, 226-47.

Spivak, Gayatri Chakravorty (1999) *A Critique of Postcolonial Reason: Toward a History of the Vanishing Present*, Cambridge (Mass.) & London: Harvard University Press.

Tymoczko, Maria (1999a) 'Post-Colonial Writing and Literary Translation', in Bassnett and Trivedi (eds), 19-40.

----- (1999b) *Translation in a Postcolonial Context: Early Irish Literature in English*

Translation, Manchester: St. Jerome.
----- (2000) 'Translation and Political Engagement. Activism, Social Change and the Role of Translation in Geopolitical Shifts', *The Translator* 6(1): 23-47.
Viswanatha, Vanamala and Sherry Simon (1999) 'Shifting Grounds of Exchange: B.M. Srikantaiah and Kannada Translation', in Bassnett and Trivedi (eds), 162-81.
Zlateva, Palma (2000) 'A Wheel We Have Been Reinventing' [review of Anton Popovič's Проблемы ху ожественного перево о], *The Translator* 6(1): 109-15.
Acknowledgements: This paper, although it started off as an individual self-interrogation, is in its present form the end-result of a collective discussion. I would like to thank Kaisa Koskinen, Alexandra Lianeri, Theo Hermans, Elsie Chan, Morphia Malli, Outi Paloposki, Andrew Chesterman and Kristiina Taivalkoski, who all read the drafts and offered invaluable feedback and insights. The arguments presented here have also benefited from comments provided by the delegates of the 'Research Models in Translation Studies' conference (Manchester, April 2000), including Michael Cronin, José Lambert, Saliha Paker, Gideon Toury and Maria Tymoczko, and by the participants of the Graduate Seminar held at Boğaziçi University, Istanbul, 18 May 2000, including Işin Bengi, Cemal Demircioğlu, Ebru Diriker, Arzu Eker and Şehnaz Tahir.

المشاركون فى سطور

ديريك بووثمان :

يعيش فى "فورلى" بإيطاليا، ويعمل فى المعهد العالى للغات الحديثة والترجمة الشفوية والتحريرية التابع لجامعة بولونيا، ويكتب وينشر أبحاثه باللغتين الإيطالية والإنجليزية. ويدور بحثه المنشور فى هذا الكتاب حول كتابات "أنطونيو جرامشى" فى سياق نظرية ثقافية وسياسية.

جوردون برذرستون:

أستاذ البحث فى قسم الأدب بجامعة "إسكس" كما يعمل أستاذًا فى القسم الإسبانى والبرتغالى بجامعة"إنديانا" ويحمل درجة الزمالة العليا فى مركز الإنسانويات بجامعة "استانفورد"، وقد مال اهتمامه البحثى لمدة طويلة إلى التركيز على الثقافات الأصلية/المحلية للأمريكيتين، تلك الثقافات التى نشر عنها دراسات عديدة مكثفة، وهو مؤلف عددٍ كبيرٍ من الكتب، بينها "الشعر الأمريكى اللاتينى: الأصول والواقع الحاضر" Latin American Poetry:Origins and Presence (1975) و" صورة العالم الجديد" Image of the New World (1979) و"سفر العالم الرابع" Book of the Fourth World و"كتب مرسومة من المكسيك" Painted Books from Mexico (1995) .

إيلزى تشان:

تعمل بتدريس الترجمة بجامعة "هونج كونج" المدينة، وتقوم حالياً بتحضير رسالة الدكتوراة بجامعة "وورويك". كما عملت أيضاً كمترجم رسمى فى دوائر حكومية. وتدور اهتماماتها البحثية حول عقد المقارنات بين النظريات الترجمية الغربية وتلك الصينية وقد نشرت عدداً من المقالات حول الدراسات الترجمية فى "هونج كونج" والصين وحول الكتب البوذية المقدسة فى ترجماتها الصينية.

مارتا تشونج:

أستاذ الترجمة والمدير المشارك لمركز الترجمة بالجامعة المعمودية فى "هونج كونج". وتشمل ترجماتها إلى اللغة الإنجليزية أدباً قصصياً من تأليف "هان شاوجونج" Han Shaogong و"ليو سولا" Liu Sola و"زهو تيانكسين" Zhu Tianxin و"لاى شينج - تشوان" Lai Shêng-ch'uan وأعمال شعراء "هونج كونج": "بى.كى ، لونج" P.K.Leung و"تسيا ييم بوى" Tsia Yim Pui ، و"شوا كا بنج" Choi Ka Ping ، وكانت قد عملت كمحرر لـ "كلية هونج كونج: قصص وكتابات معاصرة" (١٩٩٨) وشاركت "جين سى. سى. لاى" Jane C.C.Lai فى إصدار "مقطتفات أكسفورد من الدراما الصينية المعاصرة" (١٩٩٧). وتجرى حاليا بحثًا فى الوقت الحاضر عن تاريخ الترجمة فى "هونج كونج" كما تجمع وتصنِّف مقتطفاتٍ بترجمة إنجليزية لنظريات الترجمة الصينية منذ أقدم العصور حتى سنة ١٩١١ .

إدواردو كريسافوللى:

يعمل ملحقاً ثقافيا بوزارة الخارجية الإيطالية فى روما. وبعد أن درس فى "أوربينو" Urbino و"برمنجهام" و"كلية جامعة دبلن" University College كما اشتغل

محاضراً فى اللغة الإيطالية بـ "دبلن" وبعد ذلك بجامعة الملك بن عبد العزيز فى "جدة" ثم جامعة "مانشستر" قبل أن يشغل وظيفته الحالية. وكانت رسالته للدكتوراه عن الترجمات الإنجليزية لـ "الكوميديا الإلهية" لـ "دانتى"، وهو الموضوع الذى كتب ونشر عنه كثيراً فى العديد من الدوريات.

جان - مارك جوانفيتش:

يعمل كأستاذٍ فى قسم الدراسات الفرنسية بجامعة "كونكورديا" **Concordia** فى "مونتريال" بكندا حيث يحاضر عن نظرية الترجمة ومنهجية الدراسات الترجمية. وفى سنة ١٩٨٧ أسس مـجلة **TTR/Etudes sur le texte et ses transformations** ، التى استمر يحررها حتى سنة ١٩٩٧ . وهو مؤلف كتاب "سوسيولوجيا الترجمة" **Sociolo-gie de la traduction (1999)** . ويعتمد فى بحثه الحالى على النظريات الثقافية لـ "بيير بورديو" ويولى اهتماماً خاصا بالترجمات الفرنسية للكتَّاب الأمريكيين المعاصرين الذين ظهروا فى أعقاب الحرب العالمية الثانية مباشرة.

ثيو هيرمانز:

أستاذ اللغة الهولندية والأدب المقارن بكلية جامعة لندن. فى سنة ١٩٨٥ حرَّر مجموعات "تحوير الأدب واليد الثانية. ويُعد " الترجمة فى أنساق" أحدث كتابٍ أصدره (١٩٩٩). وتنصب بحوثه فى الغالب الأعم على تاريخ ونظرية الترجمة.

جيريمى مونداى:

درس فى جامعة "برادفورد" بإنجلترا، ويعمل محاضراً الآن فى الدراسات الإسبانية بجامعة "سرى" **Surrey** وقد نشر فى الآونة الأخيرة "مقدمة إلى الدراسات

الترجمية: نظريات وتطبيقات" Introducing Translation Studies: Theories and Ap- plications (2001) ، ونجد بين ترجماته "سفر بيكادور من القصص القصيرة فى أمريكا اللاتينية" The Picador Book of Latin American Short Stories (1998) وتشمل اهتماماته فى بحوثه نظرية الترجمة واللغويات الوظيفية الشاملة واللغويات الجسمورية والدراسات الأدبية.

صالحة بيكر:

حصلت على شهادتيها الماجستير والدكتوراه فى اللغة الإنجليزية والكلاسيكيات من جامعة "إستانبول". وعملت بالتدريس والبحث العلمى فى جهاتٍ متعددة، بينها معهد الدراسات الأفريقية والشرقية التابع لجامعة لندن، وتحمل درجة الزمالة الشرفية فى البحوث بمركزالدراسات اليونانية الحديثة والعثمانية والبيزنطية بجامعة "بيرمنجهام" منذ سنة ١٩٩٢ ، وقد عُيِّنت كأستاذٍ للدراسات الترجمية فى قسم الترجمة والترجمة الشفوية بجامعة "بوغازتشى" فى مدينة "إستانبول" فى سنة ١٩٩٥، واستمرت تدرس هناك، وأحدث ترجمة صدرت لها (بالاشتراك مع "ميل كينى" Mel Kanne) هى رواية "عزيزى أيها الموت الوقح" Dear Shameless Death (2001) للراوئى التركى "لطيفى تيكين".

شيبنيم سوزام – سرايبفا:

عملت فى وظيفة مترجم للنصوص الأدبية والفنية، ومساعد باحث بجامعة "بوغازتشى"، فى "إستانبول" وجامعة "هيلسنكى" وكمحاضر لطلبة الماجستير بجامعة "ميدلسيكس" Middlesex فى لندن، وتكتب حاليًا رسالتها لنيل شهادة الدكتوراه فى الأدب المقارن بكلية جامعة لندن كما أنها مشتركة أيضًا فى برنامج الاتصالات المتعددة اللغات MonAkO التابع لجامعة "هيلسنكى".

شهناز طاهر – جورتشاغلر:

تقـوم حـاليـاً بتدريس الترجمــة والترجمـة الفوريـة في جـامعـة "بوغازتشـي" بـ "إساتنبول" حيث تكتب أيضًا رسالتها لنيل درجة الدكتوراه. وتشمل اهتماماتها البحثية الترجمة وتفسير التاريخ والعلاقة بين الثقافة الشعبية والأيدولوجيا والترجمة، كما تعمل أيضًا كمترجمٍ حر ومترجم فورى فى المؤتمرات.

ماريا تيموكسكو:

أستاذ الأدب المقارن بجامعة "ماساشوستس": أمهرست. وقد نشرت العديد من البحوث حـول الأدب فى العصـور الوسيطة إلى جـانب الكتـابات الأيرلندية باللغة الإنجليـزية بما فى ذلك أعمال "جيمس جويس"، وقد ظهرت ترجماتها للأدب الأيرلندى القديم فى "قصتان عن الموت من دائرة أولستر" Two Death Tales from the Ulster Cycle (1981) وأحدث دراسة نقدية موسَّعة لها هى "الترجمة فى سياق ما – بعد – الاستعمار: الأدب الأيرلندى القديم فى الترجمـة إلى اللغـة الإنجليـزية" Translation in a Post-Clonial Context: Early Irish Literature in English Translation (1999) وتركز فى أعمالها حاليًا على أيدولوجيا الترجمة.

ميخائيلا وولف:

كتبت رسالتها للماجستير عن الدراسات الترجمية وللدكتوراه عن الأدب الرومانسى، وتعمل حاليًا كأستاذٍ مساعد فى قسم الترجمة بجامعة "جراز" Graz . وقد قامت بتحرير مجموعة Übersetzungswissenschaft in Brasilien (1997) . كما قامت بالاشتراك مع "ناديا جبرك Nadia Grbic بتحرير Text-Kultur-Kommunikation Translation als Forschungsaugabe (1997) ، تركز فى بحوثها على تاريخ الترجمة ومظاهر الترجمة فى الفترة البعد – استعمارية والترجمة النسوية.

المترجم فى سطور :

بيومى قنديل

* ليسانس آداب، قسم اللغة الإنجليزية و آدابها . جامعة القاهرة ١٩٦٤
* عضو نقابة الصحفيين
* عضو اتحاد الكتاب
* عضو جمعية القاهرة للغويين
* عضو جمعية الآثار القبطية

أهم الأعمال المؤلفة :

* "ضم القمح ليلاً" مجموعة قصص قصيرة. هيئة الكتاب.
* "أمونة تخاوى الجان" . مجموعة قصص قصيرة. دار نشر خاصة.
* "عصفور الجنة" . مسرحية للأطفال. المسرح القومى للأطفال.
* "شمس الشموسة" نشر خاص
* "ديوان الطيور" ديوان شعر للأطفال (تحت الطبع)
* "خميس دايم – الحسن" مجموعة قصص قصيرة للأطفال (تحت الطبع)
* عصافير الصُّدف. رواية قصيرة.(تحت الطبع)

* "ضل الجراد".   "   " . (تحت الطبع)

* "زعانف الرغبة"   "   " (تحت الطبع)

* "كل شي ن كان". ديوان شعر. نشر خاص (الطبعة الثانية تحت الطبع)

* "ريحة منوف" ديوان شعر (تحت الطبع)

* "الترجمة فن". دراسة. نشر خاص

* "حاضر الثقافة فى مصر" الطبعة الثالثة دار الكلمة "لوجوس" ٢٠٠٣

أهم الأعمال المترجمة:

* "المايم و البانتومايم". تأليف: توماس ليبهارت. هيئة الكتاب. سلسلة هيئة الألف كتاب الثانى ١٩٩٤

* "أخناتون، ذلك الفرعون المارق". تأليف: دونالد ريدفورد. (الطبعة التانية تحت الطبع)

* قصة خروج بنى إسرائيل من مصر فى الميزان. ست أوراق قدمها ست علماء فى الحفريات و المصريات إلى مؤتمر (تحت الطبع)

* مصر و كنعان و إسرائيل فى العصور القديمة. تأليف: دونالد ريدفورد. المجلس الأعلى الثقافة ٢٠٠٤

بالإضافة إلى عشرات القصص و المقالات و عروض الكتب المنشورة و المذاعة داخل مصر و خارجها.

المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

-١	اللغة العليا	جون كوين	أحمد درويش
-٢	الوثنية والإسلام (ط١)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
-٣	التراث المسروق	جورج جيمس	شوقى جلال
-٤	كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنيكوفا	أحمد الحضرى
-٥	ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
-٦	اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	سعد مصلوح ووفاء كامل فايد
-٧	العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	يوسف الأنطكى
-٨	مشعلو الحرائق	ماكس فريش	مصطفى ماهر
-٩	التغيرات البيئية	أندرو. س. جودى	محمود محمد عاشور
-١٠	خطاب الحكاية	چيرار چينيت	محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
-١١	مختارات شعرية	فيسوافا شيمبوريسكا	هناء عبد الفتاح
-١٢	طريق الحرير	ديفيد براونيستون وأيرين فرانك	أحمد محمود
-١٣	ديانة الساميين	روبرتسن سميث	عبد الوهاب علوب
-١٤	التحليل النفسى للأدب	جان بيلمان نويل	حسن المودن
-١٥	الحركات الفنية منذ ١٩٤٥	إدوارد لوسى سميث	أشرف رفيق عفيفى
-١٦	أثينة السوداء (جـ١)	مارتن برنال	بإشراف: أحمد عتمان
-١٧	مختارات شعرية	فيليب لاركين	محمد مصطفى بدوى
-١٨	الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	طلعت شاهين
-١٩	الأعمال الشعرية الكاملة	چورج سفيريس	نعيم عطية
-٢٠	قصة العلم	ج. ج. كراوثر	يمنى طريف الخولى و بدوى عبد الفتاح
-٢١	خوخة وألف خوخة وقصص أخرى	صمد بهرنجى	ماجدة العنانى
-٢٢	مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	سيد أحمد على الناصرى
-٢٣	تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	سعيد توفيق
-٢٤	ظلال المستقبل	باتريك بارندر	بكر عباس
-٢٥	مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
-٢٦	دين مصر العام	محمد حسين هيكل	أحمد محمد حسين هيكل
-٢٧	التنوع البشرى الخلاق	مجموعة من المؤلفين	بإشراف: جابر عصفور
-٢٨	رسالة فى التسامح	جون لوك	منى أبو سنة
-٢٩	الموت والوجود	جيمس ب. كارس	بدر الديب
-٣٠	الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
-٣١	مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	عبد الستار الحلوجى وعبد الوهاب علوب
-٣٢	الانقراض	ديفيد روب	مصطفى إبراهيم فهمى
-٣٣	التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	أحمد فؤاد بلبع
-٣٤	الرواية العربية	روجر آلن	حصة إبراهيم المنيف
-٣٥	الأسطورة والحداثة	بول ب . ديكسون	خليل كلفت
-٣٦	نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	حياة جاسم محمد

٣٧- واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	جمال عبد الرحيم
٣٨- نقد الحداثة	ألن تورين	أنور مغيث
٣٩- الحسد والإغريق	بيتر والكوت	منيرة كروان
٤٠- قصائد حب	آن سكستون	محمد عيد إبراهيم
٤١- ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	عاطف أحمد وإبراهيم فتحى ومحمود ماجد
٤٢- عالم ماك	بنجامين باربر	أحمد محمود
٤٣- اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	المهدى أخريف
٤٤- بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	مارلين تادرس
٤٥- التراث المغدور	روبرت دينا وجون فاين	أحمد محمود
٤٦- عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	محمود السيد على
٤٧- تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ١)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨- حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ماهر جويجاتى
٤٩- الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	عبد الوهاب علوب
٥٠- ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١- مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانوبيا وخ. م. بينياليستى	محمد أبو العطا
٥٢- العلاج النفسى التدعيمى	ب. نوفاليس وس . روجسيفيتز وروجر بيل	لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣- الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	مرسى سعد الدين
٥٤- المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	محسن مصيلحى
٥٥- ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	على يوسف على
٥٦- الأعمال الشعرية الكاملة (جـ١)	فديريكو غرسية لوركا	محمود على مكى
٥٧- الأعمال الشعرية الكاملة (جـ٢)	فديريكو غرسية لوركا	محمود السيد و ماهر البطوطى
٥٨- مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	محمد أبو العطا
٥٩- المحبرة (مسرحية)	كارلوس مونييث	السيد السيد سهيم
٦٠- التصميم والشكل	جوهانز إيتين	صبرى محمد عبد الغنى
٦١- موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	بإشراف : محمد الجوهرى
٦٢- لذّة النّص	رولان بارت	محمد خير البقاعى
٦٣- تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤- برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	رمسيس عوض
٦٥- فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	رمسيس عوض
٦٦- خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧- مختارات شعرية	فرناندو بيسوا	المهدى أخريف
٦٨- نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
٦٩- العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠- ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١- السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	حسين محمود
٧٢- السياسى العجوز	ت . س . إليوت	فؤاد مجلى
٧٣- نقد استجابة القارئ	چين ب . تومبكنز	حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤- صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوڤا	حسن بيومى

٧٥- فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	أحمد درويش
٧٦- جاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من المؤلفين	عبد المقصود عبد الكريم
٧٧- تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨- العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	أحمد محمود ونورا أمين
٧٩- شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكى	سعيد الغانمى وناصر حلاوى
٨٠- بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	مكارم الغمرى
٨١- الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	محمد طارق الشرقاوى
٨٢- مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	محمود السيد على
٨٣- مختارات شعرية	غوتفريد بن	خالد المعالى
٨٤- موسوعة الأدب والنقد (جـ١)	مجموعة من المؤلفين	عبد الحميد شيحة
٨٥- منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	عبد الرازق بركات
٨٦- طول الليل (رواية)	جمال مير صادقى	أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧- نون والقلم (رواية)	جلال آل أحمد	ماجدة العنانى
٨٨- الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	إبراهيم الدسوقى شتا
٨٩- الطريق الثالث	أنتونى جيدنز	أحمد زايد ومحمد محيى الدين
٩٠- وسم السيف وقصص أخرى	بورخيس وآخرون	محمد إبراهيم مبروك
٩١- المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربرا لاسوتسكا - بشونباك	محمد هناء عبد الفتاح
٩٢- أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكى المعاصر	كارلوس ميجيل	نادية جمال الدين
٩٣- محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	عبد الوهاب علوب
٩٤- مسرحيتا الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	فوزية العشماوى
٩٥- مختارات من المسرح الإسبانى	أنطونيو بويرو باييخو	سرى محمد عبد اللطيف
٩٦- ثلاث زنبقات ووردة وقصص أخرى	نخبة	إدوار الخراط
٩٧- هوية فرنسا (مج١)	فرنان برودل	بشير السباعى
٩٨- الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٩٩- تاريخ السينما العالمية (١٨٩٥-١٩٨٠)	ديفيد روبنسون	إبراهيم قنديل
١٠٠- مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	إبراهيم فتحى
١٠١- النص الروائى: تقنيات ومناهج	بيرنار فاليط	رشيد بنحدو
١٠٢- السياسة والتسامح	عبد الكبير الخطيبى	عز الدين الكتانى الإدريسى
١٠٣- قبر ابن عربى يليه آياء (شعر)	عبد الوهاب المؤدب	محمد بنيس
١٠٤- أوبرا ماهوجنى (مسرحية)	برتولت بريشت	عبد الغفار مكاوى
١٠٥- مدخل إلى النص الجامع	چيرارچينيت	عبد العزيز شبيل
١٠٦- الأدب الأندلسى	ماريا خيسوس روبييرامتى	أشرف على دعدور
١٠٧- صورة الفدائى فى الشعر الأمريكى اللاتينى المعاصر	نخبـة من الشعراء	محمد عبد الله الجعيدى
١٠٨- ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى	مجموعة من المؤلفين	محمود على مكى
١٠٩- حروب المياه	چون بولوك وعادل درويش	هاشم أحمد محمد
١١٠- النساء فى العالم النامى	حسنة بيجوم	منى قطان
١١١- المرأة والجريمة	فرانسس هيدسون	ريهام حسين إبراهيم
١١٢- الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	إكرام يوسف

١١٣- راية التمرد	سادى پلانت	أحمد حسان
١١٤- مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنقع	وول شوينكا	نسيم مجلى
١١٥- غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	سمية رمضان
١١٦- امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	نهاد أحمد سالم
١١٧- المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	منى إبراهيم وهالة كمال
١١٨- النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	لميس النقاش
١١٩- النساء والأسرة وقوانين الطلاق فى التاريخ الإسلامى	أميرة الأزهرى سنبل	بإشراف: رءوف عباس
١٢٠- الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	مجموعة من المترجمين
١٢١- الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	محمد الجندى وإيزابيل كمال
١٢٢- نظام العبودية القديم والنموذج المثالى للإنسان	جوزيف فوجت	منيرة كروان
١٢٣- الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	أنيتل ألكسندرو فنادولينا	أنور محمد إبراهيم
١٢٤- الفجر الكاذب: أوهام الرأسمالية العالمية	چون جراى	أحمد فؤاد بلبع
١٢٥- التحليل الموسيقى	سيدرك ثورپ ديڤى	سمحة الخولى
١٢٦- فعل القراءة	ڤولڤانج إيسر	عبد الوهاب علوب
١٢٧- إرهاب (مسرحية)	صفاء فتحى	بشير السباعى
١٢٨- الأدب المقارن	سوزان باسنيت	أميرة حسن نويرة
١٢٩- الرواية الإسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠- الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	شوقى جلال
١٣١- مصر القديمة: التاريخ الاجتماعى	مجموعة من المؤلفين	لويس بقطر
١٣٢- ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	عبد الوهاب علوب
١٣٣- الخوف من المرايا (رواية)	طارق على	طلعت الشايب
١٣٤- تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	أحمد محمود
١٣٥- المختار من نقد ت. س. إليوت	ت. س. إليوت	ماهر شفيق فريد
١٣٦- فلاحو الباشا	كينيث كونو	سحر توفيق
١٣٧- مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية على مصر	چوزيف مارى مواريه	كاميليا صبحى
١٣٨- عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	أندريه جلوكسمان	وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩- پارسيڤال (مسرحية)	ريتشارد ڤاچنر	مصطفى ماهر
١٤٠- حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	أمل الجبورى
١٤١- اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	نعيم عطية
١٤٢- الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	حسن بيومى
١٤٣- قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديرك لايدر	عدلى السمرى
١٤٤- صاحبة اللوكاندة (مسرحية)	كارلو جولدونى	سلامة محمد سليمان
١٤٥- موت أرتيميو كروث (رواية)	كارلوس فوينتس	أحمد حسان
١٤٦- الورقة الحمراء (رواية)	ميجيل دى ليبس	على عبدالرءوف البمبى
١٤٧- مسرحيتان	تانكريد دورست	عبدالغفار مكاوى
١٤٨- القصة القصيرة: النظرية والتقنية	إنريكى أندرسون إمبرت	على إبراهيم منوفى
١٤٩- النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	أسامة إسبر
١٥٠- التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	منيرة كروان

١٥١- هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ١)	فرنان بروديل	بشير السباعى
١٥٢- عدالة الهنود وقصص أخرى	مجموعة من المؤلفين	محمد محمد الخطابى
١٥٣- غرام الفراعنة	فيولين فانويك	فاطمة عبدالله محمود
١٥٤- مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	خليل كلفت
١٥٥- الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة من الشعراء	أحمد مرسى
١٥٦- المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال وآلان وأوديت ڤيرمو	مى التلمسانى
١٥٧- خسرو وشيرين	النظامى الكنجوى	عبدالعزيز بقوش
١٥٨- هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ٢)	فرنان بروديل	بشير السباعى
١٥٩- الأيديولوجية	ديڤيد هوكس	إبراهيم فتحى
١٦٠- آلة الطبيعة	بول إيرليش	حسين بيومى
١٦١- مسرحيتان من المسرح الإسبانى	أليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	زيدان عبدالحليم زيدان
١٦٢- تاريخ الكنيسة	يوحنا الآسيوى	صلاح عبدالعزيز محجوب
١٦٣- موسوعة علم الاجتماع (جـ ١)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
١٦٤- شامبوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	نبيل سعد
١٦٥- حكايات الثعلب (قصص أطفال)	أ. ن. أفاناسيفا	سهير المصادفة
١٦٦- العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليڤمان	محمد محمود أبوغدير
١٦٧- فى عالم طاغور	رابندرنات طاغور	شكرى محمد عياد
١٦٨- دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٦٩- إبداعات أدبية	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٧٠- الطريق (رواية)	ميجيل دليبيس	بسام ياسين رشيد
١٧١- وضع حد (رواية)	فرانك بيجو	هدى حسين
١٧٢- حجر الشمس (شعر)	نخبة	محمد محمد الخطابى
١٧٣- معنى الجمال	ولتر ت. ستيس	إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤- صناعة الثقافة السوداء	إيليس كاشمور	أحمد محمود
١٧٥- التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينتزو فيلشس	وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦- نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	جلال البنا
١٧٧- أنطون تشيخوف	هنرى ترويا	حصة إبراهيم المنيف
١٧٨- مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	محمد حمدى إبراهيم
١٧٩- حكايات أيسوب (قصص أطفال)	أيسوب	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠- قصة جاويد (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
١٨١- النقد الأدبى الأمريكى من الثلاثينيات إلى الثمانينيات	فنسنت ب. ليتش	محمد يحيى
١٨٢- العنف والنبوءة (شعر)	و.ب. ييتس	ياسين طه حافظ
١٨٣- چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه جيلسون	فتحى العشرى
١٨٤- القاهرة: حالمة لا تنام	هانز إبندورفر	دسوقى سعيد
١٨٥- أسفار العهد القديم فى التاريخ	توماس تومسن	عبد الوهاب علوب
١٨٦- معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل إنوود	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧- الأرضة (رواية)	بُزرج علوى	محمد علاء الدين منصور
١٨٨- موت الأدب	ألفين كرنان	بدر الديب

١٨٩-	العمى والبصيرة: مقالات فى بلاغة النقد المعاصر	بول دى مان	سعيد الغانمى
١٩٠-	محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	محسن سيد فرجانى
١٩١-	الكلام رأسمال وقصص أخرى	الحاج أبو بكر إمام وآخرون	مصطفى حجازى السيد
١٩٢-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ١)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
١٩٣-	عامل المنجم (رواية)	بيتر أبراهامز	محمد عبد الواحد محمد
١٩٤-	مختارات من النقد الأنجلو-أمريكى الحديث	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
١٩٥-	شتاء ٨٤ (رواية)	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
١٩٦-	المهلة الأخيرة (رواية)	فالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
١٩٧-	سيرة الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	جلال السعيد الحفناوى
١٩٨-	الاتصال الجماهيرى	إدوين إمرى وآخرون	إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩-	تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداو	جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠-	ضحايا التنمية: المقاومة والبدائل	جيرمى سيبروك	فخرى لبيب
٢٠١-	الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٢٠٢-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٤)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣-	الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤-	تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	أحمد هويدى
٢٠٥-	الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى- سفورزا	أحمد مستجير
٢٠٦-	الهيولية تصنع علماً جديداً	جيمس جلايك	على يوسف على
٢٠٧-	ليل أفريقى (رواية)	رامون خوتاسندير	محمد أبو العطا
٢٠٨-	شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	محمد أحمد صالح
٢٠٩-	السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٠-	مثنويات حكيم سنائى (شعر)	سنائى الغزنوى	يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١-	فردينان دوسوسير	جوناثان كلر	محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢-	قصص الأمير مرزبان على لسان الحيوان	مرزبان بن رستم بن شروين	يوسف عبدالفتاح فرج
٢١٣-	مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبدالناصر	ريمون فلاور	سيد أحمد على الناصرى
٢١٤-	قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	محمد محيى الدين
٢١٥-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٢)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
٢١٦-	جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٧-	مسرحيتان طليعيتان	صمويل بيكيت وهارولد بينتر	نادية البنهاوى
٢١٨-	لعبة الحجلة (رواية)	خوليو كورتاثان	على إبراهيم منوفى
٢١٩-	بقايا اليوم (رواية)	كازو إيشجورو	طلعت الشايب
٢٢٠-	الهيولية فى الكون	بارى باركر	على يوسف على
٢٢١-	شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	رفعت سلام
٢٢٢-	فرانز كافكا	رونالد جراى	نسيم مجلى
٢٢٣-	العلم فى مجتمع حر	باول فيرابند	السيد محمد نفادى
٢٢٤-	دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	منى عبدالظاهر إبراهيم
٢٢٥-	حكاية غريق (رواية)	جابرييل جارثيا ماركيث	السيد عبدالظاهر السيد
٢٢٦-	أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	طاهر محمد على البربرى

٢٢٧- المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر	خوسيه ماريا ديث بوركى	السيد عبدالظاهر عبدالله
٢٢٨- علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	مارى تيريز عبدالمسيح وخالد حسن
٢٢٩- مأزق البطل الوحيد	نورمان كيجان	أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠- عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١- الدرافيل أو الجيل الجديد (مسرحية)	خايمى سالوم بيدال	جمال عبدالرحمن
٢٣٢- ما بعد المعلومات	توم ستونير	مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣- فكرة الاضمحلال فى التاريخ الغربى	آرثر هيرمان	طلعت الشايب
٢٣٤- الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	فؤاد محمد عكود
٢٣٥- ديوان شمس تبريزى (جـ١)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦- الولاية	ميشيل شوبكيفيتش	أحمد الطيب
٢٣٧- مصر أرض الوادى	روبين فيدين	عنايات حسين طلعت
٢٣٨- العولمة والتحرير	تقرير لمنظمة الأنكتاد	ياسر محمد جادالله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩- العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلا رامراز - رابوخ	نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠- الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كاى حافظ	صلاح محجوب إدريس
٢٤١- فى انتظار البرابرة (رواية)	ج . م. كوتزى	ابتسام عبدالله
٢٤٢- سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	صبرى محمد حسن
٢٤٣- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١)	ليفى بروفنسال	بإشراف: صلاح فضل
٢٤٤- الغليان (رواية)	لاورا إسكيبيل	نادية جمال الدين محمد
٢٤٥- نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس وآخرون	توفيق على منصور
٢٤٦- مختارات قصصية	جابرييل جارثيا ماركيث	على إبراهيم منوفى
٢٤٧- الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	والتر أرمبرست	محمد طارق الشرقاوى
٢٤٨- حقول عدن الخضراء (مسرحية)	أنطونيو جالا	عبداللطيف عبدالحليم
٢٤٩- لغة التمزق (شعر)	دراجو شتامبوك	رفعت سلام
٢٥٠- علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ماجدة محسن أباظة
٢٥١- موسوعة علم الاجتماع (جـ٢)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
٢٥٢- رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	على بدران
٢٥٣- تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوفا	حسن بيومى
٢٥٤- أقدم لك: الفلسفة	ديف روبنسون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥- أقدم لك: أفلاطون	ديف روبنسون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٦- أقدم لك: ديكارت	ديف روبنسون وكريس جارات	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧- تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	محمود سيد أحمد
٢٥٨- الغجر	سير أنجوس فريزر	عُبادة كُحيلة
٢٥٩- مختارات من الشعر الأرمنى عبر العصور	نخبة	فاروجان كازانجيان
٢٦٠- موسوعة علم الاجتماع (جـ٣)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
٢٦١- رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢- مدينة المعجزات (رواية)	إدواردو مندوثا	محمد أبو العطا
٢٦٣- الكشف عن حافة الزمن	چون جريبن	على يوسف على
٢٦٤- إبداعات شعرية مترجمة	هوراس وشلى	لويس عوض

٢٦٥-	روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصمويل جونسون	لويس عوض
٢٦٦-	مدير المدرسة (رواية)	جلال آل أحمد	عادل عبدالمنعم على
٢٦٧-	فن الرواية	ميلان كونديرا	بدر الدين عرودكى
٢٦٨-	ديوان شمس تبريزى (جـ٢)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩-	وسط الجزيرة العربية وشرقها (جـ١)	وليم چيفور بالجريف	صبرى محمد حسن
٢٧٠-	وسط الجزير العربية وشرقها (جـ٢)	وليم چيفور بالجريف	صبرى محمد حسن
٢٧١-	الحضارة الغربية: الفكرة والتاريخ	توماس سى. باترسون	شوقى جلال
٢٧٢-	الأديرة الأثرية فى مصر	سى. سى. والترز	إبراهيم سلامة إبراهيم
٢٧٣-	الأصول الاجتماعية والثقافية لحركة عرابى فى مصر	جوان كول	عنان الشهاوى
٢٧٤-	السيدة باربارا (رواية)	رومولو جايجوس	محمود على مكى
٢٧٥-	ت. س. إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
٢٧٦-	فنون السينما	مجموعة من المؤلفين	عبدالقادر التلمسانى
٢٧٧-	الچينات والصراع من أجل الحياة	براين فورد	أحمد فوزى
٢٧٨-	البدايات	إسحاق عظيموف	ظريف عبدالله
٢٧٩-	الحرب الباردة الثقافية	ف.س. سوندرز	طلعت الشايب
٢٨٠-	الأم والنصيب وقصص أخرى	بريم شند وآخرون	سمير عبدالحميد إبراهيم
٢٨١-	الفردوس الأعلى (رواية)	عبد الحليم شرر	جلال الحفناوى
٢٨٢-	طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس وولبرت	سمير حنا صادق
٢٨٣-	السهل يحترق وقصص أخرى	خوان رولفو	على عبد الرءوف البمبى
٢٨٤-	هرقل مجنوناً (مسرحية)	يوريبيديس	أحمد عتمان
٢٨٥-	رحلة خواجة حسن نظامى الدهلوى	حسن نظامى الدهلوى	سمير عبد الحميد إبراهيم
٢٨٦-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٣)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
٢٨٧-	الثقافة والعولمة والنظام العالمى	أنتونى كنج	محمد يحيى وآخرون
٢٨٨-	الفن الروائى	ديفيد لودج	ماهر البطوطى
٢٨٩-	ديوان منوچهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	محمد نور الدين عبدالمنعم
٢٩٠-	علم اللغة والترجمة	جورج مونان	أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١-	تاريخ المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ١)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٢-	تاريخ المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ٢)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٣-	مقدمة للأدب العربى	روجر آلن	مجدى توفيق وآخرون
٢٩٤-	فن الشعر	بوالو	رجاء ياقوت
٢٩٥-	سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل وبيل مويرز	بدر الديب
٢٩٦-	مكبث (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٢٩٧-	فن النحو بين اليونانية والسريانية	ديونيسيوس ثراكس ويوسف الأهوازى	ماجدة محمد أنور
٢٩٨-	مأساة العبيد وقصص أخرى	نخبة	مصطفى حجازى السيد
٢٩٩-	ثورة فى التكنولوجيا الحيوية	جين ماركس	هاشم أحمد محمد
٣٠٠-	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج١)	لويس عوض	جمال الجزيرى وبهاء چاهين وإيزابيل كمال
٣٠١-	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج٢)	لويس عوض	جمال الجزيرى و محمد الجندى
٣٠٢-	أقدم لك: فنجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام

٣٠٣-	أقدم لك: بوذا	جين هوب وبورن فان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤-	أقدم لك: ماركس	ريوس	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥-	الجلد (رواية)	كروزيو مالابارته	صلاح عبد الصبور
٣٠٦-	الحماسة: النقد الكانطى للتاريخ	جان فرانسوا ليوتار	نبيل سعد
٣٠٧-	أقدم لك: الشعور	ديفيد بابينو وهوارد سلينا	محمود مكى
٣٠٨-	أقدم لك: علم الوراثة	ستيف جونز وبورين فان لو	ممدوح عبد المنعم
٣٠٩-	أقدم لك: الذهن والمخ	أنجوس جيلاتى وأوسكار زاريت	جمال الجزيرى
٣١٠-	أقدم لك: يونج	ماجى هايد ومايكل ماكجنس	محيى الدين مزيد
٣١١-	مقال فى المنهج الفلسفى	ر.ج كولنجوود	فاطمة إسماعيل
٣١٢-	روح الشعب الأسود	وليم ديبويس	أسعد حليم
٣١٣-	أمثال فلسطينية (شعر)	خايير بيان	محمد عبدالله الجعيدى
٣١٤-	مارسيل دوشامب: الفن كعدم	جانيس مينيك	هويدا السباعى
٣١٥-	جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو والطاهر لبيب	كاميليا صبحى
٣١٦-	محاكمة سقراط	أى. ف. ستون	نسيم مجلى
٣١٧-	بلا غد	س. شير لايموفا- س. زنيكين	أشرف الصباغ
٣١٨-	الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٣١٩-	صور دريدا	جايترى اسبيفاك وكرستوفر نوريس	حسام نايل
٣٢٠-	لمعة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	محمد علاء الدين منصور
٣٢١-	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ١)	ليفى برو فنسال	بإشراف: صلاح فضل
٣٢٢-	وجهات نظر حديثة فى تاريخ الفن الغربى	دبليو يوجين كليتباور	خالد مفلح حمزة
٣٢٣-	فن الساتورا	تراث يونانى قديم	هانم محمد فوزى
٣٢٤-	اللعب بالنار (رواية)	أشرف أسدى	محمود علاوى
٣٢٥-	عالم الآثار (رواية)	فيليب بوسان	كرستين يوسف
٣٢٦-	المعرفة والمصلحة	يورجين هابرماس	حسن صقر
٣٢٧-	مختارات شعرية مترجمة (جـ١)	نخبة	توفيق على منصور
٣٢٨-	يوسف وزليخا (شعر)	نور الدين عبد الرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٣٢٩-	رسائل عيد الميلاد (شعر)	تد هيوز	محمد عيد إبراهيم
٣٣٠-	كل شيء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	سامى صلاح
٣٣١-	عندما جاء السردين وقصص أخرى	ستيفن جراى	سامية دياب
٣٣٢-	شهر العسل وقصص أخرى	نخبة	على إبراهيم منوفى
٣٣٣-	الإسلام فى بريطانيا من ١٥٥٨-١٦٨٥	نبيل مطر	بكر عباس
٣٣٤-	لقطات من المستقبل	آرثر كلارك	مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣٥-	عصر الشك: دراسات عن الرواية	ناتالى ساروت	فتحى العشرى
٣٣٦-	متون الأهرام	نصوص مصرية قديمة	حسن صابر
٣٣٧-	فلسفة الولاء	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٣٣٨-	نظرات حائرة وقصص أخرى	نخبة	جلال الحفناوى
٣٣٩-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ٣)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٣٤٠-	اضطراب فى الشرق الأوسط	بيرش بيربروجلو	فخرى لبيب

٣٤١- قصائد من رلكه (شعر)	راينر ماريا رلكه	حسن حلمى
٣٤٢- سلامان وأبسال (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٣٤٣- العالم البرجوازى الزائل (رواية)	نادين جورديمر	سمير عبد ربه
٣٤٤- الموت فى الشمس (رواية)	بيتر بالانجيو	سمير عبد ربه
٣٤٥- الركض خلف الزمان (شعر)	بونه ندائى	يوسف عبد الفتاح فرج
٣٤٦- سحر مصر	رشاد رشدى	جمال الجزيرى
٣٤٧- الصبية الطائشون (رواية)	جان كوكتو	بكر الحلو
٣٤٨- المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ١)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٣٤٩- دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	أرثر والدهورن وآخرون	أحمد عمر شاهين
٣٥٠- بانوراما الحياة السياحية	مجموعة من المؤلفين	عطية شحاتة
٣٥١- مبادئ المنطق	جوزايا رويس	أحمد الانصارى
٣٥٢- قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	نعيم عطية
٣٥٣- الفن الإسلامى فى الأندلس: الزخرفة الهندسية	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٣٥٤- الفن الإسلامى فى الأندلس: الزخرفة النباتية	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٣٥٥- التيارات السياسية فى إيران المعاصرة	حجت مرتجى	محمود علاوى
٣٥٦- الميراث المر	بول سالم	بدر الرفاعى
٣٥٧- متون هرمس	تيموثى فريك وبيتر غاندى	عمر الفاروق عمر
٣٥٨- أمثال الهوسا العامية	نخبة	مصطفى حجازى السيد
٣٥٩- محاورة بارمنيدس	أفلاطون	حبيب الشارونى
٣٦٠- أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ليلى الشربينى
٣٦١- التصحر: التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	عاطف معتمد وآمال شاور
٣٦٢- تلميذ بابنبرج (رواية)	هاينرش شبورل	سيد أحمد فتح الله
٣٦٣- حركات التحرير الأفريقية	ريتشارد جيبسون	صبرى محمد حسن
٣٦٤- حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	نجلاء أبو عجاج
٣٦٥- سأم باريس (شعر)	شارل بودلير	محمد أحمد حمد
٣٦٦- نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	مصطفى محمود محمد
٣٦٧- القلم الجرىء	مجموعة من المؤلفين	البرّاق عبدالهادى رضا
٣٦٨- المصطلح السردى: معجم مصطلحات	جيرالد برنس	عابد خزندار
٣٦٩- المرأة فى أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوى	فوزية العشماوى
٣٧٠- الفن والحياة فى مصر الفرعونية	كليرلا لويت	فاطمة عبدالله محمود
٣٧١- المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ٢)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٣٧٢- عاش الشباب (رواية)	وانغ مينغ	وحيد السعيد عبدالحميد
٣٧٣- كيف تعد رسالة دكتوراه	أومبرتو إيكو	على إبراهيم منوفى
٣٧٤- اليوم السادس (رواية)	أندريه شديد	حمادة إبراهيم
٣٧٥- الخلود (رواية)	ميلان كونديرا	خالد أبو اليزيد
٣٧٦- الغضب وأحلام السنين (مسرحيات)	جان أنوى وآخرون	إدوار الخراط
٣٧٧- تاريخ الأدب فى إيران (جـ٤)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٣٧٨- المسافر (شعر)	محمد إقبال	يوسف عبدالفتاح فرج

٣٧٩- ملك فى الحديقة (رواية)	سنيل باث	جمال عبدالرحمن
٣٨٠- حديث عن الخسارة	جونتر جراس	شيرين عبدالسلام
٣٨١- أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	رانيا إبراهيم يوسف
٣٨٢- تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد إسفنديار	أحمد محمد نادى
٣٨٣- هدية الحجاز (شعر)	محمد إقبال	سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٨٤- القصص التى يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	إيزابيل كمال
٣٨٥- مشترى العشق (رواية)	محمد على بهزادراد	يوسف عبدالفتاح فرج
٣٨٦- دفاعاً عن التاريخ الأدبى النسوى	جانيت تود	ريهام حسين إبراهيم
٣٨٧- أغنيات وسوناتات (شعر)	چون دن	بهاء چاهين
٣٨٨- مواعظ سعدى الشيرازى (شعر)	سعدى الشيرازى	محمد علاء الدين منصور
٣٨٩- تفاهم وقصص أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٩٠- الأرشيفات والمدن الكبرى	إم. فى. روبرتس	عثمان مصطفى عثمان
٣٩١- الحافلة الليلكية (رواية)	مايف بينشى	منى الدروبى
٣٩٢- مقامات ورسائل أندلسية	فرناندو دى لاجرانجا	عبداللطيف عبدالحليم
٣٩٣- فى قلب الشرق	ندوة لويس ماسينيون	زينب محمود الخضيرى
٣٩٤- القوى الأربع الأساسية فى الكون	بول ديفيز	هاشم أحمد محمد
٣٩٥- آلام سياوش (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
٣٩٦- السافاك	تقى نجارى راد	محمود علاوى
٣٩٧- أقدم لك: نيتشه	لورانس جين وكيتى شين	إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٨- أقدم لك: سارتر	فيليب تودى وهوارد ريد	إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٩- أقدم لك: كامى	ديفيد ميروفتش وآلن كوركس	إمام عبدالفتاح إمام
٤٠٠- مومو (رواية)	ميشائيل إنده	باهر الجوهرى
٤٠١- أقدم لك: علم الرياضيات	زياودن ساردر وآخرون	ممدوح عبد المنعم
٤٠٢- أقدم لك: ستيفن هوكنج	ج. ب. ماك إيفوى وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٠٣- ربة المطر والملابس تصنع الناس (روايتان)	توبور شتورم وجوتفرد كولر	عماد حسن بكر
٤٠٤- تعويذة الحسى	ديفيد إبرام	ظبية خميس
٤٠٥- إيزابيل (رواية)	أندريه جيد	حمادة إبراهيم
٤٠٦- المستعربون الإسبان فى القرن ١٩	مانويلا مانتاناريس	جمال عبد الرحمن
٤٠٧- الأدب الإسبانى المعاصر بأقلام كتابه	مجموعة من المؤلفين	طلعت شاهين
٤٠٨- معجم تاريخ مصر	جوان فوتشركنج	عنان الشهاوى
٤٠٩- انتصار السعادة	برتراند راسل	إلهامى عمارة
٤١٠- خلاصة القرن	كارل بوبر	الزواوى بغورة
٤١١- همس من الماضى	جينيفر أكرمان	أحمد مستجير
٤١٢- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ٢)	ليفى بروفنسال	بإشراف: صلاح فضل
٤١٣- أغنيات المنفى (شعر)	ناظم حكمت	محمد البخارى
٤١٤- الجمهورية العالمية للآداب	باسكال كازانوفا	أمل الصبان
٤١٥- صورة كوكب (مسرحية)	فريدريش دورينمات	أحمد كامل عبدالرحيم
٤١٦- مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر	أ. أ. رتشاردز	محمد مصطفى بدوى

٤١٧-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٥)	رينيه ويليك	مجاهد عبدالمنعم مجاهد
٤١٨-	سياسات الزمر الحاكمة فى مصر العثمانية	جين هاثواى	عبد الرحمن الشيخ
٤١٩-	العصر الذهبى للإسكندرية	جون مارلو	نسيم مجلى
٤٢٠-	مكرو ميجاس (قصة فلسفية)	فولتير	الطيب بن رجب
٤٢١-	الولاء والقيادة فى المجتمع الإسلامى الأول	روى متحدة	أشرف كيلانى
٤٢٢-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ١)	ثلاثة من الرحالة	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٤٢٣-	إسراءات الرجل الطيف	نخبة	وحيد النقاش
٤٢٤-	لوائح الحق ولوامع العشق (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامى	محمد علاء الدين منصور
٤٢٥-	من طاووس إلى فرح	محمود طلوعى	محمود علاوى
٤٢٦-	الخفافيش وقصص أخرى	نخبة	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧-	بانديراس الطاغية (رواية)	باى إنكلان	ثريا شلبى
٤٢٨-	الخزانة الخفية	محمد هوتك بن داود خان	محمد أمان صافى
٤٢٩-	أقدم لك: هيجل	ليود سبنسر وأندزجى كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٠-	أقدم لك: كانط	كرستوفر وانت وأندزجى كليموفسكى	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣١-	أقدم لك: فوكو	كريس هوروكس وزوران جفتيك	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٢-	أقدم لك: ماكيافللى	باتريك كيرى وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٣-	أقدم لك: جويس	ديفيد نوريس وكارل فلنت	حمدى الجابرى
٤٣٤-	أقدم لك: الرومانسية	دونكان هيث وجودى بورهام	عصام حجازى
٤٣٥-	توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زربرج	ناجى رشوان
٤٣٦-	تاريخ الفلسفة (مج١)	فردريك كوبلستون	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٧-	رحالة هندى فى بلاد الشرق العربى	شبلى النعمانى	جلال الحفناوى
٤٣٨-	بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بيبرس	عايدة سيف الدولة
٤٣٩-	موت المرابى (رواية)	صدر الدين عينى	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠-	قواعد اللهجات العربية الحديثة	كرستن بروستاد	محمد طارق الشرقاوى
٤٤١-	رب الأشياء الصغيرة (رواية)	أرونداتى روى	فخرى لبيب
٤٤٢-	حتشبسوت: المرأة الفرعونية	فوزية أسعد	ماهر جويجاتى
٤٤٣-	اللغة العربية: تاريخها ومستوياتها وتأثيرها	كيس فرستيغ	محمد طارق الشرقاوى
٤٤٤-	أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة	لاوريت سيجورنه	صالح علمانى
٤٤٥-	حول وزن الشعر	پرويز ناتل خانلرى	محمد محمد يونس
٤٤٦-	التحالف الأسود	ألكسندر كوكبرن وجيفرى سانت كلير	أحمد محمود
٤٤٧-	أقدم لك: نظرية الكم	ج. پ. ماك إيفوى وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٤٨-	أقدم لك: علم نفس التطور	ديلان إيفانز وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٤٩-	أقدم لك: الحركة النسوية	نخبة	جمال الجزيرى
٤٥٠-	أقدم لك: ما بعد الحركة النسوية	صوفيا فوكا وريبيكا رايت	جمال الجزيرى
٤٥١-	أقدم لك: الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن وبورن ڤان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢-	أقدم لك: لينين والثورة الروسية	ريتشارد إبجينانزى وأوسكار زاريت	محيى الدين مزيد
٤٥٣-	القاهرة: إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	حليم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤-	خمسون عامًا من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	سوزان خليل

٤٥٥-	تاريخ الفلسفة الحديثة (مج٥)	فردريك كوبلستون	محمود سيد أحمد
٤٥٦-	لا تنسنى (رواية)	مريم جعفرى	هويدا عزت محمد
٤٥٧-	النساء فى الفكر السياسى الغربى	سوزان مولر أوكين	إمام عبدالفتاح إمام
٤٥٨-	الموريسكيون الأندلسيون	مرثيديس غارثيا أرينال	جمال عبد الرحمن
٤٥٩-	نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	جلال البنا
٤٦٠-	أقدم لك: الفاشية والنازية	ستوارت هود وليتزا جانستز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦١-	أقدم لك: لكان	داريان ليدر وجودى جروفز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦٢-	طه حسين من الأزهر إلى السوربون	عبدالرشيد الصادق محمودى	عبدالرشيد الصادق محمودى
٤٦٣-	الدولة المارقة	ويليام بلوم	كمال السيد
٤٦٤-	ديمقراطية للقلة	مايكل بارنتى	حصة إبراهيم المنيف
٤٦٥-	قصص اليهود	لويس جنزبيرج	جمال الرفاعى
٤٦٦-	حكايات حب وبطولات فرعونية	فيولين فانويك	فاطمة عبد الله
٤٦٧-	التفكير السياسى والنظرة السياسية	ستيفين ديلو	ربيع وهبة
٤٦٨-	روح الفلسفة الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٤٦٩-	جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	مجدى عبدالرازق
٤٧٠-	الأراضى والجودة البيئية	جارى م. بيرزنسكى وآخرون	محمد السيد النتة
٤٧١-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ٢)	ثلاثة من الرحالة	عبد الله عبد الرازق إبراهيم
٤٧٢-	دون كيخوتى (القسم الأول)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٣-	دون كيخوتى (القسم الثانى)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٤-	الأدب والنسوية	بام موريس	سهام عبدالسلام
٤٧٥-	صوت مصر: أم كلثوم	فرجينيا دانيلسون	عادل هلال عنانى
٤٧٦-	أرض الحبايب بعيدة: بيرم التونسى	ماريلين بوث	سحر توفيق
٤٧٧-	تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين	هيلدا هوخام	أشرف كيلانى
٤٧٨-	الصين والولايات المتحدة	ليوشيه شنج و لى شى دونج	عبد العزيز حمدى
٤٧٩-	المقهـــى (مسرحية)	لاو شه	عبد العزيز حمدى
٤٨٠-	تساى ون جى (مسرحية)	كو مو روا	عبد العزيز حمدى
٤٨١-	بردة النبى	روى متحدة	رضوان السيد
٤٨٢-	موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية	روبير جاك تيبو	فاطمة عبد الله
٤٨٣-	النسوية وما بعد النسوية	سارة چامبل	أحمد الشامى
٤٨٤-	جمالية التلقى	هانسن روبيرت ياوس	رشيد بنحدو
٤٨٥-	التوبة (رواية)	نذير أحمد الدهلوى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٦-	الذاكرة الحضارية	يان أسمن	عبدالحليم عبدالغنى رجب
٤٨٧-	الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد أبادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٨-	الحب الذى كان وقصائد أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٩-	هُسرل: الفلسفة علماً دقيقاً	إدموند هُسرل	محمود رجب
٤٩٠-	أسمار الببغاء	محمد قادرى	عبد الوهاب علوب
٤٩١-	نصوص قصصية من روائع الأدب الأفريقى	نخبة	سمير عبد ربه
٤٩٢-	محمد على مؤسس مصر الحديثة	جى فارجيت	محمد رفعت عواد

٤٩٣-	خطابات إلى طالب الصوتيات	هارولد بالمر	محمد صالح الضالع
٤٩٤-	كتاب الموتى: الخروج فى النهار	نصوص مصرية قديمة	شريف الصيفى
٤٩٥-	اللوبى	إدوارد تيفان	حسن عبد ربه المصرى
٤٩٦-	الحكم والسياسة فى أفريقيا (جـ١)	إكوادو بانولى	مجموعة من المترجمين
٤٩٧-	العلمانية والنوع والدولة فى الشرق الأوسط	نادية العلى	مصطفى رياض
٤٩٨-	النساء والنوع فى الشرق الأوسط الحديث	جوديث تاكر ومارجريت مريودز	أحمد على بدوى
٤٩٩-	تقاطعات: الأمة والمجتمع والنوع	مجموعة من المؤلفين	فيصل بن خضراء
٥٠٠-	فى طفولتى: دراسة فى السيرة الذاتية العربية	تيتز رووكى	طلعت الشايب
٥٠١-	تاريخ النساء فى الغرب (جـ١)	أرلت جولد هامر	سحر فراج
٥٠٢-	أصوات بديلة	مجموعة من المؤلفين	هالة كمال
٥٠٣-	مختارات من الشعر الفارسى الحديث	نخبة من الشعراء	محمد نور الدين عبدالمنعم
٥٠٤-	كتابات أساسية (جـ١)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
٥٠٥-	كتابات أساسية (جـ٢)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
٥٠٦-	ربما كان قديساً (رواية)	آن تيلر	عبدالحميد فهمى الجمال
٥٠٧-	سيدة الماضى الجميل (مسرحية)	بيتر شيفر	شوقى فهيم
٥٠٨-	المولوية بعد جلال الدين الرومى	عبدالباقى جلبنارلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٥٠٩-	الفقر والإحسان فى عصر سلاطين المماليك	آدم صبرة	قاسم عبده قاسم
٥١٠-	الأرملة الماكرة (مسرحية)	كارلو جولدونى	عبدالرازق عيد
٥١١-	كوكب مرقّع (رواية)	آن تيلر	عبدالحميد فهمى الجمال
٥١٢-	كتابة النقد السينمائى	تيموثى كوريجان	جمال عبد الناصر
٥١٣-	العلم الجسور	تيد أنتون	مصطفى إبراهيم فهمى
٥١٤-	مدخل إلى النظرية الأدبية	جونثان كولر	مصطفى بيومى عبد السلام
٥١٥-	من التقليد إلى ما بعد الحداثة	فدوى مالطى دوجلاس	فدوى مالطى دوجلاس
٥١٦-	إرادة الإنسان فى علاج الإدمان	أرنولد واشنطون ودونا باوندى	صبرى محمد حسن
٥١٧-	نقش على الماء وقصص أخرى	نخبة	سمير عبد الحميد إبراهيم
٥١٨-	استكشاف الأرض والكون	إسحق عظيموف	هاشم أحمد محمد
٥١٩-	محاضرات فى المثالية الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٥٢٠-	الولع الفرنسى بمصر من الحلم إلى المشروع	أحمد يوسف	أمل الصبان
٥٢١-	قاموس تراجم مصر الحديثة	آرثر جولد سميث	عبدالوهاب بكر
٥٢٢-	إسبانيا فى تاريخها	أميركو كاسترو	على إبراهيم منوفى
٥٢٣-	الفن الطليطلى الإسلامى والمدجن	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٥٢٤-	الملك لير (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٥٢٥-	موسم صيد فى بيروت وقصص أخرى	دنيس جونسون	نادية رفعت
٥٢٦-	أقدم لك: السياسة البيئية	ستيفن كرول ووليم رانكين	محيى الدين مزيد
٥٢٧-	أقدم لك: كافكا	ديفيد زين ميروفتس وروبرت كرمب	جمال الجزيرى
٥٢٨-	أقدم لك: تروتسكى والماركسية	طارق على وفلْ إيفانز	جمال الجزيرى
٥٢٩-	بدائع العلامة إقبال فى شعره الأردى	محمد إقبال	حازم محفوظ
٥٣٠-	مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية	رينيه جينو	عمر الفاروق عمر

٥٣١- ما الذي حدث في «حدث» ١١ سبتمبر؟	جاك دريدا	صفاء فتحي
٥٣٢- المغامرُ والمستشرق	هنري لورنس	بشير السباعي
٥٣٣- تعلُّم اللغة الثانية	سوزان جاس	محمد طارق الشرقاوي
٥٣٤- الإسلاميون الجزائريون	سيڤرين لابا	حمادة إبراهيم
٥٣٥- مخزن الأسرار (شعر)	نظامي الكنجوي	عبدالعزيز بقوش
٥٣٦- الثقافات وقيم التقدم	صمويل هنتنجتون ولورانس هاريزون	شوقي جلال
٥٣٧- الحب والحرية (شعر)	نخبة	عبدالغفار مكاوي
٥٣٨- النفس والآخر في قصص يوسف الشاروني	كيت دانيلر	محمد الحديدي
٥٣٩- خمس مسرحيات قصيرة	كاريل تشرشل	محسن مصيلحي
٥٤٠- توجهات بريطانية - شرقية	السير رونالد ستورس	رءوف عباس
٥٤١- هي تتخيل وهلاوس أخرى	خوان خوسيه مياس	مروة رزق
٥٤٢- قصص مختارة من الأدب اليوناني الحديث	نخبة	نعيم عطية
٥٤٣- أقدم لك: السياسة الأمريكية	باتريك بروجان وكريس جرات	وفاء عبدالقادر
٥٤٤- أقدم لك: ميلاني كلاين	روبرت هنشل وآخرون	حمدي الجابري
٥٤٥- يا له من سباق محموم	فرانسيس كريك	عزت عامر
٥٤٦- ريموس	ت. ب. وايزمان	توفيق على منصور
٥٤٧- أقدم لك: بارت	فيليب تودي وآن كورس	جمال الجزيري
٥٤٨- أقدم لك: علم الاجتماع	ريتشارد أوزبرن وبورن فان لون	حمدي الجابري
٥٤٩- أقدم لك: علم العلامات	بول كوبلي وليتاجانز	جمال الجزيري
٥٥٠- أقدم لك: شكسبير	نيك جروم وبيرو	حمدي الجابري
٥٥١- الموسيقى والعولمة	سايمون ماندي	سمحة الخولي
٥٥٢- قصص مثالية	ميجيل دي ثربانتس	على عبد الرءوف البمبي
٥٥٣- مدخل للشعر الفرنسي الحديث والمعاصر	دانيال لوفرس	رجاء ياقوت
٥٥٤- مصر في عهد محمد على	عفاف لطفي السيد مارسوه	عبدالسميع عمر زين الدين
٥٥٥- الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادي والعشرين	أناتولي أوتكين	أنور محمد إبراهيم ومحمد نصرالدين الجبالي
٥٥٦- أقدم لك: جان بودريار	كريس هوروكس وزوران جيفتك	حمدي الجابري
٥٥٧- أقدم لك: الماركيز دي ساد	ستوارت هود وجراهام كرولي	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٨- أقدم لك: الدراسات الثقافية	زيودين ساردار وبورين ڤان لون	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٩- الماس الزائف (رواية)	تشا تشاجي	عبدالحي أحمد سالم
٥٦٠- صلصلة الجرس (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوي
٥٦١- جناح جبريل (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوي
٥٦٢- بلايين وبلايين	كارل ساجان	عزت عامر
٥٦٣- ورود الخريف (مسرحية)	خاثينتو بينابينتي	صبري محمدي التهامي
٥٦٤- عُش الغريب (مسرحية)	خاثينتو بينابينتي	صبري محمدي التهامي
٥٦٥- الشرق الأوسط المعاصر	ديبورا ج. جيرنر	أحمد عبدالحميد أحمد
٥٦٦- تاريخ أوروبا في العصور الوسطى	موريس بيشوب	على السيد على
٥٦٧- الوطن المغتصب	مايكل رايس	إبراهيم سلامة إبراهيم
٥٦٨- الأصولي في الرواية	عبد السلام حيدر	عبد السلام حيدر

٥٦٩-	موقع الثقافة	هومى بابا	ثائر ديب
٥٧٠-	دول الخليج الفارسى	سير روبرت هاى	يوسف الشارونى
٥٧١-	تاريخ النقد الإسبانى المعاصر	إيميليا دى ثوليتا	السيد عبد الظاهر
٥٧٢-	الطب فى زمن الفراعنة	برونو أليوا	كمال السيد
٥٧٣-	أقدم لك: فرويد	ريتشارد ابيجنانس وأسكار زارتى	جمال الجزيرى
٥٧٤-	مصر القديمة فى عيون الإيرانيين	حسن بيرنيا	علاء الدين السباعى
٥٧٥-	الاقتصاد السياسى للعولمة	نجير وودز	أحمد محمود
٥٧٦-	فكر ثربانتس	أمريكو كاسترو	ناهد العشرى محمد
٥٧٧-	مغامرات بينوكيو	كارلو كولودى	محمد قدرى عمارة
٥٧٨-	الجماليات عند كيتس وهنت	أيومى ميزوكوشى	محمد إبراهيم وعصام عبد الروف
٥٧٩-	أقدم لك: تشومسكى	چون ماهر وچودى جرونز	محيى الدين مزيد
٥٨٠-	دائرة المعارف الدولية (مج١)	چون فيزر وبول سيترجز	بإشراف: محمد فتحى عبدالهادى
٥٨١-	الحمقى يموتون (رواية)	ماريو بوزو	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٢-	مرايا على الذات (رواية)	هوشنك كلشيرى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٣-	الجيران (رواية)	أحمد محمود	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٤-	سفر (رواية)	محمود دولت آبادى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٥-	الأمير احتجاب (رواية)	هوشنك كلشيرى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٦-	السينما العربية والأفريقية	ليزبيث مالكموس وروى آرمز	سهام عبد السلام
٥٨٧-	تاريخ تطور الفكر الصينى	مجموعة من المؤلفين	عبدالعزيز حمدى
٥٨٨-	أمنحوتپ الثالث	أنييس كابرول	ماهر جويجاتى
٥٨٩-	تمبكت العجيبة (رواية)	فيلكس ديبوا	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٥٩٠-	أساطير من الموروثات الشعبية الفنلندية	نخبة	محمود مهدى عبدالله
٥٩١-	الشاعر والمفكر	هوراتيوس	على عبدالتواب على وصلاح رمضان السيد
٥٩٢-	الثورة المصرية (جـ١)	محمد صبرى السوربونى	مجدى عبدالحافظ وعلى كورخان
٥٩٣-	قصائد ساحرة	بول فاليرى	بكر الحلو
٥٩٤-	القلب السمين (قصة أطفال)	سوزانا تامارو	أمانى فوزى
٥٩٥-	الحكم والسياسة فى أفريقيا (جـ٢)	إكواسو بانولى	مجموعة من المترجمين
٥٩٦-	الصحة العقلية فى العالم	روبرت ديجارليه وآخرون	إيهاب عبدالرحيم محمد
٥٩٧-	مسلمو غرناطة	خوليو كاروباروخا	جمال عبدالرحمن
٥٩٨-	مصر وكنعان وإسرائيل	دونالد ريدفورد	بيومى على قنديل
٥٩٩-	فلسفة الشرق	هرداد مهرين	محمود علاوى
٦٠٠-	الإسلام فى التاريخ	برنارد لويس	مدحت طه
٦٠١-	النسوية والمواطنة	ريان ڤوت	أيمن بكر وسمر الشيشكلى
٦٠٢-	ليوتار:نحو فلسفة ما بعد حداثية	چيمس وليامز	إيمان عبدالعزيز
٦٠٣-	النقد الثقافى	آرثر أيزابرجر	وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسى
٦٠٤-	الكوارث الطبيعية (مج١)	باتريك ل. آبوت	توفيق على منصور
٦٠٥-	مخاطر كوكبنا المضطرب	إرنست زيبروسكى (الصغير)	مصطفى إبراهيم فهمى
٦٠٦-	قصة البردى اليونانى فى مصر	ريتشارد هاريس	محمود إبراهيم السعدنى

٦٠٧- قلب الجزيرة العربية (جـ١)	هارى سينت فيلبى	صبرى محمد حسن
٦٠٨- قلب الجزيرة العربية (جـ٢)	هارى سينت فيلبى	صبرى محمد حسن
٦٠٩- الانتخاب الثقافى	أجنر فوج	شوقى جلال
٦١٠- العمارة المدجنة	رفائيل لويث جوثمان	على إبراهيم منوفى
٦١١- النقد والأيديولوجية	تيرى إيجلتون	فخرى صالح
٦١٢- رسالة النفسية	فضل الله بن حامد الحسينى	محمد محمد يونس
٦١٣- السياحة والسياسة	كولن مايكل هول	محمد فريد حجاب
٦١٤- بيت الأقصر الكبير(رواية)	فوزية أسعد	منى قطان
٦١٥- عرض الأحداث التى وقعت فى بغداد من ١٩٩٧ إلى ١٩٩٩	أليس بسيرينى	محمد رفعت عواد
٦١٦- أساطير بيضاء	روبرت يانج	أحمد محمود
٦١٧- الفولكلور والبحر	هوراس بيك	أحمد محمود
٦١٨- نحو مفهوم لاقتصاديات الصحة	تشارلز فيلبس	جلال البنا
٦١٩- مفاتيح أورشليم القدس	ريمون استانبولى	عايدة الباجورى
٦٢٠- السلام الصليبى	توماش ماستناك	بشير السباعى
٦٢١- النوبة المعبر الحضارى	وليم ى. آدمز	فؤاد عكود
٦٢٢- أشعار من عالم اسمه الصين	آى تشينغ	أمير نبيه وعبدالرحمن حجازى
٦٢٣- نوادر جحا الإيرانى	سعيد قانعى	يوسف عبدالفتاح
٦٢٤- أزمة العالم الحديث	رينيه جينو	عمر الفاروق عمر
٦٢٥- الجرح السرى	جان جينيه	محمد برادة
٦٢٦- مختارات شعرية مترجمة (جـ٢)	نخبة	توفيق على منصور
٦٢٧- حكايات إيرانية	نخبة	عبدالوهاب علوب
٦٢٨- أصل الأنواع	تشارلس داروين	مجدى محمود المليجى
٦٢٩- قرن آخر من الهيمنة الأمريكية	نيقولاس جويات	عزة الخميسى
٦٣٠- سيرتى الذاتية	أحمد بللو	صبرى محمد حسن
٦٣١- مختارات من الشعر الأفريقى المعاصر	نخبة	بإشراف: حسن طلب
٦٣٢- المسلمون واليهود فى مملكة فالنسيا	دولورس برامون	رانيا محمد
٦٣٣- الحب وفنونه (شعر)	نخبة	حمادة إبراهيم
٦٣٤- مكتبة الإسكندرية	روى ماكلويد وإسماعيل سراج الدين	مصطفى البهنساوى
٦٣٥- التثبيت والتكيف فى مصر	جودة عبد الخالق	سمير كريم
٦٣٦- حج يولندة	جناب شهاب الدين	سامية محمد جلال
٦٣٧- مصر الخديوية	ف. روبرت هنتر	بدر الرفاعى
٦٣٨- الديمقراطية والشعر	روبرت بن ورين	فؤاد عبد المطلب
٦٣٩- فندق الأرق (شعر)	تشارلز سيميك	أحمد شافعى
٦٤٠- ألكسياد	الأميرة أنّاكومنينا	حسن حبشى
٦٤١- برتراندرسل (مختارات)	برتراند رسل	محمد قدرى عمارة
٦٤٢- أقدم لك: داروين والتطور	جوناثان ميلر وبورين فان لون	ممدوح عبد المنعم
٦٤٣- سفرنامه حجاز (شعر)	عبد الماجد الدريابادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٦٤٤- العلوم عند المسلمين	هوارد د.تيرنر	فتح الله الشيخ

٦٤٥-	السياسة الخارجية الأمريكية ومصادرها الداخلية	تشارلز كجلي ويوجين ويتكوف	عبد الوهاب علوب
٦٤٦-	قصة الثورة الإيرانية	سپهر ذبيح	عبد الوهاب علوب
٦٤٧-	رسائل من مصر	جون نينيه	فتحى العشرى
٦٤٨-	بورخيس	بياتريث سارلو	خليل كلفت
٦٤٩-	الخوف وقصص خرافية أخرى	جى دى موباسان	سحر يوسف
٦٥٠-	الدولة والسلطة والسياسة فى الشرق الأوسط	روجر أوين	عبد الوهاب علوب
٦٥١-	ديليسبس الذى لا نعرفه	وثائق قديمة	أمل الصبان
٦٥٢-	آلهة مصر القديمة	كلود ترونكر	حسن نصر الدين
٦٥٣-	مدرسة الطغاة (مسرحية)	إيريش كستنر	سمير جريس
٦٥٤-	أساطير شعبية من أوزبكستان (جـ١)	نصوص قديمة	عبد الرحمن الخميسى
٦٥٥-	أساطير وآلهة	إيزابيل فرانكو	حليم طوسون ومحمود ماهر طه
٦٥٦-	خبز الشعب والأرض الحمراء (مسرحيتان)	ألفونسو ساسترى	ممدوح البستاوى
٦٥٧-	محاكم التفتيش والموريسكيون	مرثيديس غارثيا أرينال	خالد عباس
٦٥٨-	حوارات مع خوان رامون خيمينيث	خوان رامون خيمينيث	صبرى التهامى
٦٥٩-	قصائد من إسبانيا وأمريكا اللاتينية	نخبة	عبداللطيف عبدالحليم
٦٦٠-	نافذة على أحدث العلوم	ريتشارد فايفيلد	هاشم أحمد محمد
٦٦١-	روائع أندلسية إسلامية	نخبة	صبرى التهامى
٦٦٢-	رحلة إلى الجذور	داسو سالديبار	صبرى التهامى
٦٦٣-	امرأة عادية	ليوسيل كليفتون	أحمد شافعى
٦٦٤-	الرجل على الشاشة	ستيفن كوهان وإنا راى هارك	عصام زكريا
٦٦٥-	عوالم أخرى	بول دافيز	هاشم أحمد محمد
٦٦٦-	تطور الصورة الشعرية عند شكسبير	وولفجانج انش كليمن	جمال عبد الناصر ومدحت الجيار وجمال جاد الرب
٦٦٧-	الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربى	ألفن جولدنر	على ليلة
٦٦٨-	ثقافات العولمة	فريدريك چيمسون وماساو ميوشى	ليلى الجبالى
٦٦٩-	ثلاث مسرحيات	وول شوينكا	نسيم مجلى
٦٧٠-	أشعار جوستاف أدولفو	جوستاف أدولفو بكر	ماهر البطوطى
٦٧١-	قل لى كم مضى على رحيل القطار؟	جيمس بولدوين	على عبدالأمير صالح
٦٧٢-	مختارات من الشعر الفرنسى للأطفال	نخبة	إبتهال سالم
٦٧٣-	ضرب الكليم (شعر)	محمد إقبال	جلال الحفناوى
٦٧٤-	ديوان الإمام الخمينى	آية الله العظمى الخمينى	محمد علاء الدين منصور
٦٧٥-	أثينا السوداء (جـ٢، مج١)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى
٦٧٦-	أثينا السوداء (جـ٢، مج٢)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى
٦٧٧-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ١ ، مج١)	إدوارد جرانفيل براون	أحمد كمال الدين حلمى
٦٧٨-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ١ ، مج٢)	إدوارد جرانفيل براون	أحمد كمال الدين حلمى
٦٧٩-	مختارات شعرية مترجمة (جـ٢)	وليام شكسبير	توفيق على منصور
٦٨٠-	سنوات الطفولة (رواية)	وول شوينكا	سمير عبد ربه
٦٨١-	هل يوجد نص فى هذا الفصل؟	ستانلى فش	أحمد الشيمى
٦٨٢-	نجوم حظر التجوال الجديد (رواية)	بن أوكرى	صبرى محمد حسن

٦٨٣- سكين واحد لكل رجل (رواية)	تى. م. ألوكو	صبرى محمد حسن
٦٨٤- الأعمال القصصية الكاملة (أنا كذا) (جـ١)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسى
٦٨٥- الأعمال القصصية الكاملة (الصحراء) (جـ٢)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسى
٦٨٦- امرأة محاربة (رواية)	ماكسين هونج كنجستون	سحر توفيق
٦٨٧- محبوبة (رواية)	فتانة حاج سيد جوادى	ماجدة العنانى
٦٨٨- الانفجارات الثلاثة العظمى	فيليب م. دوبر وريتشارد أ. موار	فتح الله الشيخ وأحمد السماحى
٦٨٩- الملف (مسرحية)	تادووش روجيفيتش	هناء عبد الفتاح
٦٩٠- محاكم التفتيش فى فرنسا	(مختارات)	رمسيس عوض
٦٩١- ألبرت أينشتين: حياته وغرامياته	(مختارات)	رمسيس عوض
٦٩٢- أقدم لك: الوجودية	ريتشارد أبيجانسى وأوسكار زاريت	حمدى الجابرى
٦٩٣- أقدم لك: القتل الجماعى (المحرقة)	حاثيم برشيت وآخرون	جمال الجزيرى
٦٩٤- أقدم لك: دريدا	جيف كولينز وبيل مايبلين	حمدى الجابرى
٦٩٥- أقدم لك: رسل	ديف روبنسون وجودى جروف	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٦- أقدم لك: روسو	ديف روبنسون وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٧- أقدم لك: أرسطو	روبرت ودفين وجودى جروفس	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٨- أقدم لك: عصر التنوير	ليود سبنسر وأندرزيجى كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٩- أقدم لك: التحليل النفسى	إيفان وارد وأوسكار زارايت	جمال الجزيرى
٧٠٠- الكاتب وواقعه	ماريو بارجاس يوسا	بسمة عبدالرحمن
٧٠١- الذاكرة والحداثة	وليم رود فيفيان	منى البرنس
٧٠٢- الأمثال الفارسية	أحمد وكيليان	محمود علاوى
٧٠٣- تاريخ الأدب فى إيران (جـ٢)	إدوارد جرانڤيل براون	أمين الشواربى
٧٠٤- فيه ما فيه	مولانا جلال الدين الرومى	محمد علاء الدين منصور وآخرون
٧٠٥- فضل الأنام من رسائل حجة الإسلام	الإمام الغزالى	عبدالحميد مدكور
٧٠٦- الشفرة الوراثية وكتاب التحولات	جونسون ف. يان	عزت عامر
٧٠٧- أقدم لك: ڤالتر بنيامين	هوارد كاليجل وآخرون	وفاء عبدالقادر
٧٠٨- فراعنة من؟	دونالد مالكولم ريد	رءوف عباس
٧٠٩- معنى الحياة	ألفريد أدلر	عادل نجيب بشرى
٧١٠- الأطفال والتكنولوجيا والثقافة	إيان هاتشباى وجوموران - إليس	دعاء محمد الخطيب
٧١١- درة التاج	ميرزا محمد هادى رسوا	هناء عبد الفتاح
٧١٢- ميراث الترجمة: الإلياذة (جـ١)	هوميروس	سليمان البستانى
٧١٣- ميراث الترجمة: الإلياذة (جـ٢)	هوميروس	سليمان البستانى
٧١٤- ميراث الترجمة: حديث القلوب	لامنيه	حنا صاوه
٧١٥- جامعة كل المعارف (جـ١)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٦- جامعة كل المعارف (جـ٢)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٧- جامعة كل المعارف (جـ٣)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٨- جامعة كل المعارف (جـ٤)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٩- جامعة كل المعارف (جـ٥)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧٢٠- جامعة كل المعارف (جـ٦)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين

٧٢١-	فلسفة المتكلمين فى الإسلام (مج١)	هـ. أ. ولفسون	مصطفى لبيب عبد الغنى
٧٢٢-	الصفيحة وقصص أخرى	بشار كمال	الصفصافى أحمد القطورى
٧٢٣-	تحديات ما بعد الصهيونية	إفرايم نيمنى	أحمد ثابت
٧٢٤-	اليسار الفرويدى	بول روبنسون	عبده الريس
٧٢٥-	الاضطراب النفسى	جون فيتكس	مى مقلد
٧٢٦-	الموريسكيون فى المغرب	غييرمو غوثالبيس بوستو	مروة محمد إبراهيم
٧٢٧-	حلم البحر (رواية)	باچين	وحيد السعيد
٧٢٨-	العولمة: تدمير العمالة والنمو	موريس آليه	أميرة جمعة
٧٢٩-	الثورة الإسلامية فى إيران	صادق زيباكلام	هويدا عزت
٧٣٠-	حكايات من السهول الأفريقية	آن جاتى	عزت عامر
٧٣١-	النوع: الذكر والأنثى بين التميز والاختلاف	مجموعة من المؤلفين	محمد قدرى عمارة
٧٣٢-	قصص بسيطة (رواية)	إنجو شولتسه	سمير جريس
٧٣٣-	مأساة عطيل (مسرحية)	وليم شيكسبير	محمد مصطفى بدوى
٧٣٤-	بونابرت فى الشرق الإسلامى	أحمد يوسف	أمل الصبان
٧٣٥-	فن السيرة فى العربية	مايكل كوبرسون	محمود محمد مكى
٧٣٦-	التاريخ الشعبى للولايات المتحدة (جـ١)	هوارد زن	شعبان مكاوى
٧٣٧-	الكوارث الطبيعية (مج٢)	باتريك ل. أبوت	توفيق على منصور
٧٣٨-	دمشق من عصر ما قبل التاريخ إلى الدولة المملوكية	جيرار دى جورج	محمد عواد
٧٣٩-	دمشق من الإمبراطورية العثمانية حتى الوقت الحاضر	جيرار دى جورج	محمد عواد
٧٤٠-	خطابات السلطة	بارى هندس	مرفت ياقوت
٧٤١-	الإسلام وأزمة العصر	برنارد لويس	أحمد هيكل
٧٤٢-	أرض حارة	خوسيه لاكوادرا	رزق بهنسى
٧٤٣-	الثقافة: منظور داروينى	روبرت أونجر	شوقى جلال
٧٤٤-	ديوان الأسرار والرموز (شعر)	محمد إقبال	سمير عبد الحميد
٧٤٥-	المأثر السلطانية	بيك الدنبلى	محمد أبو زيد
٧٤٦-	تاريخ التحليل الاقتصادى (مج١)	جوزيف أ. شومبيتر	حسن النعيمى
٧٤٧-	الاستعارة فى لغة السينما	تريفور وايتوك	إيمان عبد العزيز
٧٤٨-	تدمير النظام العالمى	فرانسيس بويل	سمير كريم
٧٤٩-	إيكولوچيا لغات العالم	ل.ج. كالفيه	باتسى جمال الدين
٧٥٠-	الإلياذة	هوميروس	بإشراف: أحمد عتمان
٧٥١-	الإسراء والمعراج فى تراث الشعر الفارسى	نخبة	علاء السباعى
٧٥٢-	ألمانيا بين عقدة الذنب والخوف	جمال قارصلى	نمر عاروري
٧٥٣-	التنمية والقيم	إسماعيل سراج الدين وآخرون	محسن يوسف
٧٥٤-	الشرق والغرب	أنّا مارى شيمل	عبدالسلام حيدر
٧٥٥-	تاريخ الشعر الإسبانى خلال القرن العشرين	أندرو ب. دبيكى	على إبراهيم منوفى
٧٥٦-	ذات العيون الساحرة	إنريكى خاردييل بونثيلا	خالد محمد عباس
٧٥٧-	تجارة مكة	باتريشيا كرون	آمال الروبى
٧٥٨-	الإحساس بالعولمة	بروس روبنز	عاطف عبدالحميد

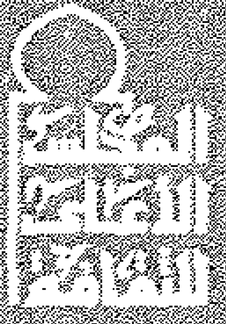
٧٥٩-	النثر الأردى	مولوى سيد محمد	جلال الحفناوى
٧٦٠-	الدين والتصور الشعبى للكون	السيد الأسود	السيد الأسود
٧٦١-	جيوب مثقلة بالحجارة (رواية)	فيرجينيا وولف	فاطمة ناعوت
٧٦٢-	المسلم عدواً و صديقاً	ماريا سوليداد	عبدالعال صالح
٧٦٣-	الحياة فى مصر	أنريكو بيا	نجوى عمر
٧٦٤-	ديوان غالب الدهلوى (شعر غزل)	غالب الدهلوى	حازم محفوظ
٧٦٥-	ديوان خواجة الدهلوى (شعر تصوف)	خواجة الدهلوى	حازم محفوظ
٧٦٦-	الشرق المتخيل	تييرى هنتش	غازى برو وخليل أحمد خليل
٧٦٧-	الغرب المتخيل	نسيب سمير الحسينى	غازى برو
٧٦٨-	حوار الثقافات	محمود فهمى حجازى	محمود فهمى حجازى
٧٦٩-	أدباء أحياء	فريدريك هتمان	رندا النشار وضياء زاهر
٧٧٠-	السيدة بيرفيكتا	بينيتو بيريث جالدوس	صبرى التهامى
٧٧١-	السيد سيجوندو سومبرا	ريكاردو جويرالديس	صبرى التهامى
٧٧٢-	بريخت ما بعد الحداثة	إليزابيث رايت	محسن مصيلحى
٧٧٣-	دائرة المعارف الدولية (جـ٢)	جون فيزر وبول ستيرجز	بإشراف: محمد فتحى عبدالهادى
٧٧٤-	الديموقراطية الأمريكية: التاريخ والمرتكزات	مجموعة من المؤلفين	حسن عبد ربه المصرى
٧٧٥-	مرآة العروس	نذير أحمد الدهلوى	جلال الحفناوى
٧٧٦-	منظومة مصيبت نامه (مج١)	فريد الدين العطار	محمد محمد يونس
٧٧٧-	الانفجار الأعظم	جيمس إ. ليدسى	عزت عامر
٧٧٨-	صفوة المديح	مولانا محمد أحمد ورضا القادرى	حازم محفوظ
٧٧٩-	خيوط العنكبوت وقصص أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم وسارة تاكاهاشى
٧٨٠-	من أدب الرسائل الهندية حجاز ١٩٣٠	غلام رسول مهر	سمير عبد الحميد إبراهيم
٧٨١-	الطريق إلى بكين	هدى بدران	نبيلة بدران
٧٨٢-	المسرح المسكون	مارفن كارلسون	جمال عبد المقصود
٧٨٣-	العولمة والرعاية الإنسانية	فيك جورج وبول ويلدنج	طلعت السروجى
٧٨٤-	الإساءة للطفل	ديفيد أ. وولف	جمعة سيد يوسف
٧٨٥-	تأملات عن تطور ذكاء الإنسان	كارل ساجان	سمير حنا صادق
٧٨٦-	المدنية (رواية)	مارجريت أتوود	سحر توفيق
٧٨٧-	العودة من فلسطين	جوزيه بوفيه	إيناس صادق
٧٨٨-	سر الأهرامات	ميروسلاف فرنر	خالد أبو اليزيد البلتاجى
٧٨٩-	الانتظار (رواية)	هاجين	منى الدروبى
٧٩٠-	الفرانكفونية العربية	مونيك بونتو	جيهان العيسوى
٧٩١-	العطور ومعامل العطور فى مصر القديمة	محمد الشيمى	ماهر جويجاتى
٧٩٢-	دراسات حول القصص القصيرة إدريس ومحفوظ	منى ميخائيل	منى إبراهيم
٧٩٣-	ثلاث رؤى للمستقبل	جون جريفيس	رءوف وصفى
٧٩٤-	التاريخ الشعبى للولايات المتحدة (جـ٢)	هوارد زن	شعبان مكاوى
٧٩٥-	مختارات من الشعر الإسبانى (جـ١)	نخبة	على عبد الرءوف البمبى
٧٩٦-	آفاق جديدة فى دراسة اللغة والذهن	نعوم تشومسكى	حمزة المزينى

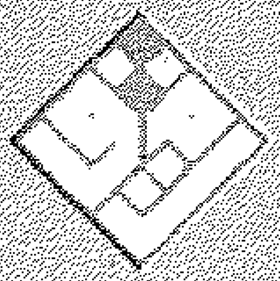
٧٩٧-	الرؤية فى ليلة معتمة (شعر)	نخبة	طلعت شاهين
٧٩٨-	الإرشاد النفسى للأطفال	كاترين جيلدرد ودافيد جيلدرد	سميرة أبو الحسن
٧٩٩-	سلم السنوات	أن تيلر	عبد الحميد فهمى الجمال
٨٠٠-	قضايا فى علم اللغة التطبيقى	ميشيل ماكارثى	عبد الجواد توفيق
٨٠١-	نحو مستقبل أفضل	تقرير دولى	بإشراف: محسن يوسف
٨٠٢-	مسلمو غرناطة فى الآداب الأوروبية	ماريا سوليداد	شرين محمود الرفاعى
٨٠٣-	التغيير والتنمية فى القرن العشرين	توماس باترسون	عزة الخميسى
٨٠٤-	سوسيولوجيا الدين	دانيل ميرفيه-ليجيه وجان بول ويلام	درويش الحلوجى
٨٠٥-	من لا عزاء لهم (رواية)	كازو إيشيجورو	طاهر البربرى
٨٠٦-	الطبقة العليا المتوسطة	ماجدة بركة	محمود ماجد
٨٠٧-	يحى حقى: تشريح مفكر مصرى	ميريام كوك	خيرى دومة
٨٠٨-	الشرق الأوسط والولايات المتحدة	ديفيد دابليو ليش	أحمد محمود
٨٠٩-	تاريخ الفلسفة السياسية (جـ١)	ليو شتراوس وجوزيف كروبسى	محمود سيد أحمد
٨١٠-	تاريخ الفلسفة السياسية (جـ٢)	ليو شتراوس وجوزيف كروبسى	محمود سيد أحمد
٨١١-	تاريخ التحليل الاقتصادى (مج٢)	جوزيف أ.شومبيتر	حسن النعيمى
٨١٢-	تأمل العالم: الصورة والأسلوب فى الحياة الاجتماعية	ميشيل مافيزولى	فريد الزاهى
٨١٣-	لم أخرج من ليلى (رواية)	آنى إرنو	نورا أمين
٨١٤-	الحياة اليومية فى مصر الرومانية	نافتال لويس	آمال الروبى
٨١٥-	فلسفة المتكلمين (مج٢)	هـ. أ. ولفسون	مصطفى لبيب عبدالغنى
٨١٦-	العدو الأمريكى	فيليب روچيه	بدر الدين عرودكى
٨١٧-	مائدة أفلاطون: كلام فى الحب	أفلاطون	محمد لطفى جمعة
٨١٨-	الحرفيون والتجار فى القرن ١٨ (جـ١)	أندريه ريمون	ناصر أحمد وباتسى جمال الدين
٨١٩-	الحرفيون والتجار فى القرن ١٨ (جـ٢)	أندريه ريمون	ناصر أحمد وباتسى جمال الدين
٨٢٠-	ميراث الترجمة: هملت (مسرحية)	وليم شكسبير	طانيوس أفندى
٨٢١-	هفت بيكر (شعر)	نور الدين عبد الرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٨٢٢-	فن الرباعى (شعر)	نخبة	محمد نور الدين عبد المنعم
٨٢٣-	وجه أمريكا الأسود (شعر)	نخبة	أحمد شافعى
٨٢٤-	لغة الدراما	دافيد برتش	ربيع مفتاح
٨٢٥-	ميراث الترجمة: عصر النهضة فى إيطاليا (جـ١)	ياكوب بوكهارت	عبد العزيز توفيق جاويد
٨٢٦-	ميراث الترجمة: عصر النهضة فى إيطاليا (جـ٢)	ياكوب بوكهارت	عبد العزيز توفيق جاويد
٨٢٧-	أهل مطروح: البدو والمستوطنون والذين يقضون العطلات	دونالد پ.كول وثريا تركى	محمد على فرج
٨٢٨-	ميراث الترجمة: النظرية النسبية	ألبرت أينشتين	رمسيس شحاتة
٨٢٩-	مناظرة حول الإسلام والعلم	إرنست رينان وجمال الدين الأفغانى	مجدى عبد الحافظ
٨٣٠-	رق العشق	حسن كريم بور	محمد علاء الدين منصور
٨٣١-	ميراث الترجمة: تطور علم الطبيعة	ألبرت أينشتين وليو پولد إنفلد	محمد النادى وعطية عاشور
٨٣٢-	تاريخ التحليل الاقتصادى (جـ٢)	جوزيف أ.شومبيتر	حسن النعيمى
٨٣٣-	الفلسفة الألمانية	فرنر شميدرس	محسن الدمرداش
٨٣٤-	كنز الشعر	نبيع الله صفا	محمد علاء الدين منصور

٨٣٥- تشيخوف: حياة فى صور	بيتر أوربان	علاء عزمى
٨٣٦- بين الإسلام والغرب	مرثيدس غارثيا	ممدوح البستاوى
٨٣٧- عناكب فى المصيدة	ناتاليا فيكو	على فهمى عبدالسلام
٨٣٨- فى تفسير مذهب بوش ومقالات أخرى	نعوم تشومسكى	لبنى صبرى
٨٣٩- أقدم لك: النظرية النقدية	ستيوارت سين وبورين فان لون	جمال الجزيرى
٨٤٠- الخواتم الثلاثة	جوتهولد ليسينج	فوزية حسن
٨٤١- هملت: أمير الدانمارك	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٨٤٢- منظومة مصيبت نامه (مج٢)	فريد الدين العطار	محمد محمد يونس
٨٤٣- من روائع القصيد الفارسى	نخبة	محمد علاء الدين منصور
٨٤٤- دراسات فى الفقر والعولمة	كريمة كريم	سمير كريم
٨٤٥- غياب السلام	نيكولاس جويات	طلعت الشايب
٨٤٦- الطبيعة البشرية	ألفريد أدلر	عادل نجيب بشرى
٨٤٧- الحياة بعد الرأسمالية	مايكل ألبرت	أحمد محمود
٨٤٨- ميراث الترجمة: تاريخ الدولة العربية	يوليوس فلهاوزن	عبد الهادى أبو ريدة
٨٤٩- سونيتات شكسبير	وليم شكسبير	بدر توفيق
٨٥٠- الخيال، الأسلوب، الحداثة	مقالات مختارة	جابر عصفور
٨٥١- ميراث الترجمة: الطب التجريبى	كلود برنار	يوسف مراد
٨٥٢- العلم والحقيقة	ريتشارد دوكنز	مصطفى إبراهيم فهمى
٨٥٣- العمارة فى الأندلس: عمارة المدن والحصون (مج١)	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٨٥٤- العمارة فى الأندلس: عمارة المدن والحصون (مج٢)	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٨٥٥- فهم الاستعارة فى الأدب	جيرارد ستيم	محمد أحمد حمد
٨٥٦- القضية الموريسكية من وجهة نظر أخرى	فرانثيسكو ماركيث يانو بيانويا	عائشة سويلم
٨٥٧- نادجا (رواية)	أندريه بريتون	كامل عويد العامرى
٨٥٨- جوهر الترجمة: عبور الحدود الثقافية	ثيو هرمانز	بيومى قنديل

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٢٢١٧٢ / ٢٠٠٥





تسطع الفتوحات التى تحققها العلوم الطبيعية على أفق التطور الإنسانى بشكل يزداد توتره من وقت لآخر، ولا يكاد يمر يوم دون أن نسمع عن فتح جديد سواء فى الكون الأصغر أى الذرة وما دونها، والكون الأكبر وما وراءه أى المجرات والثقوب السوداء. وأمام هذه الفتوحات الخلابة يقف الجميع موقف الانبهار، وهو الأمر الذى يدفع الباحثين الذين ينصب عملهم فى مجال العلوم الإنسانية إلى التنقيب عن الأسباب التى تقود خطى تلك العلوم على طريق تحقيق ما تحققه من فتوحات بارزة. وفى هذا الصدد لا يجدون إلا مناهجها ونظرياتها وآلياتها، مما يستطيعون نقله وتطبيقه على المجالات التى يعملون فى نطاقها. وهذا هو الحال مع كافة العلوم الإنسانية التى تسعى باستمرار إلى تبنى ما تصقله العلوم الطبيعية من أدوات بحثية. وهذا هو موضوع الكتاب الذى يسعى الباحثون الاثنا عشر المشاركون بأوراقهم أو بحوثهم فيه إلى السير بالدراسات الترجمية فى اتجاه التحول بالترجمة كنشاط ثقافى تزداد أهميته يوما بعد يوم من "فن" يخضع للذوق الخاص عند الإنتاج والاستهلاك إلى "علم" يخضع للقياسات الدقيقة اللاشخصية وتقوده المعطيات الموضوعية، وفق منهج صارم، إلى نتائج حتمية قابلة للتكرار.